

آداب

ISSN 0302- 8844 ■ مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

عدد خاص باليوبيل الذهبي لقسم الآثار



العدد 52

المجلد (2) يناير 2025



آداب



ISSN 0302- 8844

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد 52 المجلد (2). يناير 2025م

عدد خاص باليوبيل الذهبي لقسم الآثار

الهيئة الاستشارية	هيئة التحرير
أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه أ.د. علي عثمان محمد صالح أ.د. جلال الدين الطيب أ.د. رقية السيد الطيب العباس أ.د. حمد النيل محمد الحسن أ.د. الحسين النوريوسف أ.د. يحيى فضل طاهر أ.د. مبارك حسين نجم الدين د. يونس الأمين د. محاسن حاج الصافي د. حسن علي عيسى	رئيس التحرير أ.د. صديق مصطفى الريح مدير التحرير أ.د. أزهرى مصطفى صادق علي أعضاء هيئة التحرير أ.د. الصادق يحيى عبد الله د. محمد الفاتح حياتي د. عفاف محمد الحسن د. رشا البارودي د. نادرة عبدالله علي د. وليد نورالدائم د. أحمد عبد المنعم سكرتارية المجلة أ. وليد مدثر أ. سارة مأمون

تعنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب 321
أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrattyah@gmail.com

المحتويات

القسم العربي

1	1. قسم الآثار – جامعة الخرطوم. رائد علم الآثار في السودان. د. محمد الفاتح حياتي.....
19	2. (في ذكرى اليوبيل الذهبي) تجربة قسم الآثار – جامعة الخرطوم في إدارة المصادر الأثرية (1964-2014م). د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد علي.....
51	3. مقترح لتطوير برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار. د. نبى عبد الحافظ عبد العزيز.....
59	4. الأعمال الأثرية في إقليم الشرق الثقافي: من خلال دراسات وأبحاث جامعة الخرطوم. د. أحمد حسين عبد الرحمن آدم.....
81	5. موقع الخندق الأثري والكوارث البشرية والطبيعية. أ.د. انتصار صغيرون الزين، أ. فاطمة محمد عثمان.....
97	6. تعزيز دور التعليم والتدريب الميداني في مواقع ما قبل التاريخ بالسودان. تجربة قسم الآثار جامعة الخرطوم في موقع الصُور. أ.د. أزهرى مصطفى صادق.....
153	7. حكام مصر السودانيون: كافوري الإخشيدى نموذجاً. أ.د. يحيى فضل طاهر، د. أحمد حسين عبد الرحمن.....
167	8. آثار الهولوسين المبكر (7000-1000 ق م) في منخفض القعب، غرب دنقلا. د. هدى عبدالله خالد محمد.....
183	9. آثار ما قبل التاريخ في موقع أبوشنيب وسط الجزيرة. أ. فتح الرحمن محمد عثمان علي.....
203	10. تاريخ وتطور البحث الأثري لمقابر ما بعد مروي-السودان: دراسة تحليلية نقدية. أ.د. جمال جعفر عباس الحسن.....
239	11. حجارة شراك الصيد بوصفه مؤشراً لتصدير الحيوانات البرية الحية من السودان القديم: قراءة في فلسفة الدليل الأثري وأيقونوغرافيا المعابد. د. حماد محمد حامدين.....
257	12. العمارة الطينية: أساليب الحفاظ وإعادة التوظيف. إقليم المحس شمال السودان نموذجاً. د. ياسر علي محمد تاي الله، د. رباب عبد الرحمن الوسيلة.....
287	13. التركيب – السمك المتخمّر: طعام، حدود ثقافية، و انتماء عند النوبيين: حالة دراسة أرض المحس بشمال السودان. أ. فاطمة إدريس علي محمود ، ماسيج كورش.....
301	14. الترجمة العربية لنقش الملك أنلماني (أمانى- ينل) كوة 8. عبدالله النور عبدالله أبكر.....

القسم الأجنبي

15. The Archaeology of Nauri in the Third Cataract of the Nile: during the ancient, the Medieval, and Post Medieval periods Prof. Ali Osman	313
16. The Archaeology of North Kordofan State; Comprehensive Archaeological Survey of the Kordofan Mountains Dr. Hwida Mohammed Adam Ahmed.....	329
17. Meroitic Urbanism and Settlement Patterns in the 'Island of Meroe': Discoveries from (Hammadab), Kabushiya Dr. Abdelmonim Ahmed Abdalla Babiker.....	349

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

1. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
2. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
3. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
4. يراعى في البحث ألا يتجاوز 10.000 كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (200) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
5. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (2000) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
6. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة، سنة النشر، الصفحة أو الصفحات) مثال: (صديق، 2021، 14) (Adams, 2000, 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبحوث المؤتمرات:
- أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة، دار نهضة مصر، 1964م.
- قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". عالم الفكر. الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس 1997م. 113-128.
- يراعى في المراجع الأجنبية النمط نفسه
7. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
8. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
9. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
10. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
11. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فنته.

قسم الآثار - جامعة الخرطوم

رائد علم الآثار في السودان

د. محمد الفاتح حياتي

أستاذ مشارك بقسم الآثار – كلية الآداب – جامعة الخرطوم

المستخلص

تحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على تاريخ قسم الآثار جامعة الخرطوم والظروف التي صاحبت تأسيسه، إضافة إلى الشخصيات المهمة التي أسهمت في تأسيسه، ومن ثم متابعة التداعيات والتطورات التي حدثت خلال مسيرته الأكاديمية، والإدارية والثقافية والاجتماعية. اعتمدت الورقة على جمع أشتات المعلومات عن إنشاء القسم من خلال الكتيبات والمطبقات التي تُتم طباعتها خلال الأسابيع الثقافية والمعارض الموسمية، وكذلك بعض المراجع التي تشير إلى نشأة علم الآثار السودانية وتطوره، إضافة إلى عمل مقابلات مع بعض ممثلي الأجيال الأولى من طلاب القسم وأساتذته. تم استخدام المنهج الوصفي في سرد هذه المعلومات بشكل عام يعطي فكرة عامة عن تاريخ القسم ومراحل تطوره وبرامجه ومشاريعه العلمية ومن شاركوا فيه. خرجت الورقة بالكثير من المعلومات عن تاريخ القسم والأساتذة الذين شاركوا في العمل به، وهي معلومات كانت ستضيع على الأجيال القادمة. ولذلك لا بد من توثيق الكثير من الجوانب الإدارية والأكاديمية الخاصة به.

الكلمات المفتاحية: قسم الآثار، جامعة الخرطوم، السودان، الرواد

Abstract

This article attempts to shed light on the history of the Department of Archaeology at the University of Khartoum and the circumstances surrounding its establishment. It also introduces the eminent personalities who contributed to its establishment and attempts to trace its impact and developments in academic, administrative, cultural and social history. The paper relied on the collection of information about the founding of the department through brochures and publications printed during cultural events and seasonal exhibitions, as well as some references related to the emergence and development of Sudanese archaeology, in addition to some information collected from some representatives of the first generations of students and professors who participated in the founding of the department and who have fond memories associated with it. The descriptive approach with which this information is presented is intended to provide a general overview of the history of the department, the stages of its development and the people who were involved. The paper contained a lot of information about the history of the department and the teachers who were involved in its work. This information would have been lost in the future if we had not documented it.

Keywords: Dept of Archaeology, University of Khartoum, Sudan, Pioneers

مقدمة:

من المعلوم لدينا أن العمل الأثاري في السودان قد بدأ بشكل فعلي مع حملة إنقاذ الآثار المهددة بالغرق إبّان بناء خزان أسوان في العام 1902م، إذ تضافرت الجهود بشكل ملحوظ في ذلك الوقت، وتسارعت البعثات الأجنبية لدراسة الآثار وإنقاذها التي ستغمرها مياه الخزان، وعندما فكرت الحكومة المصرية في تلبية الخزان في العام 1907م أيضاً كان لهذا الأمر أثرٌ عظيمٌ في أن يتم الالتفات إلى إنقاذ المواقع الأثرية المتأثرة بالغرق في المنطقة (محمد غيطاس، 1987، 16). والجدير بالذكر أن فعاليات تشييد هذا الخزان ثم تعليته في عددٍ من المرات كانت بداية لأن تنشط الأبحاث الأثرية الميدانية الجادة في شمال السودان، مع العلم بأن السودان ومصر في ذلك الوقت كانا تحت الحكم الإنجليزي-المصري، ما يعني مركزية القرارات التي تشمل مصر والسودان. وما يهمنا في هذا الشأن هو انطلاق أوائل سهام البحث الميداني الجاد. ولا يمكن أن نخفي أعمال الأمريكي جورج رايزنر في تلك الفترة المهمة في تاريخ البحث الأثاري في السودان، فكلنا يعلم أن هذا الرجل قد سطع نجمه ولمع من خلال إنجازاته السريعة (Reisner, 1910, 5)، إضافة إلى بعض الشخصيات كسيديل فيرث (Firth, 1912)، وإليوت سميث، وغيرهم من الشخصيات التي أثرت البحث الأثاري خلال تلك الحقبة. ومع إن الأبحاث التي تمت في النصف الأول من القرن العشرين قد كانت سريعة وتفتقر إلى توفر عدد من وسائل التنقيب والتوثيق والتفسير والتأريخ الحديثة التي تنتشر اليوم؛ إلا أنها قد وضعت اللبنة الأولى لفهم سجل التسلسل الثقافي للحضارة السودانية، وإلى يومنا هذا نعتمد على تلك الأعمال في أحيانٍ كثيرة، خاصة وأن أبحاث الرعيل الأول من الأجانب قد امتازت بحفر أكبر قدر من المقابر الملكية ومقابر العامة، إضافة إلى مواقع السكن في كرمة على سبيل المثال، ولذلك لا ننك نذكرها في سردنا لتاريخ البحث الأثاري في السودان. وفي تلك الفترة؛ أي مطلع القرن العشرين بدأ شأن علم الآثار يعلو تدريجياً، وبدأت بصماته الأولى تظهر على السطح، وغدا مُنظّره يضعون التقسيمات العلمية للصور المختلفة وفقاً لطبيعة الأدوات، ووفقاً لطبيعة المادة الخام التي صُنعت منها. مع الأخذ في الاعتبار؛ الجدل العلمي الذي كان يسري بينهم فيما يتعلق بالتقسيم الزمني والتفسير المنطقي للثقافات المختلفة في وقت استعرت فيه جذوة البحث عن ماضي الإنسان، وذلك منذ بدايات القرن التاسع عشر، خاصة في أوروبا وأمريكا (غلين دانيال، 2000م، 187). وعلى الرغم من أن الحرب العالمية الثانية قد دمرت بعض قيم التراث الثقافي، وأثرت على مسيرة البحث الأثاري، إلا أنها لم توقف النشاطات الأثرية والكتابات المطولة التي كانت تحاول جاهدة تفسير السجل الأثري، ومن ذلك ما أنتجه الاسترالي غردون شاليد من كمٍ معرفيٍّ هائلٍ يتناوله الباحثون إلى يومنا هذا، مع تمحيصه ونقده بطريقة موضوعية وبثاءة.

وعندما تم اكتشاف طرق التأريخ المتعددة كالتأريخ عن طريق الكربون المشع الذي تمت معرفته في العام 1949م؛ كان هذا الأمر حدثاً باهراً في تاريخ البحث العلمي، وقفزة عالية في مجال البحث الأثاري. وغير

ذلك ظهرت بعض الطرق والتقنيات الأخرى، فقد كان علم الآثار قد بلغ شأنًا عظيمًا بين العلوم الأخرى، وأخذ هذا العلم في عقود الألفية يعتمد كثيرًا على مجموعة من العلوم الطبيعية والفيزيائية والكيميائية في معالجة المواد الأثرية وتحليلها لمعرفة المكونات الأصلية لهذه المواد بعيداً عما يعلق بها من صدى أو غيره نتيجة العوامل الجوية ونحوها (عاصم زروق، 1996م، 170). وكانت هذه هي البداية الفعلية لأن يستفيد علم الآثار من العلوم الأخرى، ويعتمد على مبدأ تداخل العلوم (Interdisciplinary approach)، ويتكئ على المنهج التكاملي (Complementary approach) في تفسير السجل الأثري.

تغيرت الأحوال في مصر والسودان في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين بعد ابتكار الكثير من الأشياء المتعلقة بتفسير السجل الأثري، فقد وصلنا إلى مرحلة كانت أكثر تطوراً من ذي قبل، إذ خطا علم الآثار خطوات جديدة عندما أطلقت اليونسكو نداءً بإجراء حملات إنقاذية للآثار التي ستغمرها مياه بحيرة السد العالي، وبدأت أولى البعثات التمهيدية عملها لأجراء دراسات عامة تكون نواة للبحث فيما بعد في العام 1954م، ثم توالى البعثات من مختلف بلدان العالم للمشاركة في هذا العمل الكبير (محمد غيطاس، 1987م، 22). وكانت هذه المرحلة مفصلية في تاريخ البحث الأثري في مصر والسودان، فقد جاءت البعثات من بلدان أوروبا المختلفة، كما شاركت البعثات الأمريكية في التنقيب عن آثار ما قبل التاريخ في شمال السودان، واستمر هذا العمل منذ نهاية الخمسينيات واستمر حتى بداية ستينيات القرن الماضي، وبالفعل ترك هذا المشروع أثراً حميداً في ذهن الشعب السوداني فيما يتعلق بحماية الآثار، بل وأدى إلى تحرك الأوساط العلمية والجهة الأكاديمية الأم، وهي كلية غردون في ذلك الوقت إلى أن تسعى في تأسيس قسم أكاديمي بحثي يعبر عن تطلعات الأمة السودانية فيما يخص حماية التراث القومي، خاصة وأن الجارة مصر في ذلك الوقت كانت قد خطت خطوات عديدة في تأسيس مراكز بحثية خاصة بالآثار.

قسم الآثار يشبُّ عن الطوق:

في ظل تلك التداعيات الوطنية والعلمية رأت كلية غردون في العام 1947م أن تنشئ وظيفة أستاذ للتاريخ القديم، بحيث يقوم بتدريب الطلاب على العمل الميداني، وكذلك يمثل كلية غردون في التنقيب عن التراث السوداني، وبالفعل تم تعيين السير أوليفر مايرس (O. H. Myers) الذي كان يعمل أستاذاً بقسم التاريخ في كلية غردون في العام نفسه. وبدأت الخطوات العملية بإرسال أول بعثة أثرية تمثل المؤسسة الأكاديمية الوطنية الأولى، إذ أجرى مايرس حفريات في موقع عبكة الذي يقع على الضفة الشرقية لنهر النيل وإلى الجنوب من وادي حلفا، كما شارك في الأعمال الأثرية الأخرى في شمال السودان (Myers, 1948). واستمر ذلك العمل من داخل قسم التاريخ بكلية غردون التي حملت اسم جامعة الخرطوم بعد ذلك التاريخ. وفي العام 1964م رفعت لجنة مكلفة من مجلس كلية الآداب تقريراً عن إمكانية إنشاء قسم للآثار تحت

مظلة كلية الآداب، وكانت نتيجة ذلك التقرير أن لا مناص من تأسيس قسم يهتم بالدراسات العليا للمختصين في التاريخ القديم من خريجي قسم التاريخ بكلية الآداب، وكذلك من خريجي الكليات الإنسانية الأخرى، فالضرورة العلمية والحراك الثقافي في البلد يقتضيان ذلك. وبالفعل تم تمت الموافقة على تأسيس القسم ليكون متكناً على قسم التاريخ في إنشائه وهيئته حتى تتوطد أقدامه، إذ كان قوام هيئة التدريس ينبثق من أساتذة التاريخ السودانيين والأجانب، فعلى سبيل المثال نذكر الأستاذ براين هيوكوك (B. G. Haycock) الذي كان يعمل أستاذاً للتاريخ القديم في جامعة الخرطوم، وقد كان منهمكاً في حلّ كثير من إشكاليات التاريخ الثقافي للحضارة السودانية، لكن المنية وافته قبل أن يكمل ما بدأه من بحوث.

في العام 1964م تأسس القسم وبدأ القسم يباشر أعماله مرتكزاً على خريجي قسم التاريخ الذين يحملون مرتبة الشرف، كما نظّم القسم دبلوماً عالياً في علم المصريات أشرف عليه المصري البروفيسور مصطفى أمير، إذ تخرج من هذا الدبلوم دفعة واحدة كان عدد طلابها أربعة من خريجي الآداب والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، وقد كان من أبرز هؤلاء الخريجين: الأستاذ المرحوم عكاشة محمد علي الذي عمل موظفاً بمصلحة الآثار، وتدرج في السلم الوظيفي إلى أن أصبح مديراً لأمانة المتاحف، ونائباً لمدير مصلحة الآثار، ومديراً مكلفاً للمصلحة خلال فترة قصيرة. ومن هنا انطلقت مسيرة قسم الآثار الأكاديمية، فقد صبّ جلّ اهتمامه على طلاب السنة الخامسة في قسم التاريخ. وفي العام 1970م أصبح القسم يمارس نشاطه الطبيعي، حيث قام بتخريج أول دفعة من طلاب البكالوريوس - مرتبة الشرف، وضمت هذه الدفعة تسعة طلاب كانوا البذرة الأولى لهذا القسم الفتى في ذلك العهد والثمرة الناضجة التي أينعت، وكانت نتائج قطفها أن قام القسم على أكتاف علماء أفاضوا غمار التجربة الأولى في السودان، وهي إنشاء قسم خاص بعلم الآثار. وفي ذلك الوقت تولى البروفيسور بيتر شيني (P. L. Shinnie) رئاسة القسم في الفترة من 1965م إلى عام 1970م، وكانت فترة حافلة بالنجاحات والإنجازات الميدانية، فمُنذ الوهلة الأولى بدأ القسم في إجراء الأبحاث والحفريات الأثرية في مناطق ذات امتياز خاص به، فقد قام شيني بإجراء حفريات في مدينة مروي القديمة (البجراوية) حينما كان رئيساً لهذا القسم (Shinnie, 1967)، ويعد هذا أول مشروع بحثي متكامل يقوم به قسم الآثار، إذ بدأ في العام 1966م وهو مستمر إلى يومنا هذا. وبعد تلك الفترة أصبح البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله رئيساً للقسم خلفاً لبيتر شيني في الفترة بين عامي 1970 – 1971م. ثم ما لبث البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم الذي تولى رئاسة القسم بعد البروفيسور عبد القادر محمود لفترة طويلة بين عامي 1971 – 1980م يجري حفرياته في مناطق الريف الشمالي بأمر درمان (Al-Hakim, 1973). واستمر القسم في ممارسة نشاطاته العلمية الميدانية والمكتبية، بل توسعت نشاطاته الميدانية بشكل ملحوظ خلال سبعينيات القرن الماضي (بروفيسور عباس سيد أحمد. مقابلة شخصية). كما شارك في تلك الفترة عدد من الأجانب كالبروفيسور العراقي غانم وحيدة، والبروفيسور الإنجليزي جون غاولت (J. A. J. Gowlett)، والبروفيسور النرويجية راندي هالاند (R. Haaland) (لوحه. 1)، والبروفيسور النرويجية إيلزا

كليب (E. J. Kleppe) (لوحة 2). كما جاء الدكتور بول كالو (P. Kalow) منتدبا من جامعة كمبريدج (لوحة 3)، والدكتور بيرس كروكر (P. Croker) (لوحة 4) الذي جاء من جامعة كمبريدج أيضا. إضافة إلى الأمريكي البروفيسور ريتشارد بيرس (R. Piers) الذي قدم من جامعة بيرجن، وقد قام بتدريس مقرر اسمه: (Problems of world Archaeology)، وذلك بين العامين 1977م-1978م. كما شاركت الكندية باتي جون (P. John) في التدريس بالقسم لمدة لفصل دراسي واحد. أما عقد الثمانينيات فقد شارك عدد من الأساتذة الأجانب في التدريس بالقسم، كالدكتور الأمريكي سكاربوروف (Skarpuruf) الذي جاء من جامعة ميسوديث الجنوبية بتكساس (Texas. S. M. U)، (عبد الرحيم محمد خبير، 2022م، مراسلة عبر الواتساب، ومعلومات من صفحته على الفيس بوك).



لوحة رقم (1): البروفيسور راندي هالاند في زيارتها للاحتفال باليوبيل الذهبي لقسم الآثار. ويظهر معها البروفيسور عبد الرحيم محمد خبير - جامعة بحري. المرجع: صفحة البروفيسور عبد الرحيم محمد خبير على الفيسبوك.



لوحة رقم (2): حفل نهاية العام الدراسي في العام 1979م. وتظهر في أقصى يمين الصورة البروفيسور إيلزا كليب وعدد من الطلاب والعاملين بالقسم. المرجع: صفحة البروفيسور عبد الرحيم محمد خبير على الفيسبوك.



لوحة رقم (3): أحد مواسم العمل الميداني بقسم الآثار في العام 1978 م. ويظهر فيها الدكتور بول كالو – من جامعة كمبردج. المرجع: من صفحة البروفيسور عبد الرحيم محمد خبير على الفيسبوك.



لوحة رقم (4): صورة تجمع الدكتور بيرس كروكر – جامعة كمبردج، مع طلاب قسم الآثار في سبعينيات القرن العشرين. المرجع: صفحة البروفيسور عبد الرحيم محمد خبير على الفيس بوك.

وفي بداية الثمانينيات من القرن العشرين؛ شهد القسم نشاطاً مكثفاً ينبئ باشتغال روح الشباب الذين كانوا يمثلون كوكبة من خيرة علماء بلادي، ألا وهم أعضاء هيئة التدريس وخريجو القسم في ذلك الوقت، فقد وجدت الأجيال الأولى من الأساتذة فرصاً لإجراء الدراسات العليا في شقّي الماجستير والدكتوراه في الجامعات الأوروبية والأمريكية، ويمكن ذكر من نالوا تلك الدرجات بالخارج على النحو التالي:

- 1/ بروفيسور عبد القادر محمود، نال درجة الدكتوراه من جامعة دَرم بالمملكة المتحدة.
- 2/ بروفيسور أحمد محمد علي الحاكم، نال درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
- 3/ بروفيسور علي عثمان محمد صالح، نال درجة الماجستير من جامعة كاليفرني بكندا، ودرجة الدكتوراه من جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.

- 4/ بروفيسور العباس سيد أحمد، نال درجة الماجستير من جامعة كالقري بكندا، ودرجة الدكتوراه من جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
- 5/ بروفيسور يوسف مختار الأمين نال درجتى الماجستير والدكتوراه من جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
- 6/ د. خضر عبد الكريم أحمد، نال درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج.
- 7/ بروفيسور علي التجاني الماحي، نال درجة الدكتوراه من جامعة بيرغن بالنرويج.
- 8/ د. زهير حسن بابكر، نال درجتى الماجستير والدكتوراه من جامعة السربون بفرنسا.
- 9/ د. فيصل الشيخ بابكر، نال درجة الماجستير من جامعة درم، ودرجة الدكتوراه من جامعة ريدينغ بالمملكة المتحدة.
- 10/ بروفيسور السيد الأنور عبد الماجد، نال درجة الدكتوراه من جامعة بيرغن بالنرويج.
- 11/ بروفيسور انتصار صغيرون الزين، نالت درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.
- 12/ بروفيسور إبراهيم موسى محمد، نال درجة الماجستير من جامعة جنيفا بسويسرا، ودرجة الدكتوراه من جامعة كمبردج.
- 13/ د. هويدا محمد آدم، قضت فترات بحثية بالجامعات البريطانية والألمانية.
- 14/ بروفيسور أزهرى مصطفى صادق، أجرى أبحاث ما بعد الدكتوراه في جامعة بيرغن بالنرويج، كما عمل أستاذاً زائر بجامعة كولونيا بألمانيا.
- 15/ د. أحمد حسين عبد الرحمن أجرى أبحاث ما بعد الدكتوراه في بريطانيا ألمانيا، كما قضى الكثير من الفترات البحثية في بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها من الدول الأوروبية.
- 16/ د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد، قضى فترة باحث زائر بجامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
- 17/ د. حسنى طه العطا، نالت درجة الماجستير من جامعة برادفورد ببريطانيا، ودرجة الإمفيل (ماجستير الفلسفة) من جامعة كمبردج.
- 18/ د. محمد الفاتح حياتي، قضى فترة باحث زائر بجامعة كمبردج بالمملكة المتحدة.
- 19/ د. محمد البدري سليمان، نال منحة داد الألمانية لدراسة الدكتوراه بشكل جزئي بجامعة مونستر بألمانيا. كما قضى فترات بحثية بالجامعات الفرنسية والألمانية. كذلك نال دراسة ما بعد الدكتوراه بجامعة نيو يورك.
- 20/ أ. هناء عبد الجبار إبراهيم، تقوم الآن بإعداد رسالة الدكتوراه في جامعة نابولي بإيطاليا.
- 21/ أ. سارة محمد مأمون، قضت فترة بحثية بجامعة يورك ببريطانيا. كما نالت تأهيلا في مهارات اللغة الإنجليزية للأساتذة والباحثين بدولة الهند. كما تلقت دورة تدريبية عن السياحة المستدامة بروسيا.
- 22/ أ. ريان محمد محجوب، حضرت دورة تدريبية عن السياحة المستدامة بروسيا، كما حضرت دورة عن دمج الآثار القديمة في التخطيط الحضري بدولة الهند.

23/أ. مريم محمد محبوب، تقوم الآن بدراسة الماجستير في جامعة أسطنبول بتركيا.

وقد بدأت نواة الدراسات العليا في عهد البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم، إبان تقلده لرئاسة القسم في سبعينيات القرن الماضي. وقد كانت على النحو التالي:

1/ رسالة ماجستير، قدمها الطالب: خضر عبد الكريم أحمد، وأشرف عليها البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم، وذلك في العام 1975م.

2/ رسالة دكتوراه، قدمها الطالب: عمر حاج الزاكي، وأشرف عليها البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم، وذلك في العام 1981م.

استطاع أساتذة القسم أن يخلقوا علاقات ثقافية مع عدد من الجامعات الغربية، وتمكنوا من إنشاء مشاريع بحثية مشتركة ما يزال صداها يملأ الأفق إلى يومنا هذا، وما تزال منشوراتهم العلمية تحتفظ بأهميتها بالنسبة لتاريخ السودان الثقافي، إذ قام أعضاء القسم بالاشتراك مع الأجانب الذين عملوا في هذه المشاريع على نشر قدر كبير من التراث العلمي. فعلى سبيل المثال ما تم إنتاجه من خلال أعمال مشروع آثار مدينة مروى القديمة الذي أشرف عليه البروفيسور بيتر شيني، وشارك معه أعضاء هيئة التدريس في الستينيات. واستمر إشراف القسم على المشروع إلى يومنا (Shinnie, 1967). وكذلك مشروع البطانة الأثاري الذين كان مشتركاً بين قسم الآثار وجامعة ميسوديث الجنوبية الأمريكية في الفترة بين عامي 1981-1983م (Marks and Mohammed-Ali, 1991). ومن المشاريع الكبيرة في السودان أيضاً نذكر المشروع المشترك بين قسم الآثار وجامعة بيرغن، والذي ركز أعماله في مناطق الدامر وعطبرة وجنوب بربر (Haaland and Magid, 1995). إضافة إلى العمل في إطار المشروع المشترك بين القسم وجامعة بيرغن في منطقة ربك، وفي مناطق الزاكياب وأم ضريوه الواقعة بمنطقة بحري (El-Mahi and Haaland, 1984). ولم تتوقف نشاطات القسم عند هذا الحد، ففي بداية التسعينيات من القرن الماضي بدأ القسم أعماله البحثية في إقليم الشلال الثالث، إذ قام بتنفيذ مسح أثاري وإثنوغرافي في تلك المنطقة (Osman and Edwards, 2012). كما قام بعض أعضاء القسم بالعمل في منطقة البحر الأحمر، حيث قاموا بحفر بعض المقابر (Magid, 1995)، والجدير بالذكر أن أعمال القسم في إقليم البحر الأحمر لم تنقطع إلى يومنا هذا، فهناك مشروع بحثي يقوم باقتفاء آثار منطقة البحر الأحمر (Adam, 2017; 2019a; 2019b). ولا بد من الإشارة إلى أن القسم اليوم يشرف على عدة مشاريع تغطي أجزاءً مختلفة من جغرافيا السودان، ويشارك في الإشراف على مشاريع أخرى في مختلف مناطق السودان، ما يعني أنه قد خرج من قوقعة البحث الأثاري التقليدية؛ وهي العمل على ضفاف النيل وإلى الشمال من مدينة الخرطوم. ويمكن حصر تلك المشاريع البحثية التي يجري البحث فيها حتى يومنا هذا في الآتي:

- 1/ مشروع البحث الآثاري والتراثي والإثنوغرافي في إقليم الشلال الثالث (إشراف البروفيسور علي عثمان محمد صالح).
- 2/ مشروع إقليم شمال المحس، الضفة الشرقية (إشراف البروفيسور يحي فضل طاهر).
- 3/ مشروع إقليم شمال المحس، الضفة الغربية (إشراف الدكتور عبد الرحمن إبراهيم سعيد).
- 4/ مشروع البحث الآثاري والإثنوغرافي والبيئي بمنخفض القعب (إشراف البروفيسور يحي فضل طاهر).
- 5/ مشروع الخندق الآثاري والتراثي والبيئي (إشراف البروفيسور انتصار صغيرون الزين).
- 6/ مشروع البحث الآثاري والتراثي والبيئي بمنطقة شمال كردفان (إشراف الدكتورة هويدا محمد آدم).
- 7/ مشروع مدينة مروي الكبرى (المدينة الملكية بالبحر الأحمر) (إشراف الدكتورة هويدا محمد آدم).
- 8/ مشروع البحث الآثاري في الضواحي الشمالية لمدينة مروي القديمة (إشراف البروفيسور علي عثمان محمد صالح).
- 9/ مشروع الدراسات الآثارية والإثنوغرافية والبيئية بسواحل البحر الأحمر (إشراف الدكتور أحمد حسين عبد الرحمن).
- 10/ مشروع الدراسات الآثارية والإثنوغرافية بمنطقة أبو دليق (إشراف الدكتورة نهى عبد الحافظ).
- 11/ مشروع البحث الآثاري والتراثي والبيئي بأواسط إقليم الجزيرة (إشراف الدكتور محمد الفاتح حياتي).

ثمة ما تجدر الإشارة إليه، وهو أن القسم قد شارك في بعض الأعمال الآثارية الوطنية التي نُفذت من أجل إنقاذ الآثار التي تهددها قيام بعض مشاريع التنمية في أواخر القرن الماضي، وفي الفترة الأخيرة أيضاً، إذ كان بعض أعضاء القسم شركاء في أعمال المسح والحفريات في المواقع التي تقع في امتداد بحيرة سد مروي، وكذلك شاركوا في مسح المواقع الأثرية المهددة بقيام سدود كجبار، دال، دقش-مقرات، السبلوقة، فالقسم كان وما يزال ضلعاً أساسياً من الأضلاع التي تستند عليها الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية، كيف لا وهو يدير أكبر المشاريع البحثية في مختلف أرجاء السودان، وهو ما يعد نموذجاً حياً للعمل الوطني الذي ننادي به في بلادنا، وذلك لما له من الفوائد التي لا تحصى. وكلنا يعرف أن جامعة الخرطوم هي المنارة العلمية الأولى التي تنشد شتى ضروب المعرفة في وطننا. وفي هذا الشأن لا بد من ذكر أن أول متحف مختص في شؤون الآثار في السودان قد احتضنته جامعة الخرطوم في العام 1904م عندما كانت تتمثل في كلية غردون حينها. وقد خصصت مساحة من المباني في كلية غردون الحديثة البناء آنذاك لعرض بعض المواد (أحمد الحاكم وشارلس بونيه، 1997م، 11)، وقد كانت هذه أولى الخطوات لقيام متحف وطني في السودان حيث عرضت بعض المواد الأثرية والتراثية ومواد التاريخ الطبيعي فيما يعرف بمتحف الخرطوم.

إن الأثر الحقيقي لهذا القسم لا يمكن إنكاره. فقد كان النواة العلمية الأثرية الأولى في السودان، كما خرج أفاضلاً متفردين شاركوا في التراث القومي في بلادي وحمائته، وشرفوا القسم والوطن بأكمله في المحافل الإقليمية والدولية، فقد أسهم أعضاء القسم في إنشاء الجمعيات ذات الاهتمام بالحضارة السودانية في أوروبا وأمريكا كجمعية الدراسات السودانية، وجمعية الدراسات المروية، واتحاد الأثريين العرب، واتحاد الأثريين السودانيين. وغيرها، وشارك أعضاء وخريجو القسم في المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، وأثروا سوح العلم والمعرفة بالنتائج العلمية الجديدة، والأفكار النيرة، كما كان لهم أثر ملموس في تدريس علم الآثار في بعض الجامعات في العالم عامة، وفي العالم العربي والإفريقي بشكل خاص، بل وشارك أعضاء القسم في بعض الأعمال البحثية الميدانية العالمية، وقاموا بتأسيس بعض أقسام الآثار في الوطن العربي، وأرسوا دعائم العمل الأثري في بعض دول الخليج. وكذلك كان لخريجي القسم قصب السبق في تأسيس أقسام الآثار في الجامعات السودانية، إذ شهد علم الآثار في السودان صحوة مشهودة تمثلت ثمارها في إنشاء عدة أقسام ومراكز لتدريس الطلاب علم الآثار ونيلهم درجة البكالوريوس، وشهادتي الماجستير والدكتوراه في علم الآثار، فلم يكن خريجو القسم بمنأى عن ذلك الحراك العلمي، بل كانوا أصحاب الأفكار والنظرة الثاقبة والرؤى السديدة، إذ قامت على أكتافهم هذه الأقسام والمراكز. ولا شك أن لهذا الانتشار والتوسع الأفقي في مجال علم الآثار أثر واضح في إثراء حركة البحث الميداني في السودان، فلقد كانت نتائجه واضحة من خلال زيادة أعداد المختصين السودانيين في مجال الآثار، وتحملهم المسؤولية الكبيرة التي تقتضي دلائل السجل الثقافي والحضاري للإنسان السوداني، وأيما مسؤولية تلك التي توثق لماضي الإنسان، وتحاول جاهدة سبر أغوار حقائقه، فما أعظمها وما أكبرها. وقد أثبت خريجو أقسام الآثار الذين تدربوا على أيدي خريجي قسم الآثار - جامعة الخرطوم كفاءة عالية في العمل الحقل، بل وزادوا على ذلك من خلال عملهم مع البعثات الأجنبية التي توفر لهم وسائل العمل وأساليب التدريب في الحقل، كما وجد بعضهم فرصة لإجراء دراسات عليا في الجامعات العالمية. ومع العلم بأن الدولة لا توفر فرص عمل كافية للخريجين بشكل عام، إلا أننا نلاحظ نشاطاً من قبل المنتسبين لحقل الآثار، فهناك تنافساً شريفاً في اكتساب المعرفة والتطور التقني الذي يلي متطلبات البحث العلمي الحاضر الذي اتسم بالتدقيق وتوفير الوسائل المعلوماتية، مع انتشار الأجهزة الحديثة التي لم تكن متوفرة للأجيال السابقة.

وفيما يلي سنحاول رصد أعضاء هيئة التدريس الذين عملوا بالقسم منذ تأسيسه وحتى يومنا هذا، وتشمل القائمة كل الذين شاركوا بالعمل في القسم، فمنهم من عمل بالقسم حتى رحل عن الدنيا، ومنهم من ترك العمل بالقسم وذهب إلى مكان آخر، ومنهم من لا يزال على رأس العمل، وهم:

1/ بروفيسور مصطفى أمير (مصري الجنسية، ترك العمل بالقسم منذ الستينيات).

2/ بروفيسور بيتر شيني (بريطاني الجنسية، عمل بالقسم خلال الستينيات).

- 3/ بروفييسور عبد القادر محمود (ترك العمل بالقسم).
 - 4/ بروفييسور أحمد محمد علي الحاكم.
 - 5/ بروفييسور علي عثمان محمد صالح.
 - 6/ بروفييسور العباس سيد أحمد محمد علي (ترك العمل بالقسم).
 - 7/ بروفييسور يوسف مختار الأمين (ترك العمل بالقسم).
 - 8/ د. خضر عبد الكريم أحمد (ترك العمل بالقسم).
 - 9/ بروفييسور علي التجاني الماحي (ترك العمل بالقسم).
 - 10/ د. زهير حسن بابكر (ترك العمل بالقسم).
 - 11/ د. فيصل الشيخ بابكر.
 - 12/ بروفييسور السيد الأنور عبد الماجد (ترك العمل بالقسم).
 - 13/ بروفييسور انتصار صغيرون الزين
 - 14/ بروفييسور يحيى فضل طاهر.
 - 15/ د. هويدا محمد آدم.
 - 16/ بروفييسور أزهرى مصطفى صادق (يعمل الآن بجامعة الملك سعود).
 - 17/ أ. أريج أبو سمرة (تركت العمل بالقسم).
 - 18/ د. أحمد حسين عبد الرحمن.
 - 19/ د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد.
 - 20/ د. نهى عبد الحافظ عبد العزيز.
 - 21/ د. حسنى طه محمد العطا (تركت العمل بالقسم).
 - 22/ د. محمد الفاتح حياتي.
 - 23/ د. محمد البدرى سليمان.
 - 24/ أ. هناء عبد الجبار إبراهيم.
 - 25/ أ. سارة محمد مأمون.
 - 26/ أ. مريم محمد محبوب.
- وهناك بعض الأساتذة الذين شاركوا بالعمل في القسم متعاونين، وهم:
- 1/ بروفييسور خضر آدم عيسى.
 - 2/ بروفييسور عبد الرحيم محمد خبير.
 - 3/ أ. صلاح عمر الصادق.
 - 4/ د. الحسن أحمد محمد الحسن.

5/ أ. هناء محمد علي.

6/ أ. آمنة عبد الرحيم محمد علي.

قسم الآثار والمجتمع:

دعت طبيعة العمل في القسم، وطبيعة علم الآثار باعتباره تخصصاً أن يتصل بالمجتمعات المحلية، ويتشارك معها بعض القضايا والهموم، فالعمل الميداني الذي يتمثل في شقين من أنشطة القسم وهما: التدريب الحقلي للطلاب، والذي من خلاله يبدؤون تكوين الأفكار الأولية عن طريقة التعامل مع الموقع الأثري أياً كان شكله وطبيعته. أما الشق الآخر فيتمثل في المشاريع البحثية الخاصة بالقسم، ثم المشاريع المشتركة سواء أكانت وطنية مشتركة مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية، أو مع البعثات الأجنبية. ولقد خلقت مثل هذه الأعمال معبراً يتواصل من خلاله القسم مع المجتمع. ولا شك أن هذا التواصل يتمثل في أشكال عديدة، إذ إن الوجود المستمر لأعضاء القسم وسط المجتمعات المحلية يجعلهم جزءاً منها فيشاركونها معظم فعالياتها، ويضاف إلى ذلك حركة البحث الأثري نفسها في المنطقة المعنية، والتي يستفيد منها المجتمع المحلي من خلال تسليط الضوء على المنطقة من شتى النواحي، لا سيما أن النشر العلمي يعلي من شأن المنطقة المطروقة بالبحث ويرفع ذكرها، بل وربما يلفت أنظار الجهات الرسمية والشعبية لها في بعض الأحيان، فتكون قبلة للتنمية والاستثمار، وأيضاً من الممكن أن تكون وجهة سياحية يؤمها الناس من داخل البلاد وخارجها. وربما يشارك القسم نفسه في تنمية المنطقة ببعض الأشكال، كالمساهمة في تشييد المرافق العامة، وتشجيع الأهالي على استئناف الصناعات اليدوية الصغيرة، ذلك إلى جانب المحاضرات العامة التثقيفية لأهالي المناطق الريفية، والتي آتت أكلها في كثير من الأحيان. وفي واقع الأمر قد نفذ القسم مثل هذه البرامج في كثير من أنشطته ومشاريعه.

وفيما يتعلق بالحراك الثقافي في البلد بشكل عام فنجد أن القسم يشكل حضوراً أنيقاً في شتى المحافل الرسمية والشعبية، ويكون مشاركاً بشكل ملحوظ في كل ما يهتم المجتمع من قضايا الفكر والثقافة والسياسة، فالمهرجانات العامة والمننديات وقاعات المحاضرات تقف شاهداً على الألق والبهاء الذي يزدان به أعضاء القسم من خلال مساهماتهم الثرة في جانب المعرفة وكل ما يتم الحديث عنه من مكونات الثقافة.

أما على المستوى الرسمي فإن القسم لا يدخر جهداً في أن يشارك في اتخاذ القرارات، ويساهم في الإدارة ما دعت إليه الحال إلى ذلك. فكثيراً ما شارك أعضاء القسم في سياسة شئون جامعة الخرطوم في داخل كلية الآداب وخارجها، كما وصلت مساهماتهم إلى المشاركة في أنشطة وزارة التعليم العالي، إضافة إلى المساهمة في تأسيس أقسام الآثار في الجامعات الولائية في السودان، وقبل ذلك المساهمة الفاعلة في إدارة الآثار في بلادنا. شارك القسم مشاركة ثرة في العمل العام بشكل عام، وفي إدارة جامعة الخرطوم ووزارة

التعليم العالي بشكل خاص ورفدهما بأعضائه. وغير ذلك شارك بعض أعضاء القسم في إدارة الشؤون الثقافية بالبلاد في مختلف المواقع، إذ تقلدوا مختلف المناصب التي تمثلت في الآتي:

1/ بروفيسور علي عثمان محمد صالح، عمل رئيساً للجنة الثقافية التابعة لليونسكو في الفترة من 1997-2008م، كما شغل منصب رئيس اتحاد الكتّاب السودانيين في إحدى دوراته، وكان رئيس لجنة الهوية بالحوار الوطني في العام 2015م.

2/ بروفيسور انتصار صغيرون الزين، تقلدت منصب عميد كلية الآداب في الفترة من 2010-2014م، ثم مدير إدارة البحث العلمي بالجامعة، والتي قامت بتطويرها إلى عمادة وصارت عميدا لها حتى العام 2019م. ثم تم تعيينها وزيراً للتعليم العالي خلال حكومة الثورة في الفترة من 2019-2021م.

3/ بروفيسور يحيى فضل طاهر، تم تعيينه نائبا لعميد كلية الدراسات العليا للدراسات الإنسانية في الفترة من 2020-2021م، ثم تعيينه أمينا للشؤون العلمية بالجامعة في الفترة من 2021-2022م.

4/ بروفيسور أزهرى مصطفى صادق، عمل عضواً في هيئة التحرير لمجلة كلية الآداب-جامعة الخرطوم ثم سكرتيراً ومديراً للتحرير. ولا يزال يعمل فيها ويعمل على تصميمها منذ العام 2005م، كما أشرف على تصميم صفحة المجلة على الشبكة العنكبوتية.

5/ د. أحمد حسين عبد الرحمن، شغل منصب مدير إدارة المتاحف بالجامعة في الفترة من 2017-2020م، ثم عُيّن مديراً لإدارة التدريب ومساعدتي التدريس في الفترة من 2021م وحتى اليوم.

6/ د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد، تم تعيينه نائباً لعميد كلية الآداب للشؤون الإدارية في الفترة من 2018-2021م، ثم عُيّن نائباً لعميد شؤون الطلاب في الفترة من 2021-2022م.

7/ د. محمد الفاتح حياتي، تم تعيينه نائباً لعميد عمادة البحث العلمي بالجامعة في الفترة من يناير-أغسطس 2021م. ويشغل الآن منصب نائب عميد كلية الآداب للشؤون العلمية.

يعدّ القسم شريكاً أصيلاً للهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية في إنجازاتها الميدانية والعلمية، ذلك من خلال رفده لها بالكوادر المؤهلة التي تمثل كوكبة من ضباط ومفتشي الآثار، وأمناء المتاحف، إضافة إلى إن القسم يعد البقعة الأولى التي تساعد المنتسبين لمجال الآثار في إجراء الدراسات، فمن الأمور التي تبعث الغبطة والسرور؛ ما نلاحظه من تسارع واجتهاد ومثابرة من قبل المهنيين العاملين في حقل الآثار من أجل إحراز الدرجات العليا المتمثلة في شهادتي الماجستير والدكتوراه، فهذا مؤشر ممتاز دالّ على التقدم العلمي والمهني الخاص بالآثار في بلادنا، فجامعة الخرطوم ممثلة في قسم الآثار لها عظيم الشرف في أن تساهم في

ذلكم التقدم من خلال تقديم منح مجانية للعاملين في هيئة الآثار لإعداد رسالتي الماجستير والدكتوراه، ولا شك أن هذا واحد من أشكال تلك الشراكة النبيلة، ودليل واضح على أننا في حقل الآثار نعمل كالجسد الواحد.

كذلك يشارك القسم في نشر المعرفة الأثرية من خلال أعماله الميدانية المتمثلة في المشاريع الميدانية أو التدريب الحقلية الطلاب، فكل نتائج تلك الأعمال تندمج مع ثمار جهود إدارة الآثار، وكل الحصيلة المعرفية المستنبطة من تلك الأعمال تغذي مكتبات الآثار بعدد من التقارير والمنشورات، كما أن المقتنيات الأثرية المجموعة من المواقع تغذي صالات العرض المتحفي ومخازن المتحف بكم هائل من المجاميع المتحفية. وبدون أدنى شك فإن تلك الشراكة تؤسس لأعمال وطنية خالدة، خاصة وإننا في عصر لا بد فيه من الاعتماد على النفس، ولا بد من التعاضد والتكاتف بين كل الأجسام العاملة في هذا المجال، وهذا يعني أن القسم يحمل مسئولية تاريخية على عاتقه، ولا بد من أن يتكفل بها، ويقوم بواجبه تجاهها خير قيام، فكما كان القسم وما يزال يحتفظ بتلك السمات الطيبة؛ لا بد من أن يكون صاحب المبادرات التي من شأنها السمو بمكانة إرثنا الحضاري من خلال الأنشطة المتعددة، وكل ذلك لا يتأتى إلا بالوعي الكامل والنشاط المكثف. ونرى أن النواة الأولى للتقدم والريادة تتمثل في التأهيل الكافي للطلاب والخريجين، ومحاولة فتح الآفاق واسعة أمامهم من أجل الحصول على التأهيل فوق الجامعي، ومن ثم محاولة إيجاد فرص عمل ترضي طموحاتهم، وهذا يرجعنا إلى مبدأ الشراكة بين القسم وإدارة الآثار. ثم يأتي من بعد ذلك خلق جو علمي مليء بالأنشطة العلمية والثقافية، فالورش والمؤتمرات والسمنارات تنتج تجانساً وتمازجاً فكرياً بين الباحثين في القطر الواحد، ناهيك عن أنها يمكن أن تجمع نخبة من العاملين في حقل الآثار من الوطنيين والأجانب، فلا ريب أن مثل هذه التظاهرات من شأنها أن تخلق مظهراً أدبياً ينتج معرفة رصينة يعود نفعها على العقول النيرة في بلدنا، ويجني ثمارها سجلنا الأثري، إذ يضطلع بمهمة البحث والتنقيب باحثون أكفاء تلقفوا العلم من مختلف المصادر العلمية والثقافية.

وتمثلت آخر إنجازات القسم في كرسي الآثار الذي يناقش الهوية السودانية من خلال عدد من المناظير. فالهوية متجسدة في مختلف السمات الثقافية التي يمكن أن تعطي فكرة جيدة عنها. ومن هنا؛ اجتهد القسم في أن يجمع مختلف المدارس والمجالات التي تناقش الهوية السودانية من خلال ما ينتج من خصائص ثقافية، إذ تمثل الأمر في عقد عدد من الورش والسمنارات التي جمعت كافة التخصصات ذات الصلة بالهوية والثقافة، والتي تمثلت في التاريخ والأدب والفلكلور والموسيقى والفنون بمختلف أشكالها. فكان كل ذلك نواة لجمع أشتات الهوية السودانية وشواردها. ويعدُّ هذا العمل من الأعمال الرائدة التي أبرزت سمات الهوية السودانية وأخرجت من خلال جذورها الثقافية والمعرفية. ويقع هذا العمل تحت إشراف البروفيسور انتصار صغبيرون الزين، ومعاونة أعضاء هيئة التدريس بالقسم.

الرؤساء الذين تعاقبوا على إدارة القسم:

حتى يومنا هذا؛ مرَّ على رئاسة القسم عدد الأساتذة، يمكن ذكرهم في القائمة الآتية:

- 1/ د. مصطفى أمير (1964-1965م).
- 2/ بيتر شيني (1965-1970م).
- 3/ البروفيسور عبد القادر محمود (1970-1971م).
- 4/ البروفيسور أحمد محمد علي الحاكم (1971-1979م).
- 5/ البروفيسور العباس سيد أحمد زروق (1979-1983م).
- 6/ البروفيسور علي عثمان محمد صالح (1983-1986م).
- 7/ د. خضر عبد الكريم (1986-1989م).
- 8/ البروفيسور علي عثمان محمد صالح (1990-1991م).
- 9/ البروفيسور علي التيجاني الماحي (1991-1995م).
- 10/ البروفيسور انتصار صغيرون الزين (1995-1998م).
- 11/ البروفيسور علي عثمان محمد صالح (1998-2003م).
- 12/ البروفيسور انتصار صغيرون الزين (2003-2007م).
- 13/ البروفيسور يحيى فضل طاهر (2007-2010م).
- 14/ د. هويدا محمد آدم (2010-2013م).
- 15/ د. أحمد حسين عبدالرحمن (2013-2017م).
- 16/ د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد (2017-2018م).
- 17/ د. نهي عبد الحافظ عبد العزيز (2018-2021م).
- 18/ د. محمد الفاتح حياتي (ديسمبر 2021-مايو 2022م).
- 19/ د. محمد البدري سليمان (مايو 2022م - حتى الآن).

هذه هي مسيرة القسم الحافلة بالإنجازات، إذ سجَّل حراكاً علمياً وثقافياً على صفحات ناصعة كتبها أعضاء هيئة التدريس وخريجو القسم بمداد من الذهب. ومن هنا نرف إليهم التهانى وقد احتفل باليوبيل الذهبي قبل عدد من السنوات. فلتفتخر جامعة الخرطوم بالثراء المعرفي الذي سطره هذا القسم، ولتفخر الآثار السودانية بعلماء أفذاذٍ لطالما بذلوا قصارى الجهد في رفع اسم السودان عالياً، وأيما وشاح يتوهج على صدور خريجي القسم الشرفاء الأنجاب، فحيثما حلوا كانوا كالغيث المبارك الذي يقطر علماً ومعرفة.

إننا في هذا القسم نستشرف عظمة المكانة التي تبوأها من خلال تاريخه المجيد، لذلك نتطلع إلى المحافظة على الريادة والتقدم، بل الزيادة في التقدم الفكري والتقني الذي أصبح من أساسيات البحث العلمي في العالم. وحتى نصل إلى سوح العلياء والرفعة؛ لا بد من المواكبة والتحديث. وكلنا يعرف أن هذا القسم في السودان وفي إفريقيا كالكوكب الزاهر الذي يرنو له الباحثون والمجتمع ويعلقون آمالهم وتطلعاتهم عليه. فالمسؤولية جد كبيرة، لكننا لا نرتاب في أنه على قدرها وأكثر من ذلك، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. كل أمانينا وأحلامنا تكمن في أن يظل قسم الآثار-جامعة الخرطوم منارة يسترشد بها السائرون في الحلك عندما تتلاطم أمواج الجهل في بحور المعرفة، وعندها يكون القسم كالقمر المنير الذي تنقشع به الظلمة، ويكون بذلك قد أوصل رسالته على أكمل وجه، وسار على جادة الطريق كما كان. وسيظل القسم شامخاً ما دام يضم يضم تلك الثلة الطيبة من المفكرين وعلماء الحاضر والمستقبل، فهم الريق والترياق لعلم الآثار في هذا الوطن الغني بإرثه وحضارته.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أحمد محمد علي الحاكم وشارلس بونيه. كرمة مملكة النوبة، إشراف صلاح الدين محمد أحمد. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع. 1997م.
- محمد غيطاس. حملة اليونسكو وأضواء جديدة على تاريخ النوبة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. 1987م.
- عاصم محمد زروق. علم الآثار بين النظرية والتطبيق. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1996م.
- غلين دانيال. موجز تاريخ علم الآثار. ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي. الطبعة الأولى. دار الفیصل الثقافية. الرياض. 2000م.

المراجع الأجنبية:

- Adam, A. H. A., (2017). "The Archaeology and Heritage of the Sudanese Red Sea Region: Importance", Findings, and Challenges. **(ATrA) Aree di transizione linguistiche e culturali in Africa**. il protocollo UPI – University Press Italiane : 188-198.
- Adam, A. H. A., (2019a). "New perspectives on the archaeology of the medieval period in the Red Sea area of the Sudan", *Azania* 54, No. 4: 487–500.
- Adam, A. H. A., (2019b). "The archaeological, environmental and ethnographical survey of the Red Sea area between Arkawet and Sinkat", *Unpublished preliminary report*.
- Al-Hakim, A. M. A. (1972) 'Meroitic settlement in the Butana (Central Sudan)', in P. Ucko *et al.* (eds) *Man, Settlement and Urbanism*, London: Duckworth.
- Al-Hakim, A. M. A. (1973). Fieldwork report. *Nyame Akuma* 2: 13-14.
- El-Mahi, A. T and Haaland, R. (1984). Research in the area of Rabak and Atbara, 1983-84. *Nyame Akuma* 24-25: 28-32.
- Firth, C. M. (1912). *Archaeological Survey of Nubia, Report for 1908-1909*. National Printing Department, Cairo.
- Haaland, R. and Magid, E. A. (1995). *Aqualithic Sites along the Rivers Nile and Atbara, Sudan*, Alma Mater, Bergen, Norway.
- Magid, E. A. (1995). 1994-95 Report on the Archaeological Survey and Test – excavations in the southeastern Part of the Red Sea Hills. *Unpublished Report*.
- Marks, A. E. and A. S. Mohammed-Ali (eds.). (1991). *The Late Prehistory of the Eastern Sahel, The Mesolithic and Neolithic of Shaqadud, Sudan*. Dallas: Southern Methodist University Press.

- Myers, O. H. (1948). The Consolidation and Protection of ancient Monument of the Sudan. *Sudan Notes and Records* 19, Part II.
- Myers, O. H. (1960). "Abka Again" *Kush* 8: 178-80.
- Osman, A and Edwards, D. N. (eds.), (2012). *The Archaeology of a Nubian Frontier: Survey on the Nile Third Cataract, Sudan*: 37-58. Leicester: Mauhaus Publishing.
- Reisner, G. A. (1910). *Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907-1908*. Volume 1. National Printing Department, Cairo.
- Shinnie, P. (1967). *Meroe: A civilization of the Sudan*, London: Thames and Hudson.

مقابلات شخصية:

- عباس سيد أحمد محمد علي. بروفيسور في الآثار. الثلاثاء الموافق 2018/1/2م الساعة الثانية عشرة ظهراً. قسم الآثار – جامعة الخرطوم.
- عبد الرحيم محمد خير، مقابلات مباشرة، ومراسلات عبر الواتساب، ومعلومات من صفحته على الفيس بوك، 2022.

شكرو تقدير

أود أن أوصل صوت الشكر والعرفان لكل من ساهم في إعداد هذه الورقة برأيه وذاكرته والمعلومات القيمة التي قدمها. وهم نفر كريم من أساتذتي وزملائي بقسم الآثار جامعة الخرطوم. فلهم مني خالص الشكر والامتنان. وأخص بالشكر الجزيل: أستاذي البروفيسور عبد الرحيم محمد خير (أستاذ الآثار بجامعة بحري)، فالرجل، رحمه الله، كان يملك ذاكرة متقدمة مدعومة بالتوثيق. فقد قام ببيان هذه الورقة على الكثير من المعلومات التي لم نجد لها إلا عنده. ولم يبخل علينا بما عنده من معلومات كانت ستضيع لو لم يتم جمعها وتوثيقها. والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد.

في ذكرى اليوبيل الذهبي: تجربة قسم الآثار - جامعة الخرطوم في إدارة المصادر الآثارية (1964-2014م)

د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد علي
أستاذ مشارك – قسم الآثار – جامعة الخرطوم

المستخلص

يعد علم إدارة المصادر الأثرية من العلوم الحديثة والتي ظهرت مؤخراً - وقسم الآثار – جامعة الخرطوم رائد هذه الدراسة في السودان - حيث نشأ في سبعينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن ما زال يعني بالجوانب البحثية والدراسات ذات الصلة بحماية التراث وحفظه. وللقسم عدة مشاريع علمية بحثية وعلاقات أكاديمية واجتماعية وثقافية كثيرة مع عدة جهات محلية وإقليمية وعالمية في مجال الآثار. ونتيجة لتضافر تلك الجهود الكبيرة وفي عدة مجالات وعلى كافة الأنشطة والجوانب المتعلقة بالآثار تم رفع القسم بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالسودان إلى درجة قسم متميز، ووافقت على إنشاء "كرسي الآثار".

الكلمات المفتاحية: إدارة المصادر الأثرية، قسم الآثار، مشاريع، متميز، كرسي الآثار

Abstract

The science of Archaeological Resource Management is considered one of the modern sciences that has emerged recently - and the Department of Archeology - University of Khartoum is the pioneer of this study in Sudan - where it originated in the 1970s, and since that time until now it is still concerned with research aspects and studies related to the protection and preservation of heritage. The department has several scientific research projects and many academic, social and cultural relations with several local, regional and international bodies in the field of archaeology. As a result of the combination of these great efforts in several fields and all activities and aspects related to antiquities, the department at the Ministry of Higher Education and Scientific Research in Sudan was raised to the rank of a distinct department, and it agreed to establish the "Archaeology Chair".

Keywords: Archaeological Resources Management- Department of Archaeology- Projects- Distinct-Archaeology Chair.

مقدمة:

يتميز السودان، هذا البلد المترامي الأطراف، بثرائه الكبير والضخم بالآثار والمواقع الأثرية الخالدة نتيجة لتنوع بيئته الطبيعية والجغرافية. وقد توزعت وانتشرت هذه الآثار في كل أرجائه شاهدا ورمزا للتواصل والاستمرارية في شتي مجالات الحياة خاصة الثقافية والحضارية لإنسانه العظيم. كل هذا الإرث الضخم يجعل من البلد قادرا ومكلفا بحمل هذا الإرث التاريخي من أجل الهوية والنهوض والريادة والتقدم. وكما هو معلوم بأن المصادر الأثرية وإدارتها بالطريقة العلمية الصحيحة، تعد من أهم الآليات التي تعكس تاريخ الشعوب ونمط حياتها، فهي ثمرة ثقافتها ونتاج حراكها الفكري، إذ يعكس الثراء والتنوع لأوجه الإبداع الثقافي الديني والاجتماعي للإنسانية جمعاء.

ويعد قسم الآثار – جامعة الخرطوم رائد علم إدارة المصادر الأثرية في السودان، وربما على مستوى الوطن العربي كذلك، إذ يعد ولأسباب كثيرة الإدارة الثانية بعد الهيئة العامة للآثار والمتاحف في إدارة الآثار في السودان. ومنذ إنشاء هذا القسم في ستينيات القرن الماضي وحتى الآن يقوم بمهام حفظ الآثار في السودان وحمايتها، وبعده طرق ومناهج علمية بداية بتقديم كورسات دراسات جامعية ليتخرج بها طلاب سودانيون راغبون وتعنى بالجوانب البحثية الدراسية لإثراء الثقافة والحضارة السودانية ونشر الوعي الأثري، إلى مقررات جديدة وحديثة تواكب التقدم والتطور الكبير في علم الآثار على المستويين المحلي والعالمي. ونتيجة للعمل الذي تم بالقسم من تطور ومواكبة، فقد صار له علاقات ثقافية واجتماعية وأكاديمية كثيرة مع عدة جهات عاملة في مجال الآثار في العالمين العربي والإفريقي وفي أوروبا كذلك، إلى جانب اشتراك بعض من أساتذة القسم في بناء هياكل أثرية داخل السودان (أقسام الآثار الأخرى التي نشأت حديثا) وكذا في البلاد العربية والإفريقية، بالإضافة إلى نشاط أعضاء القسم وخريجيه في الجمعيات الأثرية المحلية والإقليمية والعالمية، كما أن للقسم مشاريع علمية بحثية في مجال الآثار بالاشتراك مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف وجهات أخرى ذات صلة بالعمل الأثري.

ونتيجة لتلك الجهود الكبيرة والتميزة للقسم في عدة مجالات وعلى كافة الأنشطة والجوانب المتعلقة بالعمل الأثري داخل البلاد وخارجها، تم رفع القسم من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى درجة قسم متميز، ووافقت على إنشاء كرسي الآثار.

واحتفالنا باليوبيل الذهبي للقسم مناسبة للتوثيق الكامل لكل الأعمال الأكاديمية والبحثية والميدانية له عبر الخمسين سنة التي مرت من عمره، كما أنها مناسبة للتوثيق لعلاقاته العلمية الخارجية من مشاريع مشتركة مع الجامعات والمتاحف العالمية واشتراك في مؤتمرات عالمية وتقديم أوراق علمية.

شكرنا وتقديرنا لإدارة جامعة الخرطوم العليا وكلية الآداب وهيئة التدريس بالقسم لجعل مناسبة اليوبيل الذهبي بقسم الآثار نموذجاً يحتذى به لبقية أقسام الجامعة ومشروعاً وطنياً قومياً للتعريف بالآثار السودانية في مختلف حقب التاريخ والتعريف بعظمة الحضارة السودانية التي سبقت كل حضارات العالم، من خلال برنامج الاحتفال والتكريم اللائق بالأساتذة الأجلاء الذين شاركوا في تأسيس القسم وما زالوا على رأس العمل فيه، وتنفيذ برنامج علمي وثقافي واجتماعي مصاحب له، بمشاركة الجهات الرسمية وكل الجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأخرى، وجعل أمر الآثار السودانية "الحضارة السودانية" أمراً قومياً ووطنياً وإقليمياً وعالمياً.

علم إدارة المصادر الأثرية:

يعد علم إدارة المصادر الثقافية من العلوم حديثة النشأة والتكوين، ظهر لأول مرة في مطلع سبعينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث تم وضع أسسه ومنهجه ونظرياته التي وجدت قبولاً واسعاً بين المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحث العلمي التي تهتم بالتراث الثقافي في مختلف بقاع العالم (Kabbashi, 2002, 62-67).

ظهور هذا العلم في عصر المعرفة العلمية المذهلة والتطور التقني الهائل الذي شهده القرن العشرين وخاصة العقدين الأخيرين منه، جعل من هذا العلم ومن منهجه ووسائله وطرقه الأكثر فاعلية ومواءمة لمواجهة التحديات ومواجهة المخاطر البشرية والطبيعية، التي يتعرض لها التراث الثقافي في جميع أنحاء العالم، نتيجة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي اعتمدت بصورة رئيسية في تطورها وتنميتها على المشروعات التنموية الكبرى (الزراعية، الصناعية والتجارية)، والتي قامت وتوسعت خصماً على موارد التراث الثقافي (Development Versus Culture).

لقد انتهج علم إدارة مصادر التراث منذ بداياته الأولى خطاً وسياسات غير تقليدية في مداخله وطرقه لإدارة مصادر التراث، وفي معالجاته للموضوعات النظرية والتطبيقية المتعلقة بإدارة مواقع التراث، مستفيداً من نظم المعلومات التقنية الحديثة المتمثلة في نظم المعلومات الجغرافية (G.I.S)، (Geographic Information System)، والاستشعار عن بعد (Remote Sensing)، وعلوم الفضاء (Space Sciences)، وتقنيات الحاسبات الإلكترونية والبرمجيات، ونظم تحديد المواقع العالمي (G.P.S)، (Global Position System)، ونظم إدارة قواعد البيانات (D.B.M.S)، (Data Base Management System)، ومن أجل محافظته على موارد التراث الأثري عند إجراء أعمال التنقيب والبحث الأثري فقد استخدم العلم طرقاً ووسائل ذات طبيعة غير مدمرة (Non-destructive Methods) مثل طريقة أخذ العينات (Sampling)، والمسح الجوي (Air Photography)، والطرق الجيوفيزيائية (Geophysics Methods)، والتي أسهمت كثيراً

في تحديد التجاويف وأبعادها تحت سطح الأرض مما ساعد على معرفة ما بداخل الأرض من قطع أثرية ومنشآت معمارية دون الحاجة إلى تدمير الطبقات الثقافية، الأمر الذي سيساعد كثيرا في حفظ موارد التراث الثقافي في وضعها الأصلي (In situ)، بما يتيح لأجيال المستقبل وللتقنيات العلمية المتطورة المجال في دراسة موارد التراث وإدارتها بشكل أفضل.

كما يعد علم إدارة المصادر الثقافية (CRM) علما تنمويا تطبيقيا يسعى دوما إلى توظيف المصادر الثقافية واستغلالها الاستغلال الأمثل في مجال الاستثمار السياحي وصناعة السياحة، بغرض خلق تنمية مستدامة تساهم في زيادة الدخل القومي وتوسيع القاعدة الاقتصادية للمجتمعات المحلية من خلال موارد السياحة الثقافية (Cultural Tourism). كما يسعى هذا العلم أيضا إلى تحقيق مبدأ استدامة البيئة وذلك من خلال انتهاج سياسة الحماية المتكاملة (Integrated Protection Policy) ووضع خطة إدارة المواقع الثقافية.

وهناك عدة مفاهيم لإدارة التراث الثقافي منها ما أشار إليها بتلر (Butler) إلى أن مفهوم إدارة التراث الثقافي الأمريكي يعد مفهوما واسعا، يتضمن الحصر والمعرفة والتوثيق والتقييم لموارد التراث الثقافي ومعالجه، ووضع الخطط لإدارة مواقعه غير القابلة للتجديد (Butler, 1987, 821).

وهذه المصادر تشمل المباني التراثية والمعالم والصروح التاريخية، والمواقع الأثرية ومنظر البيئة الثقافية، وكل دائرة النشاط البشري في الماضي.

كما يرى فاقان (Fagan) أن مفهوم إدارة المصادر الثقافية يتضمن كل الموارد الثقافية التي من صنع البشر، وكذلك معالم البيئة الطبيعية المادية ومظاهرها التي لها ارتباط وثيق بالنشاط البشري (Fagan, 1988, 544).

وتتميز هذه الموارد الثقافية بأنها غير قابلة للتجديد وإعادة الإنتاج. ويشمل هذا المفهوم المواقع الأثرية، المباني التاريخية، التراث العمراني، ومنظر البيئة الثقافية ذا الأبعاد المرتبطة بدائرة النشاط الإنساني. وعلميا وكما أشار أوكيفي (Okeefe) بأن مفهوم إدارة الموارد الثقافية الأمريكي مفهوم واسع يعني "تعريف وتحديد الموارد الثقافية والعمل على حمايتها وصيانتها والحفاظ عليها ونشر نتائج البحوث العلمية ذات الصلة بها عبر كل الفترات التاريخية حتى يستفيد منها المجتمع الإنساني قاطبة" (Okeefe, 1993, 407).

بداية الاهتمام بالتراث الثقافي:

تعود بداية الاهتمام بإدارة التراث الثقافي إلى وقت مبكر من التاريخ، حيث بدأت في شكل قوانين

وتشريعات صدرت عن عدد من الدول بغرض حماية مواقع تهمها داخل أراضيها.

ومن أمثلة ذلك صدر في السويد في عام 1866م إعلان ملكي قرر فيه بأن كل التحف والأثرية القديمة، تعد من أملاك التاج الملكي. كما صدر قانون في إيطاليا في مطلع القرن التاسع عشر بغرض حماية بعض المدن التي آلت إلى الهلاك. وفي عام 1863م انتهت بريطانيا إلى الاهتمام بتراتها وكذلك في الدنمارك في عام 1873م ثم بعد ذلك أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قانوناً للآثار في عام 1906م (Kabbashi, Op.cit, 56).

مرت إدارة التراث الثقافي بطفرة كبرى، وذلك عندما بدأت المنظمات الدولية الاهتمام بالإرث الثقافي، خاصة في ظل قيام الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، إضافة للصراعات الجانبية مما حدا بالمنظمات الدولية إصدار التشريعات الدولية لحماية التراث وصيانتها وحفظه، وعلى رأس هذه المنظمات تأتي منظمة اليونسكو. أقرت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة (منظمة اليونسكو) عدداً من الاتفاقيات والتوصيات لحماية التراث الأثري منها:

- اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح وهي معتمدة في لاهاي في مايو 1954م وتعرف باسم اتفاقية لاهاي.

- اتفاقية 1970م حظر ملكية الممتلكات الثقافية ومنع استيرادها وتصديرها بطرق غير مشروعة.

- توصية بشأن حماية التراث الثقافي والطبيعي على الصعيد الوطني.

- اتفاقية باريس 2003م بشأن صون التراث الثقافي غير المادي، ومن أهم أهدافها احترام التراث الثقافي غير المادي للجماعات وصونه والتوعية على الصعيد المحلي والوطني والدولي.

منهجية إدارة موارد التراث الثقافي:

لقد جاء الاهتمام الحالي بإدارة موارد التراث نتيجة لعوامل متعددة ومختلفة أهمها:

1/ الدمار الذي لحق بالتراث (الثقافي والطبيعي)، إضافة إلى المخاطر الطبيعية والبشرية، التي تهدد بقاءه بوصفه إرثاً إنسانياً حضارياً .

2/ السرقات والاعتداءات على موارد التراث .

3/ الإهمال وسوء أعمال الترميم.

4/ قلة الوعي لدى المواطنين بأهمية التراث، ومحاولات الهدم المتسارع لمواقع التراث الثقافي والطبيعي الناتجة عن المشروعات التنموية والزحف العمراني.

هذه العوامل جميعها وغيرها تؤدي إلى تدمير التراث الإنساني وتشويهه ومن ثم طمس الإرث الحضاري للأمم والشعوب. فهدم التراث وتدهوره يعدّ من أهم قضايا أمتنا الثقافية والتراثية المعاصرة. لذا كان لابد من إتباع منهجية علمية للحد من هذا الدمار والتقليل من آثاره (كباشي، 2008، 34). إن إدارة موارد التراث لا يمكن فهمها في إطارها الشامل إلّا من خلال أربعة محاور أساسية ووفق منهجية متكاملة ومتداخلة، تعمل على حماية هذا التراث، هذه القواعد أو المحاور تتمثل في:

1/ تحديد موارد التراث.

2/ أهمية الموارد التراثية .

3/ الحفاظ على المورد التراثي وحمايته .

4/ الخطط والبرامج والاستراتيجيات .

الحماية والإدارة :

ينبغي أن تكفل أنشطة الحماية والإدارة المحافظة على القيمة العالمية الاستثنائية وشروط السلامة والأصالة التي كانت تتمتع بها ممتلكات التراث العالمي وقت إدراجها في القائمة، والعمل على تعزيزها في المستقبل، كما يجب أن تحظى جميع الممتلكات المدرجة في قائمة التراث العالمي بالحماية والإدارة الملائمتين على المستوى التشريعي والتنظيمي أو التقليدي لضمان صونها على المدى الطويل، وينبغي أن تشمل تدابير الحماية هذا الرسم السليم لحدود الممتلكات، كما يجب أن تثبت الدول الأطراف بحماية الممتلك الثقافي المرشح على النحو الملائم وعلى المستوى الوطني والإقليمي والتقليدي، وعليها أن ترفق بملف الترشيح النصوص الملائمة الخاصة بالحماية وتقدم شرحا واضحا لكيفية هذه الحماية.

خطة لإدارة مواقع التراث الأثري:

تتبنى خطة إدارة التراث الثقافي بصورة أساسية على مبدأ الحماية والمحافظة.

مفهوم الإدارة:

تتمثل الإدارة في فرعين، الأول الفرع الإداري، والثاني الفرع الفني، المحور الأول يهتم بموظفي الإدارة والجوانب المالية وشؤون الأفراد. أما المحور الثاني، يهتم بالفنيين الذين يقومون بالتوثيق والرسم والترميم وغيرها من أمور العمل الحقلية. المحور الإداري يشمل أمور عدة منها:

التخطيط:

وهي العملية التي تسبق إقامة أي مشروع، وهي دراسة أهداف المشروع وتوفير التمويل اللازم له وتجهيز كل الأمور المتعلقة بالجوانب المالية والتصاديق والحماية للعمال وغيرها .

التنظيم:

وهي المرحلة الثانية، حيث يتم تقسيم الأعمال على مجموعات، كل مجموعة تكون مسؤولة عن جانب معين بالمشروع من أجل حفظ الموقع الثقافي. ويجب في التوزيع مراعاة التخصص، إذ لا يجوز وضع أناس غير مدربين في أعمال مهمة كهذه.

التوجيه:

وهي مسؤولية الرؤساء الذين يقومون بتوجيه المرؤوسين بالقيام بالأعمال. وهي عملية لازمة لأن التوجيه يصح كثيراً من الأخطاء.

المراقبة:

وهي العملية التي ترافق التوجيه، وهي مراقبة لازمة للأعمال التي تتم وتحفز العمال وتشجعهم .

التقييم :

وهي المرحلة الأخيرة من العمل، وهي عملية لازمة لتقييم العمل والأخطاء التي صاحبت العمل لتجنبها في الأعمال القادمة (كباشي، المصدر السابق، 34).

أهداف خطة إدارة المواقع:

لتحقيق خطة لإدارة أي موقع تراثي لا بد من:

- أن تكون الخطة عملية وواقعية ومحددة البرامج وآليات التنفيذ.
- أن يشارك في وضعها ورسم سياستها خبراء ومتخصصون في مجال التخطيط.
- انتهاز سياسة عامة تهدف إلى تحقيق روح الانتماء الثقافي لموقع التراث ومعامله .
- العمل على حمايته وعرضه وتعريفه ونقله للأجيال القادمة .
- تبني السياسات والخطط والتشريعات والمعايير الدولية التي تعمل على الحفاظ عليه وإدارته بصورة علمية فاعلة .
- العمل على نشر الوعي الثقافي بأهمية المواقع التراثية الثقافية .
- إشراك المجتمعات المحلية في عملية إدارة المواقع، وإنشاء جمعيات طوعية وأهلية وصديقة للتراث.
- تطوير الأبحاث والدراسات العلمية والفنية القاصدة لإدارة المواقع التراثية.
- تأهيل الكوادر وتدريبها وتطويرها من أجل العمل على إدارة المواقع التراثية في المستقبل.
- العمل على تسجيل كل المواقع التي تستوفي شروط القيمة الاستثنائية من أجل ضمان حفظها وصونها وحمايتها.

العوامل التي تؤدي إلى تدهور مواقع التراث الأثاري في السودان:

يعزى التدهور الكبير الذي تعرضت له مواقع التراث الأثري في البلاد إلى عوامل عديدة منها:

1/ العوامل البشرية والطبيعية.

2/ غياب الاستراتيجيات والخطط والبرامج.

3/ الافتقار إلى التشريعات المتطورة التي تحمي التراث الوطني.

4/ الافتقار إلى بعض المفاهيم الحديثة في مجال إدارة الموارد الثقافية.

5/ غياب الوعي الأثري بالأهمية التاريخية، الثقافية والفنية لمواقع التراث الأثري.

آليات الحفاظ على التراث الأثري:

هنالك عدة آليات للحفاظ على التراث الأثري منها:

1/ المسح الميداني وتكوين قاعدة معلومات.

2/ رصد الأنشطة البشرية والطبيعية المتعددة.

3/ إجراء أعمال البحث الأثري والأعمال الإنقاذية.

4/ سياسة الحماية الوقائية.

5/ التشريعات والنظم والقوانين الوطنية.

6/ التدريب والتأهيل.

7/ تطبيق المبادئ والتوجهات الواردة في الاتفاقيات والمواثيق الدولية الخاصة بالتراث الثقافي (كباشي، المصدر السابق، 38-41).

إدارة الآثار في السودان:

الهيئة العامة للآثار والمتاحف:

تعد زيارات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا السودان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وبدايات القرن العشرين من المصادر الهامة في تاريخ السودان، وهي التي أظهرت للعالم ولأول مرة كنوز السودان الأثرية. هؤلاء الرحالة كثر، لكن هنالك رحلات كان لها بالغ الأثر في معرفة الكثير عن البلاد وآثارها، ومن هؤلاء نجد رحلة السويسري جون لويس بروكها ردت (Burchardt) والتي تمت في العام 1813-

1814م، وعلى أثر رحلاته وكتاباتاته عن منطقة بلاد النوبة وفدت إلينا أفواج من الرحالة ولأغراض مختلفة، إلا أن الكثير منهم اهتم بزيارة المواقع الأثرية المنتشرة على ضفتي النيل، وكانت هذه الزيارات لأغراض مختلفة كما ذكرنا سابقاً، لكن كانت لإحداهم غرض وحيد وهو زيارة الآثار ودراستها، وكان من ضمن هؤلاء البريطانيين جورج وادنقتون (Waddington) وبرنارد هانبري (Hanbury)، الذين زارا السودان سنة 1820-1821م، وتركنا لنا وصفاً دقيقاً لكل المواقع الأثرية التي زارها، بالإضافة إلى أنهما نشرتا رسومات وبيانات عن تلك الآثار. بالإضافة إلى الرحالة الإنجليزي هوسكنز (Hoskins) الذي زار السودان عام 1833م وغيرهم. وخلال حملة الأمير إسماعيل بن محمد علي باشا إلى السودان عام 1820-1821م، وقيام حكم محمد علي باشا في السودان (1821-1848م) فقد حظيت هذه الفترة في تاريخ السودان بزيارة عدد كبير من الرحالة الأوروبيين، وعلماء آثار ومصريين وتاريخ قديم كذلك، وكان من أهمهم العالم الفرنسي فرديريك كايو (Caillaud) الذي صحب حملة محمد علي باشا إلى السودان، وأذن له بزيارة منطقة أهرام مروي، وسجل بالرسم آثار المدينة وأهراماتها، كما زار سوباً ثم اكتشف آثار النقعة والمصورات، وتعد كتابات كايو عن تلك الآثار من أهم المصادر حتى الآن. كما أرسل الملك فرديريك ويليام الخامس (Fredric) ملك بروسيا حملة ملكية لتقوم بتسجيل الآثار في السودان في عام 1845م، وكانت هذه الحملة الكبرى تحت قيادة العالم الألماني ريتشارد لبيسيوس (Lepsius)، والذي قام بتنفيذ هذه الحملة وترك لنا مصادر لا غنى عنها لكل طالب أو دارس للآثار السودانية.

والخلاصة التي نخرج بها أن مشاهدات هؤلاء الرحالة وكتابتهم ودراساتهم في مختلف الأقاليم السودانية، والتي قدر لهم زيارتها ومشاهدتها وسجلوها في كتب رحلاتهم، تعطي في مجملها صورة واضحة وحية لأحوال السودان الاقتصادية والسياسية والاجتماعية خلال تلك الفترة. كما أن هذه الرحلات والكتابات عن الآثار السودانية بينت أنه كان العالم الأوروبي على دراية تامة بأهمية السودان التاريخية والحضارية في بداية القرن العشرين. فصار بعد ذلك إحدى الجهات الرئيسية التي يقصدها دارسو الآثار والحضارة من الدول الأوروبية، وبذلك بدأت الدراسة العلمية المقتنة للآثار السودانية بهؤلاء في بداية القرن العشرين. لكن هنالك بعض المآخذ التي يمكن أخذها في تلك الفترة، فقد كانت نظرة السلطة الحاكمة في العهد التركي في كثير من الأحيان تميزت بإهمال هذه الأماكن وبعدت كلياً عن الاهتمام بها ولم تدرك ماهيتها، بل تركت للمغامرين والباحثين عن الكنوز الأثرية يعثون بها كما يريدون ويسرقون مقتنياتها، ففي عهد حكم محمد علي باشا على مصر وولاية خورشيد باشا على السودان (1826-1839م) قام مغامر إيطالي في خدمة الحكومة المصرية يسمى فيرليني (Giuseppe Ferlini) في عام 1834م بتدمير أهرامات مروي (البجراوية) من أعلى وذلك أثناء بحثه عن كنوز ملوك وملكات مروي، حيث كان يقوم بتهديم قمة الهرم من أعلى إلى أسفل علماً بأن المدافن الملكية توجد أسفل الهرم، وبهذه الطريقة قام بتدمير عدد من الأهرامات وخاصة الهرم رقم (6) هرم الملكة أماني شاخيتو (26-20 ق.م)، وهو أكبر أهرامات مروي، وقد عثر على كثير من المقتنيات

الذهبية والحلي المرصعة بالحجارة الكريمة وخاصة كنوز الملكة أماني شختي. وقد قام فيرليني ببيع هذه المقتنيات لبعض الشخصيات والمتاحف في أوروبا واستقرت الآن بمتحف برلين وميونخ بألمانيا. وقد ظل التراث السوداني يعاني منذ تلك الفترة في هذا العمل التخريبي وظلت تتوارثه الأجيال، حتى قام الجيل الحالي في السبعينيات من هذا القرن بترميم ما دمره فيرليني ولأزال العمل متواصلًا في مشروع ترميم أهرامات البجراوية باعتبارها إحدى مشاريع التنمية للهيئة العامة للآثار والمتاحف. إن أمر تدمير الآثار في العهد التركي لم يقتصر على الأفراد بل أن الدولة لم تتوان عن تدمير المواقع الأثرية في سبيل الحصول على مواد البناء الموجودة بها بغرض استخدامها في مبانيها الجديدة ويشير المؤرخ ريس ستيفنسون (R.C. Ste Venson) إلى أن خورشيد باشا بدأ في بناء مباني الخرطوم لتكون عاصمة له، وأن العمل سار بسرعة كبيرة ومعظم الطوب أتى من آثار سوبا. ولم يتوقف الولاة الأتراك في السودان من أخذ مواد البناء من المواقع الأثرية فنجد حاكم عام السودان عبد اللطيف عبد الله باشا 1850-1852م قام ببناء قصره من الطوب المحروق "الطوب الأحمر" من الآثار المسيحية في أبو حراز على النيل الأزرق.

توقف العمل الآثاري في البلاد في الفترة من (1881-1898م) وهي فترة الدولة المهدية، نتيجة لدخول البلاد في حروب مستمرة خلال تلك الفترة، حيث نظرت إلي أن أي نشاط أو اهتمام لا يتعلق بالعبادة يجب الابتعاد عنه، وكانت الآثار تعد ضمن مباني قديمة لها خصوصيتها يجب الابتعاد عنها رهبة وخيفة وعظمة، فهي لدي العامة أماكن ارتبطت بالأصنام والأوثان وأصبحت مسكنًا للشياطين، كما وإنها لأقوام ارتكبوا ذنوباً فعوقبوا عليها بأن سخطوا تماثيل من حجارة مثلما حدث في قصة قوم عاد وثمود الواردة في القرآن الكريم، وكل ما يمكن أن تنتج ثقافة ليفسروا بها الأشياء وماضي الحياة. وقد كانت هذه الأفكار هي التي تدور في ذهن إنسان تلك العهود عن أسلافه، وربما نتيجة لهذا التفكير تركت هذه الآثار سليمة ولم يحاولوا الاقتراب منها أو السكن بها.

لكن هنالك القليل من الإشارات الضعيفة على أنه كانت هنالك أعمال آثارية جارية. لكن في العام (1890م) ذكر القس النمساوي جوزيف (Joseph Ohrwalder) والذي كان في الأسر في فترة المهدية، أنه كان يوجد متحف (قاعة) وهو ما يعرف "ببيت الانتيكات"، وكان هذا المتحف يحتوي على بعض الأشياء الهامة مثل تذكارات الصيد من دارفور، بالإضافة إلى مقتنيات أخرى جلبت من الحبشة ومصر وأخرى من زعماء المساليك والعبادة، ولم يعثر على أثر لتلك القاعة ولا محتوياتها بعد ذلك.

وفي عهد الحكم الثنائي (البريطاني - المصري) على السودان (1898-1955م)، بدأ الاهتمام بالعمل الآثاري في البلاد، حيث كانت شؤون الآثار من ضمن مسئوليات الحاكم العام مباشرة (أعلى سلطة في حكومة السودان آنذاك)، ووجدت الآثار حظًا من الاهتمام في عهد الحاكم العام الأول السير كتشنر باشا والثاني السير ونجت باشا، حيث أنهما دعيا إلى السودان أشهر علماء الآثار البريطانيين بغرض دراسة الآثار

السودانية، وقد كان من ضمن هؤلاء العلماء وليس بدج (Budge)، والذي أوفد إلى السودان من قبل المتحف البريطاني عام 1897م بصحبة السردار كتشنر باشا في بعثة أثرية وقام بإجراء حفريات في منطقة إهرامات مروي لفحصها، وفي عام 1905م جاء مرة أخرى إلى البلاد لجمع مادة أثرية لمتحف الخرطوم، بالإضافة إلى جيمس وارد (Ward) واسكوت مونكريف (Scott)، وكان ذلك في الفترة من (1898-1905م).

أصدر الحاكم العام لائحة الآثار 1905م، ومن خلالها أسندت رعاية شؤون الآثار لمحافظ الآثار بالإنابة، على أن يكون حامل هذه الوظيفة هو مساعد وزير التعليم، لكن لم تكن وظيفة محافظ الآثار بالإنابة وظيفة كاملة، لأن شاغلها لم يكن متفرغا، بل كان يؤدي مهامها على أنها عمل إضافي. وقد شغل هذه الوظيفة علماء أجلاء ساهموا مساهمة فعالة في دراسة الآثار السودانية منهم جون كروفوت (1905-1908م)، والذي أشار بأنه في العام 1901م تم تأسيس نواة لمتحف في كلية غردون، لكن هنالك ما يشير بأن المتحف قد بني في عام 1903م، حيث أشار اللورد كرومر في تقريره عن ذلك العام أنه قد (أنشئ متحف في كلية غردون يحتوي ضمن أشياء أخرى، على بعض القطع الأثرية).. والذي كان تحت مسمى (المتحف الاقتصادي والعام)، حيث كان يحتوي على المعروضات الاقتصادية والتي كانت تشمل منتجات السودان الرئيسية مثل القطن والصمغ العربي والألياف، بينما قسمت معروضات المتحف إلى خمس مجموعات (الأثرية - الاثنوجرافية - التاريخية - الجيولوجية - وعينات التاريخ الطبيعي)، ثم سمي فيما بعد الإضافات التي تمت له بـ(متحف حكومة السودان) والتي كانت تشرف عليه هيئة تسمى (لجنة المتاحف) من ضمن عضويتها جون كروفوت - والذي كان مكلفا بأعباء محافظ الآثار بالإنابة - وعينت هilda براون (زوجة براون مدير الغابات آنذاك) في منصب أمين المتاحف، والذي كان يفد إليه بعض طلاب الجامعة وبعض الشخصيات التي تفد إلى البلاد زائرة. وقد أخذت المعروضات الأثرية في الازدياد التدريجي (بعد أن كانت في خزانة عرض واحدة) خاصة بعد الزيارة التي قام بها واليس بدج - عالم المصريات البريطاني - بصحبة كروفوت والتي جمعا خلالها عددا من المعثورات من عدد من المواقع في منطقة النوبة، كما أضاف السير رجلند ونجت باشا - الحاكم العام - ثلاثة شواهد قبور إسلامية كتبت بالخط الكوفي جلبت من منطقة البحر الأحمر. وقد أضاف كروفوت للمتحف العديد من المقتنيات التي تحصل عليها خلال المسح الأثري الذي أجراه عند مطلع القرن العشرين في (جزيرة مروي) من بينها تماثيل الأسود الخمسة التي وجدها حول حفير البعصة.

منذ العام 1902م وخلال السنوات المبكرة من الحكم الثنائي تم الشروع في إنشاء مجموعات صغيرة ومتاحف لعرض التماثيل والتوابيت الجرانيتية والقطع الأثرية الصغيرة، بالإضافة إلى أشياء من متعلقات الدولة المهدية مثل الرايات والدروع والأسلحة.

ثم أخذت المجموعة الأثرية في الزيادة المتطورة بعد إجازة قانون الآثار لعام 1905م، والذي كانت

من بين نصوصه منحت بموجبه عدد من رخص البحث الأثري لجامعات ومتاحف عالمية أجنبية لتنظيم أعمال الآثار، بالإضافة إلى حظر تهريب القطع الأثرية وقيام لجنة للمتاحف.

وقد خلف كروفوت في وظيفة (محافظ الآثار بالإنابة) بيتر دراموند (1908-1921م) والذي كان من أعضاء هيئة تدريس كلية غردون، حيث كلف بهذه الوظيفة بعد أن غادر كروفوت السودان، حيث كتب قائلاً: "حتى عهد قريب لم يكن الآثاريون يبدون كثير اهتمام بآثار هذا البلد، أما الآن فقد انتهوا إلى أهمية السودان كمجال خصب للبحث الأثري". وبالفعل فقد تلقى المتحف في ذلك العام مجموعة كبيرة من القطع الأثرية. ثم خلف دراموند اديسون (1921-1931م) - أيضاً كان من أعضاء هيئة تدريس كلية غردون - وفي عهده - وتحديداً في العام 1930م انتقل المتحف في الخرطوم، من مكانه في كلية غردون إلى قاعة أكبر حجماً وافتتح للجمهور بشكل رسمي. وتعاقب على إدارته عدد من الإداريين البريطانيين من أساتذة كلية غردون مشرفين غير متفرغين. ثم خلفه قاراهايم (1931-1939م).

وفي العام 1939م قررت حكومة السودان إنشاء إدارة للآثار ملحقة بإدارة التعليم. وقد تم تعيين أنطوني جون آركل (Arkell) (1939-1948م) أول مدير لهذه الوظيفة (مصلحة الآثار والمتاحف والاثروبولوجيا)، ومن بين الأعمال التي تمت خلال فترة إدارته كتابته لمذكرة للجنة المتاحف يبين فيها تصوره لمتحف دائم يصمم على نسق (متحف الإنسان) في باريس، وقد عمل في هذه الوظيفة حتى مغادرته السودان. بعد الحرب ترك آركل العمل في السودان بشكل نهائي عام 1949م ليلتحق بجامعة لندن، وبعد الحرب عاد مرة أخرى وأجرى تنقيبات في الخرطوم والشهيناب والقوز إلى جانب عدد من المسوحات.

وقد خلف آركل على هذه الوظيفة، كل من بيتر شيني (B.L. Shinnie) (1948-1955م) - الأستاذ السابق بقسم الآثار جامعة الخرطوم ومدير حفريات مدينة مروي - وفي هذه الفترة نقلت القطع الأثرية من كلية غردون إلى متحف مجاور تم تحويله إلى متحف للآثار، كما توسعت مصلحة الآثار وفتحت وظائف، وفي العام 1952م تم تعيين أول ضابطين وطنيين هما ثابت حسن ثابت ونجم الدين محمد شريف. كما قام شيني بإجراء عدد من التنقيبات الأثرية في الغزالي وتنقاسي وغيرها وأنشأ دورية كوش وعدداً من النشرات العلمية. وفيركوثير (1955-1960م)، وفي العام 1951م صدر قانون جديد للآثار، ومع إعلان الاستقلال في عام 1956م "سودنت" وظيفة المدير العام، ونسبة لعدم وجود سوداني مؤهل يشغل الوظيفة عين الفرنسي فيركوثير مديراً لها. قام فيركوثير بإجراء تنقيبات في عدد من المواقع من بينها مرقسا وود بانقا.

وتم سودنة المصلحة نهائياً، وعين الفرنسي فيركوثير خبيراً لها. وفي العام 1956م بدأت مصلحة الآثار السودانية في بناء متحف كبير وبمواصفات حديثة، وذلك لاستيعاب كمية الآثار التي زادت نتيجة للاكتشافات الأثرية. ونلاحظ بهذا تداخل المتحف وإدارة الآثار بشكل فعلي.

ثم خلف فيركوتير الأستاذ ثابت حسن ثابت بوصفه أول مدير سوداني لمصلحة الآثار يشغل هذه الوظيفة (1960-1970م)، وبعد توقيع اتفاقية مياه النيل بين مصر والسودان وموافقة الأخيرة على قيام السد العالي، لم يك من بد من الإسراع بإنشاء متحف السودان القومي لإيجاد مقر لآثار النوبة، وقد جرت تلك الأعمال بين الأعوام 1959م-1965م وكشفت عن كم من المواقع وتكدست مادة أثرية لم يكن بوسع المتحف القديم تحملها.

اختيرت منطقة عند مقرن النيلين الأزرق والأبيض في مواجهة جزيرة توتي لإنشاء المتحف الجديد، وخططت فيها حديقة وأقيم نهر صناعي وقاعات للعرض ومستودع ومكاتب إدارية ومختبرات. كما أعيد تشييد المعابد التي نقلت من منطقة النوبة ونقلت محتويات المتحف السابق وأفرغ متحف مروي من محتوياته، إلى جانب ما جاء من منطقة النوبة، وشرع في تشييد المبني في أوائل الستينات وافتتح في العام 1972م، وهو يعد وريثاً (للمتحف الاقتصادي والعام) والذي سمي فيما بعد (متحف الخرطوم) باعتباره أول متحف في السودان، والذي كان قد أنشئ في كلية غردون التذكارية.

تلا الأستاذ ثابت حسن ثابت الأستاذ نجم الدين محمد شريف مديراً للإدارة العامة للآثار والمتاحف القومية، والتي تتبع لوزارة الثقافة والإعلام. وفي عام 1988م عين أسامة عبد الرحمن النور مديراً خلفاً للسيد نجم الدين محمد شريف ولكن في نهاية عام 1990م عين أحمد محمد علي حاكم وكلياً للآثار ثم عدل منصبه ليصبح رئيس مجلس الإدارة وذلك بعد تحويل المصلحة إلى هيئة في عام 1992/5/1م وبناءً على ذلك تغير الهيكل التنظيمي والوظيفي بما يتوافق مع الأوضاع الجديدة. وفي عام 1994م تولى المدير حسن حسين إدريس إدارة الهيئة القومية للآثار والمتاحف. وفي عام 1990م تم تغيير اسم المصلحة والهيكل الوظيفي لها بتحويلها إلى وكالة الآثار والمتاحف واتبعت إلى وزارة الثقافة والفنون، ثم أصبحت الهيئة القومية للآثار والمتاحف (The National Cooperation For Antiquities and Museums NCAM) واتبعت إلى وزارة البيئة والسياحة. وفي العام 1999م تم سن قانون جديد للآثار عرف فيه الأثر بأنه كل ما يعود إلى الفترة ما قبل 1900م. وفي عام 1995م ألحقت الهيئة القومية للآثار والمتاحف بوزارة البيئة والسياحة ثم غير اسم الوزارة إلى وزارة الثقافة والسياحة في عام 2001م. وفي العام 2010م غير اسم الوزارة إلى وزارة الآثار والسياحة والحياة البرية بعد أن صارت الهيئة العامة للآثار والمتاحف. وخلال ذلك التاريخ الطويل من عمر الإدارة العامة للآثار والمتاحف فقد ظلت تشرف عليها سلطة مركزية مباشرة تقوم بمهام إدارة جميع المواقع الأثرية والتاريخية والمتاحف في السودان.

إدارات السياحة والآثار الولائية:

وفقاً لدستور السودان الانتقالي لسنة 2005م والذي بموجبه سمح للولايات المختلفة بإدارة الشأن الآثاري والسياحي، وتعمل بمستويات متعددة ولكل منها قانون بذاته، وتتمثل هذه الإدارات في الهيئة

العامة للآثار والمتاحف وإدارة الآثار والسياحة بالولايات المختلفة كولاية الخرطوم ونهر النيل وشمال كردفان وغيرها والتي يقوم بالإشراف عليها وزارة الآثار والسياحة والحياة البرية الاتحادية. ولكل من هذه الجهات اختصاصات ومهام تكون واضحة في بعض منها وتنسيقية، وفي مرات أخرى متقاطعة مع بعضها البعض. ومن الواضح أن هذا الدستور قد منح سلطات جديدة للولايات لإدارة المناطق والمواقع الأثرية والتاريخية والمتاحف الولائية.

قسم الآثار – جامعة الخرطوم:

من الثابت أن الإدارة الأثرية الثانية في السودان هي قسم الآثار – جامعة الخرطوم، وقد أنشئ هذا القسم (الشعبة) في العام 1964م ليقدم كورسات دراسات جامعية ليتخرج فيها الطلاب السودانيون الراغبون، والتي تعنى بالجوانب البحثية والدراسية لإثراء الثقافة السودانية وكذلك في نشر الوعي الأثري. ولفترة من الزمن انشغل القسم في إجراءات تكملة بناء هيكله الأكاديمية من أساتذة وكوادر مساعدة بالإضافة إلى المكتبة والمعامل والتدريب الميداني. ولقسم الآثار علاقات ثقافية وأكاديمية كثيرة مع الجهات العاملة في مجال الآثار في العالمين العربي والإفريقي وفي أوروبا كذلك، وقد نمت هذه العلاقات باشتراك أساتذة القسم في المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش التي تقيمها تلك الجهات، كما اشترك بعض أعضاء القسم في بناء هياكل أثرية في داخل السودان (أقسام الآثار الأخرى والتي أنشأت حديثاً) وكذا في البلاد العربية والأفريقية. كما أن القسم نشط من خلال أساتذته وخريجيه في الجمعيات الأثرية المحلية والإقليمية والعالمية. وللقسم مشاريع علمية بحثية في مجال الآثار بالاشتراك مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف وجهات أخرى ذات صلة بالعمل الأثري.

فكرة إنشاء القسم:

قامت إدارة كلية غردون في عام 1947م بإنشاء وظيفة التاريخ القديم، وتم تعيين السير أوليفر مايرس في نفس العام، وقد قاد أول بعثة أثرية تجريها مؤسسة أكاديمية وطنية داخل السودان قرب قرية عبكة. استمر هذا الحال حتى عام 1964م. وفي العام (1963-1964م) قرر مجلس كلية الآداب – جامعة الخرطوم إدخال دبلوم آثار في قسم التاريخ، وهو نفس الوقت الذي كانت البعثات الأجنبية تعمل في شمال السودان في إنقاذ آثار النوبة التي سيؤثر عليها بناء السد العالي. وكانت هذه البعثات قد أنقذت الكثير جداً من روائع الفنون من مواقع مثل فرص على سبيل المثال. كما أنها قامت بتسجيل مواقع أثرية كثيرة، الكثير منها كانت عبارة عن صروح قائمة من قلاع، كنائس وبقايا مدن كبيرة.

كان الأستاذ المرحوم نجم الدين محمد شريف عضو مجلس الكلية، هو الذي قاد مع بروفييسور

عبد الله الطيب فكرة إدخال علم الآثار في مقررات قسم التاريخ. وتبعاً لذلك تم إنشاء دبلوم في علم المصريات في عام (1963-1964م) بعد أن تم التعاقد مع بروفييسور مصري الجنسية يدعى مصطفى أمير لإدارة ذلك الدبلوم.

تخرجت الدفعة الأولى من الطلاب في العام (1965-1966م) وكان عدد الطلاب المسجلين فيها تسعة طلاب، منهم الطالب عكاشة محمد علي الذي تم تعيينه في مصلحة الآثار في ذلك الزمان وبقي فيها إلى أن توفي وهو يعمل في وظيفة مدير إدارة المتاحف ونائب المدير. وبعدها تم إلغاء دبلوم علم المصريات وتقرر افتتاح قسم للآثار لطلاب خريجين من قسم التاريخ أو من العلوم الأخرى، وتم تعيين بروفييسور بيتر شيني والذي كان مديراً لمصلحة الآثار السودانية قبل السودان، وكان قد ترك السودان وذهب إلى يوغندا مديراً للآثار بها، ثم إلى غانا مديراً للآثار أولاً ثم أستاذاً للآثار في جامعة أكرا.

جاء بروفييسور شيني إلى السودان مرة أخرى عام 1964م على رأس البعثة الأثرية الأفريقية الوحيدة التي شاركت في إنقاذ آثار النوبة من جامعة غانا وقد عملت في موقع سرّة غرب. ثم عاد مرة أخرى رئيساً لقسم الآثار في الدراسات العليا في العام (1965م)، وتقدم في العام الذي يليه أي العام (1966م) لمصلحة الآثار للحصول على رخصة حفريات في مدينة مروي القديمة باسم جامعة الخرطوم، حيث بدأ فيها العمل عام 1966م.

وكانت مصلحة الآثار السودانية والتي تولي إدارتها عند السودان بروفييسور فيركوتيه من فرنسا قد سبقت وتولت التصوير الجوي والمسح الآثاري في شمال السودان في كل الأراضي التي كانت ستغمرها مياه السد العالي. ومن المعروف أن فيركوتيه قد حث حكومة السودان للاستعداد لحملة أثرية كبرى في شمال السودان من أجل حماية الأراضي التي ستغمرها المياه، إلا أن الأزهري قد طمأنه بأن السودان لن يدع شبرا واحداً من أراضيه فيه آثار وتراث ليغرق، وقال أن الحكومة السودانية لن توافق على قيام السد العالي ولا اتفاقية مياه النيل إن كانت الاتفاقية تعني إغراق شبر واحد من الأراضي السودانية. إلا أن حكومة 17 نوفمبر 1957م وافقت على الدخول مع مصر وتوقيع اتفاقية مياه النيل التي سمحت ببناء السد العالي.

وفي هذه الأجواء السياسية والأكاديمية والعلمية نشأ قسم الآثار في العام (1964-1965م) وبدأ نشاطه الميداني في العام 1966م في مدينة المدينة الملكية بمروي القديمة، وتم الاتفاق على قبول طلاب من درجة الامتياز من المختارين لدرجة الامتياز في التاريخ لدراسة بعض مقررات علم الآثار التطبيقي والعلوم المتصلة به مثل نظريات العلوم الاجتماعية ولغة أجنبية أخرى مع اللغة العربية ومقرر في تاريخ إفريقيا ما قبل التاريخ، حيث تم اختيار تسعة طلاب لدرجة الامتياز في التاريخ والآثار من دفعة (1968م) من طلاب

المستوى الثاني المنقولين إلى المستوى الثالث، وكان من ضمنهم الطالبان علي عثمان محمد صالح والعباس سيد أحمد زروق، وفي نفس ذلك العام استمرت مجهودات البروفيسور المرحوم عثمان سيد أحمد في إنشاء تبادل طلابي من أقسام الآثار من كل الدول التي كانت تدرس التاريخ الإنجليزي ومعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة لندن، وكان أول طالب يختار في ذلك البرنامج التبادلي من جامعة الخرطوم هو علي عثمان محمد صالح في عام 1968م، حيث تعرف هناك ولمدة ستة أشهر على مقومات علم الآثار وتلاه في العام التالي الطالب العباس سيد أحمد الذي أدخل في برنامج تبادل مع جامعة كوفنتري وخضع لنفس تجربة الطالب السابق (علي عثمان محمد صالح)، وبعد عامين، أي في عام 1970م تم تعيين الطالبين علي عثمان محمد صالح والعباس سيد أحمد في وظيفة مساعدي تدريس في قسم الآثار، وكان شيني رئيس القسم قد ترك العمل في جامعة الخرطوم، وتم اختياره رئيساً لأول قسم آثار يفتتح في أي من جامعات العالم الجديد (أمريكا - كندا) فصار رئيساً لقسم الآثار في جامعة كالقري في ولاية البرتا بكندا. وفي تلك الأثناء عاد الدكتور أحمد محمد علي الحاكم من بعثة الدكتوراه في جامعة كامبردج حيث حصل على درجة الدكتوراه في علم المصريات، وسبقه الدكتور عبد القادر محمود عبدالله الذي نال درجة الدكتوراه في اللغات القديمة في حضارات وادي النيل من جامعة دنهام على يد الاستاذ الأشهر في ذلك الزمان في علم اللغات القديمة بروفيسور مكادام. عينت إدارة الجامعة الدكتور هيكوك (براين جورج) رئيساً بالنيابة على قسم الآثار عند مغادرة بروفيسور شيني إلى كندا. ثم تم تعيين الدكتور عبد القادر محمود رئيساً للقسم عند عودته، وقد قام د. عبد القادر محمود بتنفيذ الخطوة التنفيذية الأهم في رئاسته لقسم الآثار، حيث قام بابتعاث كل من علي عثمان محمد صالح والعباس سيد أحمد إلى جامعة كالقري للتحضير لدراسة الماجستير في علم الآثار تحت إشراف رئيس القسم هناك بروفيسور شيني، وقد سافرا إلى بعثتهما في بداية يوليو 1971م وعادا بدرجة الماجستير في علم الآثار التطبيقي والنظري في العام 1973م (علي عثمان - مقابلة شفاهية - 2004م).

وفي عام 1971م تم تعيين الدكتور أحمد محمد علي الحاكم رئيساً لقسم الآثار بدلا عن الدكتور عبد القادر محمود، وقد قام د. الحاكم بالخطوة التنفيذية الأهم الثانية عندما قبل في ذات العام الدفعة الأولى من الطلاب في قسم التاريخ لدراسة علم الآثار بالشهادة الجامعية، وقد تطلب ذلك بالطبع إعداد المقررات والامتحانات وتأسيس العمل الميداني التدريبي، حيث تحصل حاكم على رخصة تدريب طلاب الآثار في منطقة السروراب في الريف الشمالي لمدينة أم درمان.

وهكذا اكتملت حلقات تأسيس مؤسسات علم الآثار باكتمال نمو مصلحة الآثار وتحولها إلى الإدارة العامة للآثار والمتاحف واكتمال ترتيبات إنشاء قسم آثار بالجامعة ليخرج طلابا في المجال الأكاديمي في علم الآثار. عليه قد خرج قسم الآثار حتى الآن (2014م) إحدى عشرة دفعة بدرجة البكالوريوس العامة، ومثلها بدرجة بكالوريوس الامتياز بعدد يقدر بحوالي مائتي وخمسين طالب وطالبة. تم تعيين الدفعة الأولى من هؤلاء

الطلاب مساعدي تدريس بالقسم. وفيما بعد، أي حتى الآن تم تعيين حوالي ثمانية عشر منهم أساتذة بالقسم مع الخمسة الأوائل خريجي قسم التاريخ الذين سبقوهم إلى وظائف بالقسم وهم علي عثمان محمد صالح – العباس سيد أحمد – يوسف مختار الأمين – إبراهيم موسى – خضر عبد الكريم – خضر آدم عيسى. وهناك أكثر من مائتي وخمسين خريجاً في الآثار بدرجة البكالوريوس العام أو بدرجة الامتياز وسبعة عشر أستاذًا في علم الآثار، تحصل خمسة عشر منهم على درجة الدكتوراه إلى جانب عشرة من خريجي القسم يعملون أساتذة في جامعتي شندي والنيلين، كما أن المدير السابق للهيئة العامة للآثار والمتاحف وخمسة آخرين من العاملين فيها تحصلوا على درجة الدكتوراه مع كثير غيرهم ما زالوا مسجلين للماجستير والدكتوراه، إضافة إلى عدد مقدر من خريجي القسم الذين يعملون في جامعات العالم أو متاحفها أو وزاراتها للثقافة والسياحة. هذا الكم الهائل من الخريجين والأساتذة هو حصيلة قسم الآثار في الخمسين عاماً من عمره، حيث كان العام 2014م هو عام اكتمال هذا العمر المديد، هذا فخر لقسم الآثار وكلية الآداب وجامعة الخرطوم والسودان الوطن الحبيب، وهي هدية نقدمها لطلاب الآثار في جامعة الخرطوم والجامعات الأخرى ليعرفوا تاريخ هذا القسم لتهتدي به الأقسام الجديدة في الجامعات الأخرى. ومن حقنا أن نزيد على هذا الفخر فخراً بتدريب خريجي الجامعات السودانية الأخرى على مستوى تمهيدي الماجستير، حيث يعمل من خريجينا بهذه الدرجة عدد مقدر من الأساتذة في الجامعات الأخرى، إضافة إلى أن معظم حملة الدرجات في الدراسات العليا في السودان تم الإشراف عليهم ونيل شهادتهم من قسم الآثار جامعة الخرطوم.

الرؤساء الذين تعاقبوا على إدارة القسم:

1/ د. مصطفى أمير (1964-1965م)

2/ بيتر شيني (1965-1970م)

3/ بروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (1970-1971م)

4/ بروفيسور أحمد محمد علي الحاكم (1971-1979م)

5/ بروفيسور العباس سيد أحمد زروق (1979-1983م)

6/ بروفيسور علي عثمان محمد صالح (1983-1986م)

7/ د. خضر عبد الكريم (1986-1989م)

8/ بروفييسور علي عثمان محمد صالح (1990-1991م)

9/ بروفييسور علي التيجاني الماحي (1991-1995م)

9/ بروفييسور انتصار صغيرون الزين (1995-1998م)

10/ بروفييسور علي عثمان محمد صالح (1998-2003م)

11/ بروفييسور انتصار صغيرون الزين (2003-2007م)

12/ د. يحي فضل طاهر (2007-2010م)

13/ د. هويدا محمد آدم (2010-2013م)

14/ د. احمد حسين عبدالرحمن (2013-2017م)

15/ د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد (2017م – 2018م) (تمت في فترته ذكرى الاحتفال باليوبيل الذهبي)

دور القسم في حفظ الآثار وحمايتها:

أولاً: مشاريع القسم المختلفة:

تمهيد:

ترجع بداية العمل الأثري الفعلي في السودان - أي إجراء المسح والتنقيب الميداني من أجل الكشف عن الحضارات القديمة - إلى السنوات الأولى من القرن العشرين الميلادي، حيث كان بناء خزان أسوان وتعليته مرتين فيما بعد، سببا لإجراء مسوحات وتنقيبات أثرية في الجزء الشمالي من النوبة السودانية. فالمسح الآثاري الأول الذي جرى خلال السنوات 1907-1911م، والثاني في السنوات 1929-1931م، ركزا في الواقع على حفر المقابر ووصف المعابد وغيرها من الآثار الشاخصة التي يمكن إرجاعها إلى حقبة الحضارة المصرية القديمة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المنطقة كانت في نظر علماء المصريين، الذين قدموا للعمل فيها، امتدادا حضاريا للنوبة المصرية. وهكذا كان لا بد أن توضع آثارها في الهيكل التاريخي المعروف لديهم سلفا. وعلى الرغم من أن النصف الأول من القرن الحالي شهد أعمالا أثرية كبيرة إلا أنها تركزت في مواقع محددة في أواسط البلاد وشمالها مثل حفريات أنطوني آركل في الخرطوم، وبعثة جامعة هارفارد ومتحف

بوسطن بقيادة جورج رايزنر في منطقتي نبتا ومروي. لقد تركز العمل الأثري في البداية على الجزء المتاخم لمصر من الإقليم الشمالي للبلاد وهو عمل حتمته إلى جانب الأسباب المذكورة آنفا ظروف طبيعة الحملات الإنقاذية للآثار بسبب بناء خزان أسوان. وكذلك حتمت الظروف الشيء نفسه لاحقا عندما تقرر القيام بمهمة إنقاذ آثار النوبة الكبرى من الفترة ما بين 1959 و1965م. لقد كانت الحملة الأخيرة أهم نقطة تحول في تاريخ العمل الأثري في السودان، حيث عمل في منطقة النوبة المصرية السودانية والتي غمرتها لاحقا مياه السد العالي أكثر من أربعين بعثة أثرية جاءت للمنطقة من مختلف أقطار العالم. وبالرغم من أن الأهداف الأساسية للحملة كما تبنتها منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو) قد تركزت في إنقاذ المعابد والكنائس، بنقلها إلى مناطق خارج المنطقة التي ستغمرها المياه، إلا أن نتائج الحملة تخطت هذا الهدف وحققَت نتائج باهرة في الكشف عن حقائق ومعلومات جديدة تتعلق بخصائص تطور الحضارات السودانية القديمة وطبيعتها. ومما يجدر ذكره أن البحث في ثقافات ما قبل التاريخ لم يضمن في أهداف تلك الحملة إلا بعد بدايتها. وكما أشار وليام آدامز، فالمناخ الذي خلفته نتائج هذه الحملة فيما يختص بالسودان جعل المختصين يبعدون تطور الحضارات السودانية من ظل علم المصريات، وينظرون إليها في إطار مسارها المحلي، إلا أنهم في الوقت نفسه ونتيجة لكون العمل محصورا في منطقة النوبة، أصبحوا (أسرى) لفكرة النظر لتاريخ حضارات السودان القديمة من منظور منطقة النوبة وحدها "Nubiocentric".

إن ما يهمنا الآن من نتائج ذلك النشاط المكثف هو ذلك الجانب من الاكتشافات الذي يتعلق بفترة ما قبل التاريخ. في واقع الأمر أن ما كان معروفا عن حقبة تلك الفترة قبل حملة إنقاذ آثار النوبة كان محدودا للغاية، ويرجع الفضل في ذلك القليل الذي نعرفه لأنطوني آركل، الذي عمل في الإدارة البريطانية في السودان، ومن ثم مديرا عاما للآثار السودانية عام 1949م. وقد قام بتنقيبات محدودة في الموقع الاشولي في خور أبوعنجة في أم درمان، وجمع ملتقطات سطحية من عدد من المواقع المشابهة له في أجزاء متفرقة من البلاد، ولخص مكتشفاته في كتيب مهم عن العصر الحجري القديم نشر في عام 1949م. يلي ذلك أهم أعماله التي قام بها عندما نقب في موقعي (الخرطوم القديمة) و (الشاهيناب) اللذين يرجعان إلى العصر الحجري الحديث، ونشر نتائج أبحاثه تلك مصورة ومفصلة وجيدة في زمانها (1949، 1953م على التوالي)، فلفت انتباه الباحثين إلى أهمية المنطقة في فترة العصر الحجري الحديث. وكما أشار آركل نفسه، فإن الاهتمام بالآثار في السودان حتي تلك اللحظة كان منصبا على الفترات التاريخية وخاصة تلك التي تبين مدي انتشار الحضارة المصرية القديمة جنوبا.

عليه، ترجع البداية الفعلية للعمل الأثري في الولاية الشمالية - أي إجراء المسح والتنقيب الميداني من أجل الكشف عن الحضارات القديمة - إلى السنوات الأولى من القرن العشرين، حيث كان بناء خزان أسوان وتعليته مرتين فيما بعد سببا لإجراء مسوحات وتنقيبات أثرية مهمة في الجزء الشمالي من النوبة

السودانية (1907-1911م، 1929-1933م). كما كان قيام السد العالي في مصر نقطة تحول مهمة في تاريخ العلم الأثري في السودان ككل (1959-1969م) وفي الولاية الشمالية بشكل خاص. وقد كانت الأهداف الرئيسية لهذه الحملات الثلاث إنشاء هيكل تراتبي للإرث التاريخي والثقافي في النوبة. ومع ذلك فإن نظرة سريعة لتاريخ العمل الأثري في السودان، منذ بدايته وحتى الآن، كافية لتؤكد لنا أن المجال ما زال محتكراً إلى حد كبير للبعثات الأجنبية، فالهيئة العامة للآثار والمتاحف، والتي تم إنشاؤها في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين تحت اسم (مصلحة الآثار)، لم تتمكن من أن تقدم شخصية وطنية لإدارتها إلا حين اتخذت الخطوات الأولى لتحقيق الحكم الوطني للبلاد. وحتى بعد تحقيق الحلم الوطني تم تعيين مدير فرنسي ليحل محل المدير البريطاني (الدولة المستعمرة) ولم يتمكن الوطنيون من احتلال مواقعهم في إدارة الآثار إلا في عام 1960م. ومنذ ذلك الوقت تكونت نواة من الوطنيون المختصين لا بأس بها في إدارة الآثار، إلا أن أعمالهم انحصرت في تصريف الشئون الإدارية وحماية الآثار وإقامة المتاحف والإشراف على البعثات الأجنبية التي انتشرت تنقب في شتى المواقع الأثرية على طول البلاد وعرضها.

وفي عام 1964م نشأ قسم الآثار - جامعة الخرطوم وقد ركز القسم اهتمامه بعد ذلك على تدريس علم الآثار لطلاب الامتياز في قسم التاريخ بغرض تخريج أساتذة المستقبل. وكانت الدفعة الأولى عام 1970م والتي ضمت تسعة طلاب تم تعيين اثنين منهما في قسم الآثار وهما علي عثمان محمد صالح والعباس سيد احمد (كما ذكر سابقاً). وخلال تلك السنوات شارك القسم في حفريات مدينة مروي القديمة بالبحر الأحمر عندما كان البروفيسور بيتر شيني (Shinnie, P. L) رئيساً لقسم الآثار في الفترة من عام 1965م إلى عام 1970م، كما كان مديراً لحفريات مروي. ويعد مشروع حفريات مدينة مروي أول مشروع بحثي متكامل في مجال الآثار تقوم به مؤسسة جامعية سودانية بعد الحفريات المحدودة التي قام بها أوليفر مايرس (Myers, O.H) أستاذ التاريخ القديم بكلية غردون عام 1947م بموقع عبكة بالقرب من وادي حلفا.

وخلال الخمسين سنة الماضية ساهم قسم الآثار كثيراً سواء في برنامج العمل الميداني البحثي والمشاريع الميدانية أو في تخريج عدد كبير من الطلاب شغل الكثيرون منهم مناصب في مجال الآثار ومجالات أخرى. كما نفذ قسم الآثار العديد من البحوث الأثرية الميدانية في كل من مروي القديمة ومنطقة جنوب أم درمان وشمالها، إضافة إلى العمل المشترك مع الجامعات المحلية في الشلال الخامس، والجامعات الأجنبية في مناطق النيل الأبيض وعطبرة والبطانة والخرطوم. كما جدد قسم الآثار رخصة العمل الأثري بمدينة مروي القديمة عام 1999م بعد أن وقع اتفاقية مع متحف أونتاريو الكندي (Royal Ontario Museum. ROM) للقيام بمشروع التنقيب وحماية الموقع الأثري وذلك بعد توقف العمل مع جامعة كاليفورنيا في بداية التسعينات ومع جامعة ميونخ عام 1994م. وللقسم مشاريع أخرى مشتركة في طور التنفيذ في منطقة البحر الأحمر مع المعهد البريطاني بشرق إفريقيا. كما يعد القسم لبرنامج حقلي مشترك في منطقة المحس مع

جامعات ومتاحف عالمية لإنقاذ الرسومات الجدارية والكتابة النوبية على جدران المباني الأثرية في المنطقة. كما تحصل قسم الآثار على رخصة عمل جديدة في العام 2004م للمسح والتنقيب في المنطقة الممتدة من المدينة الملكية وحتى المطمر وتكون منطقة بحث وعمل ميداني ودراسات مستقبلية لقسم الآثار وطلابه. ولم يتوقف القسم عن رفده مشاريع أخرى تخدم الآثار، حيث خرجت من صلب مشروع المحس رؤى وأفكار لمشاريع أخرى مهمة كان لها الإسهام الفاعل كثيرا في حفظ وحماية للآثار مثل مشروع مدينة نوري التاريخية، مشروع الخندق، مشروع القعب، مشروع كدرمة المروي، مشروع شمال المحس (المضيقيين)، هذا في ولايتي نهر النيل والشمالية، بالإضافة إلى مشاريع أخرى وفي ولايات مختلفة مثل مشروع البحر الأحمر، مشروع شمال كردفان، ومشروع الجزيرة.

من هذا السرد يتضح الدور الذي قام به قسم الآثار، ولا زال، في إدارة البحوث الميدانية الوطنية الخالصة في السودان. إلا أن "مشروع المحس الأثاري" هو دون شك المشروع الوطني الرائد.

مشروع المسح الأثاري والتنقيب الإنقاذي واللغة والاستيطان والتاريخ لمنطقة المحس (نموذجا):

نشأت فكرة قيام المشروع باسمه الأول (المسح الأثاري والتراثي لمنطقة المحس)⁽¹⁾ في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين بعد أن أعد البروفيسور علي عثمان محمد صالح عددا من الأوراق المتتالية لتكون الإطار العلمي والعملية والميداني والنظري للمشروع، والأوراق هي:

- أ. الورقة الأولى: خطة المشروع: وشملت المعلومات المعروفة عن آثار المنطقة من الأبحاث والدراسات، كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبة بعدد كبير من الخرائط والصور الفتوغرافية.
- ب. الورقة الثانية: بعنوان الآثار والمجتمع.
- ت. الورقة الثالثة: بعنوان المذكرة التفسيرية: وتناولت – بالإضافة إلى ما ورد في الورقة الثانية – نوايا الأثاريين عند الشروع في تأسيس عمل بحثي ما. وقد قدمت هذه المذكرة لأعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولمجموعة من العلماء والمهتمين.
- ث. بحث بعنوان (علم الآثار الوطني في السودان): وهو عبارة عن تأطير نظري شامل للمشروع ولأهدافه ومهامه. وقد ألحق بهذا البحث مذكرة المشروع الأولى والمذكرة التفسيرية ملحقا أول وملحق ثانيا.

⁽¹⁾ أجاز المشروع من مجلس قسم الآثار في اجتماعه بالنمرة ج خ/آداب/ آث 6 بتاريخ 10 يناير 1990، كما أجاز من مجلس أبحاث كلية الآداب في اجتماعه الثاني للعام الدراسي 1989-1990 بتاريخ 18 يناير 1990. وقد صدر تصريح مؤقت من الإدارة العامة للآثار والمتاحف للعمل للموسم الأول بتاريخ 7 فبراير 1990 بالنمرة وت أ/3/ج/182/سري ثم صدرت رخصة العمل بتاريخ 1991/11/20 بعد أن أكدت كلية الآداب التزامها بالمشروع بتوقيع عميدها الجديد في ذلك الحين.

وقد أعد هذا البحث بغرض عرضه على الأساتذة والعلماء في الآثار عامة وعلماء الآثار السودانية خاصة للمناقشة والتنقيح وإثراء البحث الذي تبني منهج العلوم المتداخلة وهي علم الآثار – علم اللغة – علم الفولكلور – علوم البيئة وعلم الاجتماع. وفعلا قدم البحث للمناقشة ضمن أعمال المؤتمر السابع للجمعية العالمية للدراسات النوبية الذي انعقد في جنيف – بسويسرا – في الفترة من الثالث وحتى الثامن من سبتمبر عام 1990م. وقد تم نشر هذا البحث فيما بعد ضمن أعمال ذلك المؤتمر (انظر الإصدار رقم 1 من الإصدارات باللغة الإنجليزية).

ج. الورقة الخامسة: المذكرة الموجزة. والتي كتبت بعد الموسم الأول وتناولت أهمية الزمن الذي بدأ فيه العمل. كما تضمنت المفهوم الوطني للمشروع باعتباره مثالا حيا لعلم آثار وطني يلبي حاجيات المجتمع السوداني مع تقيده والتزامه بقوانين علم الآثار العام. وكان الغرض الرئيسي من إعداد هذه الورقة هو إلحاقها في التقرير العام لموسم العمل الأول الذي تم في الفترة من 6 مارس وحتى 6 إبريل 1990م. وقد تضمنت هذه المذكرة الموضوعات التالية:

1/ تعريف المشروع: فهو مشروع علمي جاد يستعمل أسلوب الدراسة الميدانية المتداخلة بين العلوم المختلفة لخلق نموذج علمي تطبيقي متكامل للدراسات الثقافية الاجتماعية التاريخية بغرض استنباط قوانين عامة يمكن تطبيقها لدراسة (التغير الثقافي) في فترة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية القديمة والوسيطة وما بعد الوسيطة في مناطق وادي النيل المختلفة.

2/ أهداف المشروع: وتتلخص في دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية والبشرية والعمرانية لمنطقة الدراسة. ويشمل ذلك دراسة العوامل البيئية التي أدت إلى التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والعمراني بالمنطقة. علاوة على دراسة التحولات الدينية واللغوية عبر الحقب التاريخية المختلفة وبحث موضوعات الالتقاء أو التداخل أو التكامل أو الانصهار الثقافي والبشري مع الثقافات والمجموعات الوافدة للمنطقة.

3/ منطقة الدراسة: وهي منطقة المحس في شمال السودان. ويتركز العمل الآن في المنطقة الممتدة من حنك – تمبس جنوبا إلى جبل دوشا – واوا بالقرب من صلب شمالا.

4/ فريق العمل: تكون فريق العمل في البداية من أعضاء هيئة التدريس في قسم الآثار وقسم اللغويات ومن عدد من طلبة الدراسات العليا في العلوم الأخرى المشتركة في المشروع كالبينة والفولكلور وعلم الاجتماع.

بعد انتهاء الموسمين الأولين (6 مارس – 6 إبريل 1990م، 25 نوفمبر – ديسمبر 1991م) توقف المشروع لأسباب خارج إرادة مدير المشروع بروفيسور علي عثمان محمد صالح، لكن وبعد انتهاء أسباب توقف المشروع تم التفكير في إعادة تفعيل المشروع مرة أخرى، إلا أنه كانت هنالك عدد من التحديات الجديدة التي

تمثلت في:

أ. تفكير الدولة في بناء خزان كجبار، وقد استدعي ذلك تحول المشروع من كونه مشروعاً بحثياً كان مخططاً أن يكون من خمسة مواسم إلى مشروع إنقاذي يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من آثار المنطقة وتراثها قبل الشروع المباشر في تنفيذ مشروع الخزان.

ب. مشكلة تفرق أعضاء الفريق الذي عمل في الموسمين الأولين. وخاصة أن المشروع كان يهدف إلى دراسة منطقة المحس من عدة جوانب وتخصصات مختلفة (الآثار – اللغة – البيئة – التراث – الإدارة).

ت. مشكلة الدعم المالي واللوجستي للمشروع، حيث أن جامعة الخرطوم لم تدعم الموسمين الأولين سوى بأربعة آلاف جنيه، وتكفل الاتحاد التعاوني لمنطقة المحس – والذي لم يعد له وجود – بالباقي.

هذه ثلاثة عوامل رئيسية كادت أن تؤدي إلى تلاشي المشروع نهائياً. ولكن لأهمية المشروع والإحساس الكبير بأهميته البحثية تم التفكير في إعادة المشروع باعتباره مشروعاً لقسم الآثار ولجامعة الخرطوم في آن واحد. وقد وافق آنذاك المركز البريطاني بشرق إفريقيا على الاشتراك في المشروع بمنهجه الجديد ووافق الدكتور ديفيد إدوارد على مواصلة العمل مديراً للعمل الميداني. وبحسب مجريات الأمور تم إعداد وثيقة تحت عنوان (خطط قسم الآثار للعمل الميداني) وتم إرسالها عبر مدير جامعة الخرطوم إلى وزير البيئة والسياحة والهيئة القومية للآثار والمتاحف، وتمت الموافقة على إعادة المشروع وبدأ التفكير الجدي في مواصلة العمل بكافة جوانبه.

وبشكل عام، أصبحت هناك عوامل جديدة لإعادة صياغة المشروع ككل، كان أهمها في جانب اللغة، حيث أصبح هناك اهتمام خاص من الأعضاء العاملين بالمشروع بالأسماء الجغرافية (Place Names) وهو جزء من دراسات اللغة والفولكلور مع أهميته الخاصة لعلم الآثار، وكسب المشروع دعم ومشاركة الأستاذ الكبير خبير الأمم المتحدة والأسماء الجغرافية البروفيسور هيرمان بيل، ويعاونه الأستاذ محمد جلال هاشم الذي تخرج في كلية الآداب – جامعة الخرطوم وتخصص في دراسة اللغة النوبية والفولكلور من بعد ذلك.

وأدى ذلك إلى تغيير اسم المشروع إلى (مشروع المسح الأثاري والتنقيب الإنقاذي واللغة والاستيطان والتاريخ في منطقة المحس) وصار لكل من هذه العلوم ميدانه العلمي الخاص ومنهجه والتي يعمل بها في تناغم مع العلوم الأخرى المشاركة في المشروع وتم تحديد مجالاتها بدقة بالآتي:

1/ الآثار: ويقصد بها الآثار المعروفة بشكل كلي.

2/ اللغة: ويقصد بها اللغات المعروفة بشكل كلي.

3/ التاريخ: والمقصود به عموماً التاريخ الشعبي. وهناك اتجاه في المشروع بعدم تسمية التراث بالفولكلور وتفضيل تسمية الآثار الحية (Ethnoarchaeology) أو التاريخ السلافي (Ethnohistory) واللذين أصبحا يستخدمان بكثرة في إفريقيا.

4/ الاستيطان: وهو المصباح لكل العلوم السابقة. ويتركز العمل في هذا الجانب على ثلاثة أهداف مهمة:

- أ. هل كان هناك استيطان دائم في منطقة الدراسة؟ وما مؤشرات ذلك؟
- ب. هل كان الشلال حدود ثقافية أم رواق ثقافي أم منطقة ثقافة مستقلة؟
- ت. هل بالإمكان بناء نموذج لعلم الآثار الإقليمي (Regional Archaeology) من دراسة الاستيطان في منطقة الدراسة يمكن استخدامه في أي إقليم آخر في السودان وخاصة في مناطق الشلالات.

وقد ضم المشروع كل منطقة المحس المعلومة لخريطة المشروع، كما أضيف التنقيب لمجالات عمل المشروع خاصة بعد أن أصبحت المواقع الأثرية مهددة بالدرجة الأولى بقيام خزان كجبار. وأصبح المشروع مشتركاً بين جامعة الخرطوم والمعهد البريطاني بشرق إفريقيا واللجنة العليا لتعويض المتأثرين بمشروع خزان كجبار وتوطينهم.

المشروع بهذا الفهم يعد برنامجاً متعدد العلوم يشتمل على البحوث الأثرية والتاريخية واللغوية والبيئية والفولكلورية ضمن دراسة إقليمية محددة الأهداف والمناهج. ويصب التركيز الأساسي في منطقة المحس والتي تعد حداً (Zone) ثقافياً ولغوياً منذ الفترة الوسيطة، إن لم يكن أقدم من ذلك. ويكتسب هذا الإقليم أهميته باحتفاظه للعديد من عناصر الاستيطان التاريخي والكثير مما يمكن النظر إليه على أنه أشكال تقليدية للثقافة النوبية في بيئة ناطقة بالنوبية.

3. العمل الميداني:

أ. المسح الأثري:

يهدف المسح الأثري لمنطقة المحس لدراسة التاريخ الاستيطاني الطويل بالمنطقة وإكمال استكشاف المواقع الأثرية، ويتضمن ذلك أعمال المسح والحفريات الاختبارية للمواقع الرئيسية بصورة أكثر تفصيلاً وعلى وجه الخصوص تلك التي يشكل قيام الخزان تهديداً لها. والأولوية الرئيسية في هذا المسح هي جمع المعلومات الجديدة في شكل قائمة بالمواقع من خلال ستة مراحل متسلسلة من المسح وهي:

- 1/ تحديد الموضع الجغرافي للمواقع الأثرية من خلال النصوص المسجلة والمصادر الأخرى كالروايات الشفاهية.
- 2/ استكشاف أولي للتحقق من المواقع المعروفة وتحديد المواقع الجديدة.
- 3/ القيام بمسوحات منظمة ومكثفة لتحديد أكبر عدد من المواقع الأثرية لتغطية كل المنطقة المقررة للمسح والتنقيب.
- 4/ تعريف المواقع وتصنيفها وتسجيلها.
- 5/ القيام بمسوحات محددة لمناطق مختارة من خلال مسح منظم بالأرجل، مع التركيز على المواقع المهمة أو المهددة.
- 6/ القيام بمسح كامل لمواقع المناطق المختارة يشتمل على القياس الشامل للموقع، مع إمكانية القيام بحفريات اختبارية.

ب. المسح اللغوي:

يركز البحث اللغوي على تسجيل أسماء الأماكن في منطقة الدراسة وتحليلها مع التركيز كذلك على المواقع والأماكن المهددة ببقاء سد كجبار. عمل آخر سيمهد إلى تأسيس أنماط معاصرة لاستعمال اللغة وعلاقتها بالأنماط التاريخية حسب ما تشير إليه أسماء الأماكن. كما ستكون هناك محاولات للتعرف على خصائص أسماء الأماكن وربطها بأصول مروية محتملة.

يتركز العمل الحالي على الأسماء الجغرافية بقيادة البروفيسور هيرمان بيل والأستاذ محمد جلال هاشم. ويجب التأكيد على أن هذه الأسماء هي أسماء أثرية في حد ذاتها، وهي تحتاج لنفس ما تحتاجه الآثار من الدراسة والتقصي. وفيما يتعلق الجانب الآخر من اللغة، وهي القواعد والتراكيب النحوية وخلافها، فليس هنالك عمل حقيقي حوله رغم أهميته. مع ذلك فهناك عمل قائم غير منظم في هذا المجال، إلا أنه يحتاج إلى متخصص في علم اللغويات وعلم تاريخ اللغات الإفريقية النيلية الصحراوية، وهي الأسرة اللغوية التي تنتهي إليها كل اللغات السودانية القديمة والوسيلة والحديثة في المنطقة النوبية.

ج. البحوث الفولكلورية ودراسات الأنساب:

يتوقع أن تصبح دراسات الأنساب حقلاً مهماً للدراسة، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بدراسات الطوبونيميا (دراسة أسماء المواقع الجغرافية وأصلها Toponymy) أو أشكال الدليل التاريخي الأخرى للمستوطنات. وقضايا أكثر تحديداً تتضمن المساهمات الإسلامية الأولى والعثمانية والتأثيرات الأخرى على تطور السلالات النوبية الحديثة. ويتم في هذا المسح تسجيل التواريخ الخصوصية للأفراد ذوي الحرف مثل

الخزافين، الحدادين، المراكبية. كما وضع في الاعتبار دراسة التقاليد المرتبطة بمواقع محددة بما في ذلك المواقع الأثرية تحت مسمى (فلكلور المواقع الأثرية) ومسمى آخر هو (ثقافة الموت). ويتضمن هذا الجانب كذلك دراسة الطرق الصوفية في منطقة المحس، شيوخها وقباها المنتشرة في المنطقة كلها، ويمتد تاريخ بعضها إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

4. الدراسة البيئية:

يتميز الإقليم بخاصية مهمة وهي بقاء مواد أثرية عضوية عديدة لفترة طويلة من الزمن بسبب المناخ الجاف الذي يساعد على الحفاظ على هذا النوع من المواد الأثرية. وبذلك تمكنا من إجراء دراسات عن النباتات القديمة خاصة مع احتمال وجود مواقع قد تعود لآلاف السنين. وحتى الآن تم عمل موسم واحد جاد فيما يتعلق بالحشرات والطيور والأسماك والأنسجة البشرية وخلافها، وإذا لم يتم العمل في المواسم اللاحقة فسيتم التفكير جدياً في تطويره من خلال:

1/ تهيئة المجال لدارسين جدد في هذا المجال في الآثار خاصة طلاب الدراسات العليا بقسم الآثار، وقد طلبنا من إدارة الجامعة الحالية إنشاء وظائف (مساعدى أبحاث) في القسم لنعين عليهما طلبة الدراسات العليا الذين يتدربون معنا الآن في هذه المجالات ويقومون بالعمل الميداني ضمن فريق المشروع بالتعاقد.

2/ إنشاء معمل قسم الآثار، والذي خطى خطواته الأولى الآن، باستجلاب الدعم من الهيئات والمنظمات المهمة وإدارة مقتدره البروفيسور لورانس سميث من جامعة كامبردج والبروفيسور يحيى فضل طاهر بقسم الآثار. كما أنشأنا مشروعات دراسية فيه عن:

أ. بدايات الزراعة في منطقة الدراسة.

ب. صناعة الفخار في منطقة الدراسة.

ت. المجاري المائية القديمة (Paleo-Channels).

وهي من المشروعات العلمية البحثية التي سوف ينفذها مساعدى الأبحاث بعد تعيينهم بإذن المولى بإشراف الدكتور يحيى فضل طاهر.

4. مساهمة المشروع في تدريب طلبة قسم الآثار وطلاب الدراسات العليا:

يساهم المشروع مساهمة فاعلة في تدريب طلبة قسم الآثار، فقد أشرك المشروع في موسمه الأول طلبة المستوى الخامس للعام الأكاديمي 1989-1990م، وفي الموسم الثاني أشرك المشروع طلاب المستوى

الخامس، كما نفذ المشروع مقرر العمل الميداني لطلاب المستوى الرابع في العام الأكاديمي 1990-1991م وطلاب المستوى الرابع للعام الأكاديمي 1999-2000م، وطلاب المستويين الثالث والرابع للعام الأكاديمي 2002-2003م. ويتم إشراك الطلاب في الأساس للتدريب على مسئولية العمل الآثاري البحثي والإنفاذي أولاً وتدريبهم على أنواعه ثانياً. كما استحدث قسم الآثار مقرر (العمل الميداني المتقدم) لطلاب المستوى الرابع ومقرر إدارة المصادر الثقافية والأثرية لطلاب المستوى الخامس. وذلك للمشاركة في أعمال القسم الميدانية البحثية الدائمة ومن ضمنها مشروع المحس الآثاري.

5. مساهمة المشروع في تدريب طلبة الدراسات العليا:

هنالك عدد مقدر من أساتذة الآثار بالجامعات السودانية المختلفة الذين أعدوا رسالاتهم لدرجة الماجستير و/أو الدكتوراه في إطار أعمال مشروع المحس الآثاري ونتائجه.

ثانياً: دور القسم في إنشاء كليات و أقسام الآثار الأخرى:

كان لا بد من إنشاء إدارات أخرى جديدة تساهم مع الإدارات العاملة في مجال الآثار والتراث (الإدارة العامة للآثار والمتاحف وقسم الآثار جامعة الخرطوم) في حفظ هذا الإرث العظيم وحمايته والتعريف به، فكان لا بد من إنشاء أقسام أخرى جديدة للآثار تعمل على تدريس الطلاب وتدريبهم ليكونوا مؤهلين وقادرين على حمل هذه المسئولية العظيمة من حفظ لهذا الإرث وحمايته. ومن هذه الكليات والأقسام نجد كلية الآثار والتراث (كريمة)، نشأت أول كلية للآثار في السودان في مدينة كريمة وهي تابعة لجامعة دنقلا، وفي البدء كانت تتبع لجامعة وادي النيل، ثم بعد ذلك حولت إلى كلية الآداب والدراسات الإنسانية، وضمت عدداً من الأقسام من بينها قسم الآثار. بالإضافة إلى قسم الآثار والمتاحف - جامعة شندي (شندي)، حيث تم افتتاحه في العام 1995م ضمن أقسام كلية الآداب - جامعة شندي، يقوم بتدريس الطلاب وتدريبهم على العمل الميداني في كل المناطق الأثرية بالولاية وخارج الولاية، وقد اكتسب أهميته لوجوده في منطقة غنية بالتراث وتعدد المناطق الأثرية. وللقسم علاقات متميزة وبرامج مشتركة مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف، والمعاهد المتخصصة والبعثات الأجنبية العاملة في مجال التنقيب عن الآثار. كما ويشارك القسم في كل الأنشطة والفعاليات والمؤتمرات داخل السودان وخارجه. وللقسم عدة مشاريع مثل مشروع المسح الآثاري والاثنوجرافي والحفريات بغرب شندي (المتمة - قوز بره)، ومشروع التنقيب الآثاري في موقع الحماداب - مروي بكبوشية مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمعهد الألماني بجامعة هامبولدت. أيضاً هنالك معهد الدراسات المروية - جامعة شندي (شندي)، افتتح عام 1999م، يركز المعهد على البحث الميداني، لكنه خاص بالدراسات العليا، ويركز كذلك على الدراسات المروية. ومركز دراسات وأبحاث الآثار جامعة وادي

النيل (الدامر)، وقد بدأ هذا المركز عام 1999م باعتباره متخصصاً في الأبحاث الميدانية والعلوم ذات الصلة، إلى جانب دراسات الدبلوم العالي والمجستير والدكتوراه. ويخطط المركز لعدة مشاريع أثرية مشتركة. ومقره الآن بمدينة الدامر بولاية نهر النيل. إلى جانب قسم الآثار- كلية الآداب جامعة بحري – جوبا سابقاً (الخرطوم)، وقسم الآثار- كلية الآداب جامعة النيلين (الخرطوم)، والذي أنشئ القسم في عام 2008م وتم قبول الدفعة الأولى في العام 2009م. وقد كانت الرؤية العامة له هي تحديث طرق التدريس وتطويرها بما هو جديد في علم الآثار العالمي، وتكثيف الأعمال الميدانية حول المنطقة للكشف الأثري وترجمة العلم النظري إلى عملي تطبيقي، واستفادة من المخزون الأثري السوداني في ترقية السياحة والترويج لها. أما رسالة القسم فقد كانت المحافظة على الآثار وصيانتها وبحث الوعي الأثري في المجتمع بهدف تمتين الهوية الوطنية وتنظيم العمل الأثري ليكون جسراً للتواصل مع العالم الخارجي. وللقسم عدة أهداف منها تخريج طلاب على مستوى عالٍ من المعرفة والخبرة في مجال علم الآثار وربط الدراسة النظرية بالعمل الميداني لربط المنهج بالنظرية في علم الآثار. والمشاركة في المؤتمرات والورش. بالإضافة إلى خلق علاقة بالأقسام المميزة عالمياً عن طريق الاشتراك في العمل الأثري عبر مشاريع كبرى تهتم بالكشف الأثري، وكذلك عن طريق الاتفاقيات ومذكرات التفاهم وغيرها من الأهداف.

ثالثاً: خدمة المجتمع:

لعب القسم أدواراً كثيرة لا تعد ولا تحصى في مجالات خدمة المجتمع – وهنالك جانب مهم في علم الآثار يعرف ب (علم الآثار والمجتمع) - فللقسم إسهامات كبيرة في شتى المجالات الخدمية، على سبيل المثال لا الحصر، الندوات والمحاضرات العامة والتي كانت من أولويات برامج العمل الميداني في المواقع الأثرية والقرى والمدن التي حولها، والتي تكون حول معرفة المواقع الأثرية ونتائج العمل الذي تم فيها، وأهميتها في نشر الوعي الأثري، ودور المجتمع المحلي في الحفاظ عليها وحمايتها باعتبارها ملك خاص بهم، وجزء أصيل منهم، وفي معرفة هويتهم وانتمائهم وحسهم الوطني، لذا كان لا بد من الاعتناء به وحفظه وحمايته للأجيال القادمة. إلى جانب برنامج (التنمية المستدامة) في توفير سبل عيش وكسب لبعض الفئات التي توجد في أو بالقرب أو حول المواقع الأثرية من خلال المشاركة في الأعمال الأثرية أو حراستها، أو توفير أماكن عمل مشغولات محلية وصناعات صغيرة كصناعة السلال والتحف والمشغولات اليدوية وغيرها، إلى جانب دعم المراكز الصحية والمستشفيات والمدارس وجميع المحال الخدمية في المجتمع المعني.

رابعاً: نشر الوعي الأثري:

من أكثر الأمور التي تؤرق أعضاء القسم هي عملية نشر الوعي الأثري، لأنه سلاح ذو حدين، فمعرفة الآثار دون وعي مخاطرة لا يحميها، ويمكن أن تعرض الأثر إلى تلف أو ضياع وسرقة دون قصد

أو حتى عن قصد ودراية، وخير مثال لذلك ما يحدث الآن من عمليات تعدين عشوائي للذهب (الدهابة) من نهب وسرقة وتخريب ودمار للمواقع الأثرية المختلفة، فلا بد من توعية المجتمع بالآثار وأهميتها وأنها جزء أصيل من تراثنا وقيمنا، عن طريق المحاضرات والندوات المتخصصة والعامة، في المواقع الأثرية وفي القرى والمدن والأرياف، في الراديو والتلفاز، في الصحف والمجلات العلمية والثقافية والاجتماعية، العالمية والإقليمية والمحلية، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى (Social Media)، كل ذلك من أجل زيادة الوعي الأثري ونشره.

وفي هذا السياق، فقد تحدث بروفييسور علي عثمان عن ظهور مدرستين وتطورهما في دراسة الآثار السودانية، الأولى هي مدرسة الشمال والتي اهتمت بدراسة الآثار التاريخية (أي آثار تاريخ السودان القديم من حوالي 300 ق.م إلى 400م) كما اهتمت بدراسة المعمار الديني في الفترة التاريخية والفترة المسيحية (500-1500م) ودراسة اللغات القديمة وخاصة اللغات المحلية (المروية والنوبية) إلى جانب المصرية القديمة (الهيروغليفية). المدرسة الثانية وهي المدرسة الأثرية التي نشأت وتطورت في وسط السودان أي في منطقة الخرطوم الحالية. وقد اهتمت بآثار فترة ما قبل التاريخ (30000-3000 ق.م) ثم آثار العصور الوسطى (1500-500م) وآثار الفترة الإسلامية الأولى، إلى جانب اهتمامها بالقضايا الأكاديمية والإدارية المتعلقة بالآثار السودانية. وكلا المدرستين ساهمتا في اكتشاف الآثار السودانية ودراستها ومعرفتها وإدارتها (وهي من أهم مراحل إدارة المصادر الثقافية). كما تم ختم تاريخ تطور العمل الآثاري في السودان بإنشاء الهيئة العامة للآثار والمتاحف الحالية، ومساهمتهما في نشر الوعي الأثري. وتحدث بروفييسور علي عثمان عن الإدارة الأثرية الأخرى في السودان وهي قسم الآثار، وإسهامه الواضح في بحث إثراء الثقافة السودانية ودراستها ونشر الوعي الأثري، ويمكن القول بأنه نجح في ذلك ولكن ليس بالصورة الكاملة والمرجوة. عليه، فقد وضع بروفييسور علي عثمان عدة برامج عامة على المؤسسات الأثرية أن تقوم بتنفيذها مثل:

- بحث تاريخ الحضارة السودانية ودراساتها.
- تدريب الكوادر المتخصصة والمساعدة لبحث تاريخ الحضارة السودانية ودراسته.
- المساهمة الفعالة في بحث الثقافة السودانية ودراستها وإثرائها ونشرها.
- نشر الوعي الأثري والحضاري والتاريخي والثقافي.

ولن يتحقق للمؤسسات الأثرية هذا الطموح حتى تواكب المستجدات في علم الآثار وعلم ودراسة تاريخ الحضارات، ويعتمد على أساس هذه المستجدات إعادة صياغة إدارتها وبرامجها. كما تحدث عن دور نشر الوعي الأثري وتحفيزه للشباب على الاقتراب من حقائق أمتهم التاريخية ومن أصولها وتجاربها القديمة

وبالتالي هذا يؤدي إلى توسيع مداركهم وإثراء ثقافتهم وتربيتهم وتوجيههم للاعتزاز بفخر أمتهم والتمسك بتقاليدها وإرثها وسلوكياتها، يؤدي كل ذلك إلى ارتقاء شعورهم الوطني والقومي وتمتين انتمائهم.

أيضا ذكر بروفيسور علي عثمان وسائل نشر الوعي الأثري مشيرا إلى أنها كثيرة ومتعددة، منها المتاحف العامة أو المتخصصة وإقامة المعارض وإنشاء الجمعيات الأثرية وجمعية أصدقاء الآثار وإقامة الندوات وحلقات النقاش واللقاءات المحلية والإقليمية والعالمية. بالإضافة إلى الوسائل المساعدة في نشر الوعي الأثري مثل توفير الخرائط والكتيبات الخاصة بالمواقع الأثرية والمواصلات السهلة وتوفير الخدمات.

الخاتمة:

شكل تطور وازدهار علم إدارة المصادر الأثرية تقدما ملحوظا في حفظ الكثير من مواقع التراث الأثري في البلاد وحمايته. ويعد السودان من أول هذه البلدان التي اهتمت بهذا العلم في الآونة الأخيرة، حيث يزخر البلد بكم هائل وضخم من التراث الأثري، كان لا بد من حمايته والحفاظ عليه للأجيال القادمة.

ونجد الهيئة العامة للآثار والمتاحف هي الجهة الرئيسية والمسؤولة عن تلقيم الآثار، ونتيجة للتطور الذي شهدته البلاد في الآونة الأخيرة كان لزاما على الهيئة العامة للآثار والمتاحف القيام بدورها المنوط بها في حفظ الإرث الأثري وحمايته ضد عمليات الدمار والخراب الذي سيطالها إن لم تقم بالبحوث العلمية الصحيحة.

لم تكتف البلاد بالهيئة العامة للآثار والمتاحف في عملية حفظ و التراث الأثري وحمايته، خاصة وأن السودان كما نعلم من أكبر الدول من حيث المساحة وثرائه الأثري والتراثي الضخم. فكان لا بد من إنشاء جهات أخرى تعمل جنبا إلى جنب مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف لحفظ و هذا الإرث العظيم وحمايته. فنشأ قسم الآثار – جامعة الخرطوم هذا الصرح العظيم بوصفه إدارة ثانية في السودان تعمل جنبا إلى جنب مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف في حماية التراث الأثري في البلاد وحفظه.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

- بروكهاردت، جون لويس، رحلات في بلاد النوبة 1793-1817م، ترجمة فؤاد اندوراس، القاهرة، 1959م.
- علي عثمان وأزهري مصطفى صادق، الآثار والعمران القديم، سلسلة تاريخ وتراث المحس، رقم (1)، 2005م.
- علي عثمان وعبد الرحمن إبراهيم، التوزيع السكاني والعمراني في منطقة الشلال الثالث في العصر المسيحي (500-1500م)، سلسلة تاريخ وتراث المحس، رقم (2)، 2007م.
- كباشي حسين قسيمة، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، الخرطوم، 2008م.
- سعيد، عبد الرحمن إبراهيم، الآثار العثمانية في منطقة المحس، رسالة ماجستير، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، 2005م، منشورة.
- سعيد، عبد الرحمن إبراهيم، آثار الاستيطان والعمران في منطقة الشلال الثالث في الفترة من 500-1500م، رسالة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، غير منشورة.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

- Butler, W.B. (1987). Significance and other frustrations in the Cultural Resources Management Process. *American Antiquities*. 52. 820-829.
- Fagan, B.M. (1988). *In the Beginning. Introduction to Archaeology*. London.
- Kabbashi, H.G. (2002). *Cultural Resources Management, the case, the Fourth Cataract Region. Sudan*. The 10th International Conference of the Nubian Studies, Rome, September 9 -14.

ثالثاً: أخرى

- مقابلة شخصية. بروفييسور علي عثمان محمد صالح، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، 2004م.
- أرشيف مشروع المحس، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، 2004م.
- أرشيف مشروع المحس، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، 2003م.
- دستور السودان الانتقالي لسنة 2005م.

مقترح لتطوير برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار

د. نهى عبد الحافظ عبد العزيز

قسم الآثار، جامعة الخرطوم

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إعداد خطة لتطوير برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار جامعة الخرطوم يتم من خلالها معرفة مواطن الضعف والقوة في إدارة البحوث والدراسات وتنوعها، والعمل على تطوير برنامج القسم لكي تصل بمخرجاتها لما يصب في تطوير المفاهيم والمعارف حول التراث وإدارته في السودان. وتتوقع من هذه الخطة وضع استراتيجية وطرق جديدة لتناول قضايا وموضوعات الآثار السودانية. كما تساهم في مساعدة القسم على تطوير مناهج وطرق تدريس ترتقي بالقسم لمستوى المنافسة العالمية للتعليم العالي.

الكلمات المفتاحية: قسم الآثار، برنامج الدراسات العليا، نقاط الضعف والقوة، التاريخ الثقافي وإدارته في السودان

Abstract

This study aims to develop a plan to improve the graduate programme at the Department of Archaeology, University of Khartoum. The aim is to identify weaknesses and strengths in the management and diversity of research and studies and to improve the programme so that its outcomes contribute to the development of concepts and knowledge about cultural heritage and its management in Sudan. It is expected that the plan will also propose new strategies and approaches to solve problems related to Sudanese antiquities. In addition, it will assist the department in improving curricula and teaching methods to enhance the department's position in the global assessment of higher education programmes.

Keywords: Department of Archaeology, graduate programme, weaknesses and strengths, cultural heritage and its management in Sudan

مقدمة

نظراً للأهمية البالغة لبرنامج الدراسات والبحوث العلمية في تطوير العمل الآثاري بالسودان وترقيته وكتابته تاريخه القديم، كان لابد لنا ونحن نقف على عتبات نصف قرن من نشأة قسم الآثار جامعة الخرطوم من مراجعة مخرجات القسم من البحوث العلمية المقدمة لدرجتي الماجستير والدكتوراه التي قد تجاوز عددها التسعين بحثاً حتى كتابة هذا المقترح عام 2018م، موزعة على النحو التالي:

الدرجة العلمية	عدد الخريجين
الماجستير	62
الدكتوراه	31
المجموع	94

تأتي أهمية مراجعة البرامج في التخطيط لعمل برنامج في المرحلة القادمة نحرص فيه على، الارتقاء بمستوى البحث العلمي والرسائل العلمية بالقسم، بناء شراكات بحثية محلية وعالمية، وتوفير البيئة البحثية المحفزة للبحث القائم على مناهج وأسس علمية سليمة، والإسهام الفاعل في بناء المعرفة الآثارية ونشرها.

نبذة عن برنامج الدراسات العليا في قسم الآثار:

تمت مناقشة أول رسالة دراسات عليا بقسم الآثار في عام 1975م وهي رسالة الماجستير المقدمة من الطالب خضر عبد الكريم أحمد، والتي أشرف عليها الدكتور أحمد محمد علي حاكم. أما أول رسالة دكتوراه قدمها الطالب عمر حاج الزاكي بعام 1981م، وقد أشرف عليها الدكتور أحمد محمد علي حاكم، وهي أول رسالة تقدم بالقسم باللغة العربية.

استقبل قسم الآثار طلاباً من الوطن العربي كان منهم الطالب عبد الرحمن شكري عبد الرحمن من دولة فلسطين، الذي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير في العام 1986م، أشرف علي رسالته الدكتور خضر عبد الكريم أحمد. طالب الماجستير عبد الحكيم شائف محمد، الذي أشرف عليه الدكتور خضر آدم عيسى بعام 1998م.

كما استقبل القسم طلاباً من دول الجوار الأفريقي منهم طالب الدكتوراه أديس أبا محمد من دولة تشاد، وأشرف عليه البروفيسور علي عثمان محمد صالح بعام 2016م.

تحليل موضوعات بحوث الدراسات العليا:

للقوف على موقف برنامج الدراسات العليا بالقسم ومدى فاعليته قمنا بحصر الرسائل العلمية المقدمة لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه وعمل إحصاءات لها بناءً على: المواقع الأثرية التي قامت بها البحوث، الموضوعات، الحقب الزمنية، وهي إحصاءات تساعدنا على معرفة المواقع والموضوعات التي ركزت عليها، وتلك التي لم تنل حظها من الدراسة.

في تتبعنا للمواقع الأثرية التي تم مسحها وتسجيلها وإجراء دراسات أثرية فيها ضمن رسائل الطلاب خلال الفترة السابقة من تاريخ القسم المواقع، وجدنا أنه من الممكن إدراجها تحت التقسيم التالي:

- السروراب شمال أمدردمان.
- جنوب النيل الأبيض والنيل الأزرق.
- سواكن.
- التكاكي.
- الشلال الثالث والرابع.
- المحس.
- منطقتي البطانة الشرقية والغربية.
- سهل الباطن .
- جزيرة مقاصر.
- خلاوي الغبش وكدباس بمنطقة الدامر.
- بقنارتي.
- دنقلا العجوز.
- منطقة الجزيرة.
- وادي الدان وشبيلية.
- السبلوقة.
- نوري.
- مدافن البجراوية.

وإذا تم تصنيف هذه المواقع حسب توزيعها على أرجاء السودان المختلفة نجدها على النحو الموضح في الجدول التالي:

جدول (1): جدول يوضح توزيع البحوث على أنحاء السودان المختلفة

المنطقة	عدد الرسائل
شمال السودان	22
وسط السودان	27
شرق السودان	1
غرب السودان	لا يوجد
جنوب السودان (جنوب النيل الأبيض و الأزرق)	4

في تصنيفنا للرسائل من حيث تناولها الحقب التاريخية المختلفة من تاريخ السودان القديم، نجدها تتوزع على النحو الموضح في الجدول التالي:

جدول (2): جدول يوضح توزيع البحوث حسب الفترات التاريخية

الحقبة	عدد الرسائل
الفترة المروية	13
حقبة ما قبل التاريخ	12
الفترة الكوشية (نبته مروي)	8
الآثار الإسلامية	8
الفترة الوسيطة	7
ما بعد مروي	3
كرمة	1

جاء توزيع الموضوعات التي شملتها الرسائل العلمية فقد كانت على النحو الموضح في الجدول التالي:

جدول (3): جدول يوضح توزيع البحوث حسب الموضوعات

الموضوعات	عدد الرسائل
المتاحف	11
علم الآثار البيئي	4
إدارة المصادر التاريخية و الثقافية	4
الفخار	3
السياحة الأثرية	1
الرئيسيات	1

1	الأنثروبولوجيا الطبيعية
3	الفنون
1	الأحفريات
1	نظم المعلومات الجغرافية
2	الإنثوغرافيا
2	العمارة
1	الدراما

في ملخص سريع لهذه الجداول يمكننا تلخيص ملاحظتنا عليها على النحو التالي:

- بناءً على هذه الإحصاءات توصلنا إلى وجود عدم توازن في توزيع البحوث على أنحاء السودان المختلفة، حيث نال وسط السودان وشماله نصيب الأسد من هذه الرسائل بينما لم يظهر الشرق في هذه البحوث. أما غرب السودان فقد كان نصيبه رسالة واحدة فقط.
- في توزيع موضوعات الرسائل فقد كان نصيب الأسد لصالح البحوث حول المتاحف.
- بمراجعة الحقب التاريخية التي غطتها البحوث وجدنا أن هناك رسالة واحدة فقط تناولت حقبة حضارة كرمة وثلاث فقط تناولت حقبة ما بعد مروي.

تحديد مشكلة برنامج الدراسات العليا:

من خلال تتبعنا لتاريخ برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار لمسنا عددا من المشكلات، إلا أن المشكلة الأولى في نظرنا تكمن في عدم وجد خطة إستراتيجية لبرامج القسم عموما وبرنامج الدراسات العليا بصورة خاصة تسهم في حل القضايا الأثرية الشائكة.

عدم وضع خطة واضحة للبرنامج تتضمن توزيع موضوعات البحوث ومناطقها على خارطة أثرية تغطي كافة جوانب النقص في هذين الاتجاهين.

التكلفة العالية التي يتكفلها الطالب خلال إجراء العمل الميداني، والذي هو أساس البحوث الأثرية ولا يكون دونها. مثل تكاليف السفر والتنقل لإجراء المسوحات والحفريات الأثرية، تكاليف العمال المساعدين، تكاليف الأدوات المستخدمة في المسح والحفريات الأثرية.

إن انعكاس هذه المشكلات على برنامج القسم يظهر في عدم التوازن في توزيع البحوث والدراسات الذي يظهر في تحليلنا لها على مستوى توزيعها الجغرافي، وتنوع الموضوعات. فيجب وضع برنامج يضع في

اعتباره الاتجاهات وتنوع الموضوعات والحقب التاريخية لتكون مخرجات البرنامج قد شاركت وبفعالية في كشف الغموض عن بعض قضايا الآثار السودانية.

أهداف المقترح:

نهدف من هذه الدراسة إلى إعداد خطة لتطوير برنامج الدراسات العليا يتم من خلالها معرفة مواطن الضعف والقوة في إدارة البحوث والدراسات وتنوعها، والعمل على تطوير برنامج القسم لكي تصل بمخرجاتها لما يصب في تطوير المفاهيم والمعارف حول التراث وإدارته في السودان.

نتوقع من الخطة وضع استراتيجية وطرق جديدة لتناول قضايا الآثار السودانية وموضوعاتها. كما تساهم في مساعدة القسم على تطوير مناهج وطرق تدريس ترتقي بالقسم لمستوى المنافسة بالتقييم العالمي لبرامج التعليم العالي.

آلية البرنامج المقترح:

تكون آلية البرنامج في تحقيق أهدافه عبر عدة نقاط نوجزها في التالي:

- إعداد خطط لمشاريع بحثية تهدف لضم عدد من طلاب الدراسات العليا، للمساهمة في كشف قضايا الآثار السودانية، فوضع بحوث طلاب ضمن مشاريع بحثية كبيرة قد يكون حلاً لمشكلة تمويل بحوث الطلاب.
- استهداف مناطق بعينها لعمل مسوحات وحفريات بواسطة توجيه طلاب الدراسات العليا وتشجيعهم للمساهمة في تغطية المناطق التي بها قلة وندرة في العمل الأثاري ووضعها ضمن خارطة السودان الأثرية.
- وضع مخرجات برنامج الدراسات العليا في مقالات وبحوث منشورة في دوريات محكمة.
- تضمين بحوث طلاب الدراسات العليا ضمن مشاريع بحثية مشتركة للقسم مع المؤسسات المحلية والخارجية تساهم في تدريب طلاب الدراسات العليا ميدانياً.

الشركاء بالبرنامج المقترح:

لابد من أن يقوم القسم في تخطيطه وتنفيذه لهذا البرنامج المقترح من الدخول في شراكات مع عدد من الجهات الفنية والداعمة، فالبحث الأثاري يعد من البحوث المكلفة مادياً في تنفيذ العمل الميداني والاختبارات المعملية وغيرها من التكاليف التي قد تحد من إمكانية وصول الطالب واستقراره وتنفيذه

لدراسته على الوجه المطلوب.

كما يحتاج القسم أيضا إلى عدد من المعينات التكنولوجية والفنية، والتي نقصد بها الحاجة إلى الاستعانة بالتطبيقات والمناهج العلمية المساعدة مثل تطبيقات هندسة المساحة والحاسوب وتقنيات التصوير والرسم وغيرها.

في محاولة منا لحصر الشركاء المتوقعين في المجالات المذكورة أعلاه قمنا بحصر الشركاء المحتملين على النحو التالي:

- الهيئة العامة للآثار والمتاحف
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- كلية الدراسات العليا بالجامعة
- أقسام علمية مختلفة بالجامعة والجامعات السودانية وغير السودانية
- المعامل العلمية ذات التخصصية المختلفة (فيزيائية، كيميائية، أحيائية...)
- الجمعيات والمنظمات الداعمة ذات الصلة بالآثار السودانية
- المجالات والدوريات الأثرية المهتمة بالآثار السودانية

الموارد والأدوات المطلوبة:

بداية للخطة نستعين بموارد قسم الآثار والأقسام العلمية التي سوف تشارك في المشاريع البحثية من داخل الجامعة، المتمثلة في أدواتها ومعاملها وغيرها من الموارد.

استجلاب الدعم بطرح المشاريع البحثية المقامة بقسم الآثار إلى الجمعيات والمؤسسات المهتمة بمجال دعم بحوث الآثار السودانية.

توزيع المهام والمسؤوليات:

توزيع المهام والمسؤوليات على جميع أعضاء قسم الآثار، بحيث تتناسب المشاريع البحثية مع تخصصاتهم واهتماماتهم للاستفادة من خبراتهم البحثية. كما توزع المهام والمسؤوليات ما بين الشركاء المحتملين كل حسب دوره الفني أو الدعم المادي أو الدعم اللوجستي.

الفترة الزمنية المقترحة وعدد البحوث:

يتم وضع جدول زمني تنفذ فيه الخطة الإستراتيجية بعد تقسيمها إلى عدد من الفترات الزمنية، يراعى فيها توزيع الموضوعات ومناطق البحوث، والاتجاهات البحثية وتكامل كل المراحل للوصول إلى تغطية أو سد جانب من جوانب قضايا الآثار السودانية.

متابعة مدى تقدم الخطة وعمل تقويم دوري لمخرجاتها بنهاية كل فترة زمنية، وذلك بوضع عدد من المقاييس لقياس مدى فاعلية وجودة مخرجاتها.

التوصيات:

نوصي في ختام هذه الورقة بعدد من التوصيات التي نتمنى أن تسهم في تطوير خطتنا لتطوير البرنامج منها:

- ضرورة الاستعانة بالتقويم الخارجي لبرامج قسم الآثار ومخرجاته.
- تفعيل سمנارات تقديم مقترح البحوث وسمنارات أخرى لعرض النتائج التي توصلت لها البحوث، وذلك لضمان جودة البحوث وإسهامها العلمي.
- تطوير آليات الإشراف العلمي على الرسائل العلمية وتقويمها.
- تطوير إدارة الابتعاث والإيفاد لتبادل الخبرات في مجال البحوث العلمية.
- المشاريع البحثية الحقلية للقسم وإسهامها الواضح في تدريب خريجي الدراسات العليا وتسهيل عمليات الحصول على البيانات وإجراء البحوث الميدانية المكلفة.
- نوصي بأن تكون هناك بحوث مرتبطة بمسوح أثرية لتغطي أنحاء السودان المختلفة للمساهمة في عمل خارطة أثرية للسودان.
- تبني برامج للتدريب على الصيانة ووضع منهج واضح لدراسة الفخار والبيئات القديمة لأهمية ذلك في تأسيس علم الآثار السودانية وتطويره.
- تطوير برنامج دراسات عليا بالمقررات يتواكب مع التطور في مجال علم الآثار والعلوم ذات العلاقة المباشرة بالصيانة والمتاحف والعمل الميداني وفحص اللقى الأثرية.
- وضع لائحة داخلية وتفعيلها تنص على ضرورة نشر ورقتين علميتين على الأقل من مادة البحث في إصدارات محكمة بوصفه شرطاً أساسياً لنيل درجتي الدكتوراه الماجستير وذلك لضمان جودة المادة العلمية وأصالتها.

الأعمال الآثرية في إقليم الشرق الثقافي: من خلال دراسات وأبحاث جامعة الخرطوم

د. أحمد حسين عبد الرحمن آدم
أستاذ مشارك. قسم الآثار. جامعة الخرطوم

المستخلص

تعد منطقة البحر الأحمر السودانية وشرق السودان من المناطق ذات الأهمية الأثرية الكبيرة، وقد جاءت هذه الأعمال ضمن مشروع البحث الأثري والتراثي والبيئي لمنطقة البحر الأحمر وشرق السودان، كما شملت منطقة المشروع بعض مكونات جزيرة سواكن التي تعد من أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان، وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر وسلسلة جباله حتى أعالي نهر النيل ومنطقة كسلا، وهي مناطق ذات أهمية تاريخية وثقافية خاصة. وكانت نتائج العمل الميداني خلال هذه المواسم واعدة ومثيرة للاهتمام، حيث أظهرت المواقع المكتشفة ثراء المنطقة بالمواقع الأثرية التي تعود إلى فترات مختلفة. كما تضمنت نتائج الدراسة أيضاً الموانئ القديمة ومواقع الدفن والقطع الأثرية التي توفر رؤى حول الأنشطة الاقتصادية والدينية والاجتماعية لسكان المنطقة. وتؤكد هذه الاكتشافات على أهمية ساحل البحر الأحمر السوداني وشرق السودان بوصفه مركزاً للتواصل والتبادل الثقافي، مما يساهم في فهم أوسع للتراث الأثري للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: البحر الأحمر، سواكن، ميناء عقيق، شرق السودان، البجة، عيذاب

Abstract

The Sudanese Red Sea area and eastern Sudan are regions of significant archaeological importance these works came within the project of archaeological, heritage, and environmental research for the Red Sea region and Eastern Sudan, The project area also included some components of Suakin Island, which is considered one of the most important Islamic ports in Eastern Sudan, as well as the Red Sea coast region and its mountain range, up to the upper Nile River and the Kassala region, which are regions of special historical and cultural importance. The results of the fieldwork during these seasons were promising and interesting, as the sites discovered demonstrate the region's richness in archaeological sites dating back to different periods. The results of the study also findings include ancient ports, burial sites, and artifacts that provide insights into the economic, religious, and social activities of the region's inhabitants. These discoveries underscore the importance of the Sudanese Red Sea coast and eastern Sudan as hubs of connectivity and cultural exchange, contributing to a broader understanding of the region's archaeological heritage.

Keywords: Red Sea, Suakin, Aqiq Port, Eastern Sudan, Beja, Aydhab

تمهيد

تُعد منطقة شرق السودان وساحل البحر الأحمر السوداني من المناطق ذات الأهمية الأثرية والتاريخية الكبيرة، حيث تخر بتاريخ طويل يعكس التفاعل الحضاري والتجاري بين إفريقيا والعالم الخارجي. لقد لعبت هذه المنطقة دوراً محورياً باعتبارها جسراً للتواصل بين شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا عبر البحر الأحمر، مما جعلها مركزاً للتبادل الثقافي والتجاري منذ العصور القديمة. وقد لعب إقليم شرق السودان دوراً أساسياً في عملية انتشار الحيوانات والنباتات المستأنسة في الألفية الرابعة قبل الميلاد لكونه يمثل حلقة الوصل التي ربطت بين وادي النيل والمرتفعات الإثيوبية والإريترية، كما أن توفر المحاصيل المستأنسة القادمة من الشرق الأدنى عبر وادي النيل قد يكون له أيضاً تأثير مباشر في استراتيجيات استغلال الأنواع النباتية المحلية مثل الذرة، والتي أظهرت في نهاية المطاف تكيفاً وملائمة للظروف البيئية المحلية أكثر من محاصيل الشرق الأدنى. لا شك أن هناك نقطة لبداية العمليات التي أدت إلى ظهور الذرة المدجنة في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد، وهو دليل أثري يوضح أن أول ظهور للذرة في العالم كان في منطقة شرق السودان (Manzo 2017, 32).

تكشف الدراسات الأثرية في هذه المنطقة عن وجود مواقع أثرية غنية تتنوع بين الموانئ القديمة، والمدافن، والمستوطنات التي تحمل آثاراً تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وعصور الممالك السودانية القديمة مثل مملكة كوش، والعصور الإسلامية. كما تسلط الاكتشافات الضوء على الأنشطة الاقتصادية التي كانت سائدة، مثل التجارة البحرية، وصيد الأسماك، والزراعة، إلى جانب التأثيرات الثقافية والدينية التي مرت على المنطقة. إن دراسة الآثار والتاريخ في شرق السودان وساحل البحر الأحمر تسهم في فهم أعمق للتطورات الحضارية في المنطقة، وتعزز إدراكنا لدور هذه المنطقة بوصفها مركزاً رئيسياً للتواصل الإقليمي والدولي عبر العصور.

إن منطقة شرق السودان هي المكان الفعلي الذي تسكنه كل قبائل البجا في السودان فضلاً عن أن لها فروعاً من قبائلها في إريتريا وذلك لوجود علاقات قديمة بين المنطقتين ذات سمات جغرافية وتاريخية. إن شرق السودان هو الإقليم الذي يمتد موازياً للبحر الأحمر من بئر شلاتين شمالاً وحتى الحدود الإترية جنوباً ومن البحر الأحمر شرقاً حتى نهر عطبرة (أتره) غرباً وتتخلل جبال البحر الأحمر الوديان والخيران حيث يكون الطقس وكمية مياه الأمطار ملائمين لزراعة الذرة والدخن.

السمات الجيولوجية والبيئية والطبوغرافية لإقليم شرق السودان:

تميز الإقليم بالعديد من الخصائص الطبوغرافية التي ميزته عن غيره من الأقاليم الأخرى. ونجد أن

الظواهر الطبيعية والمناخ تشكل وحدة تضاريسية متميزة من حيث الشكل والصفات الوعرة التي فرضتها طبيعة إقليم الشرق المتمثلة في البحر الأحمر وتلاله، والتي تمثلت في امتدادها العام بمحاذاة خط ساحل للبحر الأحمر الحافة الأساسية للأخدود الأفريقي العظيم مما أكسبها تفاصيل وملامح خاصة (الشامي، 1973م، 43). وقد سمي البحر الأحمر بعدة مسميات وفقاً لموقعه من السواحل أو المدن التي تطل عليه فسمي مرة ببحر القلزم نسبة لمدينة القلزم الواقعة عند نهاية خليجه الغربي ومرة أخرى ببحر ايلة، كما عرف أيضاً بالبحر الحجازي وسمي مرة ببحر النعام ومرة أخرى ببحر عيذاب وسماه ابن جبير بالبحر الفرعوني، وابن رسته ببحر جدة عن ساحل مكة، بينما سماه الهمداني ببحر الحجاز عند ساحل المدينة وبحر اليمن عند سواحل اليمن وسمي بالبحر الأحمر اختصاراً لاسمه القديم بحر الملك الأحمر Erythraean، ثم اختصر الاسم إلى البحر الأحمر، فالبحر الأحمر يمتد بشكل طبيعي نحو خليج عدن والمحيط الهندي، وينشط في اتجاه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي، والجزء الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية، لذلك يمثل البحر الأحمر وخليج عدن في مركزيهما أخدوداً عميقاً، وقد أسهما بوصفهما مسطحات للنقل أكثر من كونهما عوائق في تحقيق الاندماج بين الجزيرة العربية وبلاد النوبة والصومال (داجنت، 2013م، 15).

تنحصر التركيبة الطبيعية لمنطقة البحر الأحمر في البحر نفسه وتلاله والسهول الساحلية بالإضافة إلى المنحدرات الغربية لتلال البحر الأحمر كما نلاحظ أن هذه الوحدات تتدرج من الارتفاع إلى الانخفاض ثم المنحدرات (خوجلي، 2010م، 25)، والتي تغطي مساحات واسعة من الرواسب الغرينية ورواسب الخيران والدلتا، ومثال لتلك المنحدرات في الإقليم الشرقي المجاري الموسمية، بالرغم من عدم وصولها للنيل إلا أنها تسهم بشكل فعال في تكوين مساحات مغطاة بالطمي الذي ترسبه كل عام في شكل دلتا واسعة ومن بينها خور القاش وخور بركة والأخير يتجمع عند مرتفعات الحبشة، ويتكون في إريتريا من رافدين هما بركة وعصبة ويتصل به بعد دخوله السودان بخور لانجب الذي يأتي من المرتفعات الواقعة شمال دلتا القاش من الأمطار بينما يوزع خور بركة مياهه على سهل طوكر، يعد نهر القاش وبركة من الخيران المهمة التي تحمل الطمي في السودان حيث يغرق نهر القاش الدلتا في منطقة كسلا أثناء موسم هطول الأمطار، ويروي خور بركة منطقة طوكر الزراعية التي لا تقل عن نصف مليون فدان، وإذا كان موسم الخريف ناجحاً قد تصل مساحة الأراضي المروية إلى أكثر من ذلك، كما أنها مقسمة إلى أحواض عديدة (Fleming 1920, 13).

ومن المؤكد أن الظروف البيئية للمنطقة خضعت لعدة تغيرات عبر العصور المختلفة في جزء من الهولوسين، ففي بداية الألف السادسة قبل الميلاد كان مناخ المنطقة مشابهاً للظروف الرطبة لشمال أفريقيا. وفي منتصف الهولوسين بدأ تذبذب المناخ ليتحول لمزيد من الجفاف، ليصبح الجفاف أكثر وضوحاً في منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (Manzo 2017, 11).

ومن الملاحظ التباين الكبير في المناخ بين إقليم شرق السودان وبقية أنحاء السودان، فنجد أن الرياح الشمالية الشرقية هي المسؤولة عن تهطل الأمطار في إقليم شرق السودان خلال شهر يناير، أي أن المنطقة تتمتع بأمطار شتوية، خلافاً لكل مناطق السودان الأخرى التي تشهد هطول الأمطار في فصل الصيف. كما تميز الإقليم الشرقي بموقعه الجغرافي المثالي رابطاً بين الشرق والغرب وبين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، وفيه يأخذ حوض البحر الأحمر شكلاً مستطيلاً يضيق كلما اتجهنا شمالاً وجنوباً، ويمتد على جانبه الغربي نهر النيل وروافده، بالإضافة إلى العديد من الأنهار والخيران (Zahran 2010,104).

التاريخ السياسي والثقافات المبكرة لمنطقة الدراسة:

إن موقع الإقليم الشرقي أكسبه أهمية تاريخية تمثلت في علاقاته بالأقاليم المجاورة، ونظراً لأنه إقليم حدودي فامتدت علاقته أيضاً خارج حدود الدولة السودانية؛ فكان له دور فاعل في التجارة والحرب... الخ. كان البحر الأحمر من بين المناطق الأولى ذات الأهمية في الشرق الأوسط والتي تمت دراستها في وقت مبكر، فقد اكتشفها الأوروبيون منذ عام 1766 من قبل العالم الجغرافي ورسام الخرائط الفرنسي جان بابتيست بورغينيون Jean Baptiste Bourguignon وبعد ذلك بوقت قصير نشرت الحملة الملكية الدنماركية إلى شبه الجزيرة العربية أول تقرير مفصل عن الحجاز واليمن، بالإضافة إلى عمل الكاتب والرحالة الاسكتلندي جيمس بروس James Bruce وروايته عن رحلاته في أثيوبيا والنوبة والتي يمكن اعتبارها بداية الدراسة التاريخية والأثرية لمنطقة البحر الأحمر (Adam 2018, 189). فقد أشار الرحالة والمؤرخين إلى سكان ذلك الإقليم في كتاباتهم ولأزمان طويلة ساد الاعتقاد بأن بلاد بونت تقع في منطقة القرن الأفريقي. حالياً فإن غالبية الباحثين يطرحون رأياً مغايراً يرى أن موقع بلاد بونت في الساحل السوداني من البحر الأحمر. بالتالي، يرون بأن بلاد بونت شملت المناطق الساحلية حتى الحدود الشمالية لأريتريا والأرض الداخلية المجاورة للساحل تذكر النقوش المسيحية للملك عيزانا غزو النوبة للمنطقة إلى الشرق من نهر سيتيت، وهذا بدوره يؤكد ما ذهب إليه فاتوفيتش Fattovich إلى أن السكان القاطنين ما بين نهري التكاوي وبركة كانوا تابعين للسيطرة الاكسومية (Fattovich 1987,56). نجد أن كلا من زهالرز Zyhlarz وزيبليوس Zibelius طرحا رأياً بأن بلاد "جرس" المذكورة في قائمة البلدان لتحتمس الثالث تتطابق مع المنطقة الواقعة بين كسلا وقوز رجب. ويرى جارستانج Garstang أن "تسني" المسجلة في قوائم الأعداء على جدران معبد "إله الشمس" في مروي، تتطابق مع تسني الأريترية الواقعة على القاش على بعد حوالي 40 كم إلى الجنوب من كسلا (النور، 2004م، 4). بالإضافة إلى ذلك كان الاقليم حاضراً دوماً في كتابات الحضارات القديمة، فقد ورد ذكر البجا في أكثر من موضع. كما عرف الفراعنة البجا منذ أقدم العصور وأطلقوا عليهم لفظ البليميين واشتهروا في كتابات الفراعنة بالبقة وأطلقوا عليهم ميجا وتعني بالفرعونية المحارب واتصل الفراعنة بالبجا تجارياً (حسن، 2011م، 9)، وكانت العلاقات بين الطرفين متوترة فكلما قويت شوكة البجا ثاروا ضد الفراعنة

وأغاروا على مدنه. كما ورد ذكر البجا أيضا في نقش أكسومي يرجع للقرن الرابع الميلادي باسم بوجاتياي Bugaitae أيضاً شملهم اللفظ العرقي أثيوبيا وتعنى ذوو الوجوه المحروقة في بعض العهود (مسعد، 1959م، 4، ضرار، 1965م، 11). وفي نقش حتشبسوت ورد اسم قبيلتي نبي وإرم ضمن القبائل في بلاد بونت، ونبي هي أمو وهي المكان الذي يجلب منه الذهب...وقبيلة إرم كانت تقطن في الاتجاه الشرقي من النيل عند ملتقى نهر عطبرة والنيل (O'Connor 1984, 11). كان المصريون القدماء أول من اهتم بالبحر الأحمر وجعلوا منه وسيلة للأسفار البعيدة وطريقاً للمواصلات بقصد التجارة ويذكر أن ساحورع وهو أحد ملوك الأسرة الخامسة قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد الصومال رأساً وجلب منها الذهب والفضة (سبي، د.ت، 8).

تشير دراسة البضائع الغربية التي تم العثور عليها في محل تيجلينوس إلى أن أهل مجموعة القاش كانوا قد دخلوا في صلات مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية منذ أزمان طور مجموعة القاش المبكر (2700-2300 ق.م)، كما وأنهم أقاموا صلات تجارية مع كرمة الواقعة إلى الشمال من البطانة، وجنوب شبه الجزيرة العربية في طوري مجموعة القاش الوسطى 1900-2300 ق.م، والكلاسيكية 1900-1700 ق.م. واستمرت تلك الصلات مع كرمة والجزيرة وإثيوبيا وجنوب شبه الجزيرة العربية حتى طور مجموعة القاش المتأخرة (1700-1400 ق.م). بالإضافة إلى ما سبق ذكره ومن منظور التفسير المبدئي للنتائج المتحصل عليها من الأبحاث الأثرية الحديثة في شرق السودان فإن عملية تشكل المجتمع المعقد في شرق السودان، يبدو في صورته العامة كالتالي: نشوء مجتمع تراتبي اعتمد على شبكة التبادل التجاري مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية في طور مجموعة القاش المبكر. وأصبح أهل مجموعة القاش وسطاء بين كرمة وجنوب شبه الجزيرة العربية في طوري مجموعة القاش الوسطى والكلاسيكية. وتدل المسلات الرسمية التي تم الكشف عنها في محل تيجلينوس على أن بعض قطاعات السكان تمتعوا بامتيازات فيما يتعلق بالموارد الإستراتيجية، وهو ما ساعد على بروز قيادة قوية. ثبتت دعائم سلطات إدارية فاعلة بحلول طور مجموعة القاش المتأخر ارتبط ذلك بتوسيع شبكة التبادل مع مصر والنوبة والجزيرة وجنوب شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا. (النور، 2004م، 3).

إقليم شرق السودان في المصادر التاريخية:

كتب الرحالة والجغرافيون العرب وصفاً لمناطق شرق السودان مثل ابن حوقل وابن سليم الأسواني والمقريزي والدمشقي وغيرهم، حيث وصف بعضهم أراضيها وشعوبها وممالكها حيث أشاروا إلى أن ثلاثاً من الممالك كانت تقع ضمن الحدود الأثرية الحالية، والاثنان داخل الحدود السودانية. والثلاث هي مملكة بقلين، ومملكة جارين ومملكة قطاع. أما المملكتان الأخيرتان، وهما مملكة ناقص وبازين فكانتا خلف أسوان

جنوباً (سي، 1974 م، 77، مسعد، 1972 م، 118، 154، 159).

الأعمال والدراسات السابقة بالإقليم:

زار موقع محل تجلينوس بشرق السودان عدد من المقيمين البريطانيين وهواة علم الآثار، كما تمت زيارته أيضاً من قبل بعض علماء الآثار أمثال كيروان Kirwan، سانديسون ويلكم، Sandison Welcome، كما هو مذكور وموضح في سجل المتحف الوطني السوداني، وملفات محفوظات المؤسسة الوطنية للآثار (Manzo 2017, 4). إلا أننا نجد أن التنقيب الأثري الممنهج لشرق السودان حديث العهد. فمن وجهة نظر أثرية يعد شرق السودان غير مستكشف عملياً حتى العام 1967 م، وهي السنة التي قام فيها الفريق الأمريكي بقيادة جويل شاينر وآخرون بإجراء مسوحات أثرية بالقرب من منطقة خشم القربة في وادي نهر عطبرة الأوسط، وتوصلت نتائج أعمالهم إلى أن المنطقة ولأزمان طويلة خلت عبارة عن أرض موحشة يقطعها بدو لم يسهموا بقدر ملحوظ في التاريخ القديم لكوش ووادي النيل عموماً. أما قبل هذا التاريخ فليس من مسوحات أثرية متكاملة يمكن أن تكشف لنا عن الجوانب الثقافية والحضارية لإنسان المنطقة عبر الأزمنة السحيقة.

وفي العام 1917 م جمع كروفوت Crowfoot بعض المواد السطحية من "محل داقلانوس"، المعروف حالياً باسم محل تيجلينوس، والتي عدها من مخلفات أكسوم (Crowfoot 1928, 116). ومن أهم الأعمال دراسات هنكل في شرق السودان والتي قام من خلالها بوضع خريطة السودان الجغرافية (Hinkel 1992, 11) ومنذ عام 1981 م بدأ مشروع استكشاف مصحوب بعمليات تنقيب في شرق السودان، من قبل البعثة المشتركة لجامعتي الخرطوم وجامعة ميثودست في تكساس، وبعثة المعهد الجامعي للدراسات الشرقية لجامعة نابولي في المنطقة حول مدينة كسلا. وقد ركز المشروع على دراسة العلاقات بين شرق السودان ووادي النيل في مرحلة "العصر الحجري الحديث"، أيضاً تم تسجيل بعض البقايا الأثرية التي تشير إلى بداية الحقبة الإسلامية في المنطقة، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

أما أول برنامج كبير للتنقيب الأثري المنهجي لشرق السودان بدأ في العام 1980 م، وكان يهدف للتحقيق في بداية العلاقات بين وادي النيل والمرتفعات الإثيوبية والإريتريّة في العصور القديمة، وقد قامت به جامعة نابولي. وتوصلت النتائج المبدئية لأعمال البعثتين إلى وجود تواتر ثقافي يغطي مجمل الفترة من الألفية العاشرة قبل الميلاد وحتى القرن الثامن الميلادي. وقد دلت المسلات التي تم العثور عليها في محل تيجلينوس على أن بعض الفئات السكانية قد تمتعت بامتيازات دون غيرها من المجموعات خاصة فيما يتعلق بالموارد الإستراتيجية، وهذا بدوره ساعد في بروز قيادة قوية وتثبيت دعائم سلطات إدارية فاعلة، ارتبطت بتوسيع شبكة التبادل مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا (Manzo 2017, 5).

كذلك كانت هناك أعمال من ضمن مشروع البحث الأثري في شرق السودان في عام 1980م بواسطة جامعة أوريغونال الإيطالية بقيادة فاتوفيتش Fattovich شمل العمل الأثري المناطق حول دلتا القاش والسهول المجاورة لجبل قولسا الذي يقع على الحدود الإثيوبية وحتى منطقة أريبا وبعض المناطق التي تقع في الاتجاه الجنوبي لكسلا. وقد انتهت نتائج البحث الأثري إلى وجود تواتر ثقافي يغطي مجمل الفترة من الألفية العاشرة قبل الميلاد وحتى القرن الثامن الميلادي، ليس فقط من النواحي الثقافية والثقافة المادية، بل شملت الخيارات الاقتصادية وخصائص الإقامة والاستقرار والديموغرافيا (Fattovich 1989, 20-23).

كذلك الدراسات التي قام بها اندريا مانزو وهي واحدة من أهم الدراسات الأثرية التي تمت في منطقة الشرق على الإطلاق، إذ تميزت بالشمول والموضوعية، في الوقت الذي تضمنت أهم نتائج المسوحات والحفريات السابقة لها. وخلص إلى كثير من النتائج أهمها: إدراج إقليم شرق السودان ضمن الخارطة الأثرية السودانية منذ أقدم العصور وبتسلسل مدعم بالأدلة الأثرية، بل أثبت أن إقليم شرق السودان كان حلقة الوصل التي ربطت بين مختلف الثقافات.

كما قام كريم صدر بدراسة عام 1991م عن تطور البداوة، تناول فيها تاريخ المجتمعات الرعوية بمنطقة البطانة وشرق السودان حيث عثر على مجموعة رعوية قديمة تسكن في منطقة الدلتا أطلق عليها اسم مجموعة القاش. بالإضافة إلى دراسة أنماط الاستيطان في فترة عصور ما قبل التاريخ جنوب عتاي وشرق ووسط السودان (Sadr 1988, 18). ومن بين أهم الأعمال دراسات قرين لو في مدينة سواكن (Greenlaw 1995, 13) التي تظهر أهمية المنطقة وراثتها منذ العصور القديمة، فقد كان هناك نشاط في موانئ البحر الأحمر منذ فجر التاريخ، حيث وردت الإشارة إلى سواكن وعيداب وباضع منذ عصر الدولة المصرية القديمة.

وفيما بعد ورد ذكر المنطقة في عصر الدولة المصرية الحديثة، حيث أشارت الملكة حتشبسوت إلى أنها أرسلت حملة إلى "بلاد بونت"، أي الساحل الجنوبي المصري للبحر الأحمر؛ ويؤكد بعض علماء المصريات أن ذلك كان في السودان. وقد أشار المؤرخ الروماني بلييني الأكبر أن بطليموس الثاني والثالث أنشأوا محطات تجارية على الساحل السوداني، والتي إلى جانب دورها التجاري استوردت الحيوانات من أفريقيا للملك البطالمة، ولكن الدور التاريخي لهذه الموانئ تطور على أيدي التجار العرب قبل الإسلام وبعده. كما كانت هناك العديد من أوجه التشابه بين المواد الأثرية التي تم الكشف عنها في عيداب وباضع بتلك التي توجد في كثير من أنحاء الجزيرة العربية. الشيء الذي يؤكد وجود صلات وروابط تاريخية عميقة بين السودان خاصة مناطق ساحل البحر الأحمر وأنحاء عديدة من الجزيرة العربية في مختلف العصور. (Greenlaw 1995, 14, 23)

أعمال الباحثين السودانيين:

تشمل الدراسات الأثرية في حدود الإقليم مثل دراسة عباس سيد أحمد عام 1980م والتي كانت ضمن بعثة سودانية - أمريكية مشتركة عن ظهور واضمحلال القرى الزراعية في سهل البطانة (حول مدينة خشم القربة بشرق السودان) (سيد أحمد، 1980م، 65، 67). كذلك دراسة الأنور عبد الماجد عن مدافن منطقة أركويت والتي أرجعها إلى القرن العاشر الميلادي (AL Anwar. 1995)، كذلك دراسة اثنواركيولوجية لـ (أبو عبيدة الماحي) في عام 2010م تناول فيها نماذج لبعض عادات البجا وتقاليدهم عن طريق مقارنة العادات والتقاليد المحلية الحالية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية (الماحي، 2010م، 71-87). أيضاً نظمت الهيئة العامة للآثار والمتاحف أعمالاً إنقاذية في منطقة كسلا في الفترة من 2010م-2013م في نطاق بحيرة السد (سدي نهر عطبرة سيتيت)، وقد أسفرت نتائج المسوحات الإنقاذية عن اكتشاف نحو 137 موقعاً أثرياً يعود معظمها لفترات ما قبل التاريخ (تقرير الهيئة القومية للآثار، 2010م، 1-19).

الأعمال الأثرية الحديثة لجامعة الخرطوم في شرق السودان:

فكرة المشروع:

يمثل مشروع البحر الأحمر نقطة مهمة في تاريخ العمل الأثري والثقافي في السودان حيث تنبع الأهمية من خلال أهداف المشروع وأغراضه وما يُملّيه الإحساس الملّح بالمسؤولية الأخلاقية والأكاديمية تجاه الآثار السودانية بشكل عام، والنهوض بالدراسات الأثرية الميدانية بصورة خاصة بأساليب حديثة تتناسب وروح العصر ولتحقق أهدافاً أكثر استراتيجية في خدمة التاريخ الثقافي للسودان المعاصر الذي ما يزال أرضاً بكرًا تحتاج للكثير من المشاريع الأثرية الجادة التي تنطلق من رؤية شاملة تعنى بالمساهمة الإيجابية في قضايا التركيب الثقافي، وفي وضع اللبنة الضرورية للمشاريع الوطنية السياحية.

وفق هذا المنظور يمثل مشروع البحر الأحمر بوابة السودان الشرقية لتسليط الضوء على منطقة جغرافية ذات أهمية تاريخية وأثرية وثقافية من خلال موقعها الجغرافي الساحلي الذي يجعل منها بوابة طبيعية لحدود السودان ربما ساهمت ولفترات طويلة في صياغة التطورات التاريخية والثقافية والاجتماعية لسودان وادي النيل من الناحية التاريخية، ولاحتوائها على بنية من المواقع الأثرية ذات الأهمية في تاريخ السودان بالعصر الوسيط وربما فترات أخرى أبكر من ذلك ولاحتوائها على موروث ثقافي غني يشمل في داخله تعدداً اثنياً ولغوياً وثقافياً يربئ المنطقة لأن تحظى بشرف احتضان عمل أثري شامل يستصحب في أساليبه الاستعانة بعدد من العلوم الإنسانية الضرورية إلى جانب علم الآثار في إدارة المصادر الثقافية مثل الانثروبولوجيا والفلكلور واللغات القديمة والأنثروبولوجيا الفيزيائية فضلاً عن العلوم المساعدة كالجيولوجيا

والمورفولوجيا والجغرافيا والبيئات القديمة والبيطرة والطب وعلم النبات والحيوان وعلم الحاسوب. إذن هذا المشروع هو عبارة عن دراسة أثرية شاملة تسعى لتنمية آثار الشرق من خلال الاستكشاف، المسح، التنقيب، ومن ثم الصيانة والترميم بغرض استدامة التراث المادي وغير المادي واستمراره ولاستهناؤه لخدمة أغراض وطنية سياحية ذات فائدة بجعله جاذباً ومهيأً للعب هذا الدور.

الموقع والأهمية:

تتكون منطقة المشروع من بعض مكونات جزيرة سواكن التي تعد أحد أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر والسلسلة الجبلية به وحتى أعالي نهر النيل ومنطقة كسلا وهي مناطق ذات أهمية (تاريخية وثقافية خاصة، فالموقع الساحلي المطل على البحر الأحمر قد كان بمثابة بوابة طبيعية للسودان ربما منذ فترات التاريخ القديم غير أن المؤكد هو أهمية الموقع من الناحيتين التاريخية والثقافية بالفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة سيما مع حركة انتشار الإسلام على سواحل شرق إفريقيا والسودان الشرقي الذي يشمل في حدوده سودان وادي النيل الذي تقع المنطقة ضمن حدوده السياسية والجغرافية. وكذلك امتدادها حول البحر الأحمر جنوباً إلى منطقة عقيق والجزر ما حولها، وغرباً حول الأودية والسلاسل الجبلية للبحر الأحمر ومنطقة أعالي نهر النيل في مناطق خور نبت، وبامتداد حول سواكن وغرباً حتى حدود منطقة كسلا الشمالية والغربية، بين الخطوط:

من الشمال: ° 01.31.14 N. 21°05.18.51 E.

ومن الجنوب: ° 41.36.2237 N. 19°60.15.20 E.



لوحة رقم (1) صورة عامة لمنطقة الدراسة



خريطة رقم (1) عامة لجزيرة سواكن وما حولها

مبررات قيام المشروع:

المبررات التي حفزت لاقتراح المشروع هو الغني الذي تشهده المنطقة من الناحية الأثرية والتاريخية والجغرافية بمختلف فترات التاريخ الثقافي سواء أكان ذلك بفترات ما قبل التاريخ أو العصور التاريخية الأمر الذي استدعى التحرك العلمي والعمل الجاد لإدارة المصادر الثقافية التي تحويها المنطقة توطئة لجعلها مركزا سياحيا مساهما في حركة النشاط السياحي المحلي والإقليمي والعالمي مع العلم بأنها تصلح أن تلعب هذا الدور من خلال المعطيات الميدانية الأولية المتوفرة بها. وقد وضع بالفعل غنى المنطقة آثريا وثقافيا من خلال المواسم التي تم إنجازها خلال العامين الماضيين.

أهداف المشروع:

هدف المشروع إلى:

1/ أبحاث الآثار عن طريق المسح والتنقيب بواسطة الوسائل المختلفة ثم الوصول إلى دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية البشرية والعمرانية لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة. وكذلك دراسة الالتقاء، أو التداخل، أو التكامل أو الانصهار الثقافي والبشري مع الثقافات الوافدة لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة. بالإضافة إلى معرفة التركيب الثقافي لمناطق البحر الأحمر التي لم تتم دراستها من قبل وذلك من خلال فريق عمل متكامل يشمل علماء ومتخصصين في المجالات ذات الصلة كافة.

- 2/ معرفة البيئة القديمة من خلال الدراسات العلمية المختلفة ثم التعرف على علاقة البحر الأحمر وجزيرة سواكن بالمناطق المجاورة في وسط السودان والدول المجاورة في حول المنطقة مثل جدة بالمملكة العربية السعودية وجيبوتي واليمن الخ من حيث الاتصال الثقافي والطبيعي والأحيائي ومقارنتها بمناطق شرق السودان حول البحر الأحمر ومنطقة كسلا وأعالي نهر النيل. بجانب دراسة العوامل البيئية والتاريخية المعلومة التي دفعت إلى التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني لمنطقة الدراسة.
- 3/ توثيق التراث الشعبي بالمنطقة التي انتجت المجموعات القاطنة بالمنطقة تراثاً فريداً حيث يمكن القيام بدراسة التحولات الإنسية والاقتصادية في منطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة وذلك في مختلف المجالات مثل الجمع الشفوي (الشفاهي) والطب الشعبي والفولكلور والأدب الشعبي، وأسماء الأماكن، ودلالاتها الثقافية والحضارية.
- 4/ ربط كل المعلومات من المشاريع الأخرى المحلية وحتى يتم تحقيق هذه الأهداف بإجراء دراسات ميدانية مكثفة لكل المواقع والمواد الأثرية المتحصلة بمنطقة الدراسة حيث أن مثل هذا النوع من الدراسات هي فقط التي تمكننا من دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية والبشرية والعمرانية حيث يمكن بناء الدراسات الفولكلورية والاجتماعية والبيئية على نتائجها وعلى متابعة المجتمعات الحالية في منطقة الدراسة وتاريخها القريب المعلوم من خلال دراسة خصائص المجتمعات الحالية اللغوية والفولكلورية والاجتماعية والبيئية في وضعها الحالي وفي تاريخها المعلوم إثنياً وشفاهياً وتاريخياً حيث تساعد كثيراً على خلق الدراسات المقارنة واستنباط القوانين التي يمكن استخدامها لتفسير "التغير الثقافي" في فترة ما قبل التاريخ والفترات التاريخية وعلاقتها بالفترات الإسلامية المبكرة والمعاصرة.

طبيعة المشروع:

يعد مشروع جامعة الخرطوم الذي يديره قسم الآثار مشروعاً علمياً جاداً يستعمل أسلوب الدراسات الميدانية والتحليل المعملية للعلوم المتداخلة المختلفة لخلق نموذج علمي تطبيقي متكامل للدراسات الثقافية، والبيئية الاجتماعية، التاريخية حيث حقق العديد من النتائج المثيرة للاهتمام من خلال الدراسات التي أجراها المشروع، كما سعى المشروع لتحقيق مبدأ تداخل العلوم الثقافية والاجتماعية بالتركيز المباشر على العوامل الإنسانية والبيئية والتاريخية المحلية التي تداخلت لدفع التطور الثقافي والاجتماعي للمجتمعات السودانية. وبطبيعة الحال تؤدي دراسة هذه العوامل المحلية إلى إمكانية التعرف على خواصها لاستخدامها في برامج التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعات الدراسة. فضلاً عن المقترح الذي تم وضعه لإجراء العديد من أعمال الصيانة والترميم في المستقبل القريب وذلك محاولة منا لإعادة تركيب المواقع والمباني القديمة بمنطقة المشروع وجزيرة سواكن على وجه الخصوص والتي آلت إليها المدرسة التاريخية في سواكن بعد مجهودات إدارة جامعة الخرطوم وذلك لتكون مهبأة للسياح والدارسين والمهتمين

من مختلف مجالات العلوم الانسانية.

كما أن للمشروع جانباً تدريبياً حيث تم إلحاق طلاب السنوات المتقدمة وطلاب الدراسات العليا بجامعة الخرطوم والجامعات الأخرى لمختلف التخصصات ذات الصلة وكذلك مفتشي الآثار بالهيئة العامة للآثار والمتاحف لتأهيلهم في العمل الميداني المتداخل وفي الدراسات الإقليمية بغرض خلق كوادر سودانية مؤهلة، مع الالتزام الصارم بالنظام العلمي والعملية للمشروع.

أساليب العمل الميداني في المشروع ومناهجه:

أ. شملت دراسات المشروع: الآثار، الاثنوغرافيا، الانثروبولوجيا، البيئة. على أنه سوف يضم دراسات أخرى مستقبلاً مثل دراسة الاقتصاد المحلي وصناعة البروش والأدوات السعفية، والطب التقليدي. والذي جعلنا نركز في المرحلة الأولى من المشروع على دراسات الآثار، الاثنوغرافيا، البيئة والدراسات الاجتماعية هو الإيمان بأن معرفة العمق والمدة التاريخي والحضاري والثقافي للمنطقة وسكانها في إطار البيئة المحلية هي الخطوة الأولى لبدء أية مشاريع تنموية، سواء أكانت تلك مشاريع تنموية بشرية أو بيئية أو معرفية.

ب. بدأ العمل الأثري في المواسم الثلاثة الأولى في العام 2015 بتسجيل كامل لكل المناطق الأثرية الموجودة في المنطقة مستخدماً نظام التسجيل القومي، مما جعل المشروع جزءاً من الخطة العامة للهيئة العامة للآثار والمتاحف لعمل خريطة السودان الأثرية. تلا ذلك المسح المنظم للمواقع الأثرية حول منطقة سواكن وبعض سواحل البحر الأحمر مما أدى لمعرفة تاريخ الموقع بصورة جيدة وكذلك موجوداته الثقافية ثم تلا ذلك تصنيف هذه المواقع إلى مجموعات متسقة وفق التصنيف القومي للمواقع الأثرية. وبعد المسح الشامل تم تحديد بعض المواقع لعمل الحفريات بها في المستقبل.

ج. ركّز المشروع على دراسة المواد الأثرية خاصة الفخار وتصنيفه في مرحلته الابتدائية حيث أولى ذلك أهمية قصوى في المرحلة الأولى من عمل المشروع حيث إنه من المعروف أن لمثل هذه الدراسات أهمية قصوى للتزويد بالهيكل الزمني الذي يمكن من خلاله دراسة العملية الثقافية وسوف يُهتدى في هذا بالدراسات السابقة. ومن الخطط المستقبلية هي دراسة المخلفات الطبيعية والبيولوجية والأحيائية من عظام الأسماك والقواقع والحيوانات الأخرى لمعرفة التغيير البيئي واستمرارته بالمنطقة. وسنجري للغرض نفسه دراسة حبوب اللقاح لمعرفة الغطاء النباتي وتغيراته عبر العصور. بجانب إجراء دراسات أنثروبولوجية واجتماعية مكثفة لمجتمع منطقة الدراسة، كذلك إجراء بعض الدراسات النفسية لبعض المجموعات العاملة في مجال التنقيب العشوائي عن الذهب وأثر ذلك على المواقع والتنمية الاجتماعية بالمنطقة. ومن خلال العمل الأثري حاولنا الإجابة عن أسئلة كثيرة أهمها التعرف على طبيعة العمران الإنساني والسكاني لهذه المنطقة عبر القرون وما

هي العوامل التي تحدده؟. وكيفية الالتقاء الثقافي بين ثقافتين حيث تتم دراسة مجموعات البجة التي تمثل سكان الإقليم الأصليين مع نظيراتها من المجموعات الأخرى من داخل السودان إلى جانب المجموعات الأخرى من الدول المجاورة؟.

د. من الدراسات المستقبلية ذات الأهمية القصوى دراسة الممارسات الإنسانية ذات الجوانب المادية. مثلاً الزراعة وتربية الإبل والأدب الشعبي بالمنطقة. كذلك دراسة الفنون التشكيلية ومقارنتها بالفنون الحالية خاصة فن الرسم والزخرفة التي على المشربيات وغيرها. بجانب معرفة إمكانية عمل متحف شامل للتراث والآثار والثقافة للمنطقة في المستقبل - خاصة وأن المنطقة بها مقومات سياحية فريدة حيث وضعت اللبنة الأولى لهذا المشروع وتوقفت لأسباب لوجستية وضعف التمويل وخلافه.

فريق العمل العلمي والبحثي للمشروع:

تم تقسيم فريق العمل إلى التخصصات الآتية:

- 1/ البحث الأثري (المسح والتنقيب)
- 2/ البحث البيئي ويشمل مجالات العلوم والجغرافية
- 3/ الصيانة والترميم والهندسة المعمارية (إدارة المصادر الثقافية)
- 4/ الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية والدراسات اللغوية

ومن المناهج البحثية المتقدمة التي طبقها المشروع وحتى يكون العمل الميداني للمشروع البوتقة التي يتم فيها تبادل المعارف لفروع العلوم المختلفة المستخدمة في الدراسة تم العمل في مواسم بحثية مشتركة ظل فيها كل أعضاء فرق مجموعات الدراسة في الميدان في وقت واحد. وتحقيقاً لضرورة الاستقلالية العلمية وعدم المركزية في التفسير التي ربما تؤدي إلى ضيق أفق الدراسة فقد تقرر أن يكون للمشروع مدير عام هو الدكتور أحمد حسين عبد الرحمن - أستاذ مشارك - قسم الآثار - كلية الآداب جامعة الخرطوم، وتم اختيار المشرف العام والمستشار العلمي والأكاديمي ومسؤول العلاقات الثقافية للمشروع: بروفيسور انتصار صغيرون، بينما كان خبير إدارة المصادر الثقافية - البروفيسر علي عثمان محمد صالح، وبروفيسور أزهرى مصطفى صادق - مستشار فترات ما قبل التاريخ، وخبير البيئة بروفيسور يحي فضل طاهر، ودكتور عبد الرحمن إبراهيم سعيد مسؤول العمل الحقلي (قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم)، ويتولى مدير ميداني لكل فرع من العلوم المستخدمة في الدراسة المهام الموكلة إليه إلى جانب ممثل دائم للهيئة العامة للآثار والمتاحف.

إلى جانب مشاركة أعضاء بالمشروع من قسم الآثار جامعة الخرطوم:

د. هويدا محمد آدم ، د. حسني طه العطا ، د. نهى عبد الحافظ ، د. محمد الفاتح حياتي ، د. محمد البدري سليمان ، و أ. هناء عبد الجبار إبراهيم.

بالإضافة إلى أساتذة من أقسام الآثار السودانية الأخرى بالجامعات السودانية وبعض طالبات الدراسات العليا بقسم الآثار وهن سارة مأمون ومريم محمد محبوب وريان محبوب اللاتي صرن مساعدي تدريس في قسم الآثار الآن. وبعض طلاب الدراسات العليا بالقسم عمار عوض وفاطمة محمد عثمان. بالإضافة إلى مفتشي الآثار من مكتب البحر الأحمر ببيورتسودان وسواكن وهم معز شمس الدين، وعمر الفاروق، وشنقراي أحمد، وأونور عمر، وعدد من المتدربين من خريجي الآثار منهم عز الدين حجاج وأبو بكر عيسى، فاطمة شفاء، مرسى هاشم، أنفال البدوي، أمينة منور (جامعة النيلين)، وغيرهم، كما تمت دعوة آثاريين وذوي تخصصات أخرى أجنبية ومحليين حسب التخصص وحاجة المشروع لاستشاراتهم. منهم بروفيسور Anne Haur. Archaeologist. UEA – UK في موسم 2020 لدراسة آثار الساحل الشرق وميناء عقيق وبعض الأصداف البحرية (Haour & Adam. 2021). كذلك تمت دعوة بروفيسور اوهيوما Alemseged Ohioma Pogeson. Ethnographer – Nigerian و Beldados- Archaeologists - Addis Ababa University، كما شارك في الموسم الأول الأستاذ خالد حامد يوسف – وزارة الثقافة – مدير إدارة الفنون، مصور. إلى جانب مجموعة من العاملين بجامعة الخرطوم بوظيفة سائق وهم حسن القاسم، صلاح محمد عثمان، النور أحمد الطيب، وأونور محمد حامد من أركويت.

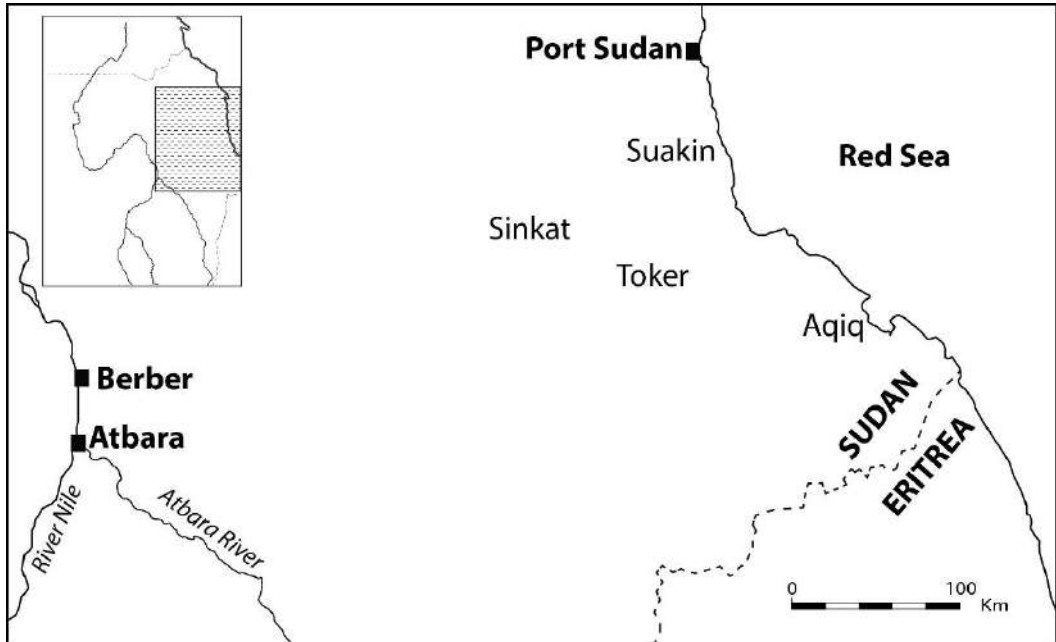
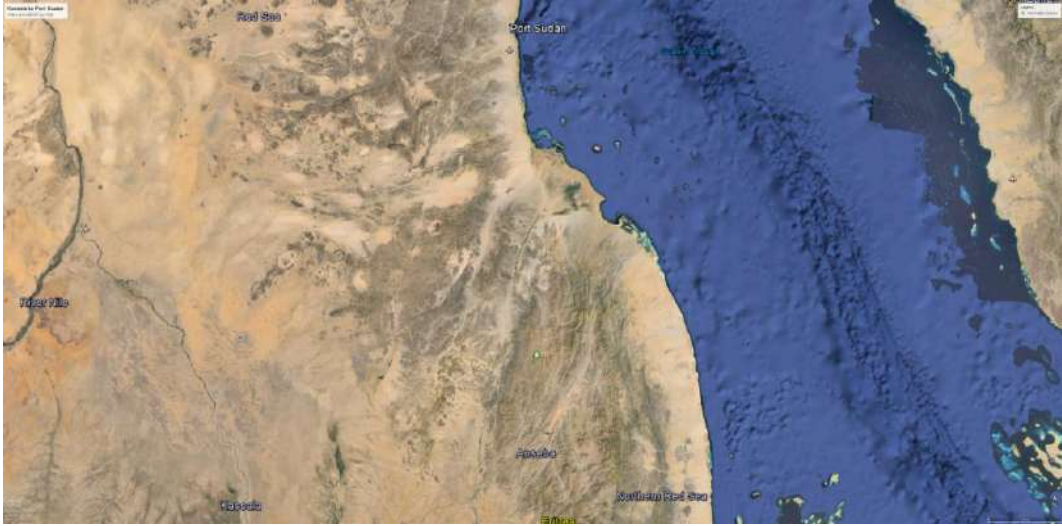
نتائج أعمال مشروع منطقة سواكن والبحر الأحمر للدراسات الأثرية والثقافية والبيئية:

بدأ العمل بواسطة قسم الآثار جامعة الخرطوم في تنفيذ المشروع ميدانياً في أكتوبر من عام 2015م واستندت فكرة المشروع على الدراسة الاثرية الشاملة والتي تسعى لتنمية آثار الشرق من خلال الاستكشاف، المسح، التنقيب، ومن ثم الصيانة والترميم، بغرض المساعدة في استدامة التراث المادي وغير المادي واستمراريته.

مواسم العمل الميداني ونتائجها الأولية للفترة ما بين 2015 إلى 2023

امتدت منطقة الدراسة من جزيرة سواكن التي تعد أحد أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر والسلسلة الجبلية به وحتى أعلى نهر النيل ومنطقة كسلا وهي مناطق

ذات أهمية (تاريخية وثقافية خاصة)، فالموقع الساحلي المطل على البحر الأحمر كان بمثابة بوابة طبيعية للسودان ربما منذ فترات التاريخ القديم ولا يزال. فقد تم العثور على العديد من المواقع الأثرية المتنوعة التي تعود لمختلف الفترات خاصة مناطق ساحل البحر الأحمر الجنوبي.



خريطة رقم (2). تبين منطقة البحث ما بين بورتسودان وكسلا ومنطقة عقيق

وقد تم دراسة بعض هذه المواقع الأثرية بواسطة الهيئة العامة للآثار والمتاحف وقسم الآثار جامعة الخرطوم، في (المسجد الشافعي)، (مبنى المحافظة وبيت خورشيد) وبعض الدراسات الاستكشافية التي تمت في مناطق بعيدة إلى الجنوب من طوكر وحول منطقة عقيق (قسم الآثار- جامعة الخرطوم ومعهد ماكدونالد للآثار بجامعة كمبردج).

وكان الهدف من المشروع دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية البشرية والعمرانية لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة، ودراسة التداخل أو التكامل أو الانصهار الثقافي والبشري مع الثقافات الوافدة لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة، ومعرفة التركيب الثقافي لمناطق البحر الأحمر التي لم تتم دراستها من قبل وذلك من خلال فريق عمل متكامل يشمل علماء ومتخصصين في المجالات كافة ذات الصلة.

أظهرت المسوحات الأثرية تحت الماء في جزيرة سواكن دلائل الاحتلال الذي يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر الميلادي، حيث تم اكتشاف عدد من المواقع الأثرية في ظل مشروع البحر الأحمر الأثري. ففي الموسم الأول سبتمبر 2015 يناير 2016 أجري مسح في المنطقة الواقعة بين سنكات وأركويت وخور نبت، وتم تسجيل العديد من المواقع الأثرية مثل المقابر والمباني التي تعود إلى الحقبة الاستعمارية، بالإضافة إلى اكتشاف حوالي 83 موقعاً أثرياً وترجع المواقع الأثرية المكتشفة في المنطقة إلى فترات مختلفة شملت عصور ما قبل التاريخ إلى العصور الحديثة مما يشير إلى غنى المنطقة بالمخلفات الأثرية والثقافية.

ومن أهم المواقع التي تم الكشف عنها في منطقة أركويت مقابر الأكرتيل Acrtail وهي نوع من المقابر المعروفة في شرق السودان، بالإضافة إلى ضريح قائد جيوش المهدي بشرق السودان الأمير عثمان دقنة، بالإضافة إلى مقابر إسلامية تعرف باسم مقابر طريق الحج إضافةً إلى تسجيل عدد من القباب.

امتد المسح الأثري ليسجل عدداً من المباني التاريخية مثل قصر النميري وقصر علي الميرغني والإسطنبول الذي يتكون من عدد من الوحدات ومسبح كبير مع عدد من الحمامات وفقاً للأعمال الأثرية التي أجريت في المنطقة وما تم من اكتشافات يوضح ثراء المنطقة بالآثار وتنوع مواقعها.

وفي موسمين آخر للمشروع نفذاً في فبراير 2020م وفبراير 2023م شاركت بعثة بريطانية من جامعة انجوليا الشرقية Anne Haur. UEA. UK، ضمن أعضاء الفريق. غطى العمل الأثري في هذا الموسم العديد من المواقع شمال بورتسودان وجنوبها.

ومن أهم نتائجه اكتشاف عدد من المواقع الأثرية من مدافن وبقايا أساسات لمبنى في منطقة عدوبنا

وجزيرة ابن العباس، والمدافن المبنية من الحجارة والشعب المرجانية التي عثر عليها في موقع أم مكبان وأركويت، وهذا بدوره ساعد في الوصول إلى نتائج أبرزها أن أغلب المناطق شهدت استيطاناً مبكراً لفترات ما قبل التاريخ ومواقع أخرى ربما تعود إلى ما قبل الإسلام بفترة ليست بالقصيرة.

الخلاصة والنتائج:

تحليل أولي لنتائج العمل:

جاءت نتائج العمل الميداني خلال هذه المرحلة مبشرة ومثيرة للاهتمام حيث إن المواقع المكتشفة توضح غنى المنطقة بالمواقع الأثرية خاصة تلك التي تعود إلى فترات ما قبل التاريخ والفترة الكلاسيكية والفترة الإسلامية وفترات أخرى غير محددة تحتاج إلى مزيد من الدراسات، بالإضافة إلى مواقع فترة الاستعمار البريطاني والتي توجد بكثافة في عدة أماكن من هذه المنطقة مما يبين أهميتها الاستراتيجية خلال تلك الحقبة، فضلاً عن المواقع الإسلامية التي تشمل المدافن والخلوى وغيرها. كما تم التعرف على الجوانب الطبوغرافية والبيئية للمنطقة لربط العمل الأثري بالبيئة المحيطة وتنفيذ ذلك في جوانب فهم الأبعاد البيئية للمستوطن الأثري والتأثيرات الآنية واللاحقة عليه. ويبدو أن التركيبات المعقدة وكذلك التغيرات المناخية قد أسهمت في صياغة التاريخ البيئي للمنطقة.

هناك تنوع ثقافي واضح وكبير ما بين حضارات السودان الموجودة على النيل ومنطقة البحر الأحمر، كذلك نجد تنوعاً كبيراً للآثار الإسلامية بالإقليم خاصة الفترة العثمانية التي سيطرت على الإقليم لفترة من الزمن.

إن إقليم الشرق لعب دوراً مهماً فيما اتسمت به الحضارات القديمة سواء أكانت هذه الحضارات تنتمي إلى وادي النيل أو إفريقيا أو إلى المرتفعات الإثيوبية والإريتيرية أو ثقافات الشرق الأدنى. وقد أكدت الدراسة على أهمية المنطقة التي بينت وجود تواصل بين مناطق شرق السودان وتلك الحضارات التي قامت على النيل، كما أن إقليم الشرق شهد تداخلاً حضارياً اتسم بالتنوع الثقافي والعرقى، وقد وجدت أشكال وأدوات ثقافية تظهر تشابهاً كبيراً مع تلك التي وجدت في المقابر المصرية وهذا دليل واضح على التداخل الثقافي. إلى جانب تأكيد الدور الإيجابي والمهم الذي لعبه إقليم الشرق في التواصل الحضاري والثقافي ما بين ثقافات الشرق وحضاراته، وإفريقيا والمرتفعات الإثيوبية والإريتيرية.

وضح من خلال هذه الدراسة أن التغير البيئي والذي تتبعه بالضرورة تحولات ثقافية وحضارية هو تغير وإن دلالات الاستيطان في الإقليم لم تكن ظاهرة للعيان بشكل واضح وربما يرجع إلى أن إنسان الإقليم

أستخدم في بناء مسكنه مواد بسيطة الصنع والتي ربما تكون قد تحللت بسبب التغيرات البيئية.

لقد كان تركيز المشروع في المرحلة الأولى على دراسة الثقافة المادية وكيف تنتجها السياقات التي تتكونها مجموعات شرق السودان الثقافية ودراسة كل أوجه النشاط في الثقافة المادية في شرق السودان. وقد وضح من خلال الدراسة الأهمية الكبيرة لفنون العمارة القديمة في الشرق والتي تعكس البعد الحضاري لهذه المنطقة، كما تعبر عن قدرة الإنسان في تطويع وتشكيل مواد المتاحة في البيئة المحيطة بجانب استخدام المواد المستوردة والتي تتواءم مع بيئته المحلية.

وقد تمت مراعاة تصميم المباني السكنية والمراكز الخدمية في المنطقة حتى تتواءم مع الظروف البيئية. كما أوضحت الدراسة دور المؤشرات الأثرية والمشهد الثقافي التقليدي لمزيد من التعرف على ثقافات مناطق البحر الأحمر.

وعليه يصبح من الأهمية بمكان ضرورة إكمال أعمال المسح والتنقيب ودراسة المجتمعات المحلية بكل تفاصيل حياتها ومخلفاتها المادية إلى جانب الحفاظ على كل أدوات ومحتويات التراث المادي الآثاري والتقليدي كذلك الإسراع لوقف تدهور التراث العمراني والمشهد الطبيعي (Landscape) ووضع منهج متكامل لدراسته وحفظه بصورة مثلى.

ولكي يتم تحقيق نتائج أفضل في المستقبل نأمل مراعاة الآتي:

- 1/ ضرورة إيجاد معسكرات دائمة في بعض مدن الإقليم لتسهيل مهمة فريق العمل.
- 2/ التركيز على مراجعة الميزانية وزيادتها بسبب غلاء أسعار المعيشة وارتفاع تكاليف الترحيل وإيجار العربات إلى جانب ارتفاع أسعار المواد البترولية وانعدامها بالمنطقة.
- 3/ يجب ضرورة توفير بعض الأجهزة ذات الأهمية الكبيرة للعمل الميداني مثل جهاز التوتال استيشن Total Station وزيادة عدد كبير من جهاز تحديد الأماكن والارتفاعات GPS وغيرها والتي لا يمكن شراؤها من الميزانية المخصصة لارتفاع تكلفتها مع التأكيد على وجودها في المرحلة القادمة من عمل المشروع.
- 4/ من خلال الدراسة أوصى الباحثون بضرورة تنشيط العمل السياحي بالمنطقة لتحقيق التنمية المستدامة وتعميق الوعي الآثاري لإنسان الشرق وذلك بعمل معارض متحركة وندوات لتوعية سكان الإقليم تشتمل على التعريف بالمواقع وأهميتها، ومن ثم المساهمة في الحد من الأنشطة البشرية التي قد تؤثر على المواقع، والمهددات الطبيعية التي أثرت بشكل كبير على معظم المواقع، وبالتالي ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر تسوير بعض المواقع الأثرية ووضع لافتات تبين أهمية المواقع

الأثرية في ظل وجود حملات التنقيب العشوائي عن الذهب والتي تمثل خطراً كبيراً على الآثار بجانب وجود نشاط سياحي مقدر بمنطقة أركويت إلا أن الزوار يجهلون أهمية المواقع الأثرية بسبب عدم توفر المعلومة. كذلك لا بد لنا من الحفاظ والصيانة والحماية والترميم وعرض كل المنجزات المادية والثقافية بهذا الإقليم الثقافي ذي السمات الثقافية المتفردة.

شكرو وتقدير للمساهمين في المشروع:

يسر مدير المشروع أن يتقدم بجزيل الشكر والتقدير لوزارة التعليم العالي السودانية لمجهودهم الكبير في توفير ميزانية العمل الميداني للموسم الأول مما ساهم في إنجاح الموسم. والشكر لمدير الجامعة الأسبق بروفيسور أحمد سليمان لتعاونه الكبير ودعمه للمشروع، والشكر كذلك للهيئة العامة للآثار والمتاحف بمنح رخصة العمل بالمنطقة وشكر خاص لمكتب الآثار بالبحر الأحمر. كما أتقدم بالشكر الجزيل لعميد كلية السياحة جامعة البحر الأحمر دكتور محمد الكوارتي لتعاونه الكبير وتسهيل مهمة فريق العمل بالاستضافة باستراحة هيئة الموانئ البحرية بمدينة بورتسودان للموسم الأول وكذلك حسن الضيافة والمشاركة في بعض الجولات الميدانية للبعثة وقد كان لذلك بالغ الأثر في إنجاح الموسم. ويمتد شكرنا لمركز دراسات وأبحاث البجة لزيارتهم الكريمة لفريق العمل خلال فترة العمل الميداني. والشكر موصول لكل أهل منطقة عقيق وعلى وجه الخصوص عوض أبوبكر محمد قدف، والأستاذ أزهري والأستاذ محمد سعيد والمهندس عبد الرحمن. والشكر لكل أعضاء قسم الآثار جامعة الخرطوم وطلاب الدراسات العليا والعاملين بالقسم والزملاء الأثاريين من أقسام الآثار الأخرى الذين ساهموا بجهدهم ووقتهم في الأعمال الميدانية. نرجو أن يتم التعاون بيننا وجميع هذه المكونات لإنجاز هذا المشروع العلمي والبحثي بهذه المنطقة المهمة في تاريخ السودان الثقافي والحضاري.

والحمد والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين على نجاح هذه الأعمال الميدانية

د. أحمد حسين عبد الرحمن. مدير المشروع

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- تقرير الهيئة العامة للآثار والمتاحف رقم 2، المسح الأثري لمناطق شرق السودان، للعام 2010، تقرير غير منشور. (د.ت).
- حسن، يوسف فضل، الوجود العربي في بلاد البجا، صفحة من سجل التمازج العرقي والثقافي في السودان، مجلة جامعة البحر الأحمر، العدد الأول، (2011م).
- خوجلي، مصطفى محمد، استراتيجيات وجهود معالجة تأثير فيضانات نهر القاش على مدينة كسلا، مجلة الدراسات السودانية، العدد 16، (2010م).
- داجنت، روجيه جوانت، تاريخ البحر الأحمر، ترجمة حسن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، (2013م).
- سبي، عثمان صالح، تاريخ إريتريا، المكتبة الإريترية، (1974م).
- سبي، عثمان صالح، صراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجر الجديد، (د.ت).
- سيد أحمد، عباس، على حافة المدينة: ظهور وضمحلل القرى الزراعية علي سهل البطانة (شرق السودان)، أدوماتو، الطبعة الأولى، (2008م).
- الشامي، صلاح الدين، السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف، الإسكندرية، (1973م).
- ضرار، محمد سليمان صالح، تاريخ السودان الحديث، منشورات الحياة، بيروت، (1965م).
- الماحي، أبو عبدة، نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا، رسالة ماجستير في الآثار، غير منشورة، جامعة دنقلا، (2010م).
- مسعد، مصطفى محمد، البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب مجلد 21، العدد الثاني، جامعة القاهرة، مطبعة الخرطوم، (1959م).
- مسعد، مصطفى محمد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، مطبوعات جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، (1972م).
- النور، أسامة عبد الرحمن، شرق السودان، دلتا القاش في ما قبل التاريخ، أركماني مجلة الآثار والانثروبولوجيا السودانية، العدد الخامس، (2004م).

المراجع الأجنبية:

- Adam, Ahamed Hussein, (2018). *The Archaeology and Heritage of the Sudanese Red Sea: Importance, Findings, and Challenges* –University of Khartoum

- Crowfoot, J, (1928). Some Potsherds from Kassala. *Journal of Egyptian Archaeology* 14.
- El. Anwar, S, (1995). 1994-95 Report on the Archaeological Survey and Test excavations in the southeastern Part of the Red Sea Hills, *Archéologie du Nil Moyen*. pp 163 -193.
- Fattovich, R, (1987). Gash Delta Archaeological Project: Field Season. *Nyame Akuma* 29.
- Fattovich, R, (1989). The Gash Delta between 1000 BC and AD 1000', in: S. Donadoni and S. Wenig (eds), *Studia Meroitica*, Berlin, Academie Verlag
- FLEMING, S, (1920). Tokar - *Sudan Notes and Records*, Vol3.No1
- Greenlaw, J, (1995). *The Coral Buildings of Suakin: Islamic Architecture, Planning, Design and Domestic Arrangements in a Red Sea Port*. London: Kegan Paul.
- Haour, A, and Ahmed Adam, (2021). Shells and Pottery– a preliminary survey of medieval sites along the red Sea cost of Sudan. *Nyame Akuma* 95: 31- 41.
- Hinkel, F, (1992). *The Archaeological Map of the Sudan. VI. The Area of the Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier*. Berlin: Akademie Verlag.
- Manzo, Andrea, (2017). *Eastern Sudan in its setting*, Archaeopress publishing
- O'Connor, (1984) *Kerma and Egypt – The significance of monumental building Kerma I, II and XI* , JARCE 21
- Sadr, K, (1988). Settlement Patterns and Land Use in the Late Prehistoric Southern Atbai; East Central Sudan. *Journal of Field Archaeology* 15.
- Zahran, M, A, (2010). Climate-Vegetation, Afro-Asian Mediterranean and Red Sea, Coastal Land, *Planet and Vegetation*,4.

موقع الخندق الأثري والكوارث البشرية والطبيعية

بروفيسور انتصار صغيرون الزين

قسم الآثار. جامعة الخرطوم

أ. فاطمة محمد عثمان

طالبة دراسات عليا. قسم الآثار جامعة الخرطوم

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الكوارث البشرية والطبيعية على موقع الخندق الأثري خاصة خلال فترة الحرب الذي اندلعت منذ أبريل 2023. يعد موقع الخندق واحداً من أهم مواقع العمارة التاريخية والتقليدية في السودان، وقد حصل على مكان في القائمة المؤقتة للتراث العالمي، بفضل تجسيده لثلاثة معايير للقيمة العالمية الاستثنائية (OUV). تعرض الموقع منذ بداية الحرب إلى العديد من المخاطر البشرية والطبيعية. فبسبب الحرب، نزح العديد من سكان الخرطوم إلى منطقة الخندق، مما أدى إلى العديد من التأثيرات البشرية على الموقع. في الجانب الآخر تعرض الموقع وخاصة المباني الطينية إلى العديد من المخاطر الطبيعية بسبب التغير المناخي خاصة الأمطار التي عملت على تدمير العديد منها.

الكلمات المفتاحية: الخندق، التراث المادي، التراث غير المادي، الآثار، الحرب، التغير المناخي

Abstract

This study aimed to reveal the role of human and natural disasters on the archaeological site of Al-Khandaq, especially during the war that broke out in April 2023. Al-Khandaq is one of the most important historical and traditional architectural sites in Sudan, and has been listed on the World Heritage Tentative List, thanks to its embodiment of three criteria of Outstanding Universal Value (OUV). Since the beginning of the war, the site has been exposed to many human and natural hazards. Due to the war, many residents of Khartoum were displaced to the Al-Khandaq, which led to many human impacts on the site. On the other hand, the site, especially the mud buildings, were exposed to many natural hazards due to climate change, especially rains, which led to the collapse of many of them.

Keywords: Al-Khandaq, tangible heritage, intangible heritage, archaeology, war, climate change

مقدمة:

تقع مدينة الخندق في شمال السودان، على بعد حوالي 423 كيلومترًا شمال الخرطوم، على الضفة اليسرى لنهر النيل. وُصفت من قبل الرحالة الأوائل بأنها من أفضل المدن بناءً في النوبة، وتُشير الدراسات إلى امتداد تاريخها إلى المملكة المصرية القديمة. كانت المدينة في العصور الوسطى 500-1500 م مركزًا رئيسيًا لمملكة المقرة المسيحية، حيث تمتاز بموقعها القريب من دنقلا العجوز. بعد تحول دولة المقرة إلى الإسلام عام 1321 م، أصبحت الخندق عاصمة لمملكة الخندق، إحدى الممالك الإسلامية الصغيرة التي تشكلت في تلك الفترة (Soghayroun, 2008, Sjöström, 2017).

تتمتع الخندق بأهمية كبيرة ليس فقط للبحث العلمي، بل أيضاً بوصفها موقعاً متميزاً لتدريب طلاب علم الآثار من قسم الآثار بجامعة الخرطوم، بالإضافة إلى تدريب عدد مقدر من العاملين في الجامعات الولائية والهيئة العامة للآثار والمتاحف. تم الحصول على رخصة العمل من الهيئة القومية للآثار والمتاحف في العام 2006 م. وفي عام 2022 م، حصلت مدينة الخندق التاريخية على مكان في القائمة المؤقتة للتراث العالمي، بفضل تجسيدها لثلاثة معايير للقيمة العالمية الاستثنائية (OUV).

يعكس هذا الاعتراف أهميتها باعتبارها واحدة من أفضل المدن المتكاملة المحفوظة في السودان وجنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، حيث تعرض المدينة الهندسة المعمارية الرائعة المبنية من الطوب اللبن، والتي تكون بمثابة شهادة على الاستمرارية لأكثر من ثلاثة آلاف عام، من المملكة الحديثة (1450-1100 قبل الميلاد) حتى استقلال السودان في عام 1956 م.

الربط بين عناصر التراث الثقافي المادي وغير المادي:

زخرت البلدة بالعديد من المباني الرسمية بدءًا بالقلعة التاريخية والمدارس، والاستراحة الحكومية، والمأمورية التي أسست 1902 م وتشمل مركز الشرطة، ومكتب بريد ومكتب جمارك؛ فقد كانت مركزاً تجارياً وميناءً نهرياً مهماً. إلى جانب المساكن التاريخية مثل بيت المأمور والوكيل، ومحصل السوق وغيرهم من المسؤولين. وما زال مركز الشرطة يحتفظ بوظيفته الأصلية (لوحة رقم 1). تم تشييد هذه المباني في الغالب بالطوب اللبن، وأحياناً تشتمل على جالوص (الطين + روث الحيوانات)، ومع مثال فريد من نوعه للعمارة من الطوب اللبن المكونة من طابقين، والتي كانت تؤوي عائلات تجارية ثرية (لوحة رقم 2).



لوحة رقم (1) صورة عامة لموقع الخندق وتظهر القلعة بعض المباني الإدارية في الخلفية



لوحة رقم (2). مثال فريد من نوعه للعمارة من الطوب اللبن المكونة من طابقين، والتي كانت تؤوي عائلات تجارية ثرية

كما كشف التقييم الأولي للتراث الثقافي غير المادي للخندق، الذي أجرته بعثة قسم الآثار، جامعة الخرطوم عن جانب مهم من ثقافتها غير المادي الغني والمتنوع بشكل ملحوظ. وهذا يشمل التقاليد الشفهية، والفنون، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، وعلى وجه الخصوص، فن النسيج (لوحة رقم 3). وتواصل اعتناق أشكال التعبير الثقافي التقليدي هذه، خاصة أثناء احتفالات الزواج والختان، وكذلك طقوس الجنازة. وتحافظ هذه الممارسات على ارتباط عميق بآثار نهر النيل والخندق التاريخية، حيث تمتد جذورها إلى آلاف السنين، ربما إلى العصر الكوشي.



لوحة رقم (3): نماذج من التراث المادي بالخندق والمتمثل في صناعة الأطباق ونسجها

تُعزى وفرة التراث الثقافي المادي في الخندق إلى أهميتها التاريخية باعتبارها ميناء نهرًا مهمًا على طول نهر النيل. وكانت بمثابة مركز للناس والبضائع من شمال السودان ومصر وخارجها، مما سهل الصادرات والواردات من قلب أفريقيا، وخاصة كردفان ودارفور وجنوب السودان. وقد أدى هذا التفاعل بين المجموعات المتنوعة، التي جلبت تراثها معهم، إلى تشكيل عادات وتقاليد فريدة من نوعها لمجتمعات الخندق على مر القرون التي تمثلت في التقاليد المعمارية والتراث غير المادي مما عزز الطابع الخاص للتراث الثقافي الموجود في منطقة الخندق. وبالتالي تستحق الحماية العاجلة، خاصة بالنظر إلى الظروف السائدة في السودان.

في حين أن التراث الثقافي المادي وغير المادي يتطلب نهجا مختلفا للحفاظ عليه وصونه، إلا أن هناك ترابطا عميقا بينهما. ويعد هذا الترابط بمثابة منبع للتنوع الثقافي وحافز للتنمية المستدامة. وبالتالي، فقد عمل مشروع قسم الآثار على توثيق مختلف عناصر التراث الثقافي غير المادي وجردها، بما في ذلك الحكايات الشعبية، والأغاني التقليدية، والشعر، والتاريخ الشفهي، والأساطير المتعلقة بالمباني التاريخية والمواقع الأثرية، والطعام وطرق تجهيزه، والمعارف المتعلقة بالزراعة وأشجار النخيل، والحرف اليدوية، العلاقة مع قبائل البدو، وذكريات عن الخندق ورحلتهم إلى جنوب السودان، وهجرتهم إلى كردفان ودارفور ومناطق أخرى في السودان. تم التركيز بشكل خاص على المهارات وتأثير التجار الأجانب (اليمن ومصر والمغرب) على الهندسة المعمارية ونمط الحياة في الخندق. (Soghayroun, 2011)

تأثير النزوح بعد حرب أبريل 2023م:

خلال الحرب التي اندلعت في 15 أبريل 2023م، نزح العديد من سكان العاصمة المثلة إلى منطقة الخندق في الولاية الشمالية. زاد هذا التدفق الكبير للنازحين إلى المدينة الأثرية باستمرار الحرب. أدناه مسرد للآثار السلبية على المواقع:

1. موقع القيلاقيلا (القلعة الحمراء) الأثري: قبل النزوح كانت زيارات الموقع محدودة، وتركز غالبًا خلال الأعياد واحتفالات رأس السنة. وقد اهتمت شرطة السياحة بمنع الزوار من الصعود إلى القلعة، خاصة خلال التجمعات الكبيرة. بعد الحرب أصبح الموقع مقصدًا يوميًا للسكان المحليين والنازحين، خاصة خلال فترة ما بعد الظهر والعصر وحتى منتصف الليل، لاستخدام الإنترنت والاتصالات المتوفرة في المنطقة المرتفعة. (لوحة رقم 4) ويتركز وجودهم في الجزء الغربي للقلعة الممتد من البرج الشمالي حتى الجنوبي. تسبب صعود الزوار على الأبراج، خاصة البرج الجنوبي الغربي، في تدهم جزئي. كما أن إشعال النار ليلاً في الزاوية الجنوبية الغربية للمبنى، أدى لمزيد من التدهور. كما أن استخدام القلعة ممرا رئيسيا للمشاة والحيوانات، أدى إلى إضرار بالموقع. كما تأثرت المباني المرممة بفعل الصعود عليها، مما تسبب في تدهم بعض الأجزاء. أضف لذلك فان تركيب أنبوب مياه (خرطوش) بمحاذاة السور الشمالي للقلعة، يهدد سلامة المبنى.



لوحة رقم (4): جزء من موقع القيلاقيلا (القلعة الحمراء) الأثري

2. **ميدان الفاشر:** تهدمت جِرار حفظ الحبوب والبقوليات (القسيبات) التي سبق تنقيتها وحمايتها، وتم حفر مصرف للمياه من الناحية الجنوبية الغربية إلى الشمالية الشرقية، مشوهاً المنظر العام للموقع.

3. **البيوت التاريخية:** تهدمت أجزاء من بعض المباني القديمة بفعل الأمطار الأخيرة، بينما هدم النازحون أجزاء أخرى لاستخدام الطين أو الطوب في البناء الجديد. تحولت هذه البيوت إلى مكب كبير للنفايات من قبل السكان المحيطين بها. كما تم حفر آبار عميقة داخل بعض البيوت القديمة، والمثير أن الورثة أنفسهم لا يعلمون عنها شيئاً. تأثرت المباني الطينية بشكل كبير بسبب التوصيلات العشوائية لأنابيب توصيل المياه، التي أدت إلى تسرب المياه في الشوارع، مما أثر على الحوائط. كما تمت زراعة الخضروات مثل الطماطم، الرجل، والكرندي داخل المنازل والمدارس والشوارع، لتلبية احتياجات النازحين. (لوحة رقم 5). من الظواهر التي تساعد على مزيد من التدهور إعادة استخدام الطوب أو الأحجار من المباني الأثرية في البناء الجديد ونلاحظها في المناطق التي تعاني من شح الموارد، ولكنها تُعد كارثة أثرية. أولاً لفقدان السياق التاريخي لأن الأحجار والطوب ليست مجرد مواد بناء، بل تحمل قيمة تاريخية تعكس أنماط العمارة القديمة، وتقنيات البناء، والبيئة الثقافية في ذلك الوقت. بالإضافة إلى تدمير المواقع بالكامل ما يعطل فهم تاريخ الموقع. أضف إلى ذلك الإضرار بالموراث الثقافي لأن استخدام مواد مغايرة في البناء الحديث يشوه القيمة الجمالية والثقافية للمدينة، ويؤدي إلى فقدان ارتباط السكان بتراثهم



لوحة رقم (5): نموذج من البيوت التاريخية التي تهدمت أجزاء منها بفعل الأمطار الأخيرة واستخدام أجزاء منها للزراعة

4. **تدمير المواقع الدينية:** البناء دون تخطيط قد يؤدي إلى تدمير أجزاء من المواقع الأثرية التي يمكن أن تحمل معلومات قيمة عن تاريخ المنطقة، مثل البناء قرب مبنى الشيخ عووضة القارح حيث أُقيم منزل على بُعد نصف متر فقط من المبنى الأثري، ما قد يؤثر على استقراره.
5. **تشويه المنظر العام:** تشوه الأبنية العشوائية الصورة البصرية للمدينة التاريخية وتفقد طابعها الأثري الفريد مثل البناء فوق تل الحجر الجيري، حيث أُقيم منزل فوق منطقة استخراج الجير الطبيعي، مما يهدد المورد الطبيعي (Soghayroun, 2009). كما قُطعت أغصان أشجار النيم العتيقة الممتدة على طول شارع النيل لصناعة الفحم. وقد قامت رابطة الخندق بتسوير الأشجار باستخدام الأسمنت لحمايتها من الحرائق، بهدف الحفاظ على المنتجع.

وكما هو معلوم فإن البناء غير المنظم يعوق الدراسات الأثرية والتاريخية، مما يجعل من الصعب على الباحثين فهم تطور المدينة عبر العصور. كما أن تزايد الأنشطة البشرية في مناطق غير مهيأة لذلك يؤدي إلى تأثيرات بيئية سلبية خاصة استخدام الموارد الطبيعية بشكل مفرط يمكن أن يؤدي إلى استنزافها، مما يضر بالنباتات والحيوانات المحلية والأنشطة البشرية المكثفة تؤدي إلى تدهور البيئة الطبيعية المحيطة بالمواقع الأثرية، مما يزيد من صعوبة الحفاظ عليها.

التغير المناخي

يسلط الوضع في بلدة الخندق الضوء على التأثيرات المتزايدة لتغير المناخ على الممارسات المعمارية التي كانت تتسم تاريخيًا بالمرونة. تقليديًا، ظلت مباني الخندق، المبنية من الطوب اللبن، صامدة لأجيال بسبب مناخ المنطقة الجاف. الآن يصبح الطوب اللبن، وهو مادة متينة ومستدامة في البيئات الجافة، عرضة للخطر بشكل كبير عند تعرضه للأمطار الغزيرة أو المستمرة والمياه الجارية. لسوء الحظ، يتسبب تغير المناخ الآن في تعطيل هذه الأنماط البيئية الراسخة، مما يتسبب في أضرار هيكلية للمباني التي لم يتم تصميمها أبدًا لتحمل مثل هذه الرطوبة.

تأثير تغير المناخ على سلامة المباني الطينية في بلدة الخندق التاريخية يتطلب فهماً عميقاً للتأثير. تتمثل قوة المباني المصنوعة من الطوب الطيني في تماسك جزيئات الطين معاً. عند تعرض هذه المباني للمياه لفترات طويلة، تبدأ جزيئات الطين في التفكك، مما يؤدي إلى ضعف الجدران وتعرض الاستقرار البنيوي للخطر. الانهيار الأخير للمنازل المكونة من طابقين في بلدة الخندق يعد مؤشراً مثيراً للقلق على هذا الضعف. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمياه الجارية الناجمة عن الفيضانات والسيول المفاجئة أن تتسبب في تآكل أسس المباني، مما يجعل الهياكل أكثر عرضة للانهيار (مبنى متحف الحياة اليومية) (لوحة رقم 6). إذن مع زيادة أنماط الطقس غير المنتظمة، تتوقع بلدة الخندق هطول أمطار غزيرة وفيضانات

من النهروسيولا قادمة من الغرب مفاجئة بوصفها تهديدات مستمرة محتملة. هذا يستدعي تبني نهج استباقي لحماية المباني التراثية.



لوحة رقم (6) تأثير تغير المناخ على سلامة المباني الطينية في بلدة الخندق التاريخية والذي يظهر في تآكل أسس المباني وجدرانها

إن التحديات التي تواجه بلدة الخندق التاريخية نتيجة لتغير المناخ تتطلب اهتمامًا عاجلاً وإجراءات فعالة للحفاظ على سلامة المباني الطينية التراثية. يجب تطوير استراتيجيات مبتكرة لتعزيز قدرة هذه المباني على الصمود أمام الظروف المناخية المتغيرة والمزيد من الحوادث الطبيعية غير المتوقعة.

نظرًا للحاجة الملحة لمعالجة هذه القضية، يجب وضع خطة استراتيجية، مع مراعاة احتياجات الترميم الفورية والاستدامة طويلة الأجل. وهذا يتطلب إجراء تقييم مفصل للمباني لتحديد المخاطر الفورية. وتطبيق تقنيات التثبيت الطارئة مثل القماش المشمع وتعزيز الأساسات وأنظمة الصرف الهندسية وغيرها من الوسائل. ويجب استصحاب الأساليب التقليدية واستكشافها، حيث يمكن استلهاً التقنيات المستخدمة في السودان وكذلك البيئات المماثلة التي صمدت بنجاح في مواجهة أنماط الطقس المتغيرة، مثل اليمن أو المغرب، حيث تواجه العمارة الطينية أيضًا تحديات هطول الأمطار. وهنا لا بد من المشاركة المجتمعية للخبرة ولتدريب الحرفيين والبنائين المحليين ودمج المعرفة التقليدية مع الحلول الهندسية الحديثة.

كما يصبح من الضروري بمكان نشر الوعي بين أفراد المجتمع حول تأثيرات تغير المناخ وكيفية اتخاذ التدابير الوقائية البسيطة لحماية منازلهم. يمكن أن يشمل ذلك توزيع كتيبات إرشادية، عقد ورش عمل، وتنظيم حملات توعية توضح كيفية حماية المنازل من الرطوبة والفيضانات.

إن تأمين التمويل أمر ضروري لكل من الإصلاحات الفورية وجهود الحفاظ على التراث على المدى الطويل، وهذا ما يسعى إليه المشروع حالياً عبر محاولة التواصل مع صناديق التكيف مع تغير المناخ مثل صندوق المناخ الأخضر. أضف لذلك حملات التمويل الجماعي والتوعية، وهذا ما تعمل عليه الأستاذة فاطمة محمد عثمان عضو فريق العمل ومسئولة التراث غير المادي في المشروع.

الدراسة الاجتماعية⁽¹⁾:

قامت الأستاذة فاطمة محمد عثمان طالبة الدراسات العليا وعضو فريق العمل عند نزوحها إلى الخندق في الأول من يوليو 2023م بإجراء دراسة استقصائية عن النازحين وأحوالهم وتأثير وجودهم على الموقع وسلبات النزوح وإيجابياته.

انقسمت الفئات النازحة وفقاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية ومستوى ارتباطهم بالخندق إلى عدة مجموعات:

¹ تقرير قدمته الأستاذة فاطمة محمد عثمان في أبريل 2024م وتم تحديثه في ديسمبر 2024م.

- مجموعة ولدت وترعرعت في الخرطوم ولم تزر الخندق من قبل.
- هنالك من نشأوا في الخندق وهاجروا إلى الخرطوم أو مناطق مثل مصر في سن صغيرة (ما بين 7-10 سنوات). ثم عادوا مع الزوج إلى الخندق.
- فئة ثالثة تتألف من أفراد زاروا الخندق عدة مرات بشكل متباعد (حوالي ثلاث أو أربع مرات فقط)، وأخرى تزور الخندق خلال المناسبات الوطنية والدينية، مثل احتفالات الاستقلال والمولد النبوي.
- تتم استضافة هذه الفئة من خلال رابطة الخندق، وتستمر زيارتهم عادةً لمدة ثلاثة أيام فقط.
- ومجموعة لديها ارتباط وثيق بالخندق، حيث يمتلك أفرادها منازل جاهزة في المنطقة. يقضون إجازات المدارس والأعياد والمناسبات الاجتماعية هناك.

أما الناحية الاقتصادية فقد شمل الزوج:

- الأغنياء من التجار المعروفين، وقد نزح الآن أغلبهم إلى خارج السودان. وهم يساهمون في إعانة النازحين بالخندق بشكل دوري.
- الفئة المتوسطة الدخل تشمل موظفي الدولة وصغار التجار. بقي بعضهم في المنطقة، بينما نزح الآخرون إلى خارج السودان.
- المجموعة الثالثة يعتمدون على المساعدات. ويتوزعون بين مراكز الإيواء مثل المدارس أو يعيشون مع العائلات المضيفة.

هذا وقد تم تخصيص عدد من المدارس لإيواء بعض النازحين ومن ضمنها مدرسة عبد الكريم مكي التي سلمت بأوراق رسمية من قبل المحلية لبعثة قسم الآثار لترميمها وتجهيزها لسكن الطلاب أثناء العمل الميداني وللقوافل الطبية.

النشاط الاقتصادي والتجاري بعد النزوح:

ازدهر النشاط التجاري حيث زاد عدد المحلات التجارية من ثلاثة إلى اثني عشر مع ظهور تجارة الجملة في المواد التموينية المستوردة والتي تمون القرى المجاورة كذلك. أما الأسواق فقد كان اعتماد السكان على سوق القوئل الأسبوعي الذي يُقام يوم الاثنين، أما بعد الحرب فقد أنشئ سوق أسبوعي جديد في بداية يوليو 2023م يُعقد يوم الأربعاء (لوحة رقم 7).

يلبي هذا السوق احتياجات السكان، يشارك فيه تجار من الخندق والقرى المجاورة مثل شبتوت، القوئل، وملواد. ويقدم المواد التموينية والخضروات واللحوم. توسعت تجارة النساء بعد النزوح لتشمل

العديد من المجالات مثل إنتاج القرقوش الذي كانت تمارسه سيدة واحدة وزاد العدد إلى خمس.

شملت التجارة الملابس والأواني المنزلية، والعطور التقليدية، والأغذية مثل الزبادي المنزلي والمخبوزات والملوحة. كما أدى ارتفاع الطلب على الخبز إلى ازدياد الإنتاج في الفرن من جوال دقيق إلى عشرة. وللأسف فقد أدى ذلك إلى توقف الفرن البيتي عند أحد سيدات الخندق، ولكن وجدت التعويض في قيامها ببناء عدد من الأفران التي طلبتها الأسر النازحة (لوحة رقم 8).



لوحة رقم (7): إنشاء سوق أسبوعي جديد في بداية يوليو 2023م يُعقد يوم الأربعاء. يلي هذا السوق احتياجات السكان، يشارك فيه تجار من الخندق والقرى المجاورة



لوحة رقم (8): نموذج للأفران التقليدية في الخندق

وفي هذا السياق فإن صناعة الفحم قبل الحرب، كانت تُمارس لأغراض ذاتية. بعد النزوح، نشطت أسرطان في هذه الصناعة. أدى هذا النزوح إلى قيام محل حدادة ثانٍ في الخندق كما افتتح مغلق لأدوات البناء وورشة للسيارات، كما نشطت حرفة نسج الأسرة التقليدية (العنقريب)، وازداد إنتاج الطوب للبناء، وتم

افتتاح كافتريتين بعد النزوح لتقديم خدمات جديدة للسكان.

دور الآثار المجتمعي

أولاً: توفير السكن للأسر النازحة:

بيت المأمور تم تخصيصه لإيواء الأسر النازحة منذ بداية الحرب. وبيت مفتش السوق (كدي)، وقد تم تحويله إلى نادٍ تابع لرابطة أبناء الخندق لاستمرار الأنشطة التي كانت تُقام في الخرطوم، وقد أضافوا خدمات أساسية مثل توصيل المياه والكهرباء، وحفر بئر للحمام (لم يكتمل بعد).

ثانياً: نشر الوعي الأثري وأهميته:

شمل هذا النشاط عدة محاور:

- التوعية بين الأفراد والعائلات:
شمل زيارات منزلية لنشر المعلومات الأثرية وتصحيح المفاهيم الخاطئة حول عمل المشروع. وقد أسهمت هذه التوعية في رفع الوعي العام وتعزيز التعاون مع الأهالي وانعكس ذلك إيجاباً من خلال التبرع بمقتنيات فولكلورية والإبلاغ عن أي محاولات للتعدي على المواقع الأثرية.
- تسهيل البحث والتوثيق:
تقديم مرجع غني للمعلومات التاريخية والأثرية للمهتمين بالنشر والبحث حول المنطقة (كتيب الخندق).
- تدريب المهتمين:
تدريب خريجة في مجال الآثار على طرق جمع المعلومات وتدريب أحد كوادر الشرطة ذوي التخصص الجنائي ليعمل في مجال شرطة السياحة.

ثالثاً: جمع وتوثيق الروايات والتاريخ الشفهي:

تم إجراء مقابلات مع 41 شخصاً (قابل للزيادة)، تراوحت أعمارهم بين 55 و104 أعوام، وقد تضمنت المقابلات أفراداً يشاركون في توثيق التاريخ الشفهي لأول مرة (لوحة رقم 9).



لوحة رقم (9). الباحثة فاطمة محمد عثمان أثناء إجراء المقابلات لتوثيق التاريخ الشفهي

رابعاً: حصر الأسر النازحة:

تم إعداد إحصائية شاملة للأسر النازحة: التي استقرت في الخندق، وتلك التي نزحت إلى مناطق أخرى داخل السودان وخارجه بلغ عددها 280 أسرة في بداية النزوح.

خامساً: تنظيم الزيارات الميدانية:

تنظيم زيارات للأهالي لتعريفهم بالمواقع الأثرية وأهميتها وقد ساهمت هذه الجولات في تعزيز الارتباط بالمووروث الثقافي والتاريخي للمنطقة.

خاتمة:

في النهاية، يتطلب حماية التراث المعماري والثقافي في مدينة الخندق الأثرية جهداً متكاملًا بين

الحكومة والمجتمع المحلي والمنظمات الدولية. من خلال اتخاذ تدابير وقائية مناسبة وتوعية المجتمع بأهمية هذه المواقع، يمكن تقليل التأثيرات السلبية الناجمة عن تدفق النازحين والحفاظ على هذا التراث للأجيال القادمة. التعامل مع هذه الظاهرة يتطلب مزيجاً من الحماية الفورية للمواقع الأثرية، والتخطيط الطويل الأجل لضمان الحفاظ على التراث الثقافي مع تلبية احتياجات النازحين الإنسانية.

ما ندعو إليه الآن الحفاظ على التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة الخندق التاريخية وحمايته من خلال معالجة التحديات والتهديدات التي تواجه الحفاظ على هذه المدينة التاريخية بسبب تأثير الحرب والتغير المناخي.

تشمل هذه التحديات التنقيب غير القانوني، والنهب، والأضرار، والتخريب، والاتجار غير المشروع، بالإضافة إلى المخاطر الطبيعية الناجمة عن تغير المناخ، والتي يتضح من زيادة هطول الأمطار، وفيضانات نهر النيل المتكررة، وزحف التصحر في المنطقة المحيطة، حيث تواجه المنازل التاريخية التحدي الإضافي المتمثل في زحف الرمال.

لقد تحقق الآتي للمشروع عبر الجهد الذي بذلته الأستاذة فاطمة (تقرير 2023-2024م)

- إكمال جمع الروايات الشفاهية التي انطلقت ضمن مشروع الخندق في عام 2014م واستمرت حتى عام 2019م.
- تغطية جميع ولايات السودان وجزء من ولاية الخرطوم ضمن المشروع السابق.
- استئناف الجهود بعد توقفها نتيجة التغييرات الكبيرة التي شهدتها البلاد، بدءاً من الثورة وحتى الأحداث المتتالية التي حالت دون التحرك بحرية لتغطية الزيارات داخل العاصمة المثلثة.
- قام المشروع بنشر إفادة في اليوم العالمي للتراث الثقافي غير المادي والذي يحتفى به لأول مرة من اليونسكو، تكريماً للأستاذة فاطمة وأهل الخندق الكرام، في نوفمبر 2023م. https://www.linkedin.com/posts/intisar-soghayroun-269043266_a-statement-on-the-occasion-of-the-international-activity-7253414332678524928-gFyX?utm_source=share&utm_medium=member_ios
- كما نشر المشروع في قوقل آرت فيديو عن الخندق تحدث فيه الدكتور أحمد حسين

. <https://artsandculture.google.com/story/OAVxtZbipkH5xQ>

المصادر والمراجع

- Soghayroun, I. (2008), The Archaeological and Cultural Survey of the Northern Dongola Reach, West Bank, from el-Khandaq to Hannek. First Season's Report 2007, *Sudan and Nubia*, bulletin no 12. 74-78
- Soghayroun, I. (2011), The archaeological and cultural survey of the Dongola Reach, west bank from el-Khandaq to Hannek: Survey Analysis, *Sudan and Nubia*, Bulletin no. 15. 142-145.
- Soghayroun, I. (2009), The Dialogue between the River Nile and its Hinterlands: Al Khandaq-A Desert Terminal and a River Port In book: *Water, Culture and identity* Publisher: Bergen university. 109-140.
- Soghayroun, I. (2020). *The Nilotic Sudan*, Oxford handbook of Islamic archaeology pages 395–416.
- Sjöström, Isabella Welsby. 2017. El-Khandaq – the town in the light of some Western pre-modern sources, *Sudan & Nubia* bulletin no 21. 198-203

تعزيز دور التعليم والتدريب الميداني في مواقع ما قبل التاريخ بالسودان

تجربة قسم الآثار جامعة الخرطوم في موقع الصُّور

أ.د. أزهرى مصطفى صادق

قسم الآثار ، كلية السياحة والآثار ، جامعة الملك سعود

المستخلص

يقدم هذا المقال استعراضاً لمنهجيات التدريب الميداني لقسم الآثار من خلال التنقيبات الأثرية في موقع الصُّور. ويتناول المقال في سرد نظري وعملي كيفية تطبيق مقرر تقنيات علم الآثار (التنقيب) (2) تنقيب – العمل الميداني والخطوات اللازمة لتحقيق الأهداف الأساسية للمقرر ميدانياً. ويشمل المقال سرداً مفصلاً لنتائج التنقيبات في موقع الصُّور خلال الفترة من 2005م إلى 2009م. خلال هذه الفترة، شارك طلاب قسم الآثار جامعة الخرطوم، وبعض الطلاب والباحثين من جامعات ومؤسسات أخرى بالسودان، سنوياً في أعمال التنقيب، وساهمت حفرياتهم في التعرف على تطور ثقافي مهم خلال نهايات العصر الحجري الحديث في وسط السودان.

الكلمات المفتاحية: التدريب الميداني، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، موقع الصُّور

Abstract

This article presents a review of the field training methodologies of the Department of Archaeology, University of Khartoum, through archaeological excavations at the site of Es-Sour. The article discusses, in a theoretical and practical manner, the application of the course "Archaeological Techniques (Excavation) (2) Excavation – Fieldwork" and the steps necessary to achieve the basic objectives of the course in the field. The article includes a detailed account of the results of the excavations at the site of Es-Sour during the years from 2005 to 2009. During this period, students of the Department of Archaeology, University of Khartoum, and some students and researchers from other universities and institutions in Sudan, participated annually in the excavations, and their excavations contributed to identifying an important cultural development during the late Neolithic period in central Sudan.

Keywords: Field Training, Department of Archaeology, University of Khartoum, Es-Sour Site

مقدمة:

يعد التدريب على العمل الميداني عنصراً أساسياً في دراسة علم الآثار على مستوى البكالوريوس، حيث ترى العديد من المؤسسات التي تُقدم تعليمياً في علم الآثار أن عنصر العمل الميداني جزء لا يتجزأ من المقرر الدراسي. وهناك العديد من التحديات التي تواجه أساتذة الجامعات والمشرفين والطلاب أثناء التدريب على العمل الميداني في علم الآثار (انظر مناقشة Croucher et al 2008 حول هذا الأمر). أحد أهم المشكلات هي التمويل والموارد التي تجعل من التدريب على العمل الميداني الجامعي أمراً مستحيلاً في بعض الأحيان، خاصة في السودان. ولا يقتصر التحدي على توفير تدريب عالي الجودة في ممارسة العمل الميداني في علم الآثار، بل يشمل أيضاً ربط تجارب التعليم الجامعية بخطط التطوير الشخصي والمهارات وفرص العمل المستقبلية.

وفي حين تُوفر بعض المؤسسات مدرسة ميدانية مُنظمة مُخصصة للتدريب، تُدرّب العديد من المؤسسات الأخرى طلابها على مجموعة متنوعة من المشاريع البحثية داخل أقسامها المعنية. وفي كثير من الأحيان تواجه تلك المؤسسات تحديات عدة تتمثل في كيفية تقديم تدريب فعال على مهارات العمل الميداني في بيئة بحثية تُواجه ضغطاً لتحقيق نتائج محددة ضمن إطار زمني وموارد محدودة؛ ولأن هذا "تعليم"، يكون مرتبطاً أيضاً بتقييم أداء الطلاب. ولا يعني هذا مجرد منحهم "درجة" في نهاية تدريبهم الميداني، بل تزويدهم بملاحظات فعّالة حول نقاط قوتهم وضعفهم، خاصة خلال العمل الميداني نفسه أو عند تقديمهم لتقارير العمل الميداني الواجبة عليهم. هذا بدوره يُثير تساؤلات حول قابلية التوظيف - كيف يُمكن للطلاب الاستفادة من هذه التجربة الفريدة من التدريب الميداني في السعي وراء مسيرة مهنية مستقبلية، سواء في مجال علم الآثار أو خارجه؟ ولذلك، كان التدريب الميداني من منظور التعليم والتعلم، هدفاً للعديد من التساؤلات مثل: ما هي أكثر أساليب تدريس العمل الميداني الأثري فعالية؟ ما هي جوانب التدريب الميداني التي ينبغي تقييمها؟ ما مدى فعالية أساليب التقييم المختلفة؟ كيف يُمكن ربط التقييم بمستقبل الطالب الوظيفي؟ (انظر مثلاً: Phillips and Clarke, 2010).

1. تعريف العمل الميداني:

يمكن تعريف العمل الميداني (Fieldwork) بأنه أي تعلم يتم الاشراف عليه ويُجرى خارج الفصل الدراسي (Lonergan & Andresen 1998)، وفي علم الآثار يشمل عادةً أنشطة مثل الرحلات الميدانية إلى المعالم الأثرية والمشاهد الطبيعية والمتاحف، والتدريبات العملية في المسح، وعلم الآثار التجريبي، والدراسات الجيوفيزيائية، والتنقيبات التدريبية. ويُعد التدريب الميداني، على وجه الخصوص، السياق الرئيسي الذي يُطور فيه الطلاب الإطار الأساسي للمعرفة والمهارات اللازمة للعمل التطوعي والمهني في علم

الآثار، حيث يتعلمون فيه "التصرف" بوصفهم ممارسين آثاريين في الميدان. ومن خلال العمل الميداني، تُتاح للطلاب فرصاً لاكتساب خبرات مباشرة حول الطبيعة المادية للأدلة الأثرية، مما يُمكنهم من خلال التعلم بالممارسة من تطوير مهاراتهم في الملاحظة المباشرة ومعالجة البيانات (Brookes 2008).

تماشياً مع هذه الآراء، تتضمن معظم مناهج البكالوريوس وعدد كبير من الشهادات والدبلومات في السودان وغيرها من بلدان العالم، متطلبات عمل ميداني إلزامية، غالباً ما تشمل التنقيب إلى جانب دورات عملية أخرى مثل: المسح الميداني، وتسجيل المباني القائمة، والأرشفة والعمل المختبري. وبالرغم من أن ذلك يشمل التعليم العالي أحياناً، إلا أنه قد يخضع في بعض الأحيان لطابع غير مهني خاصة إذا لم تكن الخلفية الجامعية في البكالوريوس لطالب الدراسات العليا متضمنة مقررات مكثفة في علم الآثار، وبالتالي فإن العديد من أصحاب الشهادات العليا قد لا يواصلون في مهنة علم الآثار بشكل دائم، كما أن تدريبهم قد لا يتم تضمينه ضمن الخطط الدراسية مما يؤدي إلى مشاكل النفقات التي تواجههم في إكمال أعمالهم الميدانية، وتنظيم الوقت، والصحة والسلامة، وبالتالي يعزز هذا الأمر أهمية الدراسة الصفية على حساب تطوير المهارات الميدانية (Collis 2001:16). وفي هذا المجال، تطلب التنظيم والممارسة المتغيرة لعلم الآثار من الخريجين مستوى أعلى، ومجموعة أوسع من المهارات والخبرات المتخصصة، وهي مهارات لا يُنظر إليها على أنها تمت تليبيتها ضمن برامج التدريب الميداني الحالية على مستوى الشهادة (Chitty 1999).

بالنظر إلى هذه الملاحظات، من المشروع التشكيك في قيمة التدريب الميداني في مناهج علم الآثار المعاصرة، وكذلك بالنسبة لغالبية الطلاب الذين لن يستخدموا معارف مهارات التنقيب المحددة في وظائفهم المستقبلية. تهدف هذه الورقة إلى استكشاف بعض القضايا المتعلقة بالتدريب الميداني، والتفكير في آثارها استناداً إلى أعمال التدريب على التنقيب في موقع الصُور الذي أجراه قسم الآثار بجامعة الخرطوم في الفترة من 2005م إلى 2012م، باعتباره وسيلة لتسليط الضوء على بعض المشكلات والقضايا التي تواجه التدريب الميداني في التعليم الجامعي. وبالرغم من أن هذا النقاش لا يتضمن تحليلاً سنوياً أو إحصائيات لهذه القضايا، إلا أننا نطمح بأن يكون منصة مثمرة للنقاش المستقبلي حول هذا الموضوع. ونظراً لندرة الأدبيات المتعلقة بالممارسات التعليمية في علم الآثار في السودان، فإننا سنقدم تجربة محدودة بموقع أثري واحد من فترة العصر الحجري الحديث، والذي يمكنها من تحديد منظور منقح للعمل الميداني في مناهج علم الآثار، مع التركيز بشكل متساوٍ على الضرورات الأكاديمية والاهتمامات المهنية، وهو أمر مماثل لما تم مناقشته في عدد من الدراسات (انظر مثلاً: Brookes 2008).

2. أهداف وغايات التدريب على التنقيبات الأثرية في قسم الآثار

يتكون علم الآثار بوصفه تخصصاً، من جانبين: نظري، وعملي. ويلخص جونسون (Johnson

2, 1999) العلاقة بينهما بقوله: "تغطي النظرية سبب اختيارنا لهذا الموقع للحفر، ومنهجية التنقيب المتبعة فيه". في نموذج التدريب "التقليدي"، المعتمد في غالبية الجامعات في السودان، غالباً ما تقتصر المناهج القائمة على المعرفة والمحتوى، على الفصول الدراسية (على شكل محاضرات، وندوات، ومجموعات عمل صغيرة، وأنشطة ثنائية)، بينما يقتصر التدريب العملي على "كيفية" وأساليب وتقنيات التنقيب على أنشطة لا صفية، مثل التدريب على التنقيبات، ودورات المسح، والعمل المختبري. أما المجال التعليمي الثالث، وهو الرحلات الميدانية، فيُجرى أيضاً خارج الفصول الدراسية. ورغم اختلاف أهدافها، إلا أن الغرض الشائع من هذه الأنشطة التعليمية هو تطوير المعرفة بالمحتوى مع التركيز بشكل واضح على مهارات الملاحظة.

وتشمل المقررات الدراسية أحياناً دمجاً بين الجانبين النظري والعملي، وقد تتضمن أيضاً مقررًا نظرياً للتمهيد للمقرر العملي وهو الأمر الذي يتبعه قسم الآثار بجامعة الخرطوم في المقررات من هذا النوع.

هناك أربع مقررات نظرية وعملية في قسم الآثار تتناول تقديم المهارات الخاصة بالتدريب الميداني في مجالي المسح والتنقيب يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

اسم المقرر	عدد الساعات	الأهداف	المخرجات	طريقة التقويم
تقنيات علم الآثار (المسح - نظري)	2	- معرفة الطالب بكل العمليات التي بموجها يتم مسح الموقع بالإضافة إلى تهيئة الطالب الموقع الأثري وكيفية التعامل معه من خلال عملية المسح هذه (أدوات المسح الأثري)	يصبح الطالب قادراً على القيام بمسح أثري وكتابة تقرير لنتائجه	المقال: 5% السمنار: 5% الاختبار الشهري: 10% الامتحان النهائي: 80%
تقنيات علم الآثار (المسح - ميداني)	2	- معرفة الطالب بكل العمليات التي بموجها يتم مسح الموقع وتطبيقها عملياً في الحقل - تهيئة الطالب للموقع الأثري وكيفية التعامل معه من خلال عملية المسح هذه (استعمال أدوات المسح الأثري)	يصبح الطالب قادراً على القيام بمسح أثري وكتابة تقرير لنتائجه	المقال: 5% السمنار: 5% الاختبار الشهري: 10% الامتحان النهائي: 80%
تقنيات علم الآثار (التنقيب - نظري) (1)	2	- تعريف الطلاب وتدريبهم على عملية التنقيب الأثري وطرقه ومناهجه وأساليبه المختلفة	- أن يستطيع الطالب القيام بتنفيذ مسح أثري بكل مراحله وصياغة تقرير	العمل الميداني: 45% التقرير: 15%

الامتحان النهائي: 40%	متكامل عنه - القدرة على أداء العمل في فريق وتفهم أسس تكامل الأدوار في الميدان	باختلاف طبيعة المواقع - تعريف الطلاب بعمليات تكوين الموقع الأثري	
تقرير: 15% عمل ميداني: 45% الامتحان النهائي: 40%	مقدرة الطالب على القيام وإدارة حفرة أثرية وكتابة تقرير علمي عنها	- تعريف الطالب بكيفية استخدام أساليب التنقيب الأثري وأدوات عملياً في الحقل - كيفية التعامل مع الموقع الأثري - كتابة التقرير ومن ثم نشر النتائج	2 تقنيات علم الآثار (التنقيب) (2) تنقيب - العمل الميداني

وتشمل المقررات النظرية والعملية مقررات أخرى في إطار دراسات الموقع الأثري مثل المقرر النظري "مبادئ في إدارة المصادر الأثرية"، والمقرر العملي الميداني "إدارة المصادر الأثرية (حماية وحفظ وصيانة وترميم)"، إلا إنها خارج إطار هذه المناقشة.

تندرج تحت استراتيجيات التعليم والتعلم في هذه المقررات الأربعة (تقنيات علم الآثار (المسح - نظري)/ تقنيات علم الآثار (المسح - ميداني)/ تقنيات علم الآثار (التنقيب - نظري) (1)/ وتقنيات علم الآثار (التنقيب) (2) تنقيب - العمل الميداني)، العديد من المفردات أو محتويات المقرر. وإجمالاً، تركز على تقديم أطر عامة للمسح والتنقيب وتوفير السياق العلمي والمهني في آن واحد في المقررات النظرية، ثم إكمال هذه الوحدات التمهيدية في الممارسة الأثرية بتدريب ميداني في مجالي المسح والتنقيب. يمكن أن يتخذ هذا العمل الميداني أشكالاً متنوعة، مثل الأعمال الميدانية المنظمة في المواقع التي تمتلك رخصتها قسم الآثار، أو المشاركة في مشاريع بحثية يقودها أفراد في قسم الآثار. وكلا البيئتين تقدمان لطالب قسم الآثار تعليمياً ميدانياً مميزاً، بالرغم من صعوبة التكهّن بنتائج التطوير المهني المستقبلي لهم خاصة مع وجود أعداد كبيرة من الطلاب في وقت واحد.

تقدم مقررات المسح والتنقيب الميداني في قسم الآثار شكلاً محدداً من العمل الميداني المُصمم لتزويد الطلاب بتدريب على استخدام المعدات الميدانية، وممارسة تقنيات العمل الميداني الأساسية المتمثلة في المسح والتسجيل والتنقيب وأخذ العينات، بالإضافة إلى تقدير وتطبيق إجراءات ومسؤوليات السلامة. كما تُعزز العمل التعاوني والتجارب المنزلية خلال وجود الطلاب في المعسكرات الميدانية. ويُركز التدريب الأثري ضمناً على الاهتمام بأساليب العمل الميداني وضبطه، وعلى النطاق المحدود للمهارات والمعارف التي تصاحبه.

ويتضح من خلال الجدول أعلاه أن العمل الميداني الأثري في قسم الآثار يعامل على أنه حجر الزاوية في عملية التعليم التي يمارسها القسم، حيث يسعى إلى إنشاء تفاعل للطلاب بشكل مباشر مع مواقع المسح والتنقيب والمواد الأثرية. وبالتالي تهدف المقررات إلى أن يمتلك الطلاب مهارات العمل الميداني القوية باعتبارها أمراً ضرورياً لأي شخص يسعى إلى مهنة في علم الآثار، وهذه من الأمور التي استفدنا منها ونحن طلاب في قسم الآثار بجامعة الخرطوم، ولا زلنا ننقلها لأجيال من الطلاب في السودان أو خارجه.

كما تقدم مقررات التدريب الميداني في قسم الآثار طيفاً واسعاً من الموارد التعليمية. فالتنقيب موجهٌ بشكل واضح نحو حل المشكلات من خلال تعريف الطالب بكيفية استخدام أساليب التنقيب الأثري وأدواته عملياً- في الحقل وكيفية التعامل مع الموقع الأثري، ومن ثم كتابة التقرير ونشر النتائج. ويتطلب حل المشكلات مقدرة الطالب على القيام بإدارة حفرة أثرية وكتابة تقرير علمي عنها. وتعد خبرة التنقيب هي الجانب الأكثر عملية في علم الآثار، حيث يحتاج طالب الآثار إلى خبرة في تقنيات التنقيب للكشف عن القطع الأثرية والبقاء بأمان وكفاءة، كما أن القدرة على التنقيب بدقة أمر بالغ الأهمية، حيث إن التعامل غير السليم يمكن أن يلحق الضرر بالقطع الأثرية القيمة أو يدمر سياقها التاريخي. وتتضمن العملية التعليمية في هذا المقررات التعريف بعملية التنقيب والعمل بأدوات مختلفة، مما يجعل من الخبرة التي يكتسبها الطالب في طرق التنقيب المختلفة أمراً حيوياً أيضاً. ومع ما يتطلبه التدريب الميداني من جهد فإن مهارات العمل الميداني تقدم الأساس للخبرة العملية لطالب الآثار. ويضمن الإثنان في أعمال التنقيب والمسح ورسم الخرائط والقدرة على التحمل البدني النجاح في استكشاف المواقع الأثرية والحفاظ عليها. كما تجمع عملية التدريب بين التعلم التجريبي الجماعي والمستقل، والذي يمكن أن يكون بمثابة وسيلة لنمو العلاقات الشخصية، مما يساعد على تطوير سلوكيات مناسبة مثل مراعاة الآخرين والتعاون والمرونة، بالإضافة إلى الثقة بالنفس وتقدير الذات.

3. أهداف التدريب على التنقيبات الأثرية وغاياته في موقع الصُور ونائجها

يتذكر معظم الناس بوضوح تجربتهم الميدانية الأولى في علم الآثار: "مسطرينهم" الأول، ورائحة التراب، وساعات غربة ومعالجة المواد الأثرية التي لا تنتهي، والطقس المتقلب، والخوف من العودة في طرق متربة لا اتجاه لها، والأجواء الاجتماعية السائدة في المعسكر. ويدرك العديد من علماء الآثار تأثير هذه التجربة في تشكيل مسيرتهم المهنية، حيث يعد التدريب الميداني على وجه الخصوص أحد المتطلبات الأساسية في تخرج طلاب البكالوريوس وبالتالي القيام بمشاريع ميدانية أخرى خلال الالتحاق بكلية الدراسات العليا والعمل المهني. وغالباً ما تعدُّ المشاركة في مدرسة ميدانية أثرية، كقسم الآثار جامعة الخرطوم، لحظة حاسمة في الحياة، حيث يقرر الطلاب خلال فترة وجيزة ما إذا كانوا سيتابعون العمل في مجال علم الآثار بشكل احترافي أم سيحصرونه في هواية أو قصة لا تُنسى أو مجرد ذكرى من الماضي.

وبالنسبة لأولئك الذين يواصلون مسيرتهم ليصبحوا علماء آثار محترفين، سواءً بالتزامن مع الدورات الدراسية الرسمية أو بشكل مستقل عنها، يعد التدريب الميداني الذي يقدمه قسم الآثار بجامعة الخرطوم من أقدم أنظمة التدريب الميداني في السودان، والذي حصلت فيه أجيال من الأثاريين على التدريب والخبرة في التعليم والتدريب والممارسات الأثرية. ويمكن اعتباره كياناً تعليمياً فريداً في علم الآثار وغيره من التخصصات الميدانية في السودان وخارجه.

بدأت الأعمال التدريبية لقسم الآثار بجامعة الخرطوم منذ عام 1973م مترافقةً مع البدايات الأولى لإنشاء قسم الآثار بالجامعة، ومن خلال مشروع العمل الأثري لجامعة الخرطوم في منطقة شمال مدينة أم درمان (عبد الرحيم محمد خبير، محتوى إلكتروني). كان الهدف من هذا المشروع تدريب طلاب الجامعة على التطبيقات العملية للعمل الأثري من مسوحات وتنقيبات والتي تشكل جزءاً أساسياً من متطلبات المنهج الدراسي المقرر. وتشمل هذه التدريبات العملية: نظم المسح والتنقيب والرسم والتصوير والتسجيل الأثري. وكانت منطقة حفريات شمال أم درمان أحد الروافد الأساسية لمشاريع البحث الأثري لطلاب الدراسات العليا حيث شهدت تنقيبات مواقع تؤرخ لفترات تاريخية مختلفة شكلت مادة علمية ثرة لرسائل الماجستير والدكتوراه داخل السودان (جامعة الخرطوم) وخارجه (جامعات كمبردج ودرم ووردينق وبيرجن وساوثامبتون وكاليفاريا) لكوادر سودانية تأهلت بشكل متميز، وتدير الآن دولا العمل الأثري بجدارة واستحقاق داخل الوطن وخارجه (المرجع السابق).

كما شملت أعمال التدريب على المسح والتنقيب جزئياً أو كلياً العديد من المناطق في السودان، مثل النيل الأبيض، والبحر الأحمر ونهر النيل شمال شندي، ومنطقة الشلال الخامس، ومنطقة المحس، والخندق، ومنطقة القعب، وشمال كرفان، وغيرها. كما تنوعت المواقع الأثرية التي تم مسحها أو التنقيب فيها حيث غطت كل الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم حتى التاريخ المعاصر.

وسنركز في الجزء المتبقي من هذه المناقشة في طرح نموذج فريد للتدريب الميداني على مواقع ما قبل التاريخ في قسم الآثار بجامعة الخرطوم والذي بدأ في العام 2005م بموقع الصُور واستمر حتى 2012م.

يعد الكشف عن موقع الصُور في العام 2004م أحد إنجازات مشروع قسم الآثار في منطقة مروي والضواحي الشمالية. ونشأ باعتباره بحثياً وتدريبياً لطلاب قسم الآثار وإلى تشجيع طلاب الدراسات العليا في قسم الآثار وأقسام الآثار الأخرى في الجامعات السودانية الذين يسجلون في قسم الآثار للدراسات العليا اختيار موضوعات بحوثهم في موضوعات تتركز في الضواحي الشرقية والضواحي الغربية "غرب النيل" لمدينة مروي. وقد ركز المشروع بشكل رئيسي على دراسة الموارد الأثرية بالمنطقة، وتقييم نتائج التنقيبات

السابقة وإجراء أي تعديلات ضرورية عليها، والتسلسل الزمني الداخلي للمدينة والحضارة، والمدينة في سياقها التاريخي، والمحلي، والبيئي، والثقافي.

يضم امتياز المشروع المنطقة من حدود مدينة مروي الملكية إلى حدود المطمر الشمالية على الضفة الشرقية للنيل، وهو بذلك مكمل لمشروع حفريات المدينة الملكية وصيانتها وترميمها، بطول حوالي 22، 26 كلم وعرض 3، 35 كلم جنوباً و 7.49 كلم شمالاً، يضيق ويتسع مع تعرجات النيل وطريق الخرطوم عطبرة، ويضم الجزر (شبيلية أكبر الجزر في المنطقة، وجزيرة أومري، وجزر صغيرة تنتج عن زيادة النيل تستخدم للزراعة كجزيرة جمره بالمطمر)، ويضم القرى من الجنوب (الدرقاب القديمة، الدرقاب الجديدة، الصور، القلعة، الساماب، وادي الطرابيل، الثورة، قدو، الجزيرة شبيلية، أم علي، الضيقة، الكتواب، الحتانة، المطمر، كلي، المكنية، الحليلة، الحداحيد، بقروسي، الكمير، سقادي غرب) ومن الأودية (الطرابيل، الدان، عيش، حضرية، برآق) والخيران مثل (خور الضيقة، وخور الشقيق)، والجبال مثل (جبل أرداب، جبل أم علي، جبل أمبور (1-2)، جبال الضيقة، وجبل الأبيض، جبل عبد الدائم، جبل الجوعة، جبل الحننا).

هدف المسح الأثري للمنطقة الواقعة بين مروي والمطمر إلى الشمال من منطقة جبل أم علي أيضاً إلى دراسة المنطقة من جوانب متعددة، مثل علم الآثار، والتراث الشعبي، والبيئة، واللغة. كان الهدف الرئيسي إعادة مسح الضفة الشرقية لنهر النيل بين مروي والمطمر، وهي منطقة تمتد لحوالي 26 كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، ويتراوح عرضها بين 3.35 و 7.5 كيلومترات. وقد اكتُشف 29 موقعاً منذ عام 2004م، تمتد من العصر الحجري الحديث إلى العصر الحديث.

كما هدف المشروع إلى تسليط الضوء على الأعمال الأثرية في المنطقة الواقعة شمال مروي، وما إلى ذلك، بالإضافة إلى تعزيز فهم كيفية رؤية عصور ما قبل التاريخ والتاريخ في المنطقة، بالإضافة إلى كشف مختلف قطاعات محيط المدينة الملكية وشرحها، وفهم أفضل لارتباطاتها وعلاقاتها، وتخطيطها ووظائفها (Sadig and Adam, 2017). تضمن المشروع مسوحات منهجية عامة وحفريات اختبارية في المناطق المحيطة بمدينة مروي القديم، كان من نتائجها الكشف عن عدد من مواقع ما قبل التاريخ ومن بينها موقع الصور.

امتدت فترات التدريب في إطار المشروع لثلاثة أسابيع للمسح وثلثة أسابيع أخرى للتنقيب، بالإضافة إلى موسم بحثي متخصص لمدة ثلاثة أسابيع أخرى.

وحدّد المشروع فريقاً للمشروع للفترة ما بين 2004م إلى 2008م بالتفصيل الآتي:

- علي عثمان محمد صالح مدير المشروع.
- أزهري مصطفى صادق المدير الميداني.
- عبد الرحمن ابراهيم سعيد عضواً.
- أحمد حسين عبد الرحمن عضواً.

واستمر هذا الفريق الدائم في الفترة من 2009م إلى 2013م حيث صار دكتور عبد الرحمن ابراهيم سعيد نائباً للمدير الميداني ومسئولاً عن تدريب تقنيات التنقيب والدكتور أحمد حسين عبد الرحمن نائباً للمدير الميداني ومسئولاً عن تقنيات المسح.

وقد ضم الفريق المساعد عدداً من طلاب الدراسات العليا وطلاب المستوى الخامس في السنوات 2011م إلى 2012م للمواسم المختارة.

وفي خلال سنوات العمل من 2004م إلى 2013م سجّل فريق العمل (16 موقعاً أثرياً مختلفاً) يتكون بعضها من عدد كبير من المواقع الفرعية مثل المقابر التلية في وادي الدان ووادي عيش والتي يربو عددها إلى مئات عديدة. كما أعاد فريق العمل دراسة المواقع المسجلة من قبل في شمال منطقة مروي وجدّد تسجيل بعض المواقع. وبشكل عام، ركز أعضاء فريق العمل من أعضاء هيئة تدريس القسم على تدريب طلاب القسم في عمليتين ميدانيتين منفصلتين أولهما عن تقنيات المسح الأثري وثانيهما عن تقنيات التنقيب الأثري في إطار هذا المشروع وعلى حسب الإستراتيجيات التي تم رسمها والإطار النظري الذي قامت عليه تلك الاستراتيجيات. هكذا ضمن القسم تمويلاً سنوياً لهذا المشروع، حيث تكفلت جامعة الخرطوم بدفع ميزانية العمل الأثري البحثي في إطار ميزانية تدريب طلاب البكالوريوس. وبعد الكشف عن موقع الصُور في العام 2004م (Sadig 2005, 2008a, 2008b, 2010, 2013, 2014)، أُطلق مشروع تدريب سنوي للطلاب في موقع الصُور، وتمثلت أهداف التدريب الميداني فيما يلي:

- 1/ تقييم فعالية وحدات التدريس الأثري النظري في برنامج البكالوريوس بوصفها تحضيراً للعمل الميداني.
- 2/ تقييم أساليب التدريس والتعلم والتقييم المختلفة المستخدمة في تدريب التنقيبات.
- 3/ إبراز المهارات التقنية والأكاديمية والقابلة للنقل المكتسبة من خلال العمل الميداني العملي.
- 4/ تعزيز فرص الطلاب في التقدم العلمي بما فيها طرح فكرة التوظيف مستقبلاً "دون ضمانات فعلية".
- 5/ تقييم أساليب تقييم أداء الطلاب في العمل الميداني وفعاليتها.

كما شمل التدريب الميداني تعريف الطالب بكيفية استخدام الأساليب والأدوات في التنقيب الأثري عملياً- في الحقل - كيفية التعامل مع الموقع الأثري، وكتابة التقرير ومن ثم نشر النتائج. بالإضافة إلى ذلك يتم تعريف الطلاب بجميع جوانب تقييم البيانات الأولية وجمعها وتحليلها، وتوفير خبرة عملية في العمل الميداني. كما استحدثت مناهج وإجراءات أخرى بمرور الوقت خاصة استخدام قوئل إيرث في رصد المواقع الأثرية في محيط موقع الصُّور، وتاريخ الموقع بطريقة الكربون (14) وغيرها.

أولاً. المنهجية:

امتد التدريب الميداني في موقع الصُّور بإشراف مباشر من كاتب هذا المقال في الفترة من 2005م إلى 2009م. وخلال هذه الفترة، شارك طلاب قسم الآثار جامعة الخرطوم، سنوياً في أعمال التنقيب، كما سمح القائمون على العمل بإشراك بعض الطلاب من جامعات أخرى عرضياً. في المقرر الدراسي (تقنيات علم الآثار (التنقيب) (2) تنقيب - العمل الميداني) يدرس طلاب برنامج الشرف وحدتان في التدريب الميداني مدتها شهر، وهي إلزامية لجميع طلاب برنامج بكالوريوس الشرف في علم الآثار. في الفصول الدراسية السابقة، يكون الطلاب قد أكملوا وحدات دراسية نظرية حول الموضوعات التالية:

- 1/ عوامل تكوين الموقع الأثري.
- 2/ التنقيب الأثري، أهدافه، مناهجه ووسائله.
- 3/ تعريف الموقع الأثري وأنواع المواقع الأثرية.
- 4/ بعثة التنقيب عن الآثار.
- 5/ الوسائل المستخدمة في التنقيب الأثري، توثيقها وتخطيطها.
- 6/ تسجيل الحفريات الأثرية والمكتشفات.
- 7/ تصنيف المكتشفات الأثرية وتوثيقها وتفسيرها.
- 8/ التقنيات المستخدمة في عمليات التنقيب (التنقيب - رسم المواد الأثرية).
- 9/ صياغة تقرير علمي يلخص ويوثق عملية التنقيب الأثري.

كما يشمل التدريب الميداني أيضاً مفردات مترادفة مع العمل الميداني يتم تدريسها قبل بدء العمل الميداني أو خلال وجود الطلاب بالمعسكر الميداني وتشمل:

- 1/ منهج التدريب الأثري الحقل.
- 2/ تعريف الموقع الأثري وأنواع المواقع الأثرية عملياً وفي الحقل.
- 3/ بعثة التنقيب عن الآثار المرافقة.

- 4/ الإعداد للحفريات وتخطيطها عملياً وفي الحقل (باستخدام أجهزة التخطيط من ليفيل أو ثيودلايت أو توتل استيشن).
- 5/ تسجيل الحفريات الأثرية والمكتشفات أولاً بأول في الحقل (كراسة التسجيل).
- 6/ تفسير المكتشفات الأثرية في المعمل.
- 7/ تطبيق التقنيات المستخدمة في عمليات التنقيب والأدوات (التنقيب - رسم المواد الأثرية) وتطبيق عملي في الحقل (كيفية استخدام أدوات التنقيب والقياس والتسجيل والرسم).
- 8/ كتابة تقرير علمي.

ثانياً: مخرجات التعلم:

تتركز مخرجات التعلم في مقدرة الطالب على القيام بإدارة حفريات أثرية وكتابة تقرير علمي عنها. كما تشمل أيضاً تقدير المناظر الطبيعية الأثرية ووصف ومساعدة في المسح عام لخصائص تلك المناظر الطبيعية، ووصف ومساعدة في تخطيط ومسح الموقع (Site Survey) وكذلك فهم تقنيات التنقيب، وتسجيل الطبقات، وأخذ العينات وفرز القطع الأثرية والعناية بها ومعالجة السجلات الميدانية لأعمال التنقيب ومعالجة العينات البيئية (كالعظام والفحم) وفرزها.

ثالثاً. خطوات التدريب (مختصرة)

تم تقسيم وحدة التدريب الميداني في موقع الصُّور إلى أربعة أقسام منفصلة تشمل مسح الموقع وتسجيله، تخطيط الموقع للحفر، والتدريب على التنقيب، وتقنيات ما بعد التنقيب. وتُستكمل هذه الأقسام بسلسلة من المحاضرات المسائية التي تُعقد بالتزامن مع التطبيق العملي.

رابعاً. التقييم

يُقيم مقرر علم الآثار الميداني من خلال مفكرة عمل ميداني يحتفظ بها المشرفون وأعضاء هيئة التدريس، تتضمن تقارير عن حضورهم وأدائهم في العمل الميداني، بالإضافة إلى متابعة سلوك الطلاب داخل المعسكر وخارجه. يتكون الجزء الرسمي من التقييم من تقرير: 15%، وعمل ميداني: 45%، وامتحان نهائي: 40%. في حال الرسوب أو الغياب عن التدريب الميداني، يُعاد التقييم في العام المقبل.

خامساً: تنظيم العمل في الموقع

كان العمل يُنفذ في الموقع أيام السبت إلى الخميس، على مدار ستة أيام في الأسبوع. كان يوم العمل

من الساعة 6:30 صباحاً حتى 1:30 ظهراً. يحضر الطلاب يومياً، خلال الفترة المسائية، محاضرات ذات صلة داخل المعسكر، ولا يقومون بأي عمل في الموقع خلال عطلة نهاية الأسبوع (الجمعة). وقد يُسمح لهم بالحركة خارج المعسكر لزيارة المواقع الأثرية القريبة أو المناظر الطبيعية حول المعسكر. يُقسّم الطلاب إلى مجموعات حسب عددهم، ويكونون مسئولين عن مربعات التنقيب التي تخصص لهم. ويبقى طلاب كل مجموعة معاً خلال مسح الموقع وتسجيله، وتخطيط الموقع للحفر، والتدريب على التنقيب، وتقنيات ما بعد التنقيب، غير أن التقارير النهائية التي يقدمونها تكون فردية. في بعض الأحيان يشارك بعض طلاب الفصول المتقدمة أو الطلاب من جامعات أخرى أو الخريجين في هذه المجموعات بوصفهم مشرفين. وتتفاوت عدد المجموعات المخصصة لكل مربع تبعاً لعدد الطلاب في كل موسم. في موسم واحد مثلاً، عمل ما يقارب الخمس وعشرون طالباً وطالبة في خمسة مربعات.

4. نتائج التدريب الميداني في موقع الصُور:

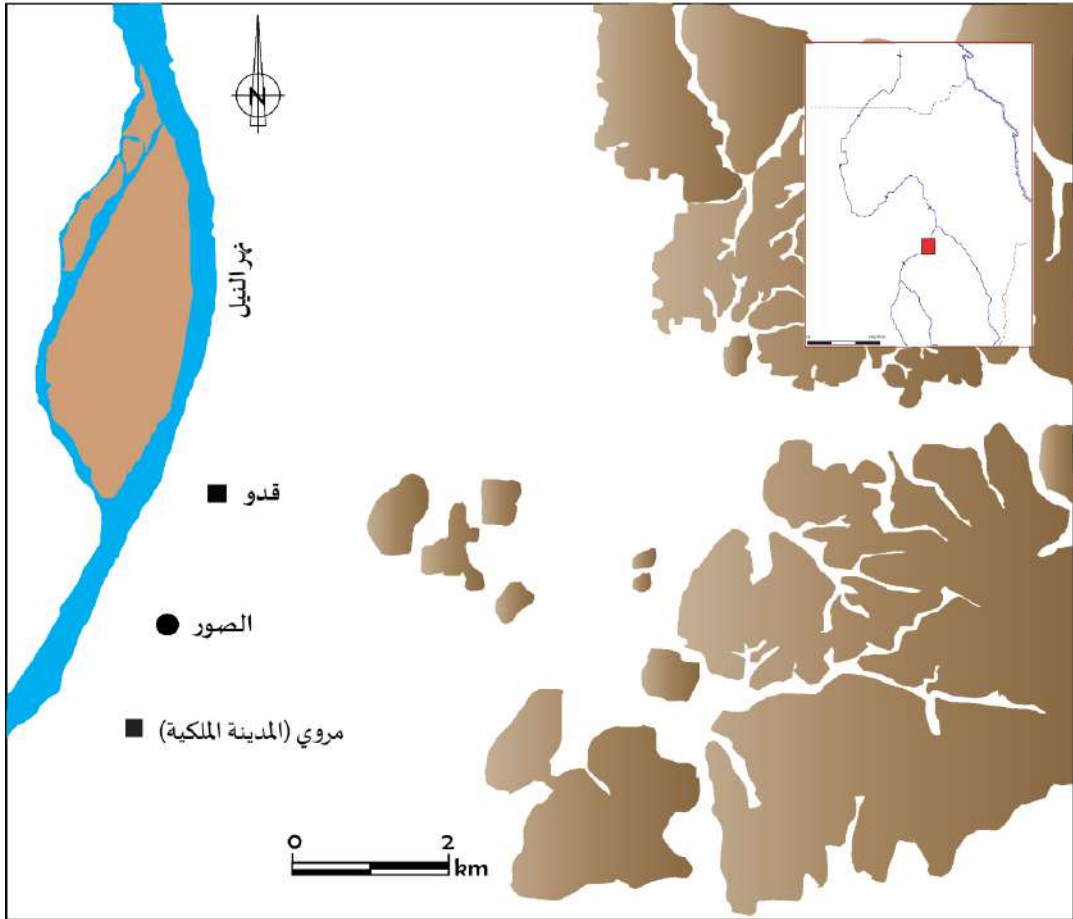
شملت المواقع الأثرية المكتشفة في منطقة شمال مروي من خلال مشروع قسم الآثار بالمنطقة (يوجد وصف كامل لها في: Sadig and Adam. 2017) العديد من المواقع التي تمتد تاريخياً من العصر الحجري الحديث إلى العصور الحديثة. كان هناك تسلسل جغرافي وزمني بين المواقع المروية والمواقع الأخرى في المنطقة. على الرغم من وجود فجوة بين مواقع العصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة والوجود المروي، إلا أن أصل مروي لا يزال مطلباً للعديد من الدراسات. وقد أثبت المسح الأثري أهمية المناطق الشمالية المحيطة بمروي في تقديم أدلة على مثل هذه الدراسات. كان أحد الاكتشافات الرئيسية في المنطقة هو موقع الصُور. ويحتوي الموقع على مواد أثرية لم تكن معروفة من قبل بالقرب من مروي إلا في موقع الكدادة الواقع على بعد 15 كيلومتراً جنوب مروي. قد يشير اكتشاف الصُور إلى الاهتمام بالمواقع المرئية في هذه المنطقة والإغفال التام لهذه المواقع في المسوحات المبكرة. إن مواقع العصر الحجري الحديث المتأخر المعروفة قليلة جداً في جزيرة مروي، على الرغم من أنها قد تلقي مزيداً من الضوء على المستوطنات المبكرة في المنطقة.

أولاً: وصف الموقع:

يقع موقع الصُور على بعد حوالي 200 كلم شمال الخرطوم إلى الشرق من قرية الصُور على بعد 50 متراً غرب السكة حديد وحوالي 1 كلم من الضفة الحالية للنيل (16 57 045N 33 43 133E). اكتشف هذا الموقع خلال العمل الميداني لقسم الآثار بجامعة الخرطوم في العام 2004م، ولم يتم تسجيله قبلاً بالرغم من أنه يقع على بعد حوالي 750 م أو أقل من آخر الوحدات الأثرية التي سجلها جارستانج (Garstang) بمدينة مروي (أي الموقع M622).

يحتوى الموقع على تلين رئيسين ويمتد غرباً إلى داخل المنطقة السكنية والتي أثرت على ضياع جزء كبير منه عوضاً على تضرر الجزء الأوسط من الجانب الشرقي بمرور السيارات. ويحتوى الموقع على مادة أثرية غنية تشمل الأدوات الحجرية وقطع الفخار المميز للعصر الحجري الحديث المتأخر والمواد العضوية، كما كشف التنقيب الذي أجري بالموقع على وجود مقابر للأطفال داخل المستوطن.

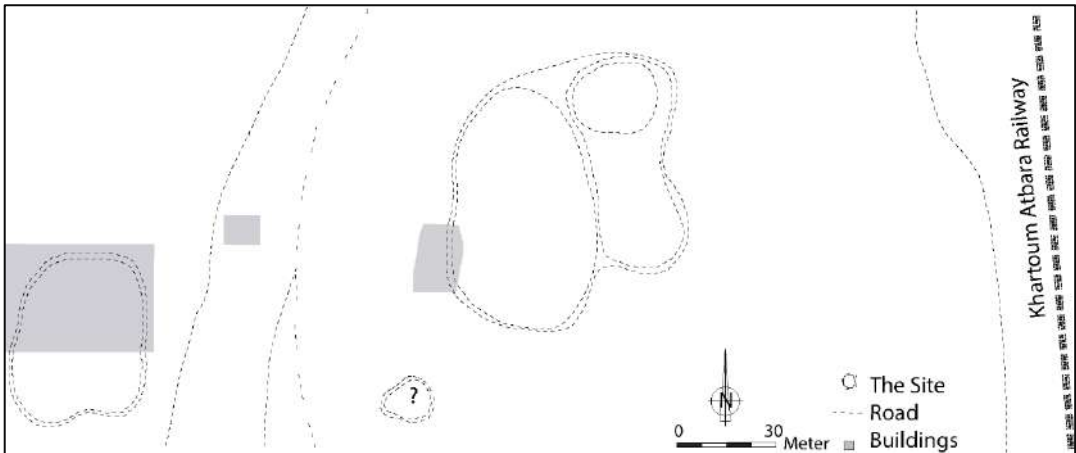
تحتوي الملتقطات السطحية بالموقع على العديد من شقف الفخار والأدوات الحجرية وعظام الحيوانات، بالإضافة إلى القواقع، وبقايا قشر بيض النعام، ومخلفات لاحقة تعود لفترة مروي (350 ق.م- 350م).



خريطة رقم (1): موقع الصُّور (رسم أزهري صادق)



لوحة رقم (1): مشهد عام لموقع الصُّور (2005م)



شكل رقم (1): تخطيط موقع الصُّور خلال الموسم الأول (رسم أزهري صادق)



لوحة رقم (2): مشهد عام للمربعات المحفورة في موقع الصُور

ثانياً: التنقيبات في الموقع :

تم تدريب الطلاب في الموقع على تخطيط مربعات التنقيب في وسط الموقع الأثري تماماً والمتكوّن من بقايا شقف الفخار والأدوات الحجرية، والعظام المتحجرة، والأصداف، وغيرها. وتمتد المربعات من الشمال إلى الجنوب في مساحة 12 X 12 م، وحتى 36 متراً ناحية الشمال. قسمت أجزاء الشبكة إلى عدد من المربعات مساحة كل منها 4م² م وأعطيت لكل منها رقماً وحرفاً أبجدياً متسلسلاً من الغرب إلى الشرق (A1 , B1 , C1). كان الغرض الأساسي من ذلك هو التحقق من عمق طبقات الموقع علاوة على تدريب الطلاب على أعمال التنقيب في المستوطنات الأثرية. تم حفر 26 مربعاً (104 متراً مربعاً) خلال السنوات من 2005 إلى 2009 (Sadig 2005; 2008a, 2008b; 2010). تم حفر أول المربعات التجريبية بالموقع خلال العام 2005، تحت إشراف مباشر من كاتب هذا المقال، حيث تم التركيز أولاً على حفريات المربعات (A13, C13, F13, D11) بطريقة التنقيب بأسلوب الطبقات الميكانيكية (10 سم لكل طبقة)، توقف التنقيب لحوالي 10 سم لصعوبة التنقيب في المربعات، بينما استمر التنقيب حتى الأرض البكر في أربع

مربعات أخرى (A7, B5, D5, F5).

وصلت أغلب الطبقات الثقافية إلى عمق يتراوح ما بين 60 إلى 80 سم. لا تستمر الطبقة الثقافية ما بعد هذا العمق إلا في المناطق التي حفرت فيها مقابر الأطفال (انظر أدناه)، وقد كانت أحوال الموقع بسبب طبيعة التربة ووجود القوارض وعبث السكان بالموقع من الأسباب التي أدت إلى ضياع العديد من المعلومات وتوقف التنقيب في كثير من الأحيان. كما تأثرت الطبقات الثقافية للاضطراب جزئياً بسبب وجود قبور من الفترة المروية. يتراوح عمق الطبقة الثقافية التي تم التنقيب فيها لحوالي 60 إلى 80 سم، وفي أغلب الأحيان لا تتجاوز 60-65 سم. أتاح التحليل النمطي الأولي للمادة الأثرية وخاصة الأدوات الحجرية والفخار، ومقابر الأطفال إلى إسناد هذه الطبقة إلى العصر الحجري الحديث المتأخر. لا تشمل هذه الطبقة أية مخلفات معمارية من العصر الحجري الحديث المتأخر، ولم تسمح طبيعة التربة بتتبع حفر أعمدة أو بقايا يمكن أن تمثل أساسات للمباني. تتكون التربة بالموقع من تربة طينية نتجت من تراكم الطمي النيلي على مر العصور، وتختلط بالرمال والحجارة الصغيرة والبقايا العضوية. لا تختلف التربة في الطبقة الثقافية عن سطح الموقع، ولكنها في الوقت نفسه تتميز بالتفكك الشديد نتيجة للعوامل البشرية والطبيعية، خاصة وأن الموقع يتعرض باستمرار للحفر من قبل القوارض ووجوده بالقرب من قرية الصُّور مما يجعله عرضة للعديد من النشاطات البشرية. في أغلبية المربعات كانت الرواسب السطحية بشكل عام مجزأة للغاية وتضمنت كميات صغيرة من العظام، وقشور بيض نعام.



لوحة رقم (3): مشهد عام لتدريب الطلاب بالموقع خلال موسم 2008م



لوحة رقم (4): مشهد عام للتنقيبات في الموقع خلال موسم 2008م



لوحة رقم (5): مشهد للطلاب عام قبل انطلاق التنقيبات في الموقع خلال موسم 2006م



لوحة رقم (6): مشهد عام قبل انطلاق التنقيبات في الموقع خلال موسم 2007م



لوحة رقم (7): مشهد عام للحفريات في الموقع خلال موسم 2008م



لوحة رقم (8): مشهد عام للحفريات في الموقع خلال موسم 2008م



لوحة رقم (9): مشهد عام قبل انطلاق التنقيبات في الموقع خلال موسم 2008م



لوحة رقم (11): طلاب القسم في معسكر القسم بالمدينة الملكية (2008م)



لوحة رقم (12): طلاب القسم مع الكاتب في معسكر القسم بالمدينة الملكية (2008م)



لوحة رقم (13): زيارة طلاب القسم لموقع الأهرامات المروية بالبحراوية (2008م)



لوحة رقم (10): مشهد عام قبل انطلاق التنقيبات في الموقع خلال موسم 2009م



لوحة رقم (14): مقطع لطبقات المربع A11

ثالثاً: دراسة الدلائل الأثرية:

كانت المعثورات الأثرية في موقع الصُّور مبعثرة بشكل عشوائي فوق سطح الموقع، باستثناء التركيز الأكبر في العمق. تم العثور على جميع شقف الفخار في شكل شقف، ولكن هناك عدد كافٍ منها للسماح بإعادة بناء الأشكال والأحجام الأصلية للأواني. علاوة على ذلك، تم العثور على خمس أواني كاملة لدفن الأطفال، والتي تعطي معلومات واضحة حول استخدام أنواع معينة من الفخار في ممارسات الدفن. كما تم العثور على العديد من الأدوات الحجرية في جميع أجزاء الموقع.

أ. الفخار:

تشمل المعلومات التالية، بيانات تفصيلية لقطع الفخار التي تم جمعها من الموقع في الموسمين الأول والثاني (2005-2006م) مع الإشارة للملاحظات الخاصة بالمواسم من 2007 إلى 2009م. خلال هذين الموسمين تم جمع 8407 شقفة منها 4299 (51.1٪) مزخرفة. تم العثور كذلك على إناءين كاملين. لم تسمح الأحجام الصغيرة لشقف الفخار بالإضافة إلى حالتها السيئة من دراسة العديد منها. يشمل هذا البحث تحليلاً اختيارياً من مجمل القطع التي تم جمعها خلال الموسمين الأول والثاني والبالغ عددها 657 شقفة من الموسم الأول، و 1683 من الموسم الثاني، وجميعها مزخرفة.

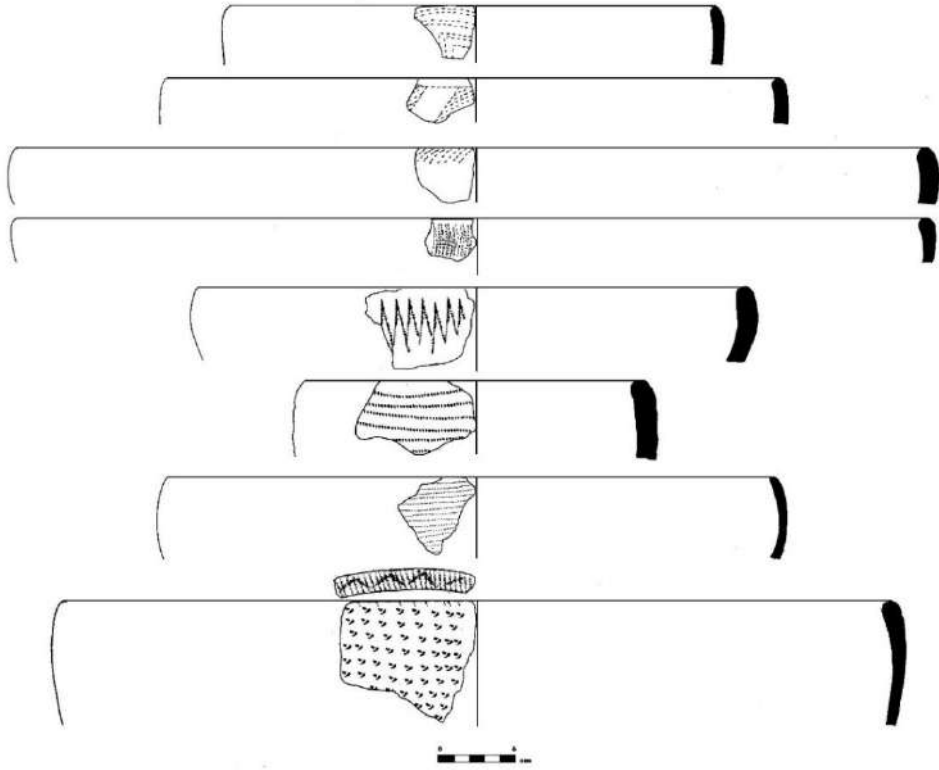
تتميز شقف الفخار بقوام صلب، وحرق جيد وأسطح مصقولة. يبلغ متوسط سمك الشقف من 4-10 ملم، مع بعض القطع التي تم صقلها من الداخل والخارج. تم ملاحظة وجود حواف ملونة خاصة بالأسود في بعض القطع. تغطي الزخرفة عموماً معظم السطح، وتمتد إلى قرب الحافة في كثير من الأحيان. يتدرج اللون السائد من الرمادي إلى الرمادي الداكن، والبني والأسود. يبدو أن معظم الاختلافات في اللون هي نتيجة لعملية الحرق. تبدو الحافات بسيطة الشكل وأغلبيتها لأواني ذات فوهة دائرية عريضة. وتتميز أشكال الأواني السائدة بأواني مفتوحة متوسطة الحجم وأوعية نصف كروية. من أكبر الأواني التي تم العثور عليها هي تلك التي استخدمت في دفن حيث يبلغ قطر الفوهة 35-40 سم وتم تزيينها باستخدام تقنية الطبغات المتعرجة (Rocker-Stamp).

زادت عينة الفخار من موقع الصُّور عام 2006م بنحو 5178 شقفه منها أكثر من 3000 شقفة لها نفس الأوصاف التي تم عرضها أعلاه. كما في الموسم الأول، كانت أغلب شقف الفخار خشنة وجيدة الحرق. تم استخدام العديد من التقنيات في الزخرفة منها الطبغات المتعرجة، والخطوط المموجة (Dotted lines) والعديد من الزخارف بتقنية الطبع. غالباً ما تتميز الشقف غير المزخرفة بسطح مكشوط أو ممسوح (wiped)، على الرغم من أنها غالباً ما تكون مصقولة. تتعلق الأخيرة بشكل أساسي بالأواني الحمراء الخشنة ذات الحافات السوداء (black-topped red wares).

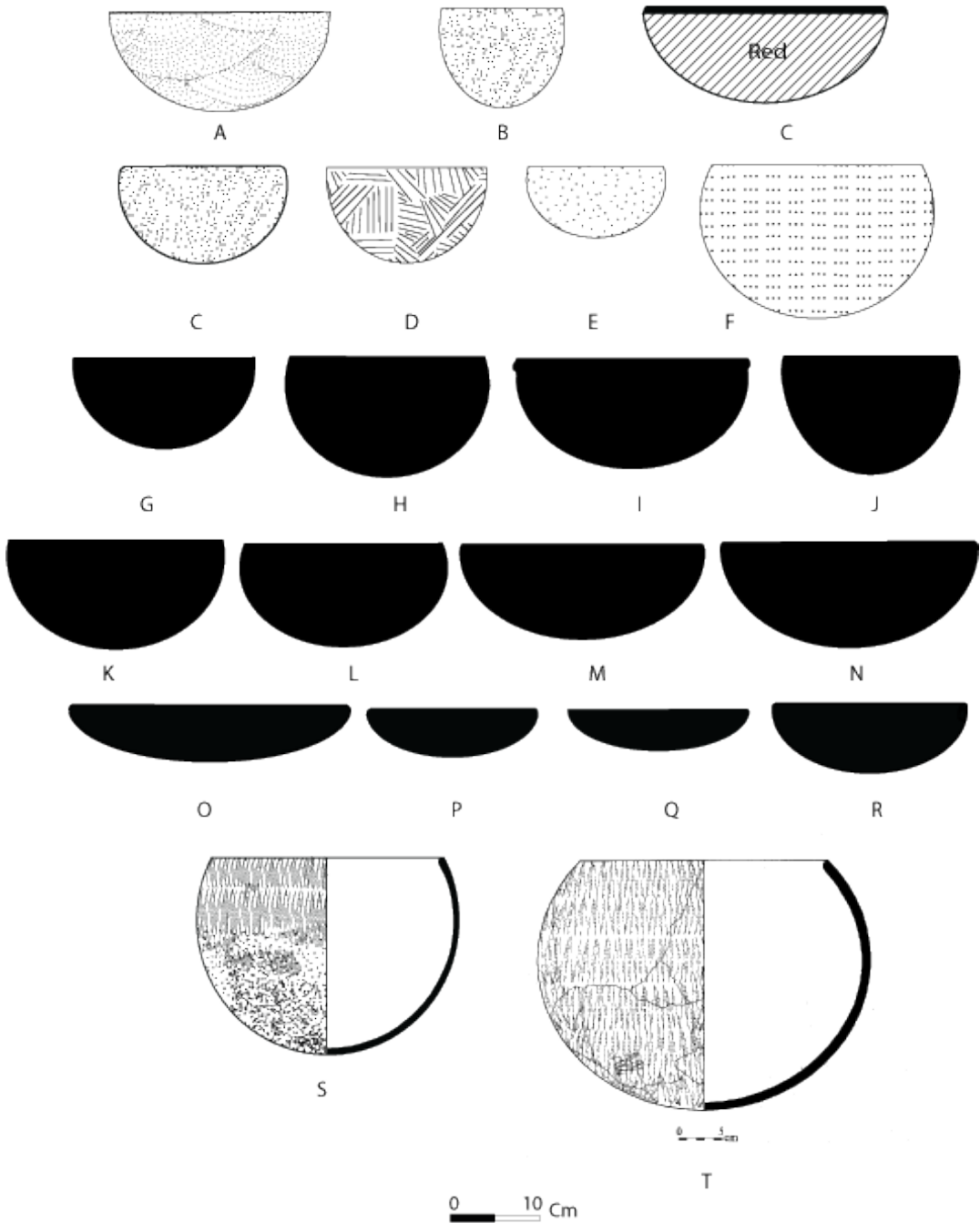
تم العثور على مثل هذه الأواني الحمراء ذات اللون الأسود في الشهبيناب (Arkell 1953, 75) والجيلي (Caneva 1988, 110)، كما أنها كانت شائعة جداً في الكدرو (Krzyzaniak 1992) والكدادة (Geus 1984) وبين تجمعات الفخار الذي ينسب إلى الأفق (أ) في النوبة السفلى (Nordstrom 1972: 88-89) وتتوافق مع التاريخ المتأخر نسبياً المقترح لموقع الصُّور.

تضمنت مجموعة الفخار في موقع الصُّور جميع التقنيات وأنواع الزخارف المفضلة في مواقع أخرى ترجع للعصر الحجري الحديث بنهر النيل الأوسط. وقد تم تطبيق مجموعة متنوعة من التقنيات تشمل الطبغات، والضغط أو التحزيز، والطبغات المتعرجة واستخدام المشط، مما نتج عن عدد متنوع من الزخارف.

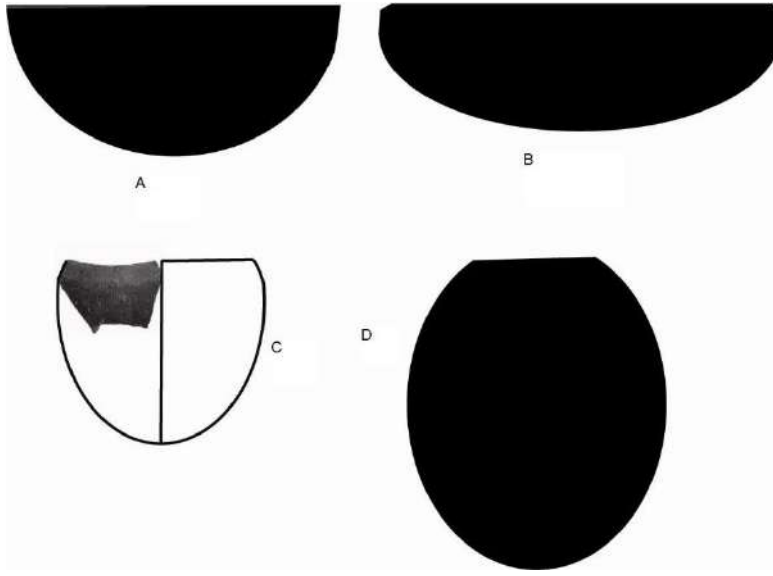
يتطلب فخار موقع الصُّور مزيداً من الدراسة خاصة العملية لمعرفة خواصه الفيزيائية والكيميائية وتركيبه. ومع ذلك، توفر النسبة الكبيرة من شقف الفخار بالموقع والمحفوطة الآن بقسم الآثار بجامعة الخرطوم فرصة ممتازة لزيادة فهمنا لمجموعة من فخار العصر الحجري الحديث المستخدمة في مواقع المستوطنات خلال هذه الفترة.



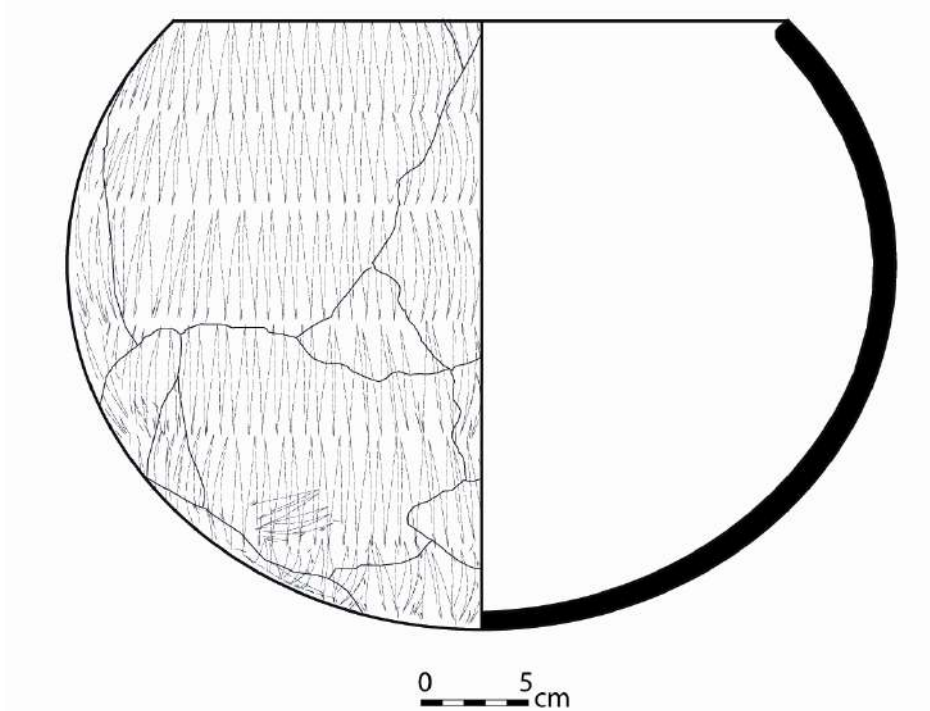
شكل رقم (2): رسوم مقطعية لأشكال الأواني في موقع الصُّور (رسم أزهري صادق)



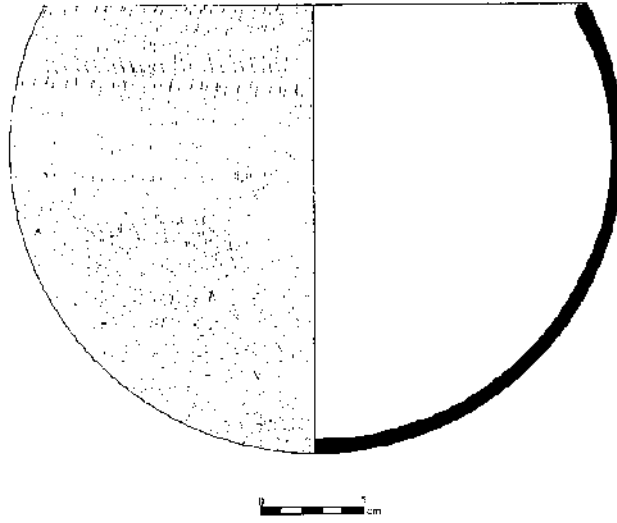
شكل رقم (3): أشكال الأواني في موقع الصُّور (رسم أزهري صادق)



شكل رقم (3): رسوم مقطعية لأشكال الأواني المزخرفة بزخارف متموجة في موقع الصُّور (رسم أزهري صادق)



شكل رقم (4): رسم لإناء استخدم قبراً لطفل (رسم أزهري صادق)



شكل رقم (5): رسم لإناء استخدم قبراً لطفل (رسم أزهري صادق)



لوحة رقم (15): إعادة تركيب لجزء من إناء مزخرف بخطوط منقطة في شكل منحنيات تنتهي بخط في شكل نقاط متصلة



لوحة رقم (16): اناء فخاري مستخدم قبرا لطفل وداخله إناءان آخران بوصفهما جزءا من الأثاث الجنائزي

ب. الأدوات الحجرية:

تتضمن مجموعة الأدوات الحجرية بموقع الصُّور العديد من الأدوات المكتملة وغير المكتملة بالإضافة إلى كتل المواد الخام. وتشمل هذه النوى، والأدوات المشذبة (retouched tools)، والمكاشط (scrapers) والأهلة (crescents)، والمنافيش (burins)، والحفارات (borers)، والمطاحن (grinders). كانت الأدوات المكتملة قليلة وسينة الصنع، وتظهر تنوعاً تكنولوجياً ونمطياً محدوداً إلى حد ما. كان تواجد الأدوات الحجرية وكثافتها متغيراً، ولكنه مستمر، من السطح إلى الأسفل، على الرغم من أن المجموعة الأكبر كانت مركزة في أعلى 50 سم من الترسبات.

يؤكد التحليل الأولي للأدوات الحجرية من المواسم الخمسة الأولى أن الشظايا (flakes) هي أكثر القطع التي تم اكتشافها في الصُّور وتمثل نسبة (63.3%) من العدد الإجمالي للأدوات الحجرية. وهي تتألف من شظايا مكسرة ورقائق صغيرة. يمكن إضافة بعض القطع الأخرى (حوالي 7.8%) والتي تحتوي على شيء

من التشظية إلى هذه المجموعة كذلك كونها لا تمثل أدوات تشخيصية محددة.

تنوع الشظايا نفسها بشكل كبير في الحجم والشكل من الشظايا الصغيرة إلى الشظايا الكبيرة غير المنتظمة. على الرغم من أنه تم فحص عينة صغيرة فقط من الأدوات الحجرية المتكسرة، فمن الممكن وصف صناعة الموقع على أنها صناعة قائمة على الشظايا (flake-based assemblage)، مع بعض أدوات الكوارتز الأكبر حجماً، وسيئة الصنع والتي يتم إنتاجها على شفرات (blades) صغيرة. تتضمن أشكال الشفرات المشظاة المكاشط ذات الطرف القاعدي (endscrapers) والمنافيش والقطع خلفية الاتجاه أو ذات الظهر (backed). لسوء الحظ، لا توجد أية أداة مكتملة من هذا النوع وجميعها تعرضت للتعرية والكسر. وتشكل الشفرات، على شكل نصول وأهلة خلفية الاتجاه، حوالي 2.2٪ من إجمالي عدد القطع.

تشمل مجموعة الأدوات الأخرى، النوى والتي تمثل (7.6٪) من المجموعة، وهي ذات أشكال بسيطة وتستخدم بشكل أساسي لإنتاج الشظايا. ظهرت المكاشط كذلك بشكل متكرر في الموقع حيث تم تسجيل 300 قطعة تشكل حوالي 5.7٪ من المادة. معظمها مصنوعة على الشظايا. كما تم تسجيل 36 منقاش حجري و 42 أداة حفر صغيرة، كلها مصنوعة على الشظايا. كما تم تسجيل رأس سهم مصنوع على شفرة في موسم 2009. تشكل أدوات الطحن فئة مميزة من القطع المستخدمة في الموقع. وهي تتألف من المطاحن العلوية والسفلية (upper and lower grinders)، والحلقات (rings)، وأنواع من المدقات والمطارق (pounders, hammers)، والمطاحن الحصوية (pebble grinders). كانت أغلبية القطع مكسورة بشكل أو بآخر (حوالي 425، تمثل 7.3٪) ومصنوعة على ألواح أو حصى كبيرة وصغيرة من الحجر الرملي. تم صنع عدد قليل من القطع على الكوارتزيت.

لم يتم العثور على أدوات حجرية مصقولة أو حفارات من نوع القاوج (gouges) المماثل لموقع الشهبيناب، باستثناء قطعتين صغيرتين من ألواح الجرانيت الموجودة على السطح. كما أنه من الغريب بالنسبة لمواقع العصر الحجري الحديث المتأخر ألا يحتوى الموقع على نسبة من الأدوات الحجرية المصقولة، حيث لم يتم العثور إلا على قطع صغيرة غير مكتملة من الفؤوس المصقولة. ومع ذلك، كان أحد الاكتشافات المثيرة للاهتمام عبارة عن قطع أثرية صغيرة من الريوليت ذات شكل مميز وعلمها اثنان من التجايف الصغيرة على كلا الوجهين. تظل وظيفة هذه الأدوات غير مؤكدة، على الرغم من أن الشكل يشير إلى أنه ربما تم استخدامها أداة أو لوحة تلميع / أو طحن. تشبه الأدوات التي تم جمعها من الموقع إلى حد بعيد العينات التي تم العثور عليها في الكدادة (Geus 1984: 69, Fig. 5) ومن البطانة الشرقية وبالقرب من كسلا (Marks et al. 1986: 47).

كشف التحليل الأولي للمواد الخام ومصادرها عن حد أدنى من الصخور المستخدمة باعتبار أنها

مواد خام. وبالنظر إلى المواد الأولية المتوفرة التي يستخدمها سكان الصُّور، من الواضح أن اختيارهم كان محدوداً للغاية. وقد شملت ويمكن حصر أنواع المادة الخام ومصادرها فيما يلي:

1. الكوارتز (Quartz): المادة الخام الأساسية للمنتجات الحجرية، وهي متوفرة بشكل كبير على شكل حصي متآكل من الأحجار الرملية المتوفرة في كل مكان داخل المنطقة المجاورة للموقع. غالبية الأدوات الحجرية بالموقع مصنوعة من الكوارتز.

2. الحجر الرملي (Sandstone): هذه المادة متوفرة في التلال الصغيرة التي تقع على بعد أقل من 3 كم شرق الموقع وكذلك في قاعدة المنطقة نفسها. صنعت أدوات الطحن بشكل حصري من الحجر الرملي.

3. الريوليت (Rhyolite): تنحصر مصادره حول الشلال السادس على بعد حوالي 130 كم جنوب الموقع. تم العثور على ثلاث قطع فقط من الريوليت في موقع الصُّور. يكاد يكون من المؤكد أن الريوليت مشتق من نتوءات في منطقة الشلال السادس. وربما تم جلبها بالفعل من الشلال السادس بواسطة سكان موقع الصُّور أو المبادلة مع مواقع قريبة.

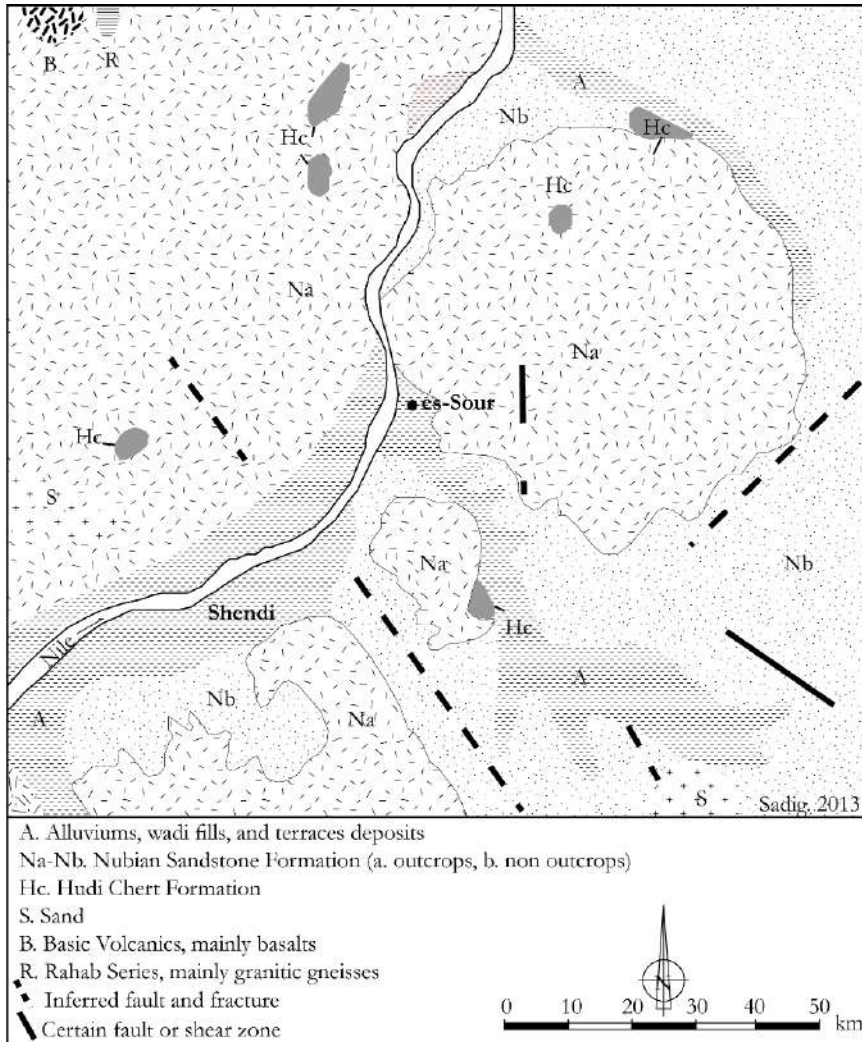
4. الكوارتزيت (Quartzite): هذه المادة متوفرة في شكل كتل كبيرة على تلال من الحجر الرملي وكذلك من نتوءات صغيرة. لسوء الحظ، لوحظت قطع صغيرة فقط بالقرب من الموقع. تم العثور على قطعة واحدة، مدقة (pounder)، مصنوعة من حجر الكوارتزيت، كما تم صنع شظايا مجزأة صغيرة أخرى من الكوارتزيت.

5. الجرانيت (Granite). يوجد الجرانيت أيضاً بالشلال السادس. لم يتم العثور على أدوات من الجرانيت في المربعات المحفورة، على الرغم من جمع بعض الأدوات من السطح.

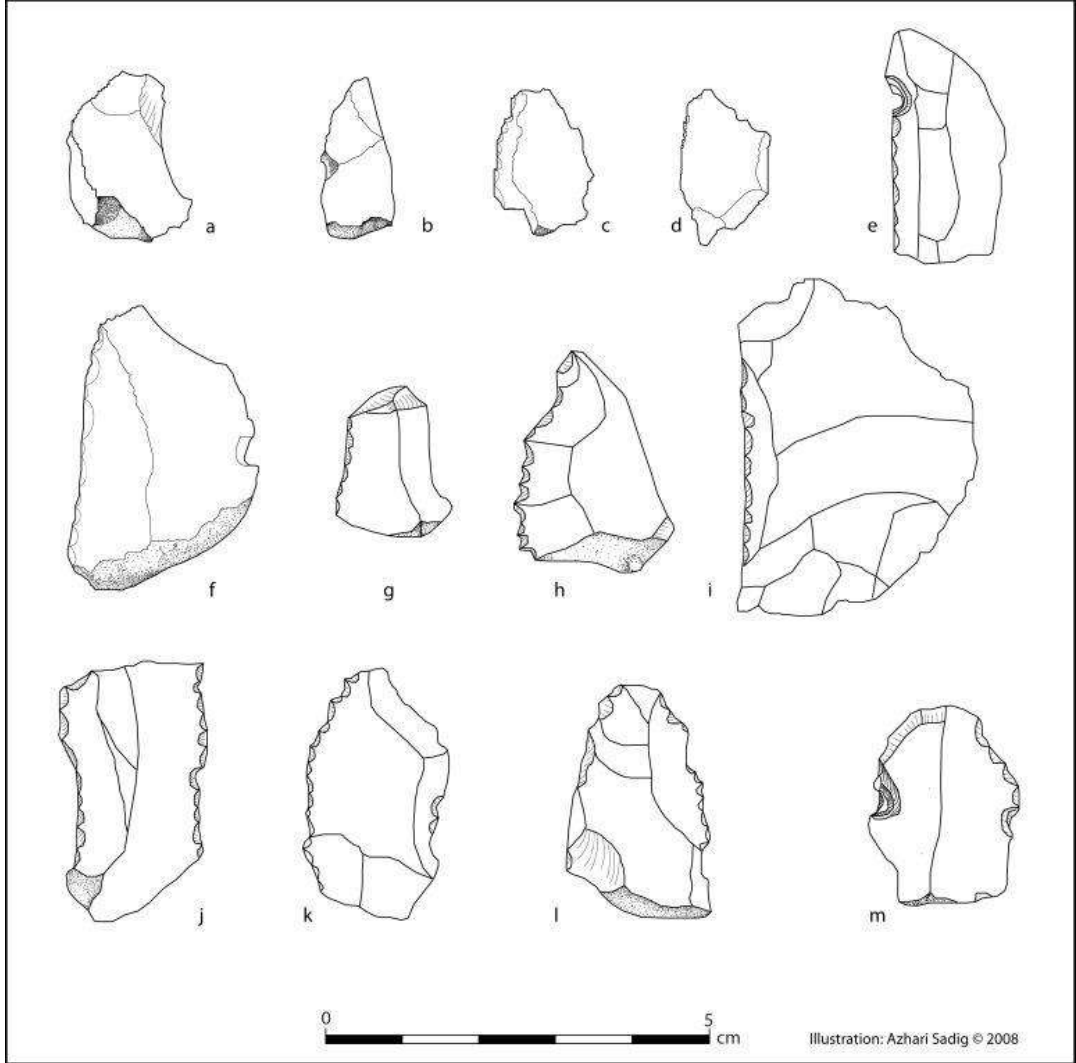
6. الخشب الأحفوري (Fossil wood): يتوفر الخشب الأحفوري محلياً في الصحراء. لم يتم العثور على مكتشفات رئيسية بالقرب من الصُّور، ولم يتم العثور إلا على عدد قليل من القطع الحجرية المكسورة أثناء التنقيب.

7. حصي الهودي (Hudi Chert): صخور حصوية مشتقة من رواسب بحيرية (Lacustrine deposits) توجد في نتوءات متفرقة في منطقة عطبرة. أقرب هذه المصادر إلى موقع الصُّور يقع على بعد حوالي 33 كيلومتراً شمال شرق الصُّور، بينما يوجد أيضاً مصدران آخران على بعد 73 كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي و60 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي. توجد منطقة أخرى على بعد حوالي 20 كم غرب الموقع (تم قياسها من الخريطة الجيولوجية التي أعدتها إدارة الموارد الجيولوجية والمعدنية، الخرطوم، السودان، 1981م). في

الكدادة، ذكر رينولد وجود نسبة كبيرة من حصى الهودي (Reinold 2008: 138). مع ذلك لا تمثل الأدوات المصنوعة من هذا النوع من الحجارة سوى 0.2% من العدد الإجمالي للقطع الحجرية، ومعظمها عبارة عن شظايا صغيرة مجزأة. وباستثناء الجرانيت والريوليت، يمكن العثور على بقية الصخور بكميات كبيرة في مواقع قريبة من موقع الصُور. خلال العصر الحجري الحديث كان الجرانيت والريوليت هدفاً لبعض شبكات التبادل المنتظم على طول نهر النيل لاستغلال مصادر هذه الصخور، على سبيل المثال، في الشلال السادس (Sadig 2010).



خريطة رقم (2): خريطة منطقة الصُور توضح المشهد الجيولوجي حول الموقع (رسم أزهري صادق
 2013م)



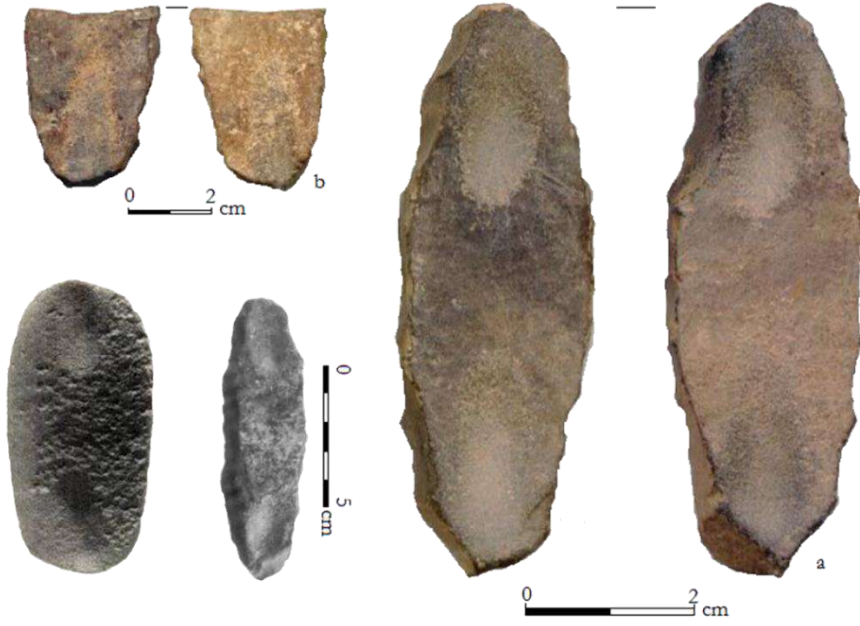
شكل رقم (6): أدوات حجرية من الموقع (رسم أزهري صادق 2013م)



لوحة رقم (17): أدوات طحن ربما استخدمت باعتبارها مدقات حجرية



لوحة رقم (18): أداة طحن سفلية مكتملة ومدق من الحجر الرملي وضعت خارج إناء دفن لطفل



لوحة رقم (19): أدوات حجرية صغيرة ذات شكل مميز وتجويفين صغيرين على الوجهين. المثال من الصُّور (أ، ب) يشبه إلى حد كبير العينات الموجودة في الكدادة (ب) (Geus 1984, 69, Fig. 5). كما تم العثور على قطع أثرية مماثلة في البطانة الشرقية وبالقرب من كسلا (د، بدون مقياس) (Marks et al. 1986, 47).



لوحة رقم (20): أجزاء من لوحات حجرية مصقولة من الجرانيت

ح. الأدوات العظمية والزينة الشخصية:

كانت الأدوات العظمية والزينة الشخصية نادرة في موقع الصُّور. تم تسجيل عدد قليل جداً من الخزرات المصنوعة من قشرة بيض النعام والحجارة، وأزمة الشفاه المصنوعة من العاج والعظم، بالإضافة إلى أداة مصنوعة من الصدف استخدمت مشطاً لتزيين الفخار، وقطعة شبيهة بالإبرة مصنوعة من العاج.

لم يتم العثور على مصنوعات عظمية نموذجية أخرى من العصر الحجري الحديث، مثل الحراب (Harpoons) والحفارات العظمية (Bone Celts). لوحظت ندرة الأدوات العظمية عن معظم المواقع الأخرى من العصر الحجري الحديث في نهر النيل الأوسط، على الرغم من أن الاكتشافات الحديثة في المناطق القاحلة إلى الشمال تشير إلى أن هذا قد يكون بسبب سوء الحفظ في المنطقة.



لوحة رقم (22): إبرة من العاج



لوحة رقم (21): قوقعة استخدمت زينة



لوحة رقم (24): قطعة من الصدف ذات طرف
مشرشر ربما استخدمت أداة لزخرفة الفخار



لوحة رقم (23): أزمة للشفاه (Lip-Plug) من
العظم

د. الدمى الفخارية:

تعد دراسة الدمى والتمائيل القديمة، مثلها مثل التعابير الفنية الأخرى كالفنون الصخرية، من المواضيع التي تتطلب تفسيرات معقولة من قبل باحثي الآثار للوصول إلى حد ما إلى المعاني التي حاول إنسان ما قبل التاريخ عكسها. فقد ينظر للدمى الأنثوية مثلاً بوصفها تعبيراً جنسياً من قبل الذكور أو في الوقت نفسه مرادفاً للخصوبة؛ بحيث يعني جسد المرأة مرادفاً لخصوبة الأرض مثلاً. ومع ذلك فقد تعكس الدمى الأنثوية تعبيرات أخرى عند الأشخاص الذين استخدموها. ومهما يكن الأمر - والذي يتطلب مقالاً مفرداً- فإن تماثيل موقع الصُّور تشير في مجملها إلى التغيرات التي حدثت في مجتمع العصر الحجري الحديث آنذاك. وقد تعكس توجه محدد لدى المجتمع آنذاك لإنشاء رموز محددة كالدمى تخدم التواصل والتضامن ضمن المجموعة البشرية وضد من حولها من مجموعات .

يشمل التوزيع المكاني للدمى الفخارية خلال العصر الحجري الحديث القليل من المواقع في المنطقة الممتدة من الحدود السودانية المصرية إلى منطقة (جبل مؤنه) بجنوب الجزيرة. زمنياً، يتراوح هذا التوزيع بين الألف الخامس قبل الميلاد وحتى بداية الألفية الميلادية. ويمكن تلخيص بعض الدلائل في الآتي:

تعد الدمى الفخارية من الاكتشافات ذات الأهمية بموقع الصُّور حيث تم العثور على 18 قطعة منها تماثيل عينات أخرى وجدت في الكدادة (Geus 1984: 22) والجيلي (Caneva 1988). وبسبب تعرض الدمى الفخارية بالموقع للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية التي أدت إلى عدم العثور على قطع كاملة فمن الصعب تقديم تصنيف ملائم للخصائص الفنية بشكل تفصيلي وإن كانت جميعها قد صنعت من الفخار. ويمكن تلخيص الخصائص التايبلوجية لها في الآتي:

1/ كل القطع التي تم اكتشافها تشكل مجموعة ذات سمات أسلوبية متقاربة وجميعها تمثل دمي بشرية، حيث لم يتم العثور على أية دمي حيوانية في هذا الموقع أو المواقع الشبيهة به في هذه المنطقة .

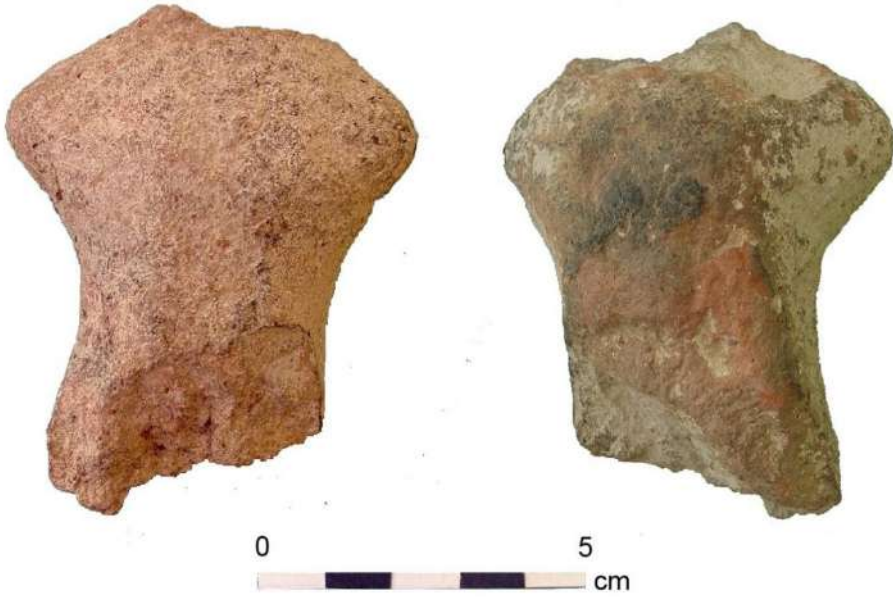
2/ تشير الدلائل إلى أن غالبيتها قد تم حرقها في درجة حرارة عالية حيث تتميز بالصلابة واللون الأسود في بعض القطع.

3/ تتميز الدمى البشرية بموقع الصُّور من حيث الأشكال بأنها مجموعة غير متجانسة للغاية تتراوح من تماثيل قطعة هندسية تقريباً ممزوجة بأشكال أنثوية ومزينة إلى تجسيد الجوانب البيولوجية في تصميم مبالغ فيه (مثل حجم الصدر مثلاً).

4/ جميع القطع صنعت من طين خشن مختلط بجسيمات صخرية صغيرة والتي يبدو أنها اختلطت بالطين خلال تجهيز الدمى، ويلاحظ أن أغلبها كذلك مصنوعة بتقنيات بسيطة حيث يتم تشكيل الدمى من نفس كتلة الطين.

5/ في الجانب الآخر فإن افتراض أنها تعكس الجانب المورفولوجي الأنثوي في غالبيتها يعد افتراضاً قابلاً للتعديل، فقد بني ذلك في أغلب الأحوال على القطع التي تحمل تلك السمات دون غيرها. إضافة إلى ذلك فأغلبية الدمى الفخارية في مواقع العصر الحجري الحديث تعكس هذه السمة الأنثوية بالرغم من أن واحداً أو أكثر من قطع موقع الصُّور يحمل سمات ذكورية أكثر من الأنثوية. وتتميز بعض القطع بخصائص جنسية أولية مثل وجود الثديين أو الحمل الواضح، أو الخصر النحيل في بعض الحالات. كما تعكس تأثير السمنة العامة على تشكيل القطع وذلك من خلال التركيز أولاً على تشكيل البدن في حجم أكبر، ثم لصق الأطراف والثديين والرأس. وفي بعض الحالات تكون هناك ثقوب واضحة لربط جزء أو أكثر بالبدن بعود من الخشب أو خلافة .

6/ تعد الزينة على الرأس والرقبة هي الأكثر شيوعاً في قطع موقع الصُّور، وتكون في شكل تجاعيد متموجة لرسم الشعر أو خطوط صغيرة أسفل الرقبة أو في شكل خطوط رأسية طويلة لتعكس شكل الملابس مثلاً.



لوحة رقم (25): اثنان من الدمى الفخارية يظهران سمات أنثوية



لوحة رقم (26): دمية من الفخار ذات سمات أنثوية



لوحة رقم (27): رأس دمية من الفخار تظهر ما يشبه العيون مع زخارف صغيرة في كل جانب



لوحة رقم (28): جزء من دمية من الفخار تظهر عليها زخارف في شكل خطوط مستقيمة تنتهي بعقدة



لوحة رقم (29): ثلاثة أجزاء من دمي من الفخار تظهر على اثنتين منها سمات أنثوية وزخارف قرب العنق. في الوسط رأس صغير بشعر مجعد.



لوحة رقم (30): جزء من دمية من الفخار يظهر عليها ثقب في الكتف ربما لربط الأيدي باستخدام عود من الخشب أو خلفه



لوحة رقم (31): رأس دمية من الفخار تظهر عليها تفاصيل الشعر

هـ. مقابر الرضع والأطفال (Infant and Child-Burials):

تعدّ مدافن الرضع في الأواني تحت أرضيات المنازل أو داخل المقابر تقليدًا شائعًا نسبيًا في العديد من المواقع الأثرية حول العالم. بدأ تقليد الدفن في الأوعية في وقت ما في أواخر الألفية السابعة قبل الميلاد في ما يعرف الآن بغرب إيران وشمال بلاد الشام (Bacvarov 2008). في جنوب بلاد الشام، ظهرت لأول مرة في العصر الحجري الحديث واستمرت في الظهور خلال عصر النحاس (على سبيل المثال في أزور (Azor) (Perrot & Ladiray 1980)، العصر البرونزي المبكر (على سبيل المثال في تل تيو (Tell Te'o) (Eisenberg et al. 2001) حيث بدأ تقليد الدفن في الأواني في العصر الحجري الحديث وتطور خلال العصر البرونزي المبكر والمتوسط، وكان شائعًا في ممارسات الدفن في العصر البرونزي المتوسط (Ilan 126, 1995). كما ظهرت في بلاد ما بين النهرين وسوريا في أواخر الألفية السابعة قبل الميلاد، وأصبحت شائعة في الألفين الثالث والثاني ق.م (Bacvarov 2008, 66). تم العثور على أمثلة أخرى في موقع تل الشيخ التحتاني في شمال سوريا والذي يعود تاريخه إلى 3000-2600 قبل الميلاد. تعود الأدلة الأخرى في سوريا إلى الفترة ما بين 2100-2000 قبل الميلاد في تل أربد، وبين 934 قبل الميلاد - 608 قبل الميلاد في موقع تل الفخارية (الحدود السورية التركية). كما تظهر مقابر الأطفال في الأواني الفخارية في تل أربد تنوعاً أكبر بكثير. كان بعضها موجوداً داخل المنازل، وتحت الطوايق. وعادة ما كانت مخصصة للرضع ولا تحتوي على أثاث جنائزي (Grave goods). تم دفن الأطفال الأكبر سناً في المقابر، وعادة ما يتم دفنهم في أواني فخارية كبيرة. وتميل بعض هذه القبور إلى أن تكون غنية نسبياً في الأثاث الجنائزي (Bacvarov 2008, 66).

على الرغم من أن البحث الأثري المكثف قد وسع بشكل كبير مقدار المعرفة حول طقوس دفن الأطفال خلال العصر الحجري الحديث، إلا أن أغلب الدلائل الجديدة تأتي من أعمال قام بها سودانيون. تأتي معظم النتائج الجديدة من موقعي الصُور وقلعة شنان (Nasr 2012). وعلى الرغم من أن التقارير الأولية، التي تحتوي على معلومات جديدة عن دفن الأطفال في الأواني من موقع الصُور، قد تم نشرها منذ العام 2005 وما بعده (Sadig 2005, 2008a, 2008b, 2010)، لم يذكر رينولد البيانات الجديدة في منشوره الأخير عندما ذكر (لم يقدم أي موقع آخر في نهر النيل الأوسط أو النوبة العليا والوسطى هذا النوع من الدفن، ولكن هذه العادة موجودة في النوبة السفلى) (Reinold 2008). *(No other site in Central Sudan or Upper and Middle Nubia has provided this type of burial, but this custom is found in Lower Nubia)*

نشر التقرير الأول لموقع الصُور في العام 2005م (Sadig 2005)، واحتوى وصفاً لمقابر الأطفال كما نشرت البيانات الأولية للموقع في العام 2008م (Sadig 2008a) في مجلتيين معروفتين على نطاق

واسع وهما Sudan and Nubia و Antiquity على التوالي. لذا لا نجد سبباً في عدم الإشارة إلى هذه المعلومات الجديدة في مؤلف رينولد الأخير. كان أحد الاكتشافات المهمة في موقع الصُّور هو دليل وجود دفن للرضع والأطفال داخل الأواني الفخارية. تم اكتشاف أربعة مدافن في داخل الأواني بموقع الصُّور، وفي إناء خامس لم يتم إنهاء تنقيبه بسبب تدمير متعمد تعرض له الموقع. اثنان من هذه الأواني محترقتان من الخارج بفعل النار، مما يشير إلى أن الأواني كانت تستخدم في الأصل قدورا للطبخ. أعيد استخدام جميع الأواني على أنها مدافن، وفي مثال واحد تم استخدام قطعة فخار لتكملة جزء مكسور في إناء الدفن. تم استخدام الزخارف على خارج الإناء، بينما تم مسح الجزء الداخلي وترك دون زخرفة. في إحدى الحالات، تم وضع خطوط محززة على طول الجزء الداخلي من الحافة. تشتمل الرواسب داخل الأواني على الرمل والحصى وشظايا الفخار الصغيرة وقطع من الشظايا الحجرية ومواد أخرى. بسبب ضغط التربة والأضرار الطبيعية والبشرية الأخرى، كان من الصعب للغاية تحديد المواضع الدقيقة للهيكل العظمي. كانت بقايا الأطفال الرضع مكسورة إلى حد كبير وتم وضعها في النصف السفلي من الأواني.

يفتقر أحد المدافن الأربعة في الأواني إلى أي نوع من الأثاث الجنائزي. أما البقية فتشمل:

1 أولاً: القرايين التي توضع مباشرة داخل الإناء بشكل غير منتظم (في حالة واحدة تشمل هذه القرايين: شظايا من بيض النعام، والأصداف، وخرزة، واحدة).

ثانياً: القرايين التي توضع داخل وخارج الإناء (تشمل القرايين الداخلية: مطحنة صغيرة، وخرز، وصدف. وتشمل القرايين الخارجية أحجار الطحن العلوية والسفلية الموجودة بجوار القدر مباشرة).

ثالثاً: القرايين التي توضع مباشرة داخل الإناء بشكل منتظم. تحتوي هذه على إناءين كاملين من الفخار في شكل صحون وصدفة واحدة.

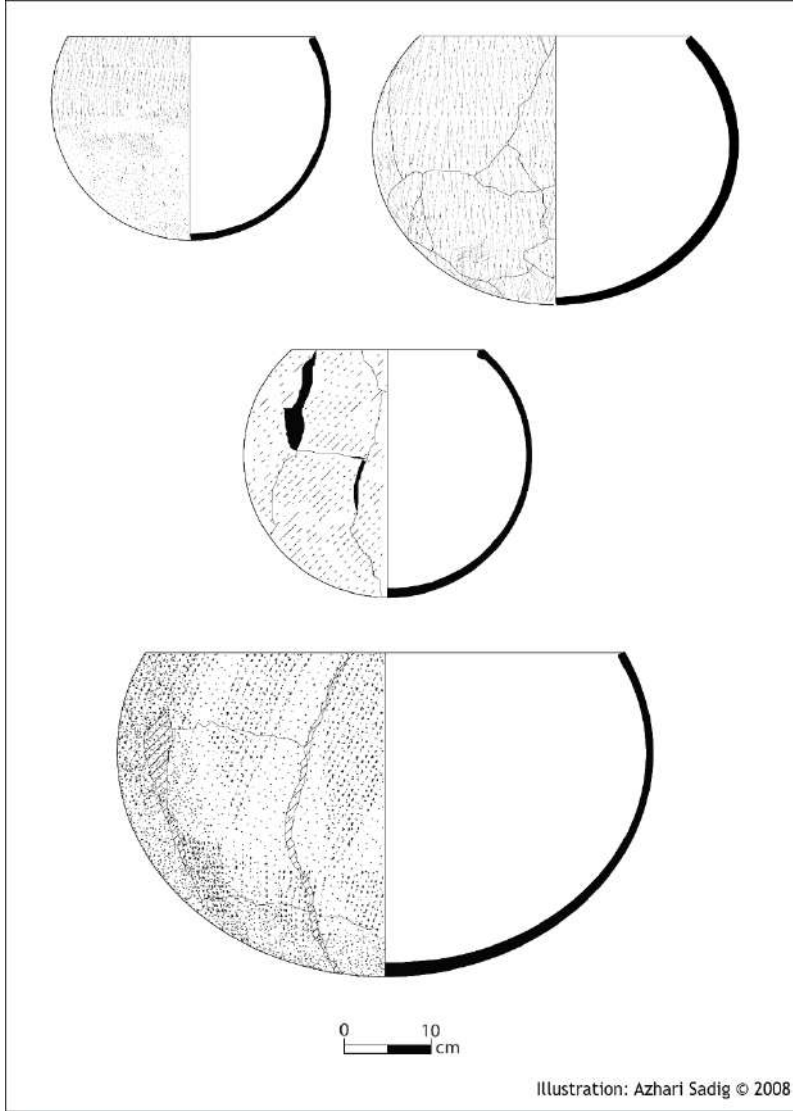
مما سبق، يتضح لنا أن موقع الصُّور يقدم مثلاً مهماً لتطور هذا النوع من الدفن في الأواني في منطقة النيل الأوسط والذي يظهر مستويين متميزين من الناحية الكرونولوجية:

1/ منطقة نواة العصر الحجري الحديث المتأخر في الصُّور والكدادة.

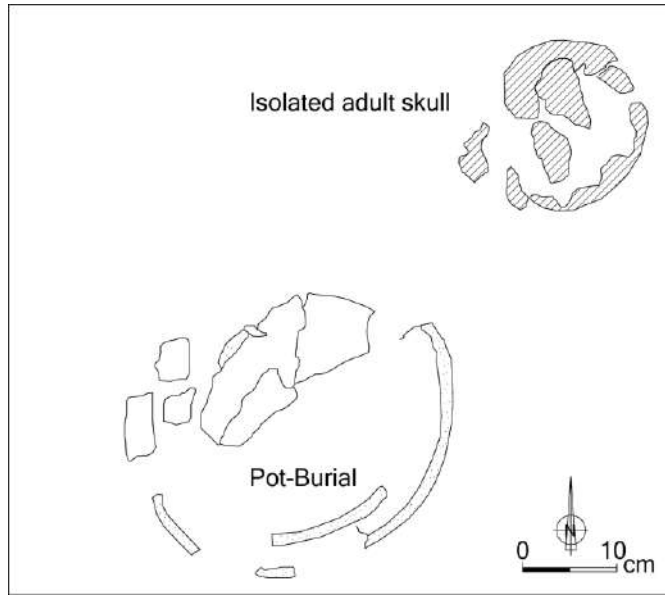
2/ مظاهر ما بعد العصر الحجري الحديث في النوبة السفلى (تم تلخيصها في Rampersad 1999, 193-194). من المعروف أن هذه الممارسة استمرت في الأفق (ج) وما بعده، حيث دفنت الأواني خارج مقبرة العائلة. يقترح فيرث أن هذا كان مجرد مسألة عادية لا أهمية كبيرة لها (a matter of convenience). يقول: "يبدو أن مدافن الأطفال حديثي الولادة كانت تتم غالباً في أوعية منزلية، مملوءة بالرمل والفحم والتراب، ثم دُفنت هذه الأواني خارج جدران البنية الفوقية لمقبرة العائلة.

ولا شك أنه كان يُعتقد أن فتح أبواب الغرف الجنائزية من أجل رضيع أمراً ليس جديراً بالاهتمام
(Firth 1927, 49, in Rampersad 1999, 194).

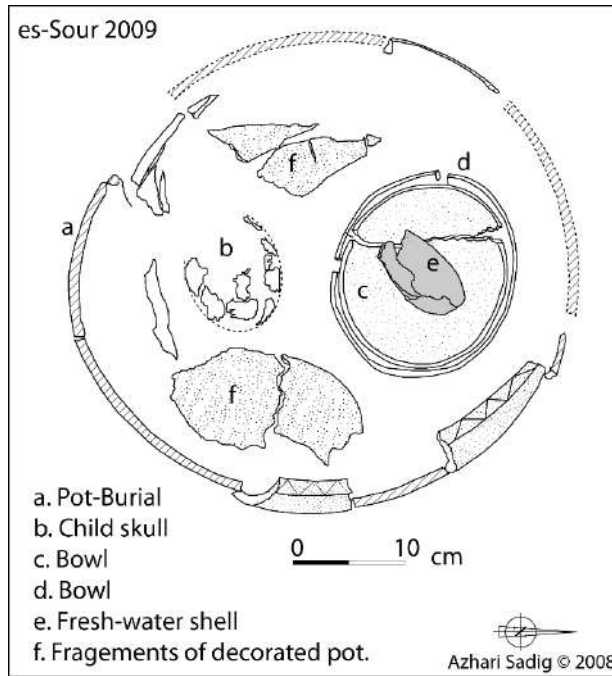
من الواضح، اعتماداً على الأدلة الحالية، أن موقعي الصُّور والكدادة يمثلان أقدم شواهد على
مدافن الأواني على طول وادي النيل حتى الآن. تعدُّ تواريخ الصُّور أقدم نسبياً من تلك الموجودة في الكدادة،
على الرغم من أن هذا لن يثبت أصل هذه الممارسة في موقع الصُّور.



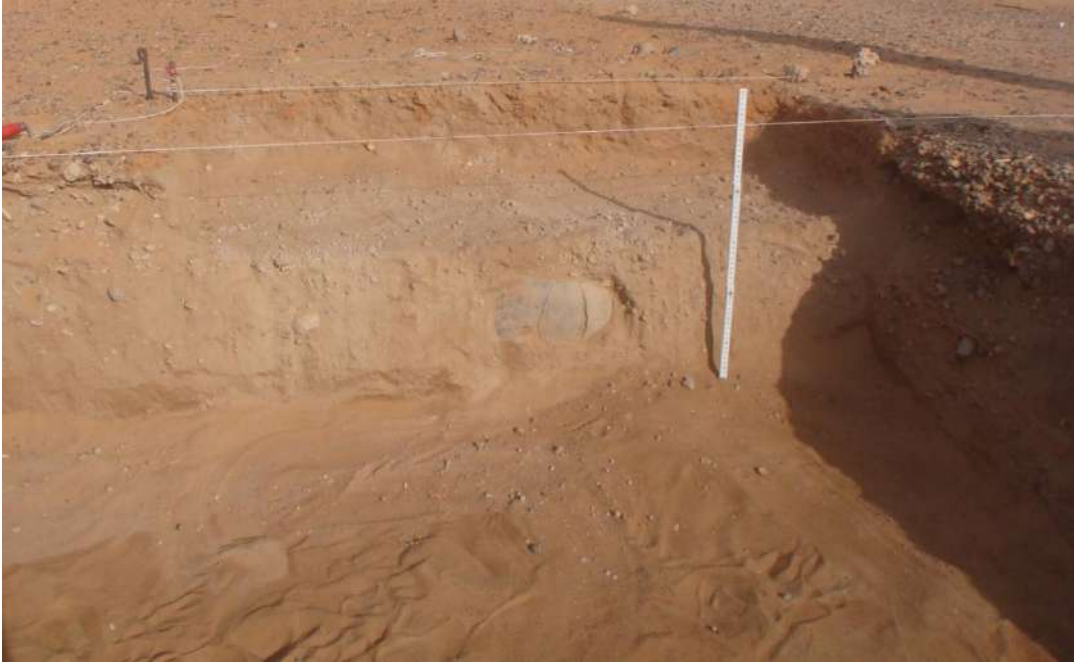
شكل رقم (7): إناء دفن الأطفال في الصُّور (رسم أزهري صادق)



شكل رقم (8): إناء الدفن لا يشمل أي نوع من القرابين. تم ملاحظة جمجمة أخرى قريبة (رسم أزهري صادق)



شكل رقم (9): إناء دفن طفل. يحتوي الأثاث الجنائزي على إناءين من الفخار، وقطعة من صدف المياه العذبة وقطع لفخار مزخرف (رسم أزهري صادق)



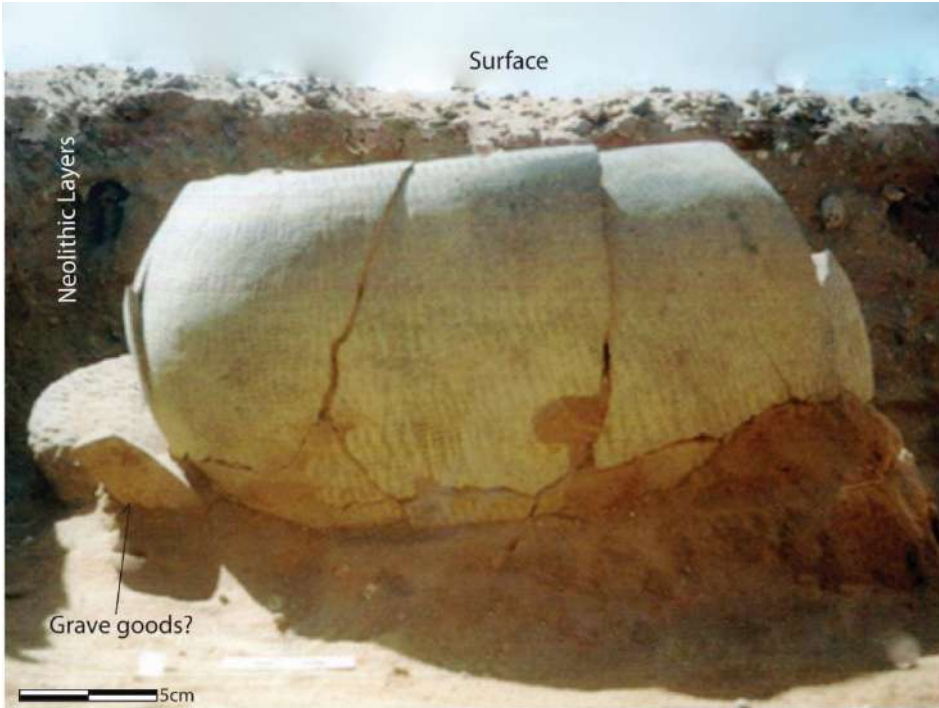
لوحة رقم (32): وضعية إناء الدفن داخل طبقات العصر الحجري الحديث



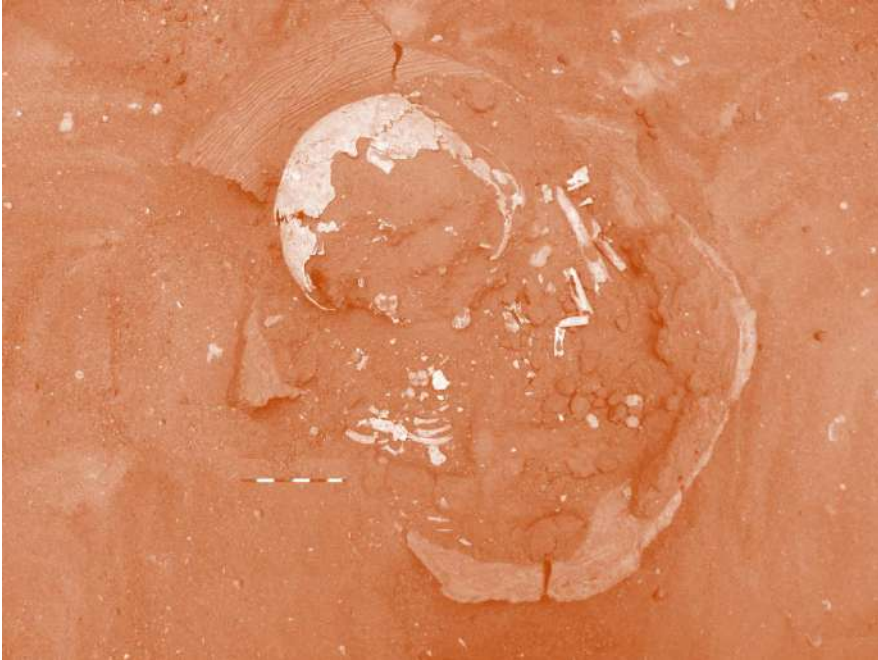
لوحة رقم (33): وضعية إناء الدفن داخل طبقات العصر الحجري الحديث



لوحة رقم (34): وضعية إناء الدفن بعد التنقيب



لوحة رقم (35): إناء دفن طفل بعد اكتمال التنقيبات. يشمل الأثاث الجنائزي حجارة الطحن السفلية والعلوية الموجودة بجانب إناء واحد، في حين قد تشير أجزاء من بيض النعام والأصداف وخرزة واحدة إلى أنواع القرابين الموضوعة داخل الإناء



لوحة رقم (36): إنشاء دفن طفل بعد اكتمال التنقيبات. لا يوجد أي نوع من الأثاث الجنائزي



لوحة رقم (37): إنشاء دفن طفل بعد اكتمال التنقيبات. انظر شكل (9)



لوحة رقم (38): الدكتور أحمد حسين أثناء تنقيب إناء دفن طفل



لوحة رقم (39): الباحث أثناء تنقيب إناء دفن طفل

و. البقايا العضوية في موقع الصُّور:

ساهمت الملاحظات الأولية لعظام الحيوانات في موقع الصُّور إلى التعرف على بعض عظام الحيوانات البرية والداجنة بما في ذلك الأبقار المستأنسة والزراف والجاموس بالإضافة إلى العديد من بقايا الأصداف. تم إجراء هذه التعريفات من قبل البروفيسور غوتيه (Achilles Gautier) بناءً على فحصه للصور التي أرسلها له الباحث.

لهذا السبب فقد تكون البيانات الأولية بحاجة إلى إعادة قراءة من خلال دراسة البقايا العضوية معملياً. كما تشمل البقايا العضوية على القليل من عظام الأسماك والأصداف والقواقع وقشر بيض النعام والعاج. قد لا تقدم المادة الأحيائية معلومات كافية عن النظام الاقتصادي بالموقع، ولكن وفقاً للمقارنة مع مواقع أخرى معاصرة يبدو أنه مورس فيه اقتصاد مختلط يعتمد على الرعي والصيد وربما الزراعة. ويمكن افتراض أن الكميات الكبيرة من أدوات الطحن تشكل دليلاً على الاستغلال المكثف للنباتات، سواء أكانت برية أو مستأنسة.



لوحة رقم (40): الصُّور: مجموعة من عظام الحيوانات على سطح الموقع

ز. المقابر المتأخرة:

خلال موسمي 2006 و 2007م، تم العثور على ثلاثة هياكل عظمية متأخرة تاريخياً بالموقع. كانت اثنتان من الجثث مدفونة من الجنوب للشمال (الرأس في الجنوب والأقدام في الشمال) في وضع طولي ومغطاة بخيش ومدفونة في قبر بيضاوي بدون أي أثاث جنائزي. في الهيكل الأول وضع الرأس ناحية الشرق والأيدي على امتداد الجسد.

أما الهيكل الثاني، فقد وضع الرأس أيضاً ناحية الشرق، ولكن الأيدي كانت موضوعة طولياً بينما الكف عند الحوض.

يمثل الهيكل الثالث بالغاً صغير العمر في وضع مستقيم تم دفنه بدون أية أثاث جنائزي. ونسبة لوجوده على السطح فقد تعرض للعديد من العوامل البشرية والطبيعية التي جعلت من أمر حفره بالكامل مستحيلاً. كما أنه لا يقدم أية دلائل على تاريخه.

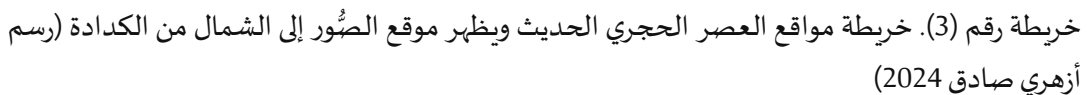
وقد لاحظنا أن الموقع قد استغل في أوقات قريبة لدفن الأطفال من قبل بعض العرب الرحل، ولذلك قد يمثل هذا القبر أيضاً أحد تلك المقابر.



لوحة رقم (41): الصُّور: هيكل عظمي يعود لفترة ما بعد استيطان العصر الحجري الحديث

4. مكانة الصُّور ضمن ثقافة العصر الحجري الحديث السوداني:

يمثل موقع الصُّور واحداً من العديد من المواقع التي استقرت في بيئات نهريّة ذات سمات ثقافية مماثلة إلى حد ما. الصورة التي تقدمها الأدلة الأثرية من موقع الصُّور أنه يمثل أحد المجتمعات الصغيرة في منطقة نهر النيل الأوسط خلال الفترة الممتدة من 4230 إلى 3955 سنة ق.م (وفقاً للتواريخ الكربونية من الموقع)، معتمداً على نهر النيل الرئيسي وفروعه في اقتصاده وصناعة أدواته.



وربما خطا مجتمع الصُّور التجارب الأولى مع حياة القرية التي يمكن أن تصل إلى مستوى من التنظيم الاجتماعي القبلي خلال العصر الحجري الحديث. وربما تكشف الدراسات المستقبلية في حال تم الكشف عن المقابر المتصلة بهذا الموقع كون الموقع يمثل تنظيمًا اجتماعيًا معيناً مثل الذي ساد خلال العصر الحجري الحديث كالمشيخات (Chiefdoms) مع نهاية العصر الحجري الحديث، والتي ربما تميزت بمعايير أخرى كالسلطة "والتفاوت" الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية، بالرغم من الدلائل البسيطة التي يقدمها الموقع في هذا الشأن.

ومع زيادة عدد السكان، واتساع المناطق التي تحرك فيها إنسان العصر الحجري الحديث، لابد وأن مجتمع الصُّور قد اختبر استغلال بيئته الصغيرة (Microenvironment) وربما امتد ذلك من خلال التنقل المستمر مع الماشية والحيوانات المستأنسة في أوقات مختلفة وإلى مناطق مختلفة.

يمثل موقع الصُّور واحداً من المواقع الأثرية التي ساهمت في رسم صورة العصر الحجري الحديث في نهر النيل. وحتى الآن لم يتم العثور على مدافن للبالغين في موقع الصُّور، ويبدو أن منطقة الموقع التي تم التنقيب فيها حتى الآن تمثل منطقة مستوطنة. كما هو الحال في الكدادة، ربما تكون مدافن الأطفال، التي تمثلها القبور على الأرجح، قد دفنت داخل منطقة الاستيطان، باستثناء المقبرة الرئيسية.

ستكون هناك حاجة إلى مزيد من التنقيبات لتحديد ما إذا كانت هناك أي بقايا منشآت أو حفر أعمدة باقية في الموقع، على الرغم من أنه من الممكن أن تكون قد تعرضت للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية التي أدت لفقدانها. هناك حاجة أيضاً إلى مزيد من أعمال المسح لمعرفة ما إذا كانت هناك مقبرة مرتبطة في المنطقة المجاورة.

تشمل السمات الأكثر تميزاً لموقع الصُّور التي أشارت إلى وجود تاريخ في العصر الحجري الحديث المتأخر قبل الحصول على نتائج الكربون المشع، وجود العديد من الأدوات الحجرية المستندة على الشظايا وأنماط الزخرفة الفخارية وأنواع خاصة من المصنوعات الحجرية، جنباً إلى جنب مع التماثيل البشرية وقبور الأطفال. كان القاوج المميز لأفق العصر الحجري الحديث المبكر الكلاسيكي، وهي أداة نموذجية في المواقع السابقة مثل الشاهيناب، غائباً في موقع الصُّور.

ومع ذلك، فإن طبيعة مجموعة الفخار بحاجة إلى مزيد من الدراسة، لأسباب ليس أقلها أن الكثير من بياناتنا المقارنة المنشورة تتعلق بالتجمعات المشتقة من المقابر (مثل الكدادة أو الغابة) والتي لا يمكن اعتبارها "نموذجية"، وقد تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك الموجودة في مواقع المستوطنات.

قد تفسر هذه الاختلافات أيضاً ندرة وجود أدوات محددة مثل الفؤوس الحجرية المصقولة

ورؤوس الصولجان والألواح (جميعها من المحتمل أن تكون أدوات مرموقة في المجتمع) من موقع الاستيطان في الصُّور.

هناك تشابه جزئي أيضاً لمواقع العصر الحجري الحديث الأخرى في نهر النيل الأوسط، ولكن الاختلافات المحتملة تستحق المزيد من التحقيق مستقبلاً. وكما أوضحنا سابقاً، فإن الصُّور، مثله مثل الكدادة وقلعة شنان، يظهر مستوى كرونولوجي مميز للتطور المبكر للدفن في الأواني في الفخار في منطقة النيل الأوسط خلال العصر الحجري الحديث المتأخر، وسابقاً لأدلة السائدة شمالاً خلال ما بعد العصر الحجري الحديث في النوبة السفلى.

5. الاستنتاجات

تهدف العديد من أقسام الآثار حول العالم في سياق نظريات التعلم واستراتيجيات التدريس ذات الصلة، إلى تقييم الأدوار التي أدتها، والتي يُتوقع أن تؤديها، في التطوير الفكري والمهني لعلماء الآثار المستقبليين. وفي هذا السياق، يُقال إن الفوائد النهائية لأقسام الآثار تتمثل في الفرص التي تُتيحها للتعلم الأصيل من خلال تكوين مجتمع بحثي، وكذلك من خلال التدريب المهني في شكل تعليم مكثف وشخصي. يحدث التعلم الأصيل عندما يُشكّل الأفراد، سواءً أكانوا طلاباً أو علماء آثار محترفين، مجتمعات لمعالجة الأسئلة الأثرية الحقيقية، والتفاوض على بناء المعرفة من خلال تفاعلات اجتماعية هادفة.

تُعامل هذه التجارب الطلاب باعتبارهم مشاركين فاعلين في ثقافة البحث الأثري، وتحديدًا في الأساليب والأدوات المستخدمة للحصول على البيانات وتفسيرها. ومن هذا المنطلق يمكن القول أن قسم الآثار قد وفر عناصر أساسية لنمو الطلاب الفكري والمهني من خلال العمل الميداني في موقع مثل موقع الصُّور، وهو ما لا يمكن تحقيقه بالكامل في بيئة الفصول الدراسية الرسمية وحدها.

لقد قدمت التدريبات الميدانية في موقع الصُّور، وغيره من المواقع التي تم تدريب طلاب قسم الآثار بها، مثالاً ملموساً واحداً على كيفية تحقيق هذه الأهداف، مما يسمح باستخلاص تعميمات ذات مغزى من النجاحات والمشاكل والاتجاهات المستقبلية الخاصة بالتدريب الأثري في السودان. يتضح ذلك من خلال العدد المقدر من الطلاب الذين اتخذوا علم الآثار مهنة لهم بعد تخرجهم في قسم الآثار والذين يعملون اليوم في أقسام الآثار والمؤسسات الإدارية ذات الصلة بالسودان وخارجه.

وبالرغم من أن هذه المناقشة لا تستند إلى إحصائيات محددة، إلا أنه يمكن القول أن منهجية التدريس المناسبة في قسم الآثار، ومحتوى المقرر، والمستوى التعليمي واحتياجات الطلاب المشاركين، وشخصية أعضاء هيئة التدريس قد تقوم بدور كبير في تحقيق تلك الأهداف.

ولذلك يُعد قسم الآثار بجامعة الخرطوم مدرسة ميدانية فريدة من نوعها بين تجارب الفصول الدراسية التقليدية في علم الآثار؛ حيث تُتيح للطلاب إحدى أولى فرصهم للانخراط في بناء المعرفة من خلال المشاركة الميدانية الفاعلة، ومن ثم المشاركة في السنة النهائية في مشروع بحثي أصيل بوصفهم باحثين ميدانيين ومتابعة بعضهم حتى إنهاء دراستهم العليا في كثير من الأحيان. ورغم استحالة تقييم هذه النتيجة من خلال إحصائيات محددة كما أوضحنا، إلا أن "اللاعبين" الفاعلين في علم الآثار في السودان اليوم هم من خريجي قسم الآثار جامعة الخرطوم، سواء أكملوا دراستهم الجامعية به، أو نالوا درجات الماجستير والدكتوراه من خلاله. إن إعادة تحديد وحدة (وحدات) العمل الميداني في برنامج البكالوريوس بوصفها محورا رئيسيا له العديد من النتائج المثيرة للاهتمام من حيث ربط النظرية بالتطبيق والمعرفة من خلال التركيز على العملية الأثرية بدلاً من التركيز على عالم متسع من الحقائق والنظريات والمناهج. وفي الواقع، تعد الأعمال الميدانية التي يقوم بها قسم الآثار بجامعة الخرطوم منذ لحظة التحاق الطالب ببرنامج البكالوريوس، المساحة الأرحب للمشاركة بنشاط. فبانضمامه إلى مجتمع أكاديمي، يصبح الطلاب مشاركين في العملية الأثرية، ويساهمون في خلق معارف جديدة مع استيعاب ما هو معروف بالفعل. للعمل الميداني دورٌ تكامليٌّ ومتوازنٌ حاسم. والعمل الميداني عملية تفكير: فعملية التحقيق واستعادة البيانات تُتيح مساحةً لصياغة أفكارٍ حول الماضي، ودراسة علاقاتٍ، واستكشاف هياكل، ونمذجة عمليات (Darvill 2009). كما يُتيح خبرةً مباشرةً بجزءٍ من علم الآثار، يُمكن استخدامها لوضع تقارير التنقيب الحالية والبيانات المنشورة في سياقها. وتُظهر المشاركة في مشروع بحثي فرصةً لتشكيل مسار تطوره المستقبلي، كي تتضافر جهود العملية الأثرية ككل.

ويبدو جلياً أن النجاح النهائي لحفريات قسم الآثار جامعة الخرطوم في موقع ما قبل التاريخ بالصُّور كان مرتبطاً في الأساس بتأثير قسم الآثار على طلابه وعلى علم الآثار في السودان ككل منذ بداية إنشائه في بداية السبعينات من القرن العشرين. وقد أثبتت التنقيبات بالموقع أن علم آثار ما قبل التاريخ خصوصاً، موضوعاً يتطور من خلال البحث الميداني، ومن خلال توظيف البيانات لفهم القضايا المطروحة، بدلاً من اللجوء إلى المصادر أو التقاليد. وهو يجمع بين النظرية والتطبيق، وبين الملاحظة والتفسير، والمشاركة والفهم، ويوفر شريان الحياة للموضوعات التي تتعلق بالمواقع الأثرية.

وخلاصة القول، أن علم الآثار هو في جوهره علم ميداني، ويعتمد على التفاعل بين ممارسيه والمواد الخام التي تُبنى منها المعرفة. وكما لاحظ غراهام كلارك ذات مرة: "على الرغم من طموح أهداف ما قبل التاريخ، إلا أن الحقيقة تبقى أنه بقدر ما يُراد تحقيقها من خلال علم الآثار، فإنها تعتمد على الأدلة التي يجب استخراجها من التربة" (Clark, 1957, 37). إن فهم ماهية هذه الأدلة، وكيفية جمعها ومعالجتها، وكيفية إتاحتها للآخرين، واستخداماتها، ومن يستخدمها، وكيفية تفسيرها، وما هو بالضبط هذا العمل الميداني، يُشكل جزءاً أساسياً من التعليم الأثري، الأمر الذي عكسته نتائج التنقيبات في موقع الصُّور مثلاً.

المراجع والمصادر

المراجع العربية:

- أزهري مصطفى صادق. النتائج الأولية لحفريات موقع الصُّور. موقع من العصر الحجري الحديث المتأخر بنهر النيل الأوسط. ملحق مجلة القلزم. السودان. (2023م).

المراجع الأجنبية:

- Arkell, A. J. (1953). *Shaheinab*. London. Oxford University Press.
- Bacvarov, K. (ed.) (2008). *Babies Reborn: Infant/Child Burials in Pre-and Protohistory*. Oxford
- Brookes, S. (2008). Archaeology in the field: Enhancing the role of fieldwork training and teaching. *Research in Archaeological Education* 1 (2008). In: *Archaeological Education Journal* Volume 1.
- Caneva, I. (ed.). (1988). *El-Geili. The History of a Middle Nile Environment 7000 B.C.– A.D. 1500*. BAR International Series 424. Cambridge Monographs in African Archaeology 29. Oxford
- Chitty, C. (1999). *The education system transformed*. Tisbury : Baseline
- Clark, G. (1957). *Archaeology and society* (Third edition). London: Methuen.
- Collis, J. (2001). *Teaching archaeology in British universities: a personal polemic*. In *Interrogating Pedagogies: Archaeology in Higher Education* (eds P. Rainbird and Y. Hamilakis), 15-20. BAR International Series 948. Oxford: Archaeopress.
- Croucher, K, Cobb, H & Brennan, A. (2008). *Investigating the Role of Fieldwork in Teaching and Learning Archaeology*. Liverpool: Higher Education Academy Subject Centre for History, Classics and Archaeology.
- Darvill, T. (2009). Linking Fieldwork, Theory, and Knowledge in Teaching Prehistoric Archaeology. *Research in Archaeological Education Journal* Volume 1, Issue 2. 5-20
- Eisenberg, E., A. Gopher, and R. Greenberg. (2001). *Tell Te'o. A Neolithic, Chalcolithic and Early Bronze Age Site in the Hula Valley*. Israel Antiquities Authority Reports 13, Jerusalem.
- Firth, C. M. (1927). *The Archaeological Survey of Nubia. Report for 1909-1911*. Le Caire.
- Geus, F. (1984). *Rescuing Sudan's Ancient Culture* (Khartoum: National Museums of the Sudan).
- Johnson, M. (1999). *Archaeological theory: an introduction*. Oxford: Blackwell.
- Krzyżaniak, L. (1992). "Some Aspects of the Later Prehistoric Development in the Sudan as seen from the Point of View of the Current Research on the Neolithic". In : Bonnet, Ch. (ed.): *Études nubiennes. Conférence de Genève. Actes du VIIe Congrès International d'Études Nubiennes 3-8 Septembre 1990*. Vol. I, Genève. 267-273.
- Marks, K.A., et al. (1986), 'The Archaeology of the Eastern Sudan: a First Look',

Archaeology 39: 44-50.

- Nasr, A. H. (2012). " Qalaat Shanan: a large Neolithic site in Shendi town". *Sudan and Nubia* 16. PP. 8-12. (In Arabic). *Shendi University Journal*. Issue No 10. 2010. 85-112.
- Nordstrom. H.A. (1972). *Neolithic and A-Group Sites. The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia*. Scandinavian University Books. Upsalla. 195-7
- Perrot, J. and D. Ladiray. (1980). *Tombes à ossuaires de la région côtière palestinienne au IVe millénaire avant l'ère chrétienne*. Paris.
- Phillips, T and Clarke, A. *Assessing, Teaching, Learning Archaeological Skills (ATLAS)*. Narrative Report. <http://sites.google.com/site/atlasreading>.
- Rampersad. S. (1999). *The Origin and Relationships of the Nubian A-Group*. A Thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy Graduate Department of Near and Middle Eastern Civilizations. University of Toronto.
- Reinold, J. (2008). *La nécropole néolithique d'el-Kadada au Soudan central - Volume I Les cimetières A et B NE-36-O/3-V-2 et NE-36-O/3-V-3 du kôm principal*. Editions Recherche sur les Civilisations ERC ; CULTURESFRANCE ex ADPF et AFAA.
- Sadig, A. M. (2005). "Es-Sour: A Late Neolithic site near Meroe". *Sudan and Nubia* 9, 40-46
- Sadig, A. M. (2008a). "Es-Sour: A Neolithic site near Meroe, Sudan". *Antiquity Project Gallery*, <https://goo.gl/ij8B8b>;
- Sadig, A. M. (2008b). Pottery from the Neolithic Site of es-Sour, *Sudan and Nubia* 12, 13-16.
- Sadig, A. M. (2010). *The Neolithic of the Middle Nile Region. An Archaeology of Central Sudan and Nubia*. Nile Basin Research Programme Publications. University of Bergen. Norway.
- Sadig, A. M. (2013). Lithic Materials from the Late Neolithic Site of es-Sour, Central Sudan. *Sudan and Nubia*. Issue No.17. PP:2-7.
- Sadig, A. M. (2014). Child-Burials; a Funerary Practice in the Middle Nile Region. Evidence from the Late Neolithic Site of es-Sour. 12th International Conference of the Society for Nubian Studies. *The Fourth Cataract and Beyond: Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies*. Edited by Julie R. Anderson and Derek A. Welsby. Peters. Leuven.
- Sadig, A. M and Adam, Ahmed Hussain. (2017). The Archaeology of the Island of Meroe as seen from the recent discoveries north of the Royal City - in Meroe Environs. *Adab* 39. 1-21.

أخرى:

- عبد الرحيم محمد خبير، محتوى الكتروني. في: www.facebook.com

حكام مصر السودانيون: كافوري الإخشيدي نموذجاً

أ.د. يحيى فضل طاهر

د. أحمد حسين عبد الرحمن

قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة الخرطوم

المستخلص

تتناول هذه الورقة التعريف بأحد الشخصيات البارزة في العصر الإسلامي والتي تجاهلتها المصادر العربية كثيراً، وكذلك السودانية وهو القائد السوداني كافور الإخشيدي والذي كان له إسهام واضح في التاريخ الإسلامي من خلال حكمه لمصر لحوالي ثلاثة وعشرين عاماً باعتباره امتداداً لسلسلة الحكام السودانيين الذين حكموا مصر على امتداد تاريخها الطويل، حيث تزخر سيرته بالعديد من الجوانب البارزة والمضيئة، ولعل التجاهل لدور هذا القائد ربما جاء نتاجاً للأصول التي ينحدر منها، وقد وضحت الجذور الاجتماعية والثقافية له من خلال ما كتبه بعض المصادر إلى جانب مقارنة بعض السمات الشخصية التي بينت أصوله السودانية، كما اتضحت مساهماته البارزة والكبيرة خلال حكمه لمصر.

الكلمات المفتاحية: العصر الإسلامي، كافور الإخشيدي، مصر، الصفات الشخصية، المصادر العربية

Abstract

The purpose of this article is to introduce one of the outstanding personalities of the Islamic era who has been largely ignored in Arabic and Sudanese sources. The Sudanese ruler in question is Kafur al-Ikhshidi, who made a distinct contribution to Islamic history by ruling Egypt for some twenty-three years, joining the ranks of Sudanese rulers who ruled Egypt during its long history. His biography is filled with many prominent and luminous aspects and perhaps ignoring the role of this leader was a consequence of the origin he came from. His social and cultural roots were evident from some sources, and some personal traits that revealed his Sudanese origin were also compared. His significant and important contributions were also evident during his rule over Egypt.

Keywords: Islamic era, Kafur al-Ikhshidi, Egypt, personal traits, Arabic sources

مقدمة:

شهد السودان على مر تاريخه الطويل مع مصر العديد من علاقات التبادل الثقافي والاجتماعي والسياسي والتي اتسمت بالطابع الودي تارة والجوانب العدائية تارة أخرى.

فمن المعروف أنه كانت هناك سيطرة مصرية على بلاد السودان منذ المملكة المصرية الحديثة عندما أرسلت الملكة حتشبسوت حملة إلى بلاد بونت والتي تشير بعض المصادر إلى أنها السودان بغرض السيطرة على المنطقة واستغلال مواردها المعدنية، كما لعبت قوات الدولة المصرية الحديثة دوراً كبيراً في القضاء على مملكة كرمة السودانية 2500 ق م - 1500 ق م.

وفي المقابل فقد كان هناك وجود سوداني كبير خلال الحقب المبكرة من تاريخ مصر حيث تمكن ملوك الأسرة 25 السودانيون من حكم مصر لمدة تجاوزت الأربعين عاماً. هذا ولم تقتصر السيطرة على الفترات المبكرة حيث كان هناك وجود كبير للسودانيين خلال العصر الإسلامي والذين بدورهم وصلوا إلى سدة الحكم في دولة مصر من بينهم أبو مسك كافور الإخشيدي الذي ظلمه التاريخ مرتين مرة حين ركن إلى هجاء الشاعر المتنبي، ومرة أخرى حين لم يبرز دور هذا القائد العظيم في مصر وبلاد الشام. كما ظلمه السودان نفسه حينما تم إغفال ذكره والاحتفاء به مثلما يحدث مع بي (بعانخي) وترهاقا وغيرهم.

ولعل إغفال ذكر تاريخ كافور وإنجازاته ترجع إلى أنه كان من الخصيان الذين لم تذكر كتب التاريخ والأدب شيئاً عن محاسنهم وأدوارهم البطولية التي ترجموها عبر الحقب المختلفة. ولعل من دواعي ذلك هو استبعاد تولي الخصيان لأمر الحكم خاصة في العصر الإسلامي.

ولما كان الخصيان يشكلون حلقات الوصل بين قصور النساء وقصر الملك، وينقلون الأسرار من وإلى النساء، فإنهم بهذه الطريقة اكتسبوا معلومات هائلة عن القصر وما يدور خلف الجدران؛ خولتهم لتبوء أرفع المناصب سواء أفي القصر أو خارجه. ولم تكن حادثة تولي كافور لحكم مصر وحدها مما دونه التاريخ وإنما تلتها أحداث مماثلة ومنها المناصب القيادية للرحالة الصيني المسلم «تشنغ» الذي قاد أسطولاً صينياً حتى سواحل إفريقيا، ولا زالت الصين تخلد ذكرى رحلته عام 1405 م، ومن هؤلاء العلماء والشعراء والعابرة وأصحاب المواهب الخارقة.

والشاهد أن كافوراً كان من أشهر الخصيان الذين وصلوا إلى سدة الحكم بعد أن استعبد من النوبة، ثم علمه ودرّسه وأكسبه كل علوم السياسة وفنون الحرب والي مصر آنذاك (الإخشيدي) قبل أن يعينه مربياً لأولاده، إلا أن كافورا صرف الأبناء عن الحكم بالملاهي والملاذات بعد موت والدهم؛ ليظفر بالحكم، ثم

قاد حروباً شرسة وصل بها إلى حلب في سوريا، وأحدث تحولاً كبيراً في سياسة مصر وحكمها آنذاك.

مولده ونشأته:

ولد كافور الإخشيدي بالسودان في عام 946م وفي رواية أخرى عام 968م وهو أو أبو المسك كافور أحد حكام الدولة الإخشيدية، وقد أصبح كافور سنة 966م واليا من قبل العباسيين على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام حيث دام حكمه لمدة 23 عاما، وهو صاحب الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية في مصر.

حياته قبل الولاية وصفاته الشخصية:

عندما بلغ عمره العاشرة أو (الرابعة عشرة) في رواية أخرى، أخذ إلى مصر سبي حرب أو رقيقاً حيث كانت التجارة من هذا النوع منتشرة بصورة كبيرة، وقد يكون جلبه إلى مصر رسمياً من خلال تنفيذ اتفاقية البقظ المشهورة التي كانت بين المسلمين وحكام النوبة المسيحيين التي عقدت في عام 652م.

هذا ولم تختلف حياته كثيراً عن جُف جد الأسرة الإخشيدية الذي جلب إلى الخليفة المعتصم من أسواق فرغالة إلى بغداد، وقد كان سيرة كافور من أغرب السير وكانت حوله قصص وأحاديث كثيرة وهو كما وصفه البعض بطل الأبطال.

جاء كافور لمصر مع من جلبوا إليها لبيعوا في أسواقها من السودان أو النوبة. ولم يكن كافور على سواده وسيماً، بل كان دميماً قبيح الشكل مثقوب الشفة السفلي مشوه القدمين بطيئاً ثقيل القدم، لم يعرف حياة القصور، فوقع في يد أحد تجار الزيوت فسخره في شئون شتي (المقريري. 26).

وقاسي كافور الأمرين وهو يعاني من أحمال ناء بها كاهله، فبين نير معصرة الزيت التي يديرها، يدوس برجليه الكُسب ثم يقوم بحمل الأواني علي منكبيه ليجر بعدها العجلات بيديه في عمل يومي شاق، يفتش الأرض بعدها لينام في النهاية كأنما قد كتب عليه أن يظل متمرعاً في الزيت بلا نهاية، بل ولقي الكثير من العنت من سيده. كل هذا العناء جعل من كافور رجلاً قوياً وقادراً على مواجهة الصعاب بل وشد من أزره حتى إذا خرج من تحت قبضة الزيات وقع في يد محمود بن وهب بن عباس الكاتب، وهنا بدأت أولى خطوات مسيرة حياته تتغير نوعاً ما إلى مكانة مرموقة. فكانت تلك النقطة هي أول الطريق نحو المجد الذي أفضي به إلى الخير فعرف كافور السبيل نحو القراءة والكتابة فنفض عن يديه متاعب المعصرة وأدران الزيت فالسيد الجديد ابن عباس الكاتب هذا كان موصولاً بمحمد بن طغج ويعرفه منذ كان قائداً من قادة تكين أمير مصر وقتها

وقبل أن يصبح ابن طغج على حكم مصر (الأبياري. 1962م. 132 - 135).

شاءت المقادير أن يحمل كافور هدية من مولاه إلى ابن طغج، وحين رآه الإخشيد انفتح له قلبه من أول وهلة، فسعى لشراء هذا الصبي الأسود مقابل ثمانية عشرة ديناراً دفعها ثمناً له.

وهنا بدأت المسيرة التي كان الجد والاجتهاد شعار صاحبها والسبيل لبلوغ مرادها، فمنذ أن حل كافور بمصر وهو يملك نفساً كبيرة ويحمل بين جوانحه قلباً كبيراً وآمالاً عريضة، لم لا وهو الذي راوده الحلم وهو عبد صغير يباع ويشترى، ولم يكن حلم مثل هذا الدميم القبيح أكثر من أن يجد في كنف أي سيد يملكه سوى سكن يأويه ولقمة يسد بها جوعه، وشربة ماء يروي بها ظمأه (الأبياري. 1962م. 135).

كان كافور الإخشيدي وصاحبه عبيدين أسودين، فجيء بهما إلى قطائع ابن طولون، صاحب الديار المصرية وقتئذ، ليباعا في أسواقها، فتمنى صاحبه أن يباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء، وتمنى كافور أن يملك هذه المدينة ليحكم وينهى ويأمر، وهذا يشير بوضوح إلى أنه كان طموحه عاليا منذ صغره، ورغم وضعه الذي لا يسمح بأن يفكر في أن يكون مالكا لمدينة بأكملها وهو ما يزال رقيقاً تحت خدمة سيده. وقد بلغ كل منهما مناه، فبيع صاحب كافور لطباخ، وبيع كافور لأحد قواد المصريين فأظهر كفاءة واقتداراً. ولما مات مولى كافور قام مقامه، واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القواد وصاحب الكلمة عند الولاة، وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام وغيرهما.

مرّ كافور يوماً بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة، فقال لمن معه: لقد قعدت بهذا همته فكان كما ترون، وطارت بي همتي فكنت كما ترون، ولو جمعتني وإياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد، وتشير بعض المصادر إلى أن هناك بعض المنجمين تنبؤوا له بحكم مصر، وقد طلبوا منه مكافأة ولو قليلة نظير تنبأهم بذلك، وقد كان فطنا وذكيا ولبقاً حيث أدرك فيه ذلك مولاه الإخشيد عند اختباره في مواقف عدة جعلته يصرح بعدها بأنه سيورث دولة ابن طغج لهذا الأسود مما يدل على قناعته بقدراته وحكمته لقيادة تلك الدولة، ولم يفوت كافور تلك الفرصة وهذا المدح والثناء والإعجاب الذي غمره به الإخشيد، فظل ملازماً له طوال الوقت ينجز له ما يطلب ويهتم بكل أموره ويشيع نفسه بكل ما يسعى إليه كحال جميع الملوك. كما كان كافور متصوفاً ويحب الرسول ﷺ وكان يحب آل بيت الرسول (الأبياري. 1962م. 137).

حياته بعد الولاية (فترة حكمه وإسهاماته):

ارتبط بزوغ أبي المسك كافور في الدولة الإخشيدية بالظروف السياسية لهذه الدولة، فقد استطاع أن يدير دفة الدولة عقب وفاة محمد بن طغج الإخشيد، حيث إن أنوجور (محمود) بن محمد بن طغج كان

لا يزال صبيًا في الخامسة عشرة من عمره، ويروى أن أبا المسك كافور لم يكن ليتيح لأونوجور هذه الفرصة كي يمرن نفسه علي الحكم فيفيد منه ولم يكن ليدعه يظهر للناس حتي لا يعرفونه، أفل نجم أونوجور سريعاً ليسطع نجم كافور الذي دعا له الخطباء علي المنابر دون أونوجور، في الوقت الذي كان ينال فيه أونوجور ما خصصه له كافور من مال بلغ أربعمئة ألف دينار في العام (الأبياري، 1962 م. 120).

توليه لإمارة دمشق:

كان كافور قد تولى إمرة دمشق بعد سيده الإخشيد محمد بن طغج بن جف وكانت وفاة الإخشيد في 335هـ بدمشق فلما مات أقعد ابنه أبو القاسم أونوجور وأبو الحسن علي أبناء الإخشيد مكان أبيهما وكان المدبر لأمرهما كافور ثم سار كافور إلى مصر فقتل غلبون المغربي المتغلب عليها وملكها وقصد سيف الدولة دمشق فملكها ثم إن أهل دمشق خافوا من سطوة سيف الدولة فكاتبوا كافورا فجاء إلى دمشق فملكها سنة 336هـ فأقام بها يسيرا ثم ولى بدر الإخشيدي ويعرف ببدير ورجع كافور إلى مصر إلى أن توفي في سنة 356هـ، وذكر أنه توفي بمصر وحمل إلى بيت المقدس وقيل إنه دفن بداره بمصر، كما أشارت مصادر أخرى إلى أنه توفي عام 335هـ كما ورد في موسوعة تاريخ دمشق (وَلِيَّ إمْرَةِ دِمَشْقَ بَعْدَ سَيِّدِهِ الإخشيد مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجَ بْنِ جُفٍّ، وَكَانَتْ وَفَاةُ الإخشيد فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ - وَيُقَالُ: خَمْسٍ - وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِدِمَشْقَ، فَلَمَّا مَاتَ أُقْعِدَ ابْنَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ أُونُوجُورَ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابْنَا الإخشيد مَكَانَ أَبِيهِمَا، وَكَانَ الْمُدَبِّرَ لِأَمْرِهِمَا كَافُورُ، ثُمَّ سَارَ كَافُورُ إِلَى مِصْرَ، فَقَتَلَ غَلْبُونَ الْمَغْرِبِيَّ الْمُتَغَلِّبَ عَلَمَهَا، وَمَلَكَهَا، وَقَصَدَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ دِمَشْقَ، فَمَلَكَهَا، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ دِمَشْقَ خَافُوا مِنْ حَيْفِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَكَاتَبُوا كَافُورًا، فَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ، فَمَلَكَهَا سَنَةَ خَمْسٍ - وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ - وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَأَقَامَ بِهَا يَسِيرًا، ثُمَّ وَلَّى بَدْرًا الإخشيدي، وَيُعْرَفُ بِبُدَيْرٍ، وَرَجَعَ كَافُورُ إِلَى مِصْرَ). (ابن منظور، 1984 م. 345).

توليه لمصر:

كان وصول كافور إلى مصر مع وصول كتاب الخليفة المطيع بتولية أونوجور ولاية مصر والشام حيث كان لأبي المسك الأمر دون أونوجور. آلت الأمور لأبي المسك كافور الذي ملك السلطة والمال في يده، وضاق الأمر بأونوجور وقتها فترك العاصمة وأدعى بأنه سيخرج للهو والصيد، فاتجه إلى ناحية الرملة بأرض فلسطين ليتمكن نفسه ويجمع شتات من حوله ومن هم يؤيدون أبا المسك، وفي قرارة نفسه ونيته انتزع ما سُلِبَ من ملكه، وقد قسم الجيش إلى قسمين قسم له وآخر لكافور، ولكن أم أونوجور كانت أبصر من ابنها ورأت بأن الضجر بأبي المسك لم ينته إلى قلوب كثيرة من ذوي النفوذ، والجند على الدوام رهن بأرزاقهم يعطون قلوبهم حيث يضمونها، ورأت أن ما في خزائن ابنها لا يكفي فهو شيء قليل لا يكاد أن يكفي ما هم طامعون

فيه، فحذرت ابنها من مغبة الهزيمة، ورأت في الوقوف إلى جانب أبي المسك مزية ومكسباً لأسرتها، وهنا نجد أن كافور قد تنازل عن جانب من كبريائه وبطيب خاطر كتب لأونوجور يسترضيه ويمنيه، ولكن الملك الصغير كان قد نسي مسألة الملك هذه وقنع بما يصله من دراهم قليلة، وهنا أصبحت الأمور جادة وبقي كل شيء في يدي أبي المسك من جديد، وقد كان الخطباء في المنابر يدعون لكافور دون أونوجور (المرجع نفسه. 123-126).

وظل الأمر هكذا حيث مات أونوجور في سنة 249هـ (الأبياري. مرجع سابق. 120) وقد عاش أبو المسك كافور في ظل أونوجور سلطاناً حقيقياً ممسكاً بكل مقاليد الحكم مدة أربعة عشرة عاماً، وقيل أن كافور دس له السم ليتخلص منه وليزيحه من طريقه، فتولى من بعده أخوه علي بن الإخشيد مقامه والذي كانت نفسه تمتلئ رعباً من سطوة كافور وشدة بأسه، وكافور يعطي لعلي بن الإخشيد مثلما كان يعطيه شقيقه أونوجور في السابق، ولكن السلطة التي قبض عليها كافور بشدة جعلته يُضيق الخناق عليه، وقد سيطر على مقاليد الأمور فلم يترك علياً يظهر إلى شعبه أو يتحدث في ندواته إلا كان معه، مما جعل الصبي ينحدر إلى حياة اللهو والدعة ثم اتجه للانقطاع للعبادة يجد فيها سلواه، حتي إذا أزهقته العبادة شمر عن ساعديه لبحث عن حقه المسلوب يطلبه، فما كان من كافور إلا أن عجل بموته بعد أن دس له السم أيضاً. حيث ظل كافور صاحب الأمر أيام ولاية علي ولم يترك أبو المسك الوارث الثاني بعيداً عن رعايته وإنما أخذه كما يحب وأعدّه كما أراد، وبوفاته عام 355 تولى كافور ولاية مصر دون الصغير أحمد بن علي (المرجع نفسه. 128).

ولم يحصل كافور على تفويض من قبل الخلافة العباسية. بيد أنه لم يواجه اعتراضاً من قبلها، وكان يلقب بالأستاذ، ويكنى بأبي المسك، وكانت السياسة الخارجية لكافور استمراراً لسياسة محمد بن طغج الإخشيد في الحفاظ على علاقة متوازنة مع كل من العباسيين والفاطميين.

وقد قاسي كافور الأمرين وهو يعاني من أحمال ناء بها كاهله حتى جعلت منه رجلاً قوياً وقادراً على مواجهة الصعاب إلى أن لقب بالأستاذ، ويكنى بأبي المسك، وبصفة عامة كان قريباً من قلوب المصريين وينظر بنفسه في قضاء حوائج الناس والفصل في مظالمهم، وقد كان كريماً وسخياً حيث درج على إقامة وليمة ضخمة تحوي مختلف أنواع الطيبات من اللحوم والحلوى وغيرها، كما اشتهر بإكرام العلماء والفقراء والمحتاجين، كان سليم النفس بريء القلب نقي الفؤاد، فلم يستأسد ولم يتنكر ولم يجحد، وقد كان في عزه كما كان في مهانته وكان في ملكه كما كان في عدمه، وما يجدر ذكره أن في عهده اتسع نشاط دعاة الفاطميين في مصر حيث توسع نفوذهم أبان فترة حكمه وصارت لهم سطوة ومكانة في منذ تلك الفترة.

ومن إنجازاته أنه استطاع أن يسيطر على الدولة ويعيد الاستقرار ويضبط الأمور بعد الاضطراب

عند موت الإخشيد. كما استطاع أن يحسن الاقتصاد ويصرف المال بطريقة متوازنة. وحل البلاء والغلاء والفتن بمصر بعد موته (المقريزي. مرجع سابق. 26-28).

تحقيق سودانيته من خلال شواهد الآثار والتاريخ:

هناك العديد من المؤشرات التي تبين سودانية كافور وذلك من خلال بعض السمات الثقافية والملامح الاجتماعية التي ارتبطت به، حيث أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن كافور الإخشيدى تم جلبه من السودان إلى مصر على أنه خصي إبان فترة اتفاقية البقط التي عقدت بين الدولة الإسلامية في مصر وبلاد النوبة في عام 652 وقد تم إرسال كثير من العناصر البشرية إلى مصر بغرض الاستفادة منهم في الأعمال المنزلية والمزارع، كما تم استخدام بعضهم جنوداً مقربين من السلاطين والحكام، وقد كان كافور الإخشيدى من بين الذين تمت الاستعانة بهم في هذا المجال.

أما من خلال بعض صفاته الجسمانية فقد اتضح أنه مثقوب الشفاه كما قال المتنبي:

وأن ذا العبد المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريط الرعايد

(المتنبي. 1983م. 507)

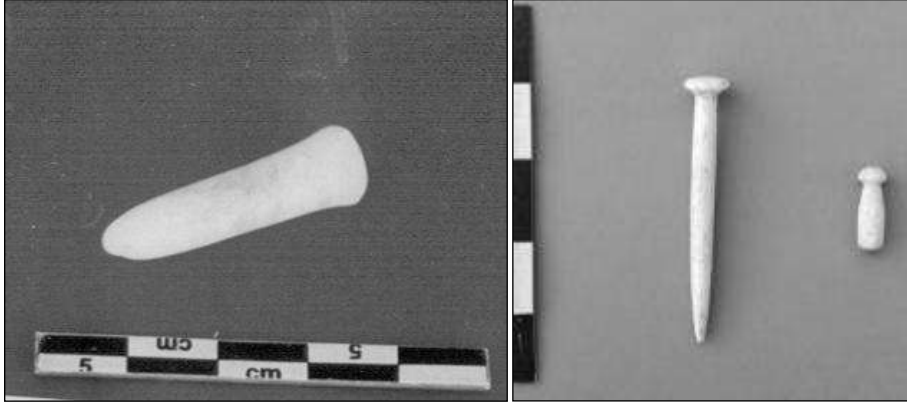
والشيء نفسه الذي أكدته المصادر التاريخية مثل المقريزي حيث أكد أن شفته السفلي كانت مثقوبة (المقريزي. مرجع سابق. 26)، وقد شرح العديد من الشُّراح مثل أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي قول المتنبي بأنه تشبيه بمشافر البعير الذي يثقب للزمام.

ومن المعروف أن عملية ثقب الشفاه هي عادة سودانية قديمة ترجع إلى فترات مبكرة من العصر الحجري الوسيط في السودان (حوالي 13000 ق م) وقد كانت هذه العادة مشتركة ومعروفة في السودان بحدود فترات العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث، كما وُجِدَ أيضاً في دفن حضارة كرمة (2500 – 1500 ق م) في شمال السودان وفي جبل مويابوسط السودان وعلى مناطق النيل الأزرق. أما بالنسبة للفترات التالية فقد وجد بصورة نادرة في فترات مروي وما بعد مروي، ولا زالت هذه العادة تمارس لدى بعض قبائل وسط السودان وكردفان ودارفور وجنوب السودان حيث إنها تعد مصدراً للزينة والجمال.

ولعل ما يشير إلى هذه الظاهرة هي أن الأداة المستخدمة فيها والتي تعرف بـ(سداد الشفاه) (Lip plug) بجانب الظاهرة نفسها لم تكن ذات ارتباط بالموتى ولم توجد في المدافن إلا أنها وجدت في كثير من

مستوطنات الحضارات السوڊانية المبكرة.

وعليه فيرجح أن كافور الإخشيدي كان من مناطق السوڊان المذكورة أعلاه التي كانت تمارس هذه العادة في الفترة الوسيطة. كما أن من شواهد التاريخ التي تؤكد سوڊانيته أن كافور الإخشيدي جند الكثير من السوڊ أثناء حكمه لمصر في الجيش والذين بدورهم ساعدوا في تحقيق العديد من الانتصارات لدولته (المقريزي. مرجع سابق. 33).



لوحة رقم (1)

سداد الشفاه (Lib Plug) ترجع لفترات ما قبل التاريخ من مناطق النيل الأبيض (يسار) ووسط السوڊان (يمين) عن: Sadig 2010



لوحة رقم (2)

تبين سداد الشفاه (Lib Plug) مستخدمة حاليا في بعض مناطق النيل الأبيض

سودانيته في الأدب من خلال شعر المتنبي:

شغل أبا المسك كافور دولة بني الإخشيد قرابة (23) عاماً أو تزيد قليلاً كانت هذه الدولة قد دام حكمها لمصر مدة (34) عاماً، عاش كافور يدبر أمور الحكم فيها مع مولاه، حتي لقد قيل أن هذه الدولة ما حكمت بقدر ما كان الحكم فيها لكافور ذاته، بل ويمكن القول أن دولة بني الإخشيد هي التي جعلت الطريق ممهداً ليفتح سبيل حكم مصر أمام هذا الرجل، الذي ملأ مكانه كما لم يملأه أحد من قبله، حتي أنه شغل شعرائها فنجد شاعراً بقامة أبي الطيب المتنبي مدح كافوراً فأنصفه، وحين انقلب عليه وهجاه لم ينصفه، وقد كانت له قصة مخلدة مع الشاعر المتنبي بعدما خذله كافور الذي وعده بالعطايا والهبات؛ فهجاه أبو الطيب المتنبي بواحدة من أشهر قصائد الهجاء في التاريخ التي طافت أرجاء المعمورة ولا تزال تحفظ وتردد حتى يومنا هذا:

عيدٌ بأية حالٍ عُدتَ يا عيدُ بما مضى أم بأمرٍ فيك تجديدُ

ثم يقول:

صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْأَبْقِيَاءِ بِهَا فَالْحُرَّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدَ مَعْبُودُ
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ
أَمْ أَذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفِلَسِّينِ مَرْدُودُ
أُولَى اللَّئَامِ كُؤُفِيئِرُ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ السَّوْدُ؟

وكان من أشهر أبيات الشعر التي هجا بها المتنبي كافورا:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

(المتنبي. مرجع سابق. 507)

كما هجاه في قصيدته (أشخصاً لحت لي أم مخازيا) واصفا إياه بالجهل وتشقق أرجله حين تم استقدامه أول مرة:

أُرِيكَ الرِّضَى لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا
 أَمِينًا وَإِخْلَافًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لُحَّتْ لِي أُمُّ مَخَازِيَا
 تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِيْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا
 وَتُعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي النَّعْلِ، إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا
 وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَلْوُنُكَ أَسْوَدَ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا
 وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْبِكَ شَقَّةُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا
 وَلَوْلَا قُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سَرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا
 فَأَصْبَحْتُ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجُوكَ غَالِيَا
 فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَقَدْتُ فَإِنِّي أَقَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا
 وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْجِدَادِ الْبَوَاكِ يَا

كما هجاه في قصيدة أخرى بعنوان: أين المحاجم يا كافور؟ وأخرى بعنوان: كأن الحر بينهم يتيم، وأخرى بعنوان: أنوك من عبد ومن عرسه (المرجع نفسه، 500 – 505). وقد تلاحظ من خلال أوصاف المتنبي لكافور فقد كان يصف لونه وبعضاً مما كان يستخدمه كافور كسداد الشفاه وخلافه. فحين مات كافور ودُفن بالقدس بعد أن حُمِلَ جثمانه إلى هناك وجد مكتوباً على شاهد قبره شعراً فيه:

ما بال قبرك يا كافور منفرداً بالصَّحصح المرت بعد العسكر اللجب
 يدوس قبرك أحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب

كما وجد مكتوباً أيضاً:

انظر إلى غَيْرِ الأيام ما صنعتُ أفنت أناساً بها كانوا وما فنيْتُ
 دُنْيَاهُمْ ضَحَكَتْ أَيَّامَ دَوْلَتِهِمْ حتي إذا فنيْتُ ناحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

(المقريزي. مرجع سابق، 27).

وهكذا استطاع رجل مثل أبي المسك أن يترك ذكراً طيباً في نفوس المصريين رغم النظرة السالبة له

من الكثيرين؛ حيث كتب عنه المتنبي هجاءً مقذعاً في قصيدة له حين غادر مصر حائقاً على كافور وهو الذي كتب في كافور مادحاً:

وفي الناس من يرضي بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبي ماله مدي ينتهي بي في مرادٍ أحده

وقد وصف المتنبي كافوراً بـ"الأسود" و"العبد" نسبةً لأصوله وصفته التي جيء به من أجلها إلى مصر حيث كان ضمن من اشتراهم ملوك مصر إبان اتفاقية البقط كما أشرنا. وقد كانت نظرة المتنبي لكافور تسير وفقاً لطبيعة العلاقة بينهما حيث إن المتنبي على الرغم من هجائه كافوراً إلا أنه عاد وامتدحه مرات أخرى عديدة، الأمر الذي يؤكد الإسهام الكبير الذي قدمه كافور إبان توليه حكم مصر ما دفع المتنبي لمدحه والإعلاء من شأنه في فترات لاحقة وبعد موته.

مدح المتنبي لكافور

مدح المتنبي بعدد من القصائد الطوال، ولكن الملاحظ قصائد الذم هي التي اكتسبت الشهرة والتداول. ومن قصائده في مدح كافور المشهورة: كفى بك داءً، والمملك الأستاذ، ولا مجد في، والدار المباركة فدى لأبي مسك الكرام، وحسم الصلح ما اشتهته الأعادي، وكل مكان ينبت العز طيب، ولمن قل ماله وغيرها (المتنبي. 441-477): وسنختار من الأولى بعض الأبيات:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنيا أن يَكُنَّ أمانيا
حَبَبْتُكَ قلبي قبل حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَاراً فَكُنْ أَنْتَ وَافِيا
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتُ فُؤَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيا
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَثْقَلَ السَّوَاقِيا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٍ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيا
نَجُوزَ عَلَيَّهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيا
فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرْجِي التَّلَاقِيا
أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقاً إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيا
لَقِيتُ الْمَرُورَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيراً يَتَرَكُّ الْمَاءَ صَادِيا

أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ
يَدِلُّ بِمَعْنَى وَاجِدٍ كُلِّ فَاجِرٍ
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى
وَعَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمَلِكُ بِالْمُنَى
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا
لَيْسَتْ لَهَا كُودَرُ الْعَجَاجِ كَأَنَّمَا
وَقُدْتُ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدٍ سَابِحٍ
وَمُخْتَرِطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً
وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً
وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا
إِذَا الْهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيمَةٍ
مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رُبُّهُ
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرُونَهُ

ومن قصيدة الملك الأستاذ نختار:

مِنْ الْجَاذِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ
تَرَعَرَغَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهَلاً
مُجَرَّباً فَهَمًّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِيةِ
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَآيَتَهَا
يُدَبِّرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتِمِهِ
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلِ الرُّمَحِ حَامِلُهُ

وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَحْصُ الْغَوَادِيَا
وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا
فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
فَيَرْجِعُ مَلَكاً لِلْعِرَاقِينَ وَالِيَا
وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشْهَبَ النَّوَاصِيَا
وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا
تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا
يُؤَدِّيكَ غَضَبَاناً وَيَثْنِكَ رَاضِيَا
وَيَعْصِي إِذَا اسْتَتْنَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا
وَيَرْضَاكَ فِي إِبْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا
وَتَأْنَفَ أَنْ تَغْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا
فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ التَّسَاوِيَا
وَنَفْسُ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَهِِيَا
وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيَا

حُمِرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيْبِ
قَبْلَ إِكْتِهَالِ أَدِيْبٍ قَبْلَ تَأْدِيْبِ
مُهَذَّباً كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيْبِ
وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآءَاتٍ وَتَشْبِيْبِ
إِلَى الْعِرَاقِ فَارَضِ الرُّومِ فَالْثُوبِ
وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ
مِنْ سَرَجٍ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْجُوبِ

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ
 إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ
 أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِيمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيْبِ
 وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعَمَتَهَا وَقَدْ بَلَغْتَكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيْبِ
 أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

خاتمة:

إن حياة كافور الإخشيدي كانت مليئة بالإنجازات السياسية والاجتماعية والتي بسببها نالت الدولة الإخشيدية شهرة ومكانة، فعند دخوله إلى الدولة الإخشيدية شغل بها الناس جميعا وعند خروجه منها لم يشأ أحد أن يتحدث عنها فخرجت بخروجه هذه الدولة وأصبحت ذكرى وعبر ما يعني ارتباط الدولة به حيث استأثر بتاريخ هذه الدولة حين كان لها تاريخ باعتباره المؤسس الحقيقي والفعلية لها. فمثلا عرف عنه العدل وقضاء حوائج الناس وقربه منهم، كذلك تميز بقدرته على تدبير الملك، وقد عاش كافور وحكم الدولة كما حكمها ملوكها من قبله إلا أنهم لم يملؤوا الوجود كما ملأه كافور، ولم يشغلوا الناس والشعراء كما شغلهم كافور مثلما حدث له مع المتنبي الشاعر المشهور والكبير والمؤثر آنذاك والذي مدحه ثم ذمه وأصبح اسما دائما في شعره، ولعل ظهوره في مسرح الأحداث منذ فترة مبكرة وطموحه وذكاءه قاده إلى هذه المكانة المرموقة التي بلغها. ولأنه من قواد السودان وعظمائه فلماذا لا ينصفه الذين يكتبون عن تاريخ السودان نقلاً عن كتابات ومذكرات الأجانب من الغربيين والمصريين، فبعضها تنقصه الدقة التي تناولوا بها قضايا التاريخ السوداني وأحداثه، بالتركيز على الجوانب التي تخدم أغراضهم، وقد سار على نهجهم الكثيرون من كتاب التاريخ السودانيين حيث نجد دائما ما ينصب تركيزهم فقط على أبطال تاريخ السودان الحديث ربما لجهل أو ضعف المعلومة. بينما نجد العديد من منسوبي المدرسة المصرية يتجاهلون تناول تاريخ كافور ربما لأنه سوداني أو أنه أسود وهو ما جعلهم يسعون إلى عدم التطرق إلى سيرته وتهميش دوره في حكم مصر، ولعل ما يؤكد ذلك هو الضعف والقلة في المصادر التي تناولت تاريخ كافور الإخشيدية بينما نجد أعدادا كبيرة من الكتب والمجلدات التي كتبت عن حكام آخرين أقل إسهاما ومكانة، وبالتالي فإننا لا نجد مبررا كافيا لهذا التجاهل من الكتاب السودانين الأمر الذي يحتم إبراز دور هذا القائد والحاكم السوداني باعتباره أول سوداني ينال صفة خليفة المسلمين وبالتالي يجب الاحتفاء به وتكريمه بتسمية مؤسسات علمية وإدارية أو عدلية تقديرا لإنجازات هذا الحاكم العظيم ومكانته.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- إبراهيم الأبياري، أبوالمسك كافور، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، (1962م).
- المتنبى، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت: 354هـ)، ديوان المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت: 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، الجزء الثاني، دار صادر بيروت، (د.ت).
- ابن منظور، الإمام محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ت: 711هـ)، الجزء الأول، فضائل الشام وخطط دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، (1984م).

المراجع الأجنبية

- Azhari Mustafa Sadig. (2010). *The Neolithic of the Middle Nile Region. An Archaeology of Central Sudan and Nubia*. Nile Basin Research Programme Publications. University of Bergen. Norway. Publisher: Fountain Publishers.
<http://nile.uib.no/publications/index.php#neolithic>

آثار الهولوسين المبكر (1000-7000 ق م) في منخفض القعب، غرب دنقلا

د. هدى عبدالله خالد محمد

باحثة مستقلة

المستخلص

تمثل فترة العصر الحجري الوسيط المرحلة الثانية من عصور ما قبل التاريخ في العالم، وقد أظهرت هذه الفترة الكثير من السمات الثقافية المختلفة من العصر الحجري القديم وتشابهًا وثيقًا إلى حد ما مع العصر الحجري الحديث في السودان. جاءت معرفتنا بهذه الفترة نتيجة الحفريات التي أجراها أركل في موقع الخرطوم المبكر. تم تطوير الموقع الخصائص الأساسية للعصر الحجري الوسيط في السودان، ثم جاءت الكثير من الاكتشافات لمواقع هذه الفترة، على سبيل المثال، في وسط السودان، أم مراحي وشق الدود والقوز، وفي شمال السودان البرقة وكورتى، وفي النوبة وادي حلفا وعبكا وغيرها. تظهر الكثير من الخصائص المشتركة وبعض الخصائص المختلفة فيما بينها. خلال الفترات الرطبة في العصر الجليدي والهولوسين تشكلت سلسلة من البحيرات والقنوات القديمة، من بينها منطقة الدراسة الحالية وهي منخفض القعب.

الكلمات المفتاحية: العصر الحجري الوسيط، منخفض القعب، المجاري المائية القديمة، الهولوسين، النواحي الثقافية

Abstract

The Mesolithic represents the second stage of prehistoric period in all over the world, it demonstrated several cultural features of Palaeolithic and close similarity to Neolithic in Sudan. We acquired our knowledge about that cultural period through the A. Arkell studies in the Early Khartoum site that shown the evolution of the main characteristics of the Mesolithic in central Sudan. And then, there are many studies came later in central Sudan in Umm Marrahi, Shaqadud and El- Goz, as well, El –Barqa, Korti, Wadi Halfa and Abka in northern Sudan. Many combined and heterogonous characteristics has seemed during that period. During the moist eras in the Holocene there are series of laces and palaeochannels has been constituted in El Ga'ab depress, therefore it has to be studied to unearth the cultural aspects in those areas.

Keywords: Mesolithic, El Ga'ab depress, palaeochannels, Holocene, cultural aspects

مقدمة:

كانت بداية هذا العصر حوالي 10000 ق م، واستمرت حتى حوالي 7000 ق م (Lario. et al. 583-588. 1997)، يرجع ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة، مما أدى إلى ذوبان الجليد وزيادة هطول الأمطار (Shaw and Jameson. 1999. 221) في الهولوسين المبكر، بسبب المانسون في الصيف مما أدى إلى زيادة هطول الأمطار في وادي النيل والصحراء الأفريقية، مع زيادة الرطوبة؛ استؤنفت الحياة مرة أخرى في القنوات التي تأثرت بالجفاف خلال البليستوسين المتأخر. كما في حالة النيل الأبيض الذي تقطع إلى برك موسمية. خلال هذه الفترة أدت زيادة جريان المياه إلى حدوث فيضانات شديدة. كما زاد تدفق النيل الأزرق، مما أدى إلى إنشاء سهول فيضانات كبيرة. ونتيجة لذلك، ارتفع منسوب مياه النيل الرئيسي (Shiner. et al. 1971. 22) كانت البيئة مواتية لعيش الثدييات الكبيرة، على سبيل المثال الأفيال والزراف (Haaland. 1993. 60-61). ظهرت الحيوانات التي يمكنها النجاة من الجفاف مثل الغزلان. وكذلك الحيوانات العاشبة مثل الجاموس البري والفأر وغيرها (Gautier. 1983. 71-72) ظهرت العديد من الأشجار والحبوب والأعشاب.

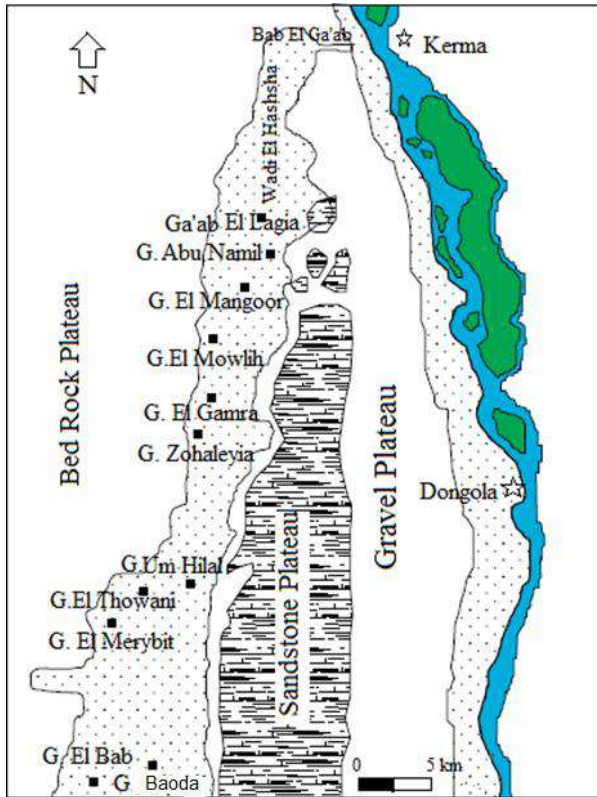
تسلط هذه الدراسة الضوء على الخصائص الثقافية للعصر الحجري الوسيط في منخفض القعب لإنقاذ وإجراء دراسات مفصلة حول المواد الأثرية المعرضة للضياع بسبب الأنشطة الزراعية والتعدين المكثفة في منخفض القعب.

منطقة الدراسة والأعمال الأثرية:

يقع منخفض القعب في شمال السودان (خريطة 1)، على الضفة الغربية لنهر النيل، على مسافة تتراوح من 6 إلى 60 كيلومترًا من الضفة الغربية. يحده من الغرب محليات دنقلا والصحراء ومن الشمال منطقة شلال النيل الثالث. يمتد المنخفض لمسافة حوالي 123 كيلومترًا عبر الصحراء متباعدة عن النيل في اتجاه الجنوب الغربي، بين خطي الطول 30 14 شرقًا وخط العرض 19 38 شمالًا وخط الطول 18 45 شرقًا وخط العرض 30 06 شمالًا.

يذكر آركل (Arkell, 1949, 37-38) التقاط أداة آشولية من الحجر الرملي الخرساني من الرواسب التي كانت على الضفة اليمنى لوادي القعب (Williams, 2010, 11129). وذكر أن مناطق وادي النيل كانت أكثر رطوبة بشكل ملحوظ خلال الهولوسين المبكر إلى المتوسط، مع بعض البحيرات في المنطقة مثل القعب والتي تغذيها قناة من نهر في الهولوسين المبكر بين 7550 و 5550 قبل الميلاد. أعطت أعمار الكربون المشع في القعب 8123 ± 96 قبل الميلاد بالقرب من قاعدة الطمي و 5912 ± 45 قبل الميلاد إلى 5481 ± 54 قبل الميلاد بالقرب من القمة (Williams, 2010, 11129). بدأت الأعمال الأثرية في عام 2009م من قبل

قسم الآثار بجامعة الخرطوم، ونفذت عدة مواسم شملت أعمال المسح والتنقيب وحماية المواقع الأثرية. تم اكتشاف حوالي 450 موقعاً وحفر 6 مواقع وحماية 13 موقعاً. المواقع مؤرخة من العصر الحجري القديم إلى العصر الإسلامي (Tahir, 2009, 2012a, 2013, 2015, and 2016) تم اكتشاف حوالي 42 موقعاً من العصر الحجري الوسيط بناءً على البقايا الأثرية ووجود الأنواع التالية من الحيوانات في البحيرة القديمة التي تعود للهولوسين في منخفض القعب: فرس النهر (*Hippopotamus amphibious*): تمساح النيل (*Crocodylus niloticus*)، ثلاثة أنواع من الأسماك (*Lates niloticus*) و (*Synodontis sp*) و (*Clarias sp*) وأربعة أنواع من القواقع، وهي (*Etherai Elliptica*)، (*Melanoides tuberculata*)، (*Pila ovate*) و (*Lanistes carintus*). مع وجود بيئة عشبية مفتوحة من السافانا في منخفض القعب خلال الهولوسين المبكر والمتوسط. على غرار تلك البيئات التي تعود إلى نفس الفترات في المناطق المجاورة في النيل والصحراء؛ كان لهذه البيئة تأثير واضح على تكيفات ثقافات ما قبل التاريخ، لا سيما في أنماط الاستيطان وأدواتها واقتصادها.



خريطة رقم (1) توضح القطاعات الثلاثة لمنخفض القعب (المصدر: Tahir, 2015)

العصر الحجري الوسيط في السودان:

كانت فترة العصر الحجري الوسيط غنية في أجزاء كثيرة من وادي النيل ومنطقة البطانة وغرب السودان. ازدهرت هذه الفترة خلال الهولوسين المبكر حيث كانت الحيوانات والنباتات وفيرة في السهول (Foley, 2003, 526) مما أدى إلى انتشار المواقع العصر الحجري الوسيط في السهول والوديان البعيدة من النيل (Mohammad Ali, 1982, 139). يتضح هذا من خلال المواد الأثرية التي تم استخراجها من هذه المواقع بواسطة آركل في الخرطوم القديمة (Arkell, 1949; Clark, 1989; Canava, 1980; Caneva, 1983, 12,155-190; Wendorf, et al, 1966, 16-24; 1991; Usai, 1998, 419-35; Fernandez, 2003, 14,201-272; Hongger, 2004, 8,27-32, Jesse, 2006, 187-196). جميع الكتاب استخدموا مصطلح العصر الحجري الوسيط في كتاباتهم عن السودان باستثناء آركل الذي استخدم الخرطوم المبكرة أو ثقافة الخط المتموج في ذلك الوقت (انظر ملخصاً في صادق 2022).

جدول (1) يبين بعض تواريخ الفخار للأقاليم مختلفة من السودان:

المنطقة	الموقع	التاريخ	المرجع
وسط السودان	الخرطوم القديمة	7000 ق. م	Arkell, 1949
وسط السودان	السروراب	10,000 ق. م؟	Mohammed-Ali and Khabir, 2003, 25-58
وسط السودان	الجبلي	7458±117	Caneva, 1988,27
وسط السودان	عنبيس	7265±163	Haaland and Magid, 1992, 17-27,37
وسط السودان	السقاي	9686±284	Caneva, 1988, 27
وسط السودان	الكباشي	7451±72	Caneva, et al, 1993, 177-252
وسط السودان	الدامر	7451±72	Haaland and Magid, 1992, 17-27,37
وسط السودان	ابو دربين	7756±157	Haaland and Magid, 1992, 17-27,37
وسط السودان	الشبونة	7470±240 ق. م	Clark, 1989, 389
شمال السودان	صاي	7000 ق. م	Dercole, el al, 2014, 2, 86, 377
شمال السودان	البرقة	7000-8300 ق. م	Honegger, 2004,8,27-32; Hongger, 2014
غرب السودان	وادي هور	7000 ق. م	Jesse, 2016, 3, 9
شرق السودان	شق الدود	7785±445 ق. م	Marks, 1991, 112-1181

خصائص الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري الوسيط:

كان هناك استمرارية في الشكل العام للأدوات الحجرية بين فترتي العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط، ولكن هناك تمييز واضح من حيث التقنية حيث أصبحت الأدوات الحجرية في العصر الحجري الوسيط أكثر تنوعاً على الرغم من أن الجودة كانت أقل مما كانت عليه في العصر الحجري القديم. تميز العصر الحجري الوسيط في شرق إفريقيا وجنوبها بالصناعات الحجرية (Willoughby, 1993, 6). وفي وسط إفريقيا ووادي النيل. سادت بعض أنواع الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري الوسيط، وخاصة الأدوات الميكروليتية، والتي هي بأشكال مختلفة من حيث الشكل والحجم. لذا كانت هذه الأدوات من أهم خصائص العصر الحجري الوسيط في المنطقة (Caneva, 1982, 1-8, Shaw and Jameson, 1999, 221). الأدوات الحجرية الدقيقة مصنوعة من مواد خام مختلفة (Arkell, 1949, 44-48) يتم العثور عليها على السطح أو في الرواسب. أهم أنواع هذه الأدوات الدقيقة هي الكاشطات والأدوات الهلالية ذات الأحجام المختلفة. وكانت هذه الأدوات شائعة الاستخدام خلال تلك الفترة، وانتشرت في الخرطوم (Arkell, 1949, 41). هناك أيضاً انتشار واسع لأدوات الشفرات والشفرات ذات الظهر (Marks, 1991, 106). بالإضافة إلى المثلثات والمثاقب والمخارز، وكذلك المحزرات التي تعد أدوات صغيرة. هناك انتشار واسع للمشارب بأشكال وأحجام مختلفة (Marks, et al, 1968, 319-323) كما تم عرض أدوات الطحن والكسر بأشكال وأحجام مختلفة، وانتشارها يشير إلى التطور الصناعي المتتالي. تم استخدام أدوات الطحن مثل المطارق وأدوات الطحن (Arkell, 1949, 5-52; Hays, 1971, 84-153; Clark, 1973, 55-64). منذ أوائل العصر الحجري القديم الأعلى ولكنه أصبح أكثر تنوعاً خلال العصر الحجري الوسيط (Gautier, 2002, 33).

عُرفت هذه المواقع المعروفة لأول مرة من وادي النيل في الخرطوم (Arkell, 1949)، وهي مستوطنات كبيرة، ولا شك في أنها تُستوطن موسمياً من قبل الصيادين الذين استكملوا بشكل كبير غذاءهم من الموارد المائية. تضمنت الثقافة المادية المميزة في عصر الهولوسين المبكر، بالإضافة إلى الميكروليت والرمح العظمي وأدوات أخرى صُنعت من العظام جنباً إلى جنب مع معدات الطحن والفخار. لا يوجد سبب لافتراض أن صناعة الفخار لم تكن تطوراً عفويًا في هذا الوقت في أعالي النيل، وبعض التواريخ الأقدم تعود إلى ما يقرب من عشرة آلاف عام. إن زخرفة الخطوط المتموجة "Wavy Line" والخطوط المتموجة المنقطعة "Dotted Wavy Line" التي تعطي الفخار اسمها ليست النوع الوحيد الموجود في ذاك الوقت، ولكنه الأكثر تميزاً. خلال العصر الحجري الوسيط، كان الفخار ذو الخط المتموج منتشرًا بشكل كبير حيث أصبح المؤشر الرئيسي لمواقع العصر الحجري الوسيط في السودان الأوسط (Elmin, 2004, 97-110).

في موقع الخرطوم تم العثور على أدلة على صناعة الفخار ذي الخط المتموج. أظهرت الدراسات أن

هناك انتشارًا واسعًا للصناعات الفخارية المبكرة في السودان ليس فقط في الخرطوم ولكن ظهرت في مناطق أخرى بنفس التسلسل الزمني للخرطوم المبكرة، على سبيل المثال في النيل الأبيض في العديد من المواقع (Clark, 1973, 55-64)، وفي أم مرجي (Elmin, 2004, 97-110)، والسروراب (Khabir, 1987, 377-380)، ودنقلا (Marks, et al, 1968, 319-323, 321)، ووادي حلفا (Khabir, 1987, 377-380)، والبرقة (كرمة) (Hongger, 2004, 8, 27-32)، وفي الشلال الرابع في وادي أم طندب إلى شمال جبل البركل (Mohammed-Hays, 1971,)، وفي شرق السودان (Ali, 1981, 176-178, 176; Garcea, 1996; Jesse, 2006, 325-326)، والنيل الأزرق (Shiner, et al, 1971, 393; Fattovich and Piperno, 1981, 26-30)، والنيل الأزرق (Fernandez, 1997, 21-27).

الخصائص العامة للفخار العصري الحجري الوسيط في السودان:

تشير الأدلة إلى أن تطور صناعة الفخار قد مرت بمراحل مختلفة منذ ابتكارها في العصر الحجري الوسيط حتى وصلت إلى الشكل المعروف. هناك نوع آخر من صناعة الفخار يكون فيه مصقولاً صقلاً جيداً على سطحه الخارجي وقد يكون متأخراً بالنسبة للنوع السابق. استخدمت في عملية إنتاج الفخار عدة مواد أهمها الطين وبالذات في المناطق القريبة النيل (Chlodnki, 1984, 337). كما تم خلط الطين بمسحوق القواقع والأصداف. يمكن التعرف على بنية الفخار بطرق وتحليلات علمية مختلفة لتحديد مكونات المادة الخام وطرق التصنيع وعمر الفخار. اهتم صانعو الفخار في العصر الحجري الوسيط ببنية الأواني وحجمها وشكلها ولونها (Arkell, 1949, 81; Haaland, 1992, 43-60). عادة ما تكون الحواف مستقيمة ورقيقة ومسطحة، وفقاً لوظيفة الإناء بالإضافة إلى التباين في الشكل. وتكون القاعدة مميزة في الحجم لأنها أكثر سمكاً من الجسم، وكذلك يتم عمل ثقب بالقرب من الحافة لربط القدر. من الملاحظ أنه لم يتم الحصول أي وعاء كامل ولكن في معظم الحالات تم الحصول على قطع من الأواني (Haaland, 1992, 43-60, 81, 91).

الاقتصاد المائي:

خلال العصر الحجري الوسيط، استخدم الناس مصادر المياه واعتمدوا على منتجاتهم المختلفة، وهي الأسماك والقواقع والبرمائيات وأفراس النهر والسلاحف (Sutton, 1974, 527-546). يجب أن يكون هذا التغيير الاقتصادي مصحوباً بتغيرات ثقافية مناسبة للظروف المعيشية (Mohammed-Ali, 1984, 65-72). فيما يتعلق بالتقنيات المختلفة المتعلقة بأدوات الصيد المائي وغيرها من التقنيات التي ظهرت خلال هذه الفترة. ومع ذلك، فإن الاعتماد على المنتجات المائية، والذي أدى إلى العديد من التغيرات الثقافية، أدى إلى ظهور مصطلح يعرف باسم الحضارة المائية (Sutton, 1974, 527-546). ومع ذلك؛ تستخدم هالاند مصطلح "Aqualithic" (Haaland, 1993, 60-61). كان الناس في العصر الحجري الوسيط يعتمدون على النيل

وفروعه وقنواته المائية في تغذيتهم. وتميزت المواقع بوجود بقايا أسماك وأشكال وكميات مختلفة، وكذلك أدوات الصيد مثل الرماح العظمية وأدوات العظام الأخرى. كما ابتكرت أدوات إنتاج مثل شباك الصيد، وغطاسات خيوط الصيد المصنوعة من الحجر الرملي (Arkell, 1953). يغطس السكان العصر الحجري الوسيط في الأرض حتى حصلوا على الأسماك المدفونة والتي تعرف باسم شباك النوم (sleeping nets) (Elmahi, 1984, 307). كان جمع الحلزون واستخدامه بوصفه غذاء شائعاً جداً، وقد انتشر في العديد من مواقع العصر الحجري الوسيط (Arkell 1949, 28-29). أكثر أنواع الحلزون شيوعاً المستخدمة خلال هذه الفترة هي (*Limicolaria falamata*) (Lario, et al, 1997, 16). وهو حلزون ذو شكل ملتوٍ وفتحة كبيرة وذات أحجام وأشكال مختلفة. والحلزون الآخر هو (*Ampylaria sp*)، وهي أيضاً حلزونية ولكنها مسطحة وعريضة، على عكس الشكل السابق ولها فوهة أفقية. هناك أيضاً قشرة على شكل صمام (*Aspatharia*)، تم العثور على هذه القواقع في مواقع الاستيطان (Clark, 1973, 55-64, 62, Caneva, 1983, 12, 155-160, Haaland 1993, 60-61). لم يكن استخدام قواقع الحلزون للطعام فقط، بل كان يستخدم لأغراض عديدة مثل الزخرفة كالخرز (Arkell, 1949, 37-38)، ربما تم استخدامه في بعض أنواع الزخارف الفخارية. بالإضافة إلى استخدامها في العملية الجنائزية. تم العثور على أدلة على هذه الممارسة في بعض المواقع العصر الحجري الوسيط في بحيرة توركانا (Barthelmey, 1985)، وتم العثور عليها في موقع عنييس في منطقة نهر عطبرة (Haaland, 1993, 60-61). كانت الحيوانات المائية التي انتشرت في تلك الفترة هي التماسيح وأفراس النهر والسلاحف المائية والضفادع (Arkell, 1949, 15; Haaland, 1993, 60-61). يبدو أن هذه الحيوانات ذات أهمية خاصة قبل العثور على كميات كبيرة من بقايا الحيوانات في مواقع المستوطنات (Clark, 1973, 55-64)، والعديد منها كان متاحاً للإنسان بالقرب من الموارد المائية.

شكلت الموارد المائية بشكل عام دوراً حيوياً خلال العصر الحجري الوسيط، ودورا اقتصاديا واجتماعيا رافق ثقافة جمع المواد الغذائية خلال تلك الفترة. هذا يقود بعض الباحثين إلى إعطاء الاقتصاد المائي أهمية كبيرة في عملية التطور الثقافي خلال العصر الحجري الوسيط. حتى أنها تربط ظهور الفخار بالاقتصاد المائي في بعض مناطق الساحل الشرقي ووسط وشمال إفريقيا (Sutton, 1974, 527-546).

كانت عملية الصيد والجمع هي المصدر الرئيسي لعيش الإنسان منذ ظهوره لأول مرة على الأرض حيث قام بالنشاط مباشرة. ارتبطت هذه العملية الاقتصادية بالإنسان منذ ظهوره على الأرض. في أوائل فترة الهولوسين؛ عاش في معسكرات شبه موسمية (Peters, 1996, 381). في فترات الجفاف؛ عاش البشر بالقرب من النيل عندما بدأت المياه في التراجع والانحسار عن السهول الواسعة، وكان هذا قبل اعتماد الزراعة والرعي، حيث أصبحت هذه المجموعات فيما بعد النواة الأساسية لإنتاج الغذاء (Barich and Garcea, 2008, 96)، حيث يميل الإنسان الناضج إلى أن يكون في وضع أفضل. وبالتالي؛ طوّر عملية الصيد، حيث

كانت المهارات والخبرة قيد التقدم. بدأ الناس في اصطياد الحيوانات أثناء مرورها، وكذلك تمكنوا من التمييز بين طعم لحوم الحيوانات. تعلم عندما اصطاد أنواعا مختلفة من الحيوانات وجمع أنواعا مختلفة من البيض (Chlodnki, 1984, 51). كما اكتشف أنواع الفاكهة والنباتات اللذيذة ذات القيمة الغذائية العالية، ونظراً لسهولة الصيد وجمع القواقع والمحار، انتشرت هذه العملية في معظم مواقع العصر الحجري الوسيط (Haaland, 1993, 43). كان الإنسان قادراً على صنع الخزرات من بقايا القواقع والأصداف (Arkell, 1949, 37-38).

العمل الميداني:

تمت إعادة مسح المواقع المختارة للدراسة في القطاع الشمالي والأوسط والجنوبي من منخفض القعب. أجريت الحفريات التجريبية في المواقع مما يشير إلى عدم وجود طبقات ثقافية كما هو الحال في مواقع الصحراء.

تم اختيار القطاع الشمالي (منطقة اللقية) لكثافة المواد الأثرية على السطح. تم جمع معظم المواد الأثرية المستخدمة في الدراسة من منطقة قعب اللقية والمواقع هي: GL-2-029 و GL-2-030 و GL-2-031.

حيث تم جمع العينات من خلال طريقة نظام المخطط الشبكي بسبب عدم وجود الطبقات.

تم تحديد وتصنيف جميع المواد الأثرية التي تم جمعها من المواقع حيث دُرس وصُنّف الفخار باستخدام عدسة مكبرة. ولقياس سمك عينات الفخار تم استخدام أداة مقياس لأخذ سمك أكبر وأصغر عينة في كل مربع من المربعات المختارة من المخطط الشبكي.

اكتشف من خلال الدراسة أن مستوطنات العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث منشرة على أطراف قناة القعب القديمة والبحيرات حيث تناثرت العديد من بقايا الأسماك على سطح المواقع (Tahir, 2012b, 100-108). ترتبط معظم المواقع بمواد أثرية متناثرة. تم العثور على العديد من الحراب العظمية من بينها (Tahir, 2013, 124-130) (لوحة 4).

التحليل والمناقشة:

تم جمع حوالي 339 شقفة فخارية من المواقع الثلاثة. وجد أن العجينة تحتوي على الرمال بنسبة 100% وهذا يثبت أن الصناعة محلية وأن مصدر المادة الخام قريب من مكان الاستيطان وورش الفخار.

لم تظهر درجة حرق الفخار بشكل جيد اختلافاً في ألوان الفخار وكان له تأثير على مدى الصلابة ومقاومة التعرية والتعرية التي تظهر في الحالة العامة للفخار. وقد شكّل الفخار غير المزخرف نسبة 38.8% (اللوحة 1-ب، ت) والزخرفة 20.5% (اللوحة 1-أ). وتصل نسبة زخرفة الخطوط المنقطعة إلى 15.6%، شكل القوس 1.2%، ويشكل الفخار ذو الزخرفة غير المميزة 3.8%. ومع ذلك، لا يمكن تمييز 40.6% من القطع بسبب تآكل السطح. ويشبه الفخار في القطاع الشمالي من القعب غرب السودان، اللقية وراحب (Jesse, 2003; Usai, 2006)، والبرقة (Hongger, 2004, 27-32)، والخرطوم المبكرة (Arkell, 1949, 80-91)، والكدي (Usai, 1998, 419-35)، وشرق السودان (Fattovich and Piperno, 1981, 26-30) بخط متموج بنمط الزخرفة، خط متقطع على شكل قوس ومنقط وأيضاً في فخار غير مزخرف من حيث الشكل العام للعجينة (لوحة 1).

حوالي 1355 أداة حجرية تم استخراجها من المخطط الشبكي وكانت مكاشط، شظايا، شفرات، مخارز، مثاقب، أدوات هلالية، رؤوس سهام، أثلام، أنوية، مخلفات الصناعة. ومعظمهم مصنوع من الشيرت. تم تصنيف نسبة 36.5% من الأدوات الحجرية على أنها شظايا (لوحة 2). يمثل الشيرت المادة الخام الرئيسية في المنطقة والعديد من النتوءات الصخرية الغربية (الموقع HBJ-4-024)، على مسافة 6.7 كيلومترات من مواقع الدراسة. الأدوات المكتملة وغير المكتملة تم رصدها. وبالتالي فإن الغالبية العظمى من الأدوات مصنوعة من الشيرت. يشكل الكوارتز النوع الثاني المفضل من الحجر من قبل سكان القعب في العصر الحجري الوسيط، وبدوره كان الكوارتز هو نوع الحجر الرئيسي المستخدم في الخرطوم المبكرة (Arkell, 1949, 41-49). يعد الكوارتز أكثر الأحجار المتوفرة في منطقة القعب حيث تمتد هضبة من الحصى موازية للمنخفض من الشمال والغرب. وصنفت الأدوات الحجرية على النحو التالي: المكاشط 24.7% (اللوحة 2 أ)، الشفرات 9.9% (اللوحة 2 ب)، الشظايا 36.5% (اللوحة 2 ت)، المثاقب 2.3% (اللوحة 2 ث)، أدوات هلالية 2.5% (اللوحة 2 ج)، رؤوس الأسهم 0.1% (اللوحة 2 ح)، المخارز 1.4% (اللوحة 2 خ)، الأثلام 0.3% (اللوحة 2 د)، الأنوية 9.7% (اللوحة 2 ر) ومخلفات الصناعة 11.3% (اللوحة 2 ز).

تتميز منطقة القعب بوجود عدد كبير من الحراب العظمية خاصة في القطاع الشمالي. تم جمع حوالي 80 رمحا عظمية، 9 منها مكتملة (اللوحة 3) أو شبه مكتملة. تم العثور على معظمهم بين بقايا عظام السمك (اللوحة 4، ت)، مما يشير إلى أن شواطئ بحيرة الهولوسين كانت موقعاً للصيد (اللوحة 4 أ، ب). في مواقع الدراسة الحالية؛ تم جمع 11 رمحا عظمية، تم جمع 6 منها في موقع GL-2-29، 2 مكتمل و 4 غير مكتمل. في الموقع الثاني GL-2-30 تم جمع 5 رماح عظمية 1 كاملة و 4 غير مكتملة (شكل 3). في الموقع الثالث؛ لم يتم العثور في المربع على رمح عظمي، وقد يُعزى ذلك إلى أنه بعيد نسبياً عن شاطئ البحيرة وقريباً مثل رماح عظمية موقع الخرطوم القديمة حيث المواد الخام والأشواك والحواف (Arkell, 1949, 75).



أ - نماذج للفخار المزخرف



ت- فخار غير مزخرف ذو حافة



ب- نماذج فخار غير مزخرف

لوحة رقم (1): شغف فخار من قعب اللقية



ب- شفرات



أ- مكاشط



ث- مثاقب



ت- شظايا



ح- مخارز



ج- أدوات هلالية



د- أثلام



خ- رؤوس سهام



ر- بقايا صناعة



ذ- نواة

لوحة رقم (2): نماذج للأدوات الحجرية من مواقع اللقية



ب- نموذج للهاربون مكتمل ذو سنين



أ- نموذج للهاربون مكتمل ذو ثلاثة أسنان

لوحة رقم (3): نماذج للهاربون من مواقع اللقية



أ- بقايا عظمية غير معروفة



ت - بقايا عظام أسماك



ب- بقايا قشرة صدف

لوحة رقم (4): نماذج للبقايا البيولوجية من مواقع اللقية

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أزهري مصطفى صادق. "مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (2). آفاق العصر الحجري الوسيط الثقافية وصناعاته". مجلة آداب. مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم. العدد 46. (2022م).

المراجع الأجنبية:

- Arkell, A. J. (1949). *Early Khartoum*. Oxford University Press.
- Arkell, A. J. (1953). *Shaheinab*. London. Oxford University Press.
- Barich, B. E. and Garcea, E. A. A. (2008). *Ecological Patterns in the upper Pleistocene and Holocene in the Jabal Gharbi Northern Libya*; Chronology Climate and Human.
- Barthelmey, J. W. (1985). *Fisher-Hunters and Neolithic Pastoralists east Turkana-Kenya*, *British Archaeological Reports*, Proceeding of British Academy 144: 5-19. International series, (B A R S 254), Oxford.
- Caneva, I. (ed.). (1988). *ElGeili, the History of a Middle Nile Environment 7000 BC – AD1500*. British Archaeological Reports International series 424. Oxford. Archaeo Press.
- Caneva, I. et al. (1993). Pre-pastoral cultures along the Central Sudanese Nile. *Quaternaria Nova* III:177-252.
- Caneva, I. (1983). Wavy line pottery from Saggai I: An Essay of Classification, precondition for food production; *origin* 12, Roma: 155-190.
- Clark, J. D. 1973. Expedition to the Central Sudan. The University of California Berkley. *Nyame Akuma* 3:55-64.
- Clark, J. D. (1989). Shabona: An early Khartoum settlement on the White Nile. In: Krszyeniak, L. and M, Kobusiewicz (ed.), *Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara*, Poznan: 387-411.
- D'Ercole, G. et al. (2014). Archaeometric approaches to ceramic manufactures and traditions at Sai Island, northern Sudan, in J. R. Anderson & D. A. Welsby (ed.) *The Fourth Cataract and beyond. Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies* (British Museum Publications on Egypt and Sudan 1): 377–86. London: British Museum Press.
- Elmahi, A. T. (1984). An interpretation of the faunal remains from Elzakiab site (central Sudan) origin and early Development of food producing Cultures in Northeast Africa. In: Kryzaniak. L. and Kobusiewicz. M. (eds.) 1984. Polish Academy of Sciences, Poznan: 307-308.
- Elamin, Y. M. and Mohammed-Ali. A. S. (2004). Umm Marrahi An Early Holocene Ceramic Site, North of Khartoum (Sudan). *Sahara* 15:97-110.

- Fattovich. R. and Piperno. M. (1981). Survey of the Gash Delta. *Nyame Akuma* 19:26-30.
- Fernandez, V. M. (2003). Archaeological Survey in the Blue Nile area, Central Sudan, *Complutum* 14: 201-272.
- Foley, J etal. A. (2003). Regime Shifts in the Sahel, interaction systems in Northern Africa. *Ecosystems*: 524-532.
- Garcea, E. A. A. (1996). Cultural Development in the final hunting-gathering horizons in the middle Nile and upper Nile Valley, *Interregional Contact in the Later Prehistory of Northeastern Africa*; Poznan: 321-326.
- Gautier, A. etal. (2002). The Fauna of the Early Khartoum occupation on Jabal Umm Marrahi (Khartoum Province, Sudan). In: Jenner Strasse (ed.).2002 *Tides of the Desert*. Africa Prehistorica. Kolon: 337-345.
- Haaland, R. (1992). Fish, Pots and Grain Early and mid-Holocene Adaptation in the central Sudan. *African Archaeological Review* 10:43-60.
- Haaland, R. (1993). Aqualithic Sites of the Middle Nile. *Azania* 28: 47-86.
- Haaland, R. and Magid, A. (1992). Radiocarbon Dates from Mesolithic sites in the Atbara region,Sudan. *Nyame Akuma* 37:17-27.
- Hays, T. R. (1971). The Karmakol industry: part of Khartoum horizon –style. In: Shiner, J.L. (eds.), *The prehistory and geology of Northern Sudan Report of the national sciences foundation*.GS1192:84-153.
- Honegger, M. (2004). Settlement and Cemeteries of the Mesolithic and Early Neolithic at el-Barga (Kerma Region). The Sudan Archaeological Research Society. *Sudan and Nubia* 8: 27-32.
- Jesse, F. (2003). *Rahib 80/87,ein Wavy line Fundplatz.im Wadi Howar und die Fruheste keramik in Nordafrika*. Heinrich-Barth-Institut, K. LN.
- Jesse, F. (2006). Time of experimentation, the 4th 3rd millennia B.C in lower Wadi Howar, Northeastern Sudan. Polish Archeology in the Mediterranean. *Supplement Series*, Vol.2, part 1:187-196.
- Jesse, F. 2016.53 years old, archaeologist, Colon University, 9.3.
- Khabir, A. M. (1987). New Radiocarbon Dates for Saraurab2 and the age of early Khartoum Tradition, *Currant Anthropology*, Vol. 28, N0.3:377-380.
- Lario. J., etal. (1997). Palaeoenvironmental Evolution of the Blue Nile (central Sudan) during the Early and Mid-Holocene. (Mesolithic and Neolithic transition). *Quaternary sciences Review* 16:583-588.
- Marks, A. E. etal. (1968). Survey and Excavation in the Dongola Reach, Sudan. *Current Anthropology*, Vol.9, No. 4: 319-323.
- Marks, A. E. (1991). The Stone Artifacts from Shaqadud Midden. In: Marks. A.E. and Mohammed-Ali, A. S. (eds.). 1991 *The Late Prehistory of Eastern Sahel, The Mesolithic-Neolithic of Shaqadud, Sudan*. Southern Methodist University Press. Dallas: 112-118.
- Mohammed-Ali, A.S. (1982). *The Neolithic Period in the Sudan, c. 6000-2500 BC*, BAR International Series 139. Cambridge Monographs in African Archaeology 6, Oxford.

- Mohammed-Ali, A.S and Khabir, A. M. (2003). Wavy line and Dotted Wavy Pottery in the Prehistory of the Central Sudan and the Sahara-Sahel Belt. *African Archaeological Review*, Vol. 20, No.1:25-58.
- Mohammed-Ali, A. S. (1981). Archaeological Survey in Wadi Hawar Basin. *Current Anthropology* 22, No. 2:176-178.
- Mohammed-Ali, A. S. (1984). Evidence of Early Food Production in Northeast Africa, an alternative model. *Origin and early Development of food producing cultures in Northeast Africa*; Poznan: Polish Academy of Sciences and Poznan Archaeological Museum.65-72.
- Peters. J. (1996). New light on Mesolithic resource Scheduling and Site inhabitation in central Sudan. In: Kryzaniak.et al (eds.) 1996. *Interregional contact in the later prehistory of Northeastern Africa*, Poznan: 381-394.
- Shaw, I. and Jameson, R. (eds.). (1999). *A Dictionary of Archaeology*. Blackwell Publishers, I, td. Oxford.
- Shiner, J. L; etal. (1971). *The Prehistory and geology of Northern Sudan*. Report to the National Science Foundation.
- Sutton, J. E. G. (1974). The aquatic civilization of middle Africa. *Journal of African History* 15: 527-546.
- Tahir, Y. F. (2009). *Archaeological, Ethnographical and Ecological Project of El-Ga'ab Basin in Western Dongola First Season Report*. Dept. of Archaeology, University of Khartoum.
- Tahir, Y. F. (2012a). A Holocene Palaeolake in El Ga'ab depression western desert m Northern Sudan. *Sahara* 23: 99-112.
- Tahir, Y. F. (2012b). The Archaeological, Ethnographical and Ecological Project of El-Ga'ab Basin in western Dongola Reach: A Report on the First Season 2009. *Sudan and Nubia* 16: 100-108.
- Tahir, Y. F. (2013). The Archaeological, Ethnographical and Ecological Project of El-Ga'ab Basin in Western Dongola Reach: A Report on the Second Season 2009. *Sudan & Nubia*, Bulletin No. 17:124-130.).
- Tahir, Y. F. (2015). *Archaeological, Ethnographical and Ecological Project of El-Ga'ab Basin in Western Dongola Four Season Report*. Dept. of Archaeology, University of Khartoum.
- Tahir, Y. F. (2016). *Archaeological, Ethnographical and Ecological Project of El-Ga'ab Basin in Western Dongola Fifth Season Report*. Dept. of Archaeology, University of Khartoum.
- Usai, D. (1998). *Early Khartoum and Related Groups*.in Kendall. T. (ed.). 1998, Proceedings of the Ninth Conference of the International Society of Nubian Studies, Boston: 419-35.
- Wendorf, F. etal. (1966). The 1965 Field Season of the Southern Methodist University. *Kush* 14:16-24.
- Williams, M. A; etal. (2010). Late Quaternary floods and droughts in the Nile valley, Sudan: new evidence from optically stimulated luminescence and AMS radiocarbon dating, *Quaternary Science Reviews* 29: 1116-1137.

- Willoughby, P. R. (1993). The middle stone age in East Africa and Modern human origins, *African Archaeological Review*, Vol.11, No. 3. Cambridge University Press: 3-20.

آثار ما قبل التاريخ في موقع أبو شنيب وسط الجزيرة

أ. فتح الرحمن محمد عثمان علي

جامعة الجزيرة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم الآثار

المستخلص

ارتبطت دراسات علم الآثار في السودان مؤخراً بتتبع التساؤلات التي طرحتها المشاريع البحثية السابقة ومحاولة اختبارها من خلال المسح الأثري في المناطق التي لم تنطرق لها تلك المشاريع. بناءً على ذلك قامت هذه الدراسة للتقصي حول واقع منطقة أبو شنيب. قامت الدراسة في هذه المنطقة بدافع الكشف عن بدايات الاستيطان البشري فيها وما إذا كان هذا الاستيطان الحالي قد نشأ حديثاً أم له جذور في الماضي، لا سيما بعد أن أظهرت دراسات أثرية حول النيل الأزرق دلائل لأنسان ما قبل التاريخ. وهذه الورقة تحاول أن تسلط الضوء على موقع أبو شنيب وذلك من خلال محورين الأول يعطي صورة عن الموقع الجغرافي للموقع، ويستعرض المحور الثاني الدلائل الأثرية لإنسان ما قبل التاريخ بالموقع وذلك من خلال المقننات الأثرية الناتجة عن المسح والحفريات الاختبارية التي قام بها الباحث في الموقع. والذي اتبع فيها المنهجين الوصفي والتحليلي. ومن خلال المقارنة توصل الباحث إلى نتائج مفادها أن الموقع يحوي مخلفات أثرية تعود إلى فترتي العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث تمثلت في شقف الفخار والأدوات الحجرية والهيكل العظمية البشرية وأدوات الزينة والمخلفات البيئية. هذه المخلفات تجعل من موقع أبو شنيب حلقة وصل بين ثقافة القوز في الجنوب من الموقع وثقافة الخرطوم شمالاً. كما تظهر الأدوات الحجرية وأدوات الزينة نوعاً محلياً. وتوصي الدراسة بقيام عمل إنقاذي للموقع في أقرب فرصة ممكنة وذلك لتعرضه للدمار من قبل نشاطات سكان المنطقة الحاليين.

الكلمات المفتاحية: العصر الحجري الوسيط والحديث، موقع أبو شنيب، شقف الفخار، الأدوات الحجرية، الهياكل البشرية، أدوات الزينة

Abstract

Recent studies in Sudanese archaeology have been focused on addressing questions raised by previous research projects and testing them through archaeological surveys in areas that were previously overlooked. This study aimed to investigate the Abu Shanib region. The research was conducted to uncover the origins of human settlement in the area, determine whether the current settlement is recent or rooted in the past, especially after archaeological studies along the Blue Nile revealed evidence of prehistoric human activity.

This paper aims to provide insight into the Abu Shanib site through two main aspects: firstly, it presents the geographical location of the site, and secondly, it examines the archaeological evidence of prehistoric human activity at the site. This evidence was collected through archaeological surveys and test excavations carried out by the researcher. By utilizing descriptive and analytical approaches, the researcher found that the site contains archaeological remains dating back to the Mesolithic and Neolithic periods. These remains include pottery fragments, stone tools, human skeletons, decorative tools, and environmental debris.

The archaeological artifacts discovered at the Abu Shanib site indicate a connection between the Al-Quz culture to the south and the Khartoum culture to the north. The presence of locally made stone and decorative tools further supports this connection. The study recommends immediate rescue efforts for the site, as it is currently at risk of destruction due to the activities of the area's current residents.

Keywords: Prehistoric period, Mesolithic and Neolithic, Abu Shanib site, pottery fragments, stone tools, human skeletons, decorative tools

مقدمة

شجعت الأعمال الأثرية الكبيرة في السودان عامة علي تتبع كيفية نشوء الإنسان وتطوره في الحقب المختلفة، لاسيما الدراسات التي أجريت في المواقع على النيل الأزرق والتي فتحت المجال للتساؤل عن إمكانية انتشار مواقع أثرية بعيدة عن النيل في المنطقة وسط الجزيرة. خاصة بعد ما كشفت عنه الأعمال الأثرية من دلائل لفترة ما قبل التاريخ في المواقع من حول المنطقة (Balfor- Paul, 1952; Edwards, 1989, 45; Fernandez. et al, 2003).

تناقش الدراسة طبيعة آثار ما قبل التاريخ في موقع أبو شنيب ومقارنتها بنظيرتها من المواقع المدروسة مسبقاً للخروج منها بتورخ نسبي للموقع، والتعرف على ماهية الموقع. وذلك من خلال البقايا الأثرية المتمثلة في الفخار والأدوات الحجرية والبقايا البيئية من قواقع وعظام.

الموقع الجغرافي: E,033,00,280 – N,14,52,500

يقع موقع أبو شنيب علي بعد 94 كلم جنوب شرق الخرطوم، وشمال غرب مدينة المحيريبا بحوالي 28 كلم ويبعد حوالي 28 كلم غرباً من النيل الأزرق. ويتوسط منطقة زراعية ويرتفع 400 متر عن مستوى سطح البحر (خريطة 1).



خريطة رقم (1) توضح موقع أبو شنيب

طبوغرافيا الموقع:

تختلف طبيعة الموقع من حيث شكل التربة وطبيعتها الطبوغرافية عن الأرض المحيطة به، حيث نجد أنها تتكون من تربة طينية سوداء خصبة صالحة للزراعة، أما التربة الطينية المخلوطة بالرمل هي التي تسود في الموقع. وهو عبارة عن تل (قوز) مرتفع عن سطح الأرض المحيطة، سطحه منبسط طوله حوالي 800 متر من الشمال إلى الجنوب وعرضه حوالي 400 متر من الشرق إلى الغرب. بالإضافة إلى أنه يقع على حافة مجرى وادي قديم (بابكر، 2010م، 139). تنتشر على سطح الموقع بعض الأشجار الشوكية وأشجار العشر.

وصف الموقع:

الموقع عبارة عن منطقة واسعة متوسطة الارتفاع تكسو سطحها تربة طينية فاتحة اللون مع حبيبات الرمال والحجارة الصغيرة المختلفة والحصى الأسود، وتنتشر على سطح الموقع كميات كبيرة من شقف الفخار والأدوات الحجرية والعظام المحروقة والمتحجرة وهناك الكثير من بقايا العظام البشرية المنتشرة على السطح وكمية من الأصداف النهرية في شكل أكوام صغيرة (شكل 1. لوحة 1).



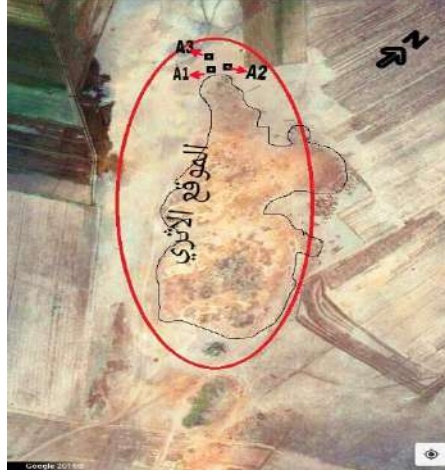
لوحة رقم (1) توضح منظر عام لموقع أبو شنيب

شكل رقم (1) موقع أبو شنيب الأحامدة

الحفريات الاختبارية في الموقع:

تمت تغطية سطح الموقع بإجراء مسح عام تم من خلاله تقييم أبعاد الموقع وطبيعة المخلفات المادية الموجودة على السطح وجمع عينات منها واعتماداً على نتائج المسح تم اختيار ثلاثة خنادق لاختبار العمق الثقافي في الموقع. A1، A2، وA3. يقع الخندق A1 في الجزء الغربي من الموقع في منطقة مرتفعة على حافة حفرة حديثة بقياسات 1 متر في العرض من ج/ش، 1,50 متر في الطول من غ/ق. وقد بلغ عمق القطاع حتى

التربة الأصلية (virgin soil) 17 سم. أما A2 فيقع إلى الشمال من A1 في منطقة أكثر ارتفاعاً بقياسات 1,50 متر لضلع المربع. وبلغ العمق 18 سم حيث انقطعت المخلفات الأثرية. ويقع A3 في منطقة منبسطة جنوب غرب الموقع بقياسات 1 متر في العرض من غ/ق. و1,50 متر في الطول من ج/ش وقد بلغ عمق القطاع 13 سم (شكل 2).



شكل رقم (2) يوضح خنادق الحفر في موقع أبو شنيب

وصف الطبقات:

أظهرت أعمال الحفر في الخنادق الاختبارية الثلاثة في الموقع تمازجاً من أنواع مختلفة من البقايا التي تعود للعصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث، حيث كشفت الطبقات التي تعود لفترة العصر الحجري الحديث مادة ثقافية غنية.

عموماً تكونت المادة الثقافية التي تم الكشف عنها من كُسر فخارية وأدوات حجرية كما حوت على بقايا بيئية تمثلت في العظام وأجزاء من أشجار متحجرة والأصداف والقواقع وخرز من بيض النعام.

إن القطاع الأثري في موقع أبو شنيب يظهر استمرارية ثقافية من العصر الحجري الوسيط إلى العصر الحجري الحديث المتأخر، حيث بدأ ذلك واضحاً خاصة في الخندق A2 (لوحة 2) والذي تشكلت طبقة السطح فيه من تربة رملية حصوية مخلوطة بتربة طينية حوت شقف فخار وأدوات حجرية وبقايا عظمية وأصداف، أعقبها طبقة من تربة طينية سوداء مخلوطة بالحصى الأبيض والأسود الصغير والرمل في بعض أجزاء الخندق الشمالية حيث ضمت بقايا تعود لفترة العصر الحجري الحديث. تلتها طبقة طينية

صلبة مخلوطة بالحصى حوت بقايا شقف فخار تعود للعصر الحجري الوسيط مماثلة لتلك التي كشف عنها أركل في الخرطوم القديمة (Arkell, 1949).



لوحة رقم (2) توضح القطاع مربع A2

المحتوي الثقافي بالموقع:

الفخار: وجد في الموقع كسر لأواني مختلفة الأحجام والشكل وذلك من خلال دراسة ورسم الفوهات (الحواف) التي بدأت متباينة في الحجم حيث تشير البعض منها إلى أواني متوسطة وصغيرة الحجم وبفوهات مفتوحة عولج سطحها بالتمليس والصلقل فيها متوسط. والفخار في الموقع عموماً متفاوت في درجة الحرق ما بين الحرق الجيد والحرق غير الجيد. وكذلك هناك تعدد في المادة الخام المستخدمة في الصنع حيث تباينت ما بين الطمي النيلي. طين الأودية والرمل. وذلك ما جعل فخار الموقع يظهر على شكل أنواع من خلال سمك القطعة الفخارية ونعومة وصلابة سطحها فوجدت بعض الشقف من الفخار الصلب وبعضها من الفخار الناعم ونوع من الفخار الهش القابل للكسر الذي تميز باللون البني خاصة المسترد من A1. والشقف الفخارية عموماً تظهر عليها حبيبات الرمل الناعم وربما تكون المايكا أيضاً والتي استخدمت في صقل السطح. كما شهدت هذه البقايا الفخارية تنوعاً في الزخارف، وتركزت معظم الزخارف في الأسطح الداخلية للأواني التي تم جمعها على أنها عينات من الموقع، والتي ربما تكون سمة محلية في الموقع (لوحة 3). كما كشفت أعمال الحفر في A2 طبقة 1 عن بقايا جرة تماثل من حيث النمط الزخرفي وشكل الأنبة لثقافة القوز (Balfor- Paul, 1952).



لوحة رقم (3) توضح الأنبة المزخرفة من الداخل المماثل لثقافة القوز

كما وجدت بعض الشقف الفخارية على السطح الخارجي للموقع تحمل زخارف النقاط في الخطوط المموجة وهي سمة لازمت فخار العصر الحجري الوسيط (Arkell, 1949). وهناك نوع آخر تميز بالخشونة في السطح في بعض العينات إلى جانب البعض الذي تم معالجة سطحها، والتي تظهر من خلال نسبة الخشونة على السطح. عدد القطع التي تمثل فخار هذه الفترة بلغ 5 قطع، 3 منها مزخرفة بزخرفة الخطوط شبه المستقيمة المتقطعة. والتي تتميز بأن حركة التموجات غير واضحة، وهذه السمة تعد مميزة للفترات المتأخرة من العصر الحجري الوسيط. وقد أظهرت العينات تشابهه بتلك المدروسة في نوع موقع الخرطوم (Arkell, 1949). وفخار العصر الحجري الوسيط يماثل زخرفة موقع السقاي (Caneva, 1983).

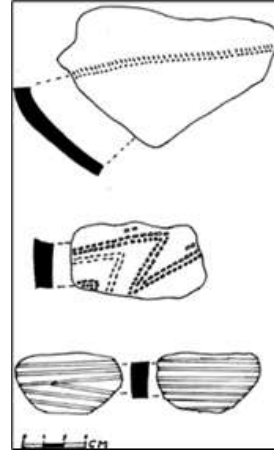
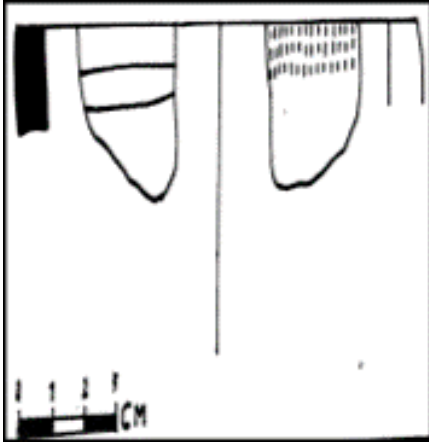
وأظهرت الأعمال الأثرية في مربع A2 عن بقايا فخارية تعود لهذه الحقبة تميزت باللون البني والأسود الذي تشكل في حواف لعدد من الأواني مزخرفة بخطوط مستقيمة غائرة وأخرى بنية داكنة اللون مزخرفة بزخارف النقاط المستقيمة في أشكال هندسية. أيضاً برزت قطعة سوداء اللون مزخرفة من الداخل بالشكل المتموج المتمازج مع أشكال زخرفية مختلفة. كما وجدت بقايا تميزت باللون البني من الخارج واللون الأسود من الداخل تظهر عليها حبيبات المايكا وأخرى عليها زخرفة الطبغات (Impression) (لوحات 4، 5) (شكل 3-6).



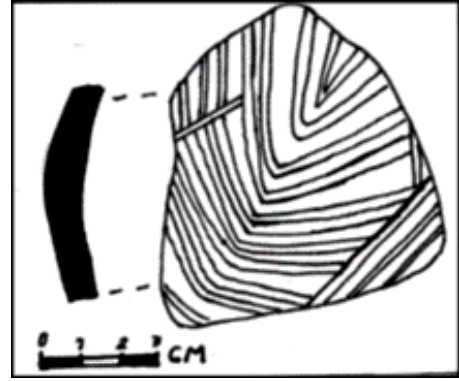
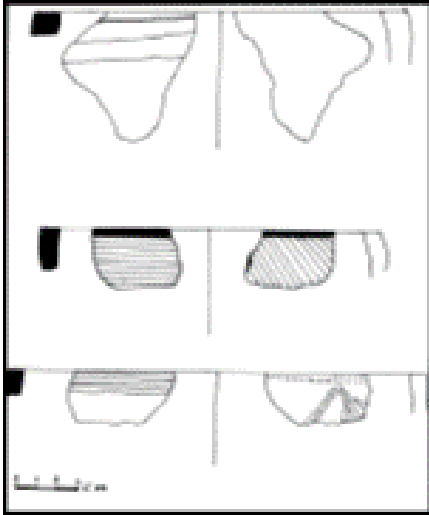
لوحة رقم (5) توضح زخارف الفخار طبقة السطح



لوحة رقم (4) توضح زخرفة الفخار مربع A2



شكل رقم (3-4) يوضح أنواع من الزخارف من سطح الموقع



شكل رقم (6) يوضح أنواع من الصناعات الفخارية والزخارف

شكل رقم (5) يوضح نوع الزخرفة من الداخل

وهذه التعددية في التقنية تشير إلى الصناعة المحلية، وتمكن صانعيها منها في هذه الفترة، مما يدل على محلية مزاوله حرفة الخزف في العصر الحجري الوسيط في الموقع.

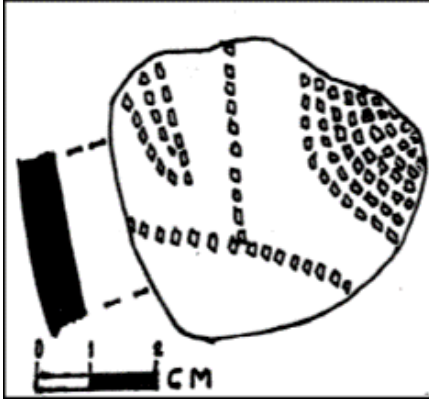
هذه التقنية أظهرت استمرارية ثقافية في الموقع في حقبة العصر الحجري الحديث والتي تميزت عن الحقبة السابقة بالنعومة في الأسطح الخزفية بالإضافة إلى تعددية في اللون والشكل والزخرفة، وهذه المميزات قادت إلى ظهور تطور في التقنية الخزفية في الموقع ما بين فخار العصر الحجري الحديث المبكر في الطبقات السفلى والذي يشبه فخار الشهبان (Arkell, 1953, 73) وما بين فخار العصر الحجري الحديث المتأخر في السطح والذي يماثل فخار الكدادة (Geus, 1984, 33) وقلعة شنان (Nassr, 2012, 11). كذلك مما يعكس

هذه الاستمرارية الثقافية بالموقع نجد التطور الذي يظهر في أنواع الأواني الفخارية حيث يتضح ذلك من خلال التعددية في سمك ولون البقايا الفخارية. كما يظهر في نمط الزخارف الفخارية الذي بلغ حوالي العشرين نوعاً (انظر الجدول 1) من الأنماط الزخرفية تشكلت أنواعها ما بين الخطوط المموجة (Wavy Line) والخطوط الغائرة الرفيعة والسميكة (Incised lines) وكذلك زخرفة الخطوط المستقيمة (ما تسمى الزخارف المتعرجة (Rocker Motives) التي تم العثور عليها بالموقع والزخرفة بأسنان المشط، وزخرفة الخطوط المتقاطعة والتي ماثلت ثقافة القوز. (Balfor-Paul, 1952). وزخرفة الخطوط المموجة في طبقات الحفر السفلى شبيه بزخارف ثقافة الخرطوم الباكرا التي أطلق عليها أركل ثقافة الفخار ذا الخطوط المموجة والطبقات العليا شبيه بفخار الشهبيناب (Arkell, 1949, 136). بالإضافة إلى الزخرفة بأشكال الخطوط المتقطعة في أشكال هندسية والخطوط المستقيمة الرفيعة الغائرة متداخلة مع أشكال أخرى. ويطلق على هذا النوع المتنوع (Variant). وتميزت البقايا الفخارية في هذا النمط والتي تم الكشف عنها في خندق A1 و A2 باللون الأسود من الخارج والبي من الداخل، وتظهر عليها حبيبات الرمل.

وهنا لابد أن نشير إلى أن هناك نوعاً من أنماط الزخرفة بالخطوط في الجانب الداخلي للأسطح الفخارية حيث نجدها تشكلت في الخطوط الغائرة الرفيعة والخطوط البارزة من الأسطح، وربما تمثل سمة محلية مميزة لموقع أبو شنيب، حيث نجد أن عدداً كبيراً من الشقف الفخارية المنتشرة على سطح الموقع تحمل هذا النوع من الزخارف. كما تشمل هذه السمة كذلك زخرفة السطح الداخلي للقاعدة في الأنية الفخارية بخطوط في أشكال هندسية تنتهي بمحور ارتكاز القاعدة حيث تم الكشف عنها في سطح الموقع وخندق A2 على عكس ما تعارف عليه من نمط الزخارف على جسم الأنية الفخارية في مستوطنات العصر الحجري الحديث المتأخر لاسيما في منطقة شندي وهو ما تعارف عليه بالزخرفة الهندسية (Geometric) (Sadig, 2010, 132).

وهذه الخطوط تكون على درجة واحدة في محور الأنية الفخارية وهو ما تعارف علي تسميته بـ (Zigzag). أما النقاط (Dots) فهي أقل انتشاراً في الأنماط الزخرفية بالموقع حيث نجدها في شكل نقاط مستمرة في خطوط متوازية (Continues Dots Lines). وفي بعض العينات من سطح الموقع نجدها تمثلت في خط من النقاط الصغيرة الغائرة ويعلوه متوازي خط من نقاط طولية. كما نجد النقاط المموجة (Dotted Wavy Line)، والذي يرى أركل أنه مرحلة تطورية من الخطوط المموجة (Arkell, 1949, 136). والنقاط المتراكمة (Complex dots) حيث نجدها بدرجات متفاوتة في تراصفها في سطح الأنية الفخارية حيث أظهرت عينات من سطح الموقع ومربع A1 نوع زخرفة هندسية (Geometric) وتمثلت في نقاط في خطوط متراكمة ومتراصفة لتشكل مثلثات ومربعات حيث أظهرت تماثلاً مع فخار موقع قلعة شنان (نصر، 2012م، 99) (لوحة 6، شكل 7، جدول 1).

تعد هذه الدراسة للفخار دراسة أولية للفخار في الموقع وتعطي صورة عامة عن الخزاف ومادة تصنع الفخار الذي ظهر مماثلاً لعدد من المواقع المدروسة مسبقاً، كما أظهر السمة المحلية بالموقع.



شكل رقم (7) يوضح نوع من زخرفة الفخار

لوحة رقم (6) توضح زخرفة النقاط الهندسية

المادة الثقافية	سطح الموقع	مربع A1	مربع A2	مربع A3
الخطوط المموجة	عامة	غائبة	منتشرة	غائبة
الخطوط المستقيمة	نادرة	غائبة	منتشرة	غائبة
الخطوط الغائرة	منتشرة	نادرة	منتشرة	غائبة
الخطوط الهندسية	نادرة	نادرة	منتشرة	غائبة
النقاط المموجة	نادرة	نادرة	نادرة	غائبة
النقاط على شكل شرائط	نادرة	غائبة	غائبة	غائبة
النقاط المضاعفة	منتشرة	غائبة	غائبة	غائبة
الخطوط المتقطعة	منتشرة	غياب	نادرة	غائبة
النقاط المستقيمة	منتشرة	غائبة	نادرة	غائبة
النقاط المتعرجة	منتشرة	غائبة	نادرة	غائبة
النقاط الغائرة	منتشرة	غائبة	نادرة	غائبة
النقاط المتقطعة	نادرة	غائبة	نادرة	غائبة
النقاط الهندسية	منتشرة	نادرة	نادرة	نادرة
زخرفة المشط	نادرة	غائبة	غائبة	غائبة
زخرفة الطبقات	نادرة	غائبة	غائبة	غائبة
الفخار المصقول	منتشرة	نادرة	منتشرة	نادرة
الفخار غير المصقول	نادرة	غائبة	نادرة	غائبة

جدول رقم (1) يوضح الأشكال الزخرفية بالموقع

الأدوات الحجرية:

من واقع ما تم اكتشافه من صناعات حجرية بالموقع يمكن القول أنه قد قامت صناعة حجرية غنية في موقع أبو شنيب، والتي أظهرت تنوعاً في المادة الخام، حيث شكل الحجر الرملي النوبي أعلى نسبة، ثم تلتها أدوات بنسب أقل، صنعت من الريولايت والكوارتز والكوارتزيت ونسب ضئيلة من الأدوات صنعت من القاشاني والصوان. وبما أن المنطقة خالية من المرتفعات الصخرية مما ينفي احتمالية الحصول على المادة الخام من المنطقة، لذا تبقى الفرضية القائمة أنها كانت تأتي منجرفة مع تيار الوادي القديم، أو أن المادة الخام قد تم استجلائها من خارج المنطقة.

أظهرت الأعمال الأثرية في موقع أبو شنيب تراكمًا للصناعات الحجرية في سطح الموقع خاصة في الجزء الشمالي الغربي، مع الملاحظ حتى الآن غياب الأدوات المصقولة صقلاً جيداً (جدول 2). ويمكن أن نستعرض هذه الصناعات علي النحو التالي:

الفؤوس الحجرية:

وجد منها نموذج واحد مخروطي الشكل صنع من حجارة الديولايت مصقول السطح وبني داكن اللون والجزء العلوي منه مفقود شبيه بالفؤوس التي استخدمت في العصر الحجري الحديث (Geus, 1984, 37).

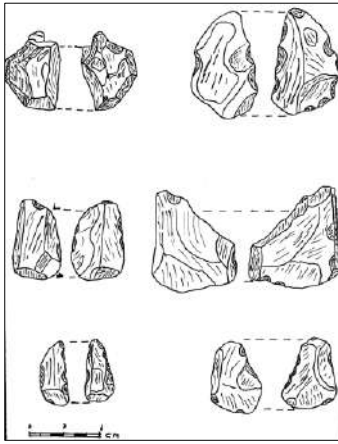
المكاشط:

وجد البعض منها مصنوع من مادة خام وبعضها صنع من بقايا صنع الأدوات الأخرى. حيث تباينت في أشكالها ما بين مكاشط ذات الظهر تظهر عليها علامات التهذيب في كل الجوانب وهي التي يمكن أن تكون قد صنعت من مادة خام. والنوع الآخر ذو قاعدة طبيعية، حيث وجد في سطح الموقع بكميات كبيرة وفي الطبقات العليا من خندق A2. وهذا النوع يمكن أن يكون قد صنع من بقايا صناعة الأدوات الأكبر حجماً. ومن تقنيات المكاشط بالموقع أيضاً نجد المكشط على شكل ساطور. وتبدأ هذه التقنية تماثلاً كبيراً مع تقنية الخرطوم (Arkell, 1949, 88).

كما تم الكشف عن أدوات دقيقة تمثلت في الشفرات والشظايا الحادة، وهي صغيرة الحجم، حيث وجدت مع بقايا العظام الحيوانية منتشرة في أنحاء متفرقة من الموقع، بالإضافة إلى خنادق الاختبار (انظر لوحة رقم 12).

المثاقب:

وجدت بأشكال وأحجام متفاوتة حيث تباينت على حسب وظيفتها وصنعت من الكوارتز والريولايت والحجر الرملي النوبي، وتميز نوع تم الكشف عنه في خندق A1-A2 من هذه المثاقب بقاعدة عريضة ورأس مسنن صغير، وربما استخدم هذا النوع في صناعة الحلي من بيض النعام. وهناك نوع آخر ظهر بقاعدة مهذبة بحيث تسمح بأن تتصل بها يد خشبية و رأس مسنن، وآخر عريض، وهي سمة محلية حيث لم يتم التعرف عليها في أي من المواقع المدروسة مسبقاً، وإلى أن يتم نفي هذه الفرضية تبقى هي الراجحة (لوحة 7، 8، شكل 8).



شكل رقم (8) يوضح صناعات الأدوات الدقيقة بالموقع، A مكاشط B مثاقب C أدوات دقيقة.



لوحة رقم (7) توضح صناعات حجرية بالموقع



لوحة رقم (8) توضح الأداة ذات الرأسين

النصال:

وجدت بأشكال وأحجام مختلفة بعضها صغير الحجم، والبعض الآخر مطول وبعضها على شكل نهايات لمكاشط وأدوات هلالية صنعت من الكوارتزيت والدوليت شبيهة بمثلتها في الكداده (Geus, 1984) وقلعة شنان (نصر، 2012م، 102).

الأزاميل:

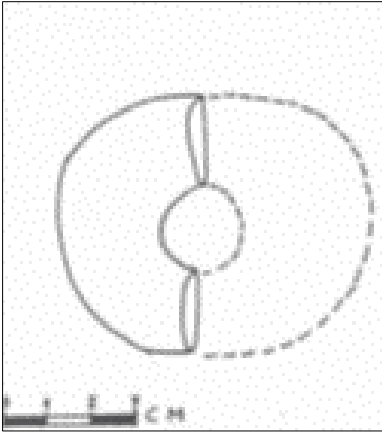
وجدت مصنوعة من الحجر الرملي النوبي والأجزاء العلوية من العينات التي تم جمعها مفقودة حيث وجدت متوسطة الخشونة. بينما تميزت أداة بدرجة عالية من الصقل تحمل اللون البني الداكن. وأظهرت الأزاميل في موقع أبو شنيب تماثلا تاما مع مثيلاتها في موقع الشهبيناب الذي يعود لفترة العصر الحجري الحديث (لوحات 9-10) (Arkell, 1953).



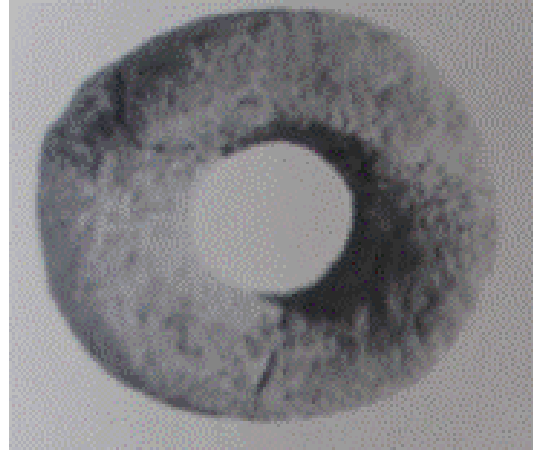
لوحة رقم (9) توضح أزاميل من الشهبيناب (Arkell) لوحة رقم (10) توضح أزاميل من أبو شنيب 1953

الأدوات الحجرية المصقولة:

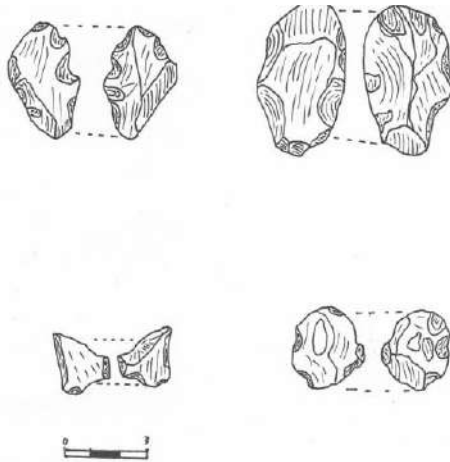
لم توجد أدوات حجرية مصقولة صقلا جيدا ولكن وجدت أداتان لما قبل القاج الجزء الأمامي منها مفقود متوسطة الصقل. كذلك وجد جزء من أسورة حجرية من الحجر الرملي النوبي متوسط الخشونة والتي يرى أركل أنها انتشرت في فترة العصر الحجري الوسيط (Arkell, 1949). لكن ما تم الكشف عنه في موقع أبو شنيب يماثل الأسورة الحجرية في الشهبيناب (لوحة 11-12، شكل 9-10) (Arkell, 1953, 24).



شكل رقم (9) يوضح الأسورة الحجرية بالموقع



لوحة رقم (11) توضح الأسورة الحجرية) من الشهباناب (Arkell 1953).



شكل رقم (10) يوضح صناعات الأدوات الحجرية A الأسورة الحجرية B ما قبل القواج C شفرات



لوحة رقم (12) توضح صناعات حجرية بالموقع

أدوات الرحي:

تمثل أكثر الأدوات انتشاراً بالموقع حيث تم الكشف عنها في السطح والطبقات المختلفة من خنادق الحفر، وقد صنعت من الحجر الرملي النوبي ذي اللون البني والحجر الرملي الذي يحتوي على الحديد ذي

اللون البني الداكن. وهي متفاوتة في أحجامها وأشكالها، ووجدت بشقيها العلوي والسفلي وبأشكال طويلة وأشكال دائرية، ووجد البعض منها مشبع بالألوان، مما يدل على تعدد وظائفها من طحن للحبوب البرية والمستأنسة. وفي هذا إشارة إلى التمرکز الاقتصادي الزراعي بالموقع، على الرغم من عدم العثور على دلائل للزراعة. ويتضح من تلك المشبعة بالألوان أنها استخدمت في طحن حجارة التلوين مثل المغرة الحمراء التي تستخدم في تلوين الأجساد والفخار (لوحة 13-14). كما هو شائع في مستوطنات العصر الحجري الحديث في الكدرو والكدادة (Geus, 1984, 35).



. لوحة رقم (14) أداة رحي في موقعها الأصلي

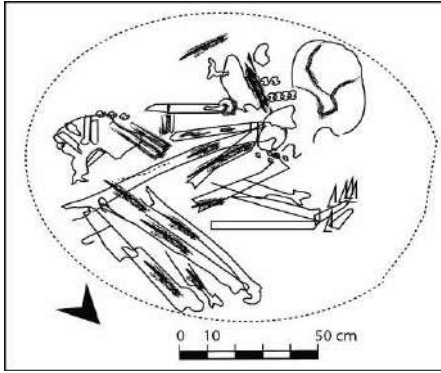
لوحة رقم (13) توضح أنواع من أدوات الرحي

المادة الثقافية	سطح الموقع	مربع A1	مربع A2	مربع A3
الفؤوس الحجرية	نادرة	غائبة	غائبة	غائبة
المكاشط	منتشرة	نادرة	نادرة	نادرة
المثاقب	منتشرة	نادرة	منتشرة	نادرة
المؤشرات	نادرة	غائبة	نادرة	غائبة
الشفرات	منتشرة	نادرة	منتشرة	نادرة
الشفرات المشحودة	نادرة	غائبة	غائبة	غائبة
الشظايا المشذبة	نادرة	نادرة	منتشرة	غائبة
الشظايا	منتشرة	نادرة	نادرة	نادرة

جدول رقم (2) مقارنة بين تقنيات صناعة الأدوات الحجرية

المدافن:

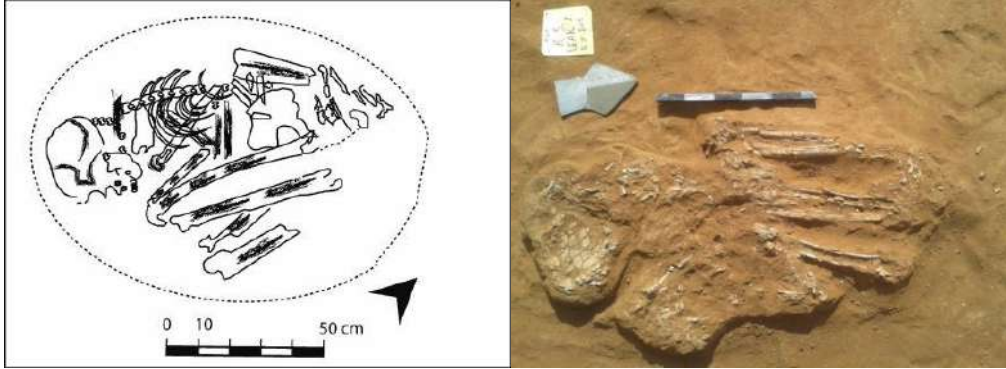
بما أنه أصبح من المتعارف عليه في مستوطنات العصر الحجري الحديث بحيث توجد المدافن في المواقع الاستيطان. (Geus, 1984; Arkell, 1949; نصر، 2012م). فقد أظهرت أعمال التنقيب بالموقع إلى جانب دلائل الاستيطان علي دفنتين في خندق A1 و A3 مع أثاث جنازي فقير واقتصرت حدود المدفن مع حدود حفرة الدفن التي بدت واضحة في A1، حيث اتخذت الشكل البيضاوي، وبلغ عرضها 65 سم وطولها 90 سم، واتخذ المتوفي بداخلها الوضعية القرفصائية (Contracted Position) مسجىً على جانبه الأيسر ويتجه شمالاً، وحالة حفظ الهيكل رديئة جداً، حيث نجد أن الأجزاء السفلية منه (الحوض، جزء من السلسلة الفقرية) مفقودة نتيجة للحفر الجائر بالموقع. وتمثله القياسات المترية للعظام الموجودة في 28 سم طول عظم الساعد و39 سم طول عظم الفخذ. أما السمات غير المترية وهذا المصطلح نقصد به الأجزاء التي لا تقاس مثل الأسنان والأمراض ولكنها تحمل دلائل جينية وبيئية (Jacob, 2014). حيث دلت هذه السمات بأن هذه المقبرة تعود لشخص راشد نسبة لوجود خمسة أضراس كاملة في الفك الأسفل وثلاث أضراس في الفك الأعلى يظهر منها الضرس الخامس في موضعه محازياً للضرس الخامس الأسفل مما يؤكد اكتمال الأضراس. كما تم الكشف عن أثاث جنازي فقير تمثل في أربع خرزات من الحجر ونسبة لفقدان الحوض وتهشم الجمجمة أصبح من الصعب تحديد النوع (الوحة 15، شكل 11).



الوحة رقم (15)، شكل رقم (11) توضيح وضعية الدفن خندق A1

أما A3 فقد اتخذ المتوفي نفس الوضعية القرفصائية (Contracted Position) مسجىً على جانبه الأيسر ويتجه غرباً، وهي عادة تمت ملاحظتها بصورة كبيرة في موقع الكدي 2 (Jacob, 2014, 3). ونسبة لأن الشكل العام للهيكل مهشم تماماً يصعب تحديد وضعية الأطراف، والجزء العلوي من العظام مهشم حيث تم إزالة الجزء العلوي في كثير من أجزاء الهيكل، وذلك لا يعين في تحديد الشكل العام للدفنة من خلال البقايا

السفلي للعظام. حوت الدفنة على أثاث جنازي تمثل في عقد من الخرز تكون من مجموعة مختلفة من الحجارة حول العنق. أما عن القياسات المترية فإنه لا يمكن قياسها نسبة لهشيم العظام ولكن أكدت الدلائل البيولوجية أن الهيكل يعود لشخص بالغ، حيث عثر على الاضراس الكبيرة التي توجد في آخر الفكين والتي لا تنمو إلا بعد بلوغ سن الواحد والعشرين من العمر. أما تحديد الجنس والنوع فهو مستحيل نسبة لضياح الملامح الرئيسية في الهيكل (لوحة 16، شكل 12).



لوحة رقم (16) شكل رقم (12) توضح وضعية الدفن خندق A3

أدوات الزينة:

وجدت بالموقع أنواع مختلفة من الزينة الشخصية التي صنعت من مواد خام مختلفة، حيث وجدت من الحجارة الكريمة من العقيق الأحمر والأزرق وأيضاً من القاشاني والكوارتزيت والحجر الرملي النوبي. وهذه الأدوات تختلف في الشكل واللون كما تحتم عليها وظيفتها، وجميعها على درجة عالية من الصقل. كما وجد نوع من الخرز من قشر بيض النعام دائري الشكل بثقب في الوسط وبأحجام مختلفة مماثلة لتلك المكتشفة في الشهبان (لوحات 17-18) (Arkell, 1953, 25).

وقد كُشف عن أدوات تمثلت في زمام الشفة (Lip Plugs) وزمام الأنف والأذن، وكشف عنها في A1 باعتباره أثاثاً جنازياً بالقرب من عنق المتوفى على أربع خرزات من الكوارتزيت والعقيق الأحمر الأرجح أنها كانت تمثل عقد حول عنق المتوفى. كما أظهرت البقايا المستردة من A3 عن عقد يتكون من حبيبات خرز من الحجارة المختلفة على شكل أسطواني بقاعدة مربعة بلغت ثمانية عشر حبة، مما ينفي إمكانية أنها استخدمت زمناً للشفاة أو للأنف. ويدعم وجود الجلد الملتصق بإحدى الخرزات فرضية استخدامه عقداً. يتم جمع الخرز في جلد وهو لين حيث نجد أن الجلد الملتصق بالخرز يؤيد هذه الفرضية، ونسبة لأن الدراسة تعتمد على الجانب النظري حتى يتم التحقق من مثل هذه الفرضية نحتاج لتدعيمها بدراسات علمية

(مختبرية). وإلى حين يتم ذلك تبقى هذه هي الفرضية المتاحة. لم تُظهر دراسة الباحث حتى الآن عن تماثل لها من بين المواقع المدروسة مسبقاً. وعليه يمثل هذا نوعاً من الزينة الشخصية المميزة لسكان أبو شنيب (لوحات 19-20).



لوحة رقم (18) خرز العقد خندق A1



لوحة رقم (17) توضيح انواع الزينة

A. زمام أذن B. زمام الشفة

C. زمام الأنف D. خرز



لوحة رقم (20) الخرز في موضوعة الأصلي



لوحة رقم (19) توضيح خرز العقد

البقايا البيئية:

إلى جانب دراسة البقايا الأثرية تم جمع عينات للبقايا البيئية التي كانت تنتشر بصورة كبيرة بالموقع ويمكن من خلال هذا النوع من المخلفات أن نحدد البيئات القديمة التي كانت سائدة في المناطق المختلفة وموقع أبو شنيب. ومن هذه الدلائل نجد أنه وجدت ثلاثة أنواع من القواقع بالموقع وهي (*Pila Ovate*) من

عائلة (*Piliadae*) وهي تعيش في وادي النيل والضفاف الغنية، وتعد مميزة للمناطق ذات الفيضانات الموسمية وتنتشر في نهر النيل. (Yonge, 1962). كما وجد نوع آخر من القواقع (*Melanoides Tutoerculata*) انتشرت في فترات الهولوسين وتفضل العيش في المسطحات المائية ذات المياه العذبة مثل الأنهار والبحيرات والبرك الضحلة وهي مفيدة في معرفة التغيرات الموسمية (Brown, 2005). كما وجدت أيضاً (*Ianistes canintus*) والتي تفضل العيش في المياه ذات التدفق البطيء وكذلك في البرك الطينية وجدت في بدايات الهولوسين في المواقع المرتبطة بالنيل (Brown, 2005). هذه الأدلة البيئية تؤكد أن الوادي الذي كان يشق المنطقة من الشرق إلى الشمال الغربي كان يمثل مصدراً مائياً في الوقت الذي كان فيه الموقع مأهول بالسكان في فترة الهولوسين، والذين ربما قاموا بإدخال هذه القواقع على أنه غذاء حيث وجد في شكل أكوام. كذلك وجدت كميات كبيرة من العظام الحيوانية منتشرة في السطح وبأحجام مختلفة حيث وجدت منها عظام حيوانية تمثلت في عظام أضلاع تظهر عليها بقايا حريق وأضراراً لشديات كبيرة وكثير من الأشجار المتحجرة الصغيرة الحجم (لوحات 21-22). وبناءً على تلك المعطيات البيئية والأثرية يبدو أن الموقع شبيه بمستوطنات العصر الحجري الحديث خصوصاً تلك الموجودة على النيل الأزرق (Fernandez, 2003, 44).



لوحة رقم (22) انتشار القواقع بالموقع A. أسنان ثديات B. بقايا أسنان C. بقايا عظام طويلة



لوحة رقم (21) توضيح البقايا العظمية

الخاتمة:

إن أهمية موقع أبو شنيب. تكمن في الموقع الجغرافي المتميز الذي يضعه وسط ثقافات متباينة في محوره. وتميزت هذه الثقافات بسمات محلية مختلفة. وهذا الموقع الجغرافي جعل من موقع أبو شنيب جامع لهذه السمات المميزة لثقافات بعينها في الخرطوم والقوز وجبل مويه. كما لعبت البيئة في منطقة أبو شنيب دوراً في توفير ضروريات الحياة من ماء ومصادر طعام ومادة خام للصناعة (بابكر، 2010م). وحوى الموقع

مادة ثقافية غنية حوت سمات محلية. فالدراسة بالموقع لم تقدم الصورة الكاملة حول الموقع. نأمل أن تهدف الدراسات الأثرية القادمة بالموقع على تتبع وتيرة التطور الثقافي والأسباب التي أدت إلى انهيار الاستيطان بالموقع وعلاقاته بالفترات السابقة واللاحقة في المنطقة. ومحاولة عمل دراسات معملية تساند الدراسات النظرية، في محاولة لطرح الاستيطان في أبو شنيب بصورة علمية ومعملية تستند على البقايا الأثرية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- بابر، أمين مهدي عبدالله، جغرافية السودان الطبيعية والبشرية، منشورات جامعة السودان المفتوحة. 2010 م.
- نصر، أحمد حامد. نتائج حفريات جامعة شندي في موقع قلعة شنان. مجلة جامعة شندي – العدد العاشر يناير 2011م. ص 85 – 113.

المراجع الأجنبية:

- Arkell, A. (1949). *Early Khartoum*. London: Oxford University press.
- Arkell, A. (1953). *Shaheinab*. London: Oxford University press.
- Balfour-Poul .H .G. (1952). 'Early Cultures on the northern Bule Nile' *S.N.R.*33.202-216.
- Brown, D. (2005). *Fresh water. Snails of Africa and their Medical Importance*, Taylor & Francis el- Library.
- Caneva, I. (1983), *Wavy line pottery from Saggai I' An Essay of classification. Precondion for food production: origin* 12,Roma;155-190.
- Edwards, N. (1989). *Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st Millennium A.D.* Cambridge Monographs in African Archaeology 36. B,A.R. SA 537.
- Fernandez, V. etal. (2003). "Archaeological Excavations in prehistoric sites of the Blue Nile Area, Central Sudan" *Complutum*. Vol.14.273-344.
- Geus, F. (1984). *Rescuing Sudan Ancient cultures, Khartoum*: French Unit of the Directorate General of Antiquities and National Museum of the Sudan.
- Jacob, T. (2014). *Abioarchaeological appraisal of the human skeletal remains from Alkiday2, central Sudan*. Proceedings of the 12th International conference of the Nubian Studies the British Museum London, Peters Louvain.
- Nassr, A. H. Ahmed. (2012). "Qalaat Shanan: large Neolithic site in Shendi Town". *Sudan & Nubia*. The Sudan Archaeological Research Society, Bulletin No. 16: 8-13.
- Sadig, A. M.2010. *The Neolithic of the Middle Nile Region-an Archaeology of the central Sudan and Nubia*, fountain publisher. Kampala, Uganda.
- Yonge, C. M. (1962). On *Etheria elliptica* LAM. And the course of the Evolution, Including assumption Monomyarianism, in the Family Etheriidae Bivalvia: (Unionacea) *Philosophical Transactions of the Royal society of London. Series B, Biological science* 244(715): 424-458.

تاريخ وتطور البحث الأثري لمقابر ما بعد مروي-السودان: دراسة تحليلية نقدية

بروفيسور جمال جعفر عباس الحسن

برنامج الآثار بقسم العلوم الاجتماعية، كلية الفنون والعلوم الإنسانية – جامعة جازان

المستخلص

تقدم هذه الورقة دراسة نقدية لتاريخ البحث الأثري وتطوره حول مقابر فترة ما بعد مروي في السودان، وهي الفترة التي أعقبت الحضارة المروية. مثلت هذه المقابر حقلاً خصباً للنقاش والجدل وسط الباحثين. ركزت معظم الدراسات على أصل هذه المقابر وهوية أصحابها العرقية، متجاهلة في الغالب هويتها الثقافية التي انعكست من خلال محتوياتها الجنائزية. قد يكون السبب في ذلك أن الباحثين الأوائل واللاحقين اعتمدوا في تحليلاتهم على مصادر أدبية قد تكون متناقضة، بدلاً من التركيز على الأدلة المادية المتاحة في المقابر نفسها. رأى بعض الباحثين في مقابر فترة ما بعد مروي دليلاً قاطعاً على استمرارية التواصل الحضاري مع الفترة المروية، فطبقوا عليها المنهجية نفسها المستخدمة في دراسة المقابر المروية. ستناقش هذه الورقة مسيرة البحث الأثري في هذه الفترة منذ الاكتشافات الأولى في النوبة السفلى. كما ستحلل آراء الباحثين وتياراتهم المختلفة في تفسير هوية هذا الفترة، مستندة إلى نتائج أعمالهم الميدانية.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الكوشية، فترة ما بعد مروي، المجموعة المجهولة، المقابر، البقايا الجنائزية

Abstract

This paper presents a critical analysis of the history of the archaeological research on post-Meroitic tombs in Sudan, the period succeeding the Meroitic civilization. Post-Meroitic tombs have been a focal point of scholarly debate, with most studies concentrating on their origin and the ethnic identity of their inhabitants. Consequently, the cultural identity reflected in the tombs and their contents has often been overlooked. This may be because earlier and later researchers based their analyzes on potentially contradictory literary sources, rather than focusing on the material evidence available in the tombs themselves. Some researchers have proposed a direct cultural continuity between the Meroitic and post-Meroitic periods, basing their argument on tombs' evidence and applying the same methodologies used in Meroitic studies. This paper will discuss the process of archaeological research in this period since the first discoveries in Lower Nubia. It will also analyze the opinions of researchers and their various trends in interpreting the identity of this period, based on the results of their fieldwork.

Keywords: Kushite civilization, Post-Meroitic Period. X-Group, Tombs. Funerary remains

مقدمة:

ترتب على تدهور الدولة الكوشية (بشقيها النوبي والمروي) وسقوطها، تلك الدولة التي حكمت شمال السودان ووسطه منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي، حلول وضع سياسي بالغ التعقيد في بلاد النوبة. وربما حدث انقسام وتمزق داخلي أو تغيرات فكرية عصفت بالعرش المروي. وقد رافقت تلك التطورات أحداث أخرى على المستوى الاجتماعي ساهمت في تعقيد الوضع الحضاري الذي أعقب زوال الدولة المروية بالنسبة للدارسين. هذا الوضع يمثل حقبة تاريخية غامضة غير واضحة المعالم، نتيجة لذلك أطلق عليها مكتشفها رايزنر اسم "المجموعة المجهولة" أو ما يعرف بـ (X- group) (Reisner, 1909, 6).

منهجية التصنيف التي أتبعها رايزنر في تحديد هوية الثقافات السودانية القديمة، جعلته ينطلق في نظريته للثقافات السودانية القديمة من وجهة أنها امتداد لمركزية الحضارة المصرية القديمة أو ظلاً لها. ومن موقعه بوصفه متخصصاً في الفترة المصرية، فقد جعل منها مرجعيته الأساسية ومصدراً تفرعت منه الثقافات السودانية مثل ثقافة كرمة وكوش (Reisner, 1923, 554-559). ولما كانت ثقافة من أطلق عليهم مصطلح أصحاب "المجموعة المجهولة" تحمل في كثير من الأحيان سمات مميزة لا تمت بصلة للثقافة المصرية القديمة، فهي في نظره تخص قوماً برابرة غير متحضرين تجري في عروقهم دماء زنجية وفدوا من الجنوب. كان رايزنر في حكمه هذا على ثقافة فترة ما بعد مروي يطبق مفهومه جعله لا يولي اهتماماً بفترة هذه الثقافة.

ساهم الكشف الأثري الذي تم في جبانتي بلانة وغسطل بصفة رئيسة في الترويج لنظرية رايزنر عما أسماه بثقافة "المجموعة المجهولة" وإكسابها صفة المسلمات (Emery & Kirwan, 1935). ظل هذا المنظور لتلك الثقافة لدى غالبية الفترة بين المهتمين بهذا المجال قبل حملة إنقاذ لفترة النوبة الأخيرة التي شكّلت مرحلة مميزة في تاريخ البحث الأثري بالسودان، وظهرت بجلاء من خلالها نقاط التلاقي والتواصل بين الثقافة المروية وما سمّاه رايزنر بثقافة "المجموعة المجهولة" (Adams, 1967, 7-16).

ومنذ ذلك الحين تعمق الاتجاه القائل بانتشار هذه الثقافة في حيز واسع من وادي النيل الأوسط، لتعبر عن التحول المركب عرقياً، وثقافياً، ولغوياً والذي طرأ على الرقعة الممتدة في وادي النيل الأوسط من أسوان شمالاً حتى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض جنوباً. لذلك أصبح ليس في الإمكان حصر مصطلح "المجموعة المجهولة" على مجموعة عرقية بعينها، إنما ينطبق على حقبة تاريخية تمثل فترة عدم الاستقرار الواقعة بين انهيار الدولة المروية وتأسيس الممالك المسيحية. توصل الباحثون إلى نقاط التلاقي التي تربط بين الثقافات في الحقب الثلاثة، المروية وما بعد المروية والمسيحية، وتبلور ذلك في دراسات تبرز تسلسل التاريخ الثقافي المحلي العام، فصارت تطلق مثل هذه الدراسات تسمية "فترة ما بعد مروي" لتدل على ثقافة وادي النيل الأوسط في فترة "المجموعة المجهولة". وقد اتسعت التسمية بتضمين المعطيات الأثرية المختلفة التي

صنفت سابقاً في الإطار التاريخي لفترة "المجموعة المجهولة" من مواقع تمتد من النوبة السفلى شمالاً حتى المناطق الجنوبية من الخرطوم رمز إليها وليم آدمز بمصطلح "الأفق" "The Horizon" (Adams,1984).

بالرغم من هذه التسميات، لم يستقر الباحثون على اصطلاح واحد لهذه الفترة، حيث أستخدم أيضاً مصطلح "ثقافة بلانة"، والثقافة "الفرعية المروية" (Edwards,1989). فالتسمية الأولى برزت عند الباحث الأمريكي بروس تريقر لإضفاء دقة أكبر على هذه الثقافة ولتعكس أهمية مكانة جبانة بلانة في تاريخ تلك الفترة انطلاقاً من معطيات أثرية، فضلاً من كونها تميز ثقافة النوبة السفلى عن الثقافات المعاصرة لها في بقية أنحاء السودان آنذاك، مثلما في تنقاسي التي أطلق عليها "ثقافة تنقاسي" (Trigger,1965,163). أما مصطلح ثقافة "مروي الفرعية" (The Sub-Meroitic Culture) فقد استخدمه الباحث الإنجليزي ديفيد إدواردز لأول مرة ليدل على الفترة الممتدة بين 350-550م. وقد استنبط إدواردز من المعطيات الأثرية الخاصة بالعادات الجنائزية في النوبة السفلى، وتبناها بسبب شكوكه التي تحيط بالتطورات الثقافية في هذه الفترة، ليؤكد التواصل والاستمرار بينها وبين الثقافة المروية (Edwards,1989,159-164).

لم تقف البحوث والدراسات الأثرية عند هذا الحد، فقد تم اكتشاف عدد كبير من المواقع الجنائزية التي أرخت لهذه الفترة في مناطق مختلفة من أنحاء السودان، مما أتاح للباحثين قدراً وافياً من المعلومات المستخرجة من مواقع مقابر هذه الفترة، التي أعانت الباحثين بالتعرف على جوانب مختلفة من هذه الثقافة.

سُركز في هذه الورقة على نتائج الدراسات الأثرية التي أجريت في مواقع المقابر الخاصة بهذه الفترة. ويهدف هذا التركيز إلى تحديد التقاليد المشتركة بين هذه المواقع، وتبيان السمات العامة التي تميز هذه المرحلة الثقافية. إلى جانب ذلك، سنسلط الضوء على الخصوصيات المميزة لكل موقع على حدة، وسنحاول تفسير أسباب هذه الخصوصية في إطارها الثقافي العام. ولإجراء تحليل شامل، قمنا بتقسيم السودان إلى ثماني مناطق جغرافية تمتد من الشمال إلى الجنوب، وهي كالتالي:

- 1/ منطقة النوبة السفلى وتشمل المنطقة ما بين الشلالين الأول والثاني.
- 2/ منطقة النوبة العليا وتشمل المواقع ما بين الشلالين الثاني والثالث.
- 3/ منطقة دنقلا وتشمل المنطقة ما بين الشلالين الثالث والرابع.
- 4/ منطقة أبو حمد وتشمل المنطقة ما بين الشلالين الرابع والخامس.
- 5/ صحراء بيوضة.
- 6/ منطقة النيل الأوسط.

7/ منطقة سهل البطانة.

منطقة الجزيرة.

أولاً: منطقة النوبة السفلى (ما بين الشلالين الأول والثاني):

أجريت في هذه المنطقة عدد من الدراسات والبحوث الأثرية في مواقع تضم مقابر أرخت لفترة ما بعد مروي، وتشمل مواقع الشلال، قصر أبريم، جبل عدا، بلانة، غسطل وكوشة (الخريطة رقم 1). وسنقدم فيما يلي نماذج من هذه المواقع مع وصف مبسط لكل منها:

1. الشلال: كُشف عن موقع الشلال جنوب أسوان خلال حملة إنقاذ لفترة النوبة الأولى في الفترة من 1907-1911م. ويضم الموقع المقبرة رقم (7) التي كشفت عن وجود بقايا جنائزية أرخت لأول مرة لثقافة ما يعرف بـ "المجموعة المجهولة" في تاريخ السودان، والتي بموجبها فسرها رايزنر على أنها تخص مجموعة جديدة من السكان وفدت إلى المنطقة (6, 1909, Reisner).

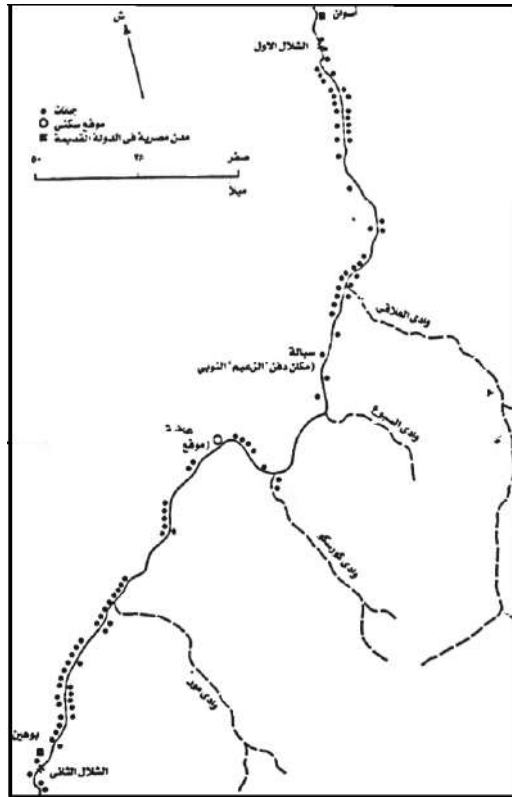
2. بلانة: تم الكشف عن مقابر موقع بلانة خلال حملة إنقاذ لفترة النوبة الثانية في الفترة من 1929م إلى 1934م، على يد كل من ولتر امري ولورنس كيروان. كشف المسح الأثري في المنطقة عن (150) موقعاً تعود مجتمعة إلى الفترة التي أطلق عليها "ثقافة بلانة" (Ballana culture)، منها (45) موقعاً لمقابر (Adams, 1984, 404). كشفت البقايا الجنائزية لهذه المقابر استمرار الرموز الثقافية للتقاليد الكوشية خاصة في تيجانهم الملكية وأثاثهم الجنائزي، والتضحيات البشرية والحيوانية (9, Adams, 1977). وقد لوحظ أن العادات الجنائزية في هذه المقابر لا تختلف كثيراً عن سابقتها في فترة مروي (12-3, Mills, 1965). بتكون القبر من أكثر من غرفة واحدة، وفي واحدة من هذه الغرف عثر على هيكل بشري موضوع على سرير وعلى رأسه تاج ومرفق معه أعداد كبيرة من الأثاث الجنائزي المتنوع الذي يدل على الثراء الواضح (الشكل رقم 1) (Emery and Kirwan, 1935, 40-46).

3. غسطل: خلال المسح الأثري نفسه لحملة إنقاذ لفترة النوبة، تم الكشف عن مقابر في موقع غسطل، الذي احتوى على مجموعة كبيرة من المقابر التي أرخت لفترة "المجموعة المجهولة"، وقد عكست بقاياها الجنائزية أيضاً استمرار الرموز الثقافية للتقاليد الكوشية (9, Adams, 1977). تتألف المقابر في هذا الموقع من مجموعة من الغرف، التي احتوت على أعداد كبيرة من التضحيات البشرية والحيوانية تمثلت في وجود هياكل الكلاب، والجمال، والخيول، والدواب والخراف. أما الهياكل البشرية فقد وجدت في وضع ممدد، واحتوت الغرف على أكثر من مدفون واحد (الشكل رقم 2). كذلك كُشف عن أعداد كبيرة من الأواني الفخارية مختلفة

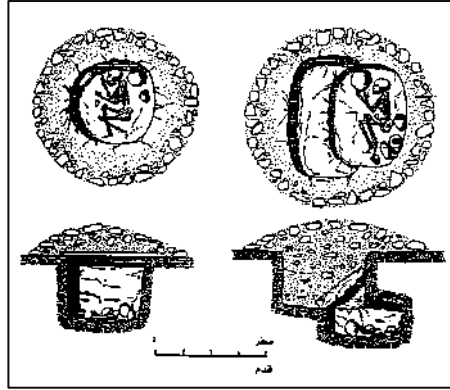
الأنواع والأشكال مما يدل على الثراء الواضح (Emery and Kirwan, 1935, 33-42).

4. جبل عدا: على مسافة قليلة شمال غسطل، تم الكشف عن موقع جبل عدا الذي احتوى على مقابر شيدت على تل يحيط بالموقع. ولكن لسوء الحظ كثر البناء حولها في عصور متأخرة، ولم تتم دراستها بالشكل المطلوب (Emery, 1965, 24).

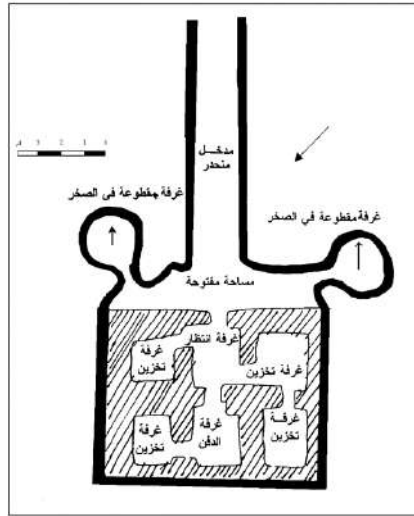
5. قصر أبريم: يُعد من أكبر مواقع فترة ما بعد مروي في النوبة السفلى كونه احتوى على مقابر كثيرة أرخت لفترة ما بعد مروي، فقد تعرضت معظمها إلى التخریب، ولم يبق من أثارها الجنائزي إلا كميات قليلة. وجدت الهياكل مبعثرة بشكل كامل، ويبدو من الواضح أن المدفون كان يوضع ممدداً على ظهره، وتضمنت محتويات المقبرة على الأواني الفخارية وأدوات الزينة والرماح والنبال الحديدية (الشكل رقم 3) (Mills, 1982, 59).



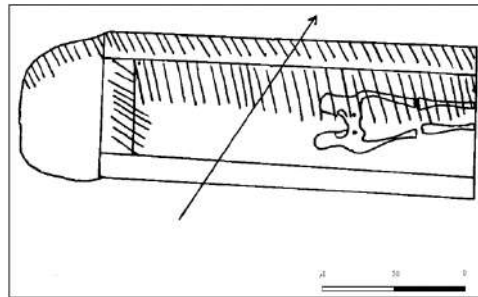
خريطة رقم (1): توزيع مواقع معروفة لثقافة المجموعة (أ) (after Adams, 1984, 131)



شكل رقم (1) أنواع القبور في ثقافة المجموعة (أ) (Adams, 1984, 137)



شكل رقم (2) القبر 20 - بجبانة غسطل (after Emery & Kirwan, 1938)



شكل رقم (3) القبر 192 - جبانة قصر أبريم (after Mills, 1982)

ثانياً: منطقة النوبة العليا (ما بين الشلالين الثاني والثالث):

أُجريت في هذه المنطقة العديد من البحوث والدراسات الأثرية، استهدفت مواقع تضم مقابر تعود لفترة ما بعد مروي، مثل مواقع جي، وفركة، وكوشة، ومرجسة، ومواقع أخرى عدّة. أسفرت هذه الدراسات عن كشف حقائق جديدة حول طبيعة السكان الذين استوطنوا المنطقة في تلك الفترة (الخريطة رقم 2). وسنقدم فيما يلي نماذج من هذه المواقع مع وصف مبسط لكل منها:

1. جي: من أوائل المواقع التي جرى استكشافها في النوبة العليا شمالاً على الضفة اليمنى للنيل. استكشف كلاً من باتيس ودوز دانم مقبرة كبيرة احتوت على مجموعة كبيرة من المقابر، أرخت لفترة ما بعد مروي. معظم هذه المقابر تعرضت للتخريب، حيث عثر على البقايا الجنائزية في أماكن مختلفة داخل هذه المقابر، اشتملت على أقذاح وجرار فخارية وأدوات محلاة بالذهب وتماثيل وخواتم وأغراض ذهبية وأوانٍ برونزية وممرمية، بالإضافة إلى الأسلحة والنصال والسيوف (الشكل رقم 4) (Bates and Dunham, 1927, 73-82).

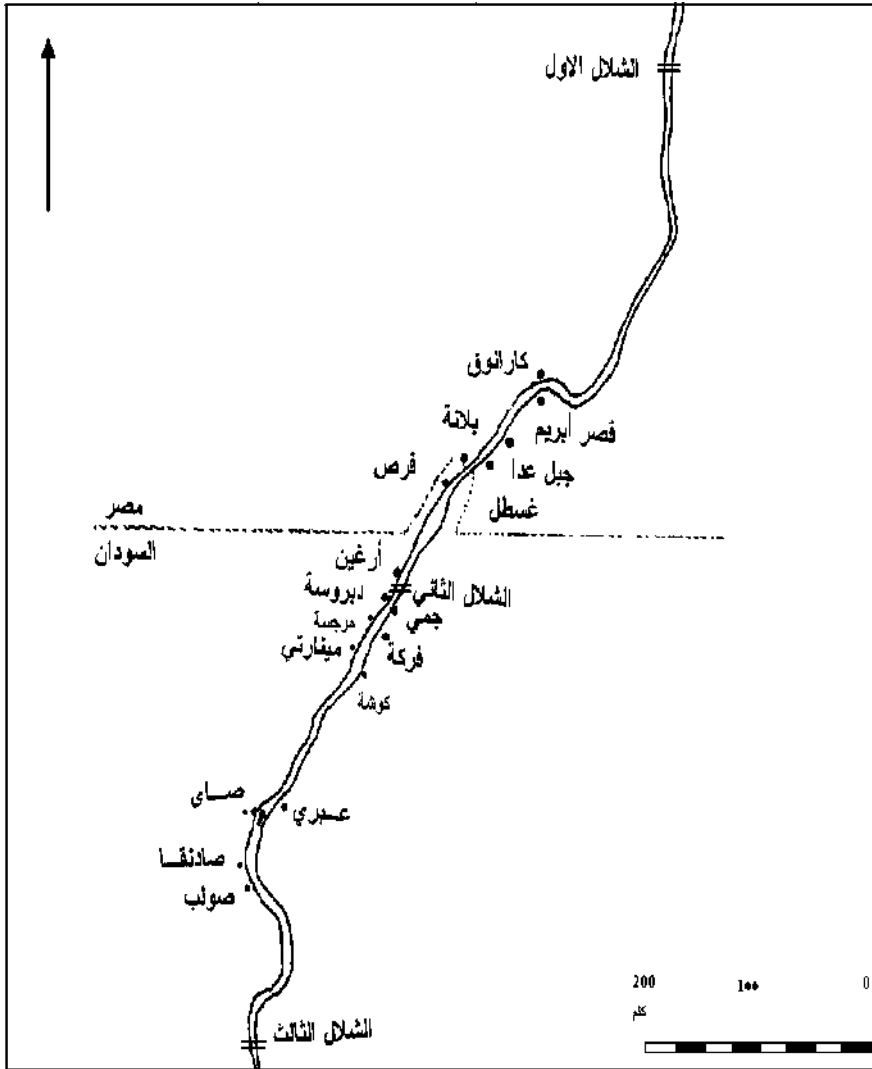
2. فركة: ويقع جنوب موقع جي، وهو من المواقع المهمة أيضاً التي تؤرخ لفترة ما بعد مروي، يحتوي على مقبرة تضم مجموعة من المقابر الغنية بالأثاث الجنائزي (Adams, 1984, 395). معظم هذه المقابر تتألف من غرفتين يقود إليهما درج مقطوع في التربة، غالباً ما كانت توضع عليه التضحيات الحيوانية. كما عثر على أعداد كبيرة من البقايا الجنائزية التي تتألف من عقود مصنعة من الزجاج والبرونز إلى جانب الأواني الفخارية متنوعة الأشكال مثل الكؤوس والقنينات وجرار الامفورا والمسارج، بالإضافة إلى الرماح والسيوف المصنعة من الحديد (الشكل رقم 5) (Kirwan, 1939, 3-7).

3. كوشة: ويقع إلى الجنوب من موقع فركة على الضفة النيل نفسها، ويحتوى مقابر أرخت أيضاً لفترة ما بعد مروي. من الواضح أن هذه المقابر تعرضت إلى التخريب (Ibid. 24). تتميز المقابر بمدخل يتشكل من درج مقطوع في التربة يقود إلى غرفة الدفن التي تضمنت البقايا الجنائزية الأواني الفخارية والبرونزية والأختام البرونزية. هذه المقابر تطابق إلى حدٍ بعيد مقابر موقع فركة وأرخت إلى ذات الفترة (الشكل رقم 6) (Ibid, 25).

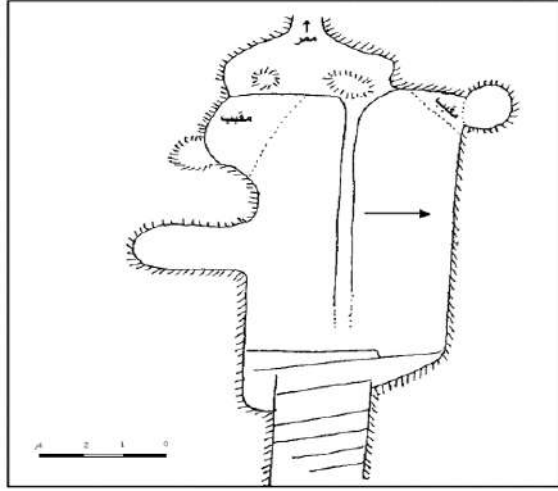
4. مرجسة: يقع على الضفة اليسرى من النيل في مقابل موقع فركة ويحتوى على مجموعة مقابر ومستوطنة سكنية أرخت لفترة ما بعد مروي. تعرضت مقابر هذا الموقع بالكامل إلى التخريب ولم يتبق منها شيء (Adams and Nordstrom, 1962, 32).

5. مواقع أخرى: عثر على العديد من المواقع التي احتوت على بقايا تعود لفترة ما بعد مروي في منطقة النوبة

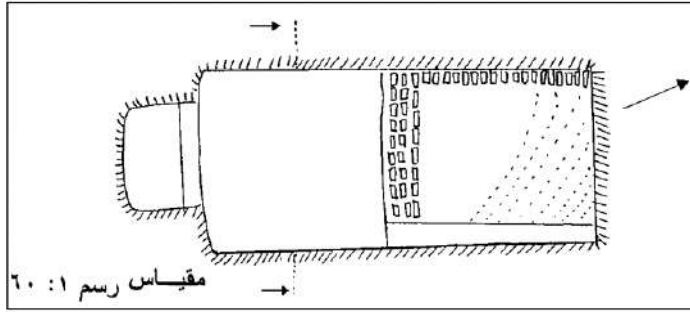
العليا، مثل موقعي أبو صير ومتوقة، حيث اكتشفت فيهما مقابر تعرضت للنهب (Ibid, 32). كذلك، تم اكتشاف مقبرة في جزيرة صاي تعود إلى الفترة نفسها (Kirwan, 1939, 3-7). وفي موقع صرص، تم الكشف عن مقابر صغيرة الحجم وفخار يعود تاريخه لفترة ما بعد مروي (Mill and Nordstrom, 1966, 1-5). كما أجرى قسم الآثار بجامعة الخرطوم، في الفترة من 1990 إلى 1991 م، مسحاً أثرياً في منطقة الشلال الثالث، وكشف عن مجموعة من المقابر تعود لآثار ما بعد مروي في مواقع فقو، وسدله، وكدين، وسيسى (Osman and Edwards, 1992, 64-90; 1994, 31).



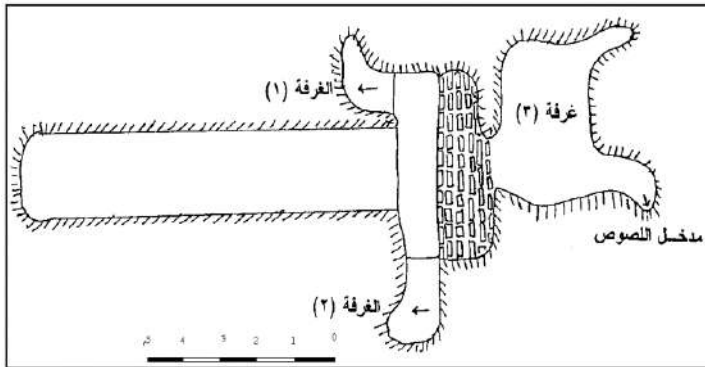
خريطة رقم (2): مواقع مقابر آثار ما بعد مروي في منطقتي النوبة السفلى والعليا



شكل رقم (4): القبر T 3 جبانة جي (after Bates & Dunham, 1927)



شكل رقم (5): القبر A 8 مقبرة فركة (after Kirwan, 1939)



شكل رقم (6): القبر K 1 - مقبرة كوشة (after Kirwan, 1939)

ثالثاً: منطقة دنقلا (ما بين الشلالين الثالث والرابع):

تتميز المنطقة الواقعة بين الشلالين الثالث والرابع بكثرة المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما بعد مروي، وخاصة المقابر التي تمتد من تابو شمالاً حتى الشلال الرابع جنوباً (الخريطة رقم 3). وسنقدم فيما يلي نماذج من أبرز هذه المواقع مع وصف مبسط لكل منها:

1. تابو: من أبرز مواقع آثار ما بعد مروي، وقد شهد أعمال تنقيب مبكرة. وقد سلط الباحثان جاكويوت جوردن وشارلز بونيه الضوء على العادات الجنائزية في هذا الموقع، التي تشابه إلى حد كبير تلك التي عُرفت في موقع تنقاسي. وقد أطلق الباحثان على هذه العادات الجنائزية في تابو اسم "ثقافة تنقاسي" في موقع تابو (Jacquet-Gordon and Bonnet, 1971, 65-70). كانت طريقة الدفن السائدة هي وضع المتوفي في وضعية القرفصاء داخل غرفة الدفن، باستثناء حالة واحدة وجد فيها الهيكل مدفوناً على جانبه الأيسر في وضعية ممددة (الشكل رقم 7). وقد عُثر مع المدفونين على مجموعة متنوعة من البقايا الجنائزية، مثل الأختام البرونزية والفضية، ورؤوس السهام والرماح الحديدية، والخرز المصنوع من الصدف والعقيق الأحمر والزجاج والقاشاني، بالإضافة إلى عدد كبير من الأواني الفخارية (Ibid, 74).

2. حاج مجيد وخور لتي: أُكتُشف في موقع حاج مجيد، الواقع شمال شرق مدينة الغدار، نحو (30 إلى 40) قبراً صغيراً يعود تاريخها لآثار ما بعد مروي (Grzymiski, 1987, 19). وفي الجزء الجنوبي من الموقع نفسه، عُثر على حوالي (15) قبراً آخر صغيراً ومنخفضاً يعود تاريخها إلى الآثار نفسها (Ibid, 19). أما في موقع خور لتي، الواقع جنوب حاج مجيد، فقد عُثر على مقابر أكبر حجماً تعود لآثار ما بعد مروي، ولكن تم التنقيب عن قبرين فقط منه (Ibid, 17).

3. الغدار: يُعد موقع الغدار واحداً من أكبر المواقع التي تضم مقابر تعود لآثار ما بعد مروي. وقد قُسمت هذه المقابر إلى مجموعتين: شمالية وغربية. ودُفن الأفراد في هذه المقابر في وضعية القرفصاء، وعُثر معهم على بقايا جنائزية متنوعة مثل الأختام، ورؤوس السهام الحديدية، والأواني الفخارية، وعقود من الخرز (الشكل رقم 8). كما دلت بعض المقابر على وجود عادة تقديم القرابين الحيوانية (EL-Tayeb, 1990, 65-70).

4. حمور وبوكيبول وبقنارتي وجبل العليم: إلى الجنوب من الغدار، يقع موقع حمور الذي يحتوي على مجموعة من المقابر التلية ذات الأشكال والأحجام المختلفة. ولقد تعرض الكثير منها للتخريب في السنوات الأخيرة (Ibid, 12). أما موقع بوكيبول، الواقع جنوب حمور، فيضم مقابر صغيرة الحجم محاطة بالحجارة، تقع على حافة وادي صغير شمال القرية. وتعرضت معظم هذه المقابر للتخريب، باستثناء مقبرة واحدة تم

تنقيها وأرخت لآثار ما بعد مروي (Grzymski, 1987, 12). إلى الجنوب من بوكيبول، يقع موقع بقانارتي الذي يضم أكثر من (100) مقبرة صغيرة تعود لآثار ما بعد مروي (Ibid, 10) وإلى الشرق من بقانارتي، تنتشر مجموعة من المقابر الصغيرة حول جبل العليم، وهي تعود هي الأخرى لفترة ما بعد مروي (Ibid, 10).

5. تنقاسي: كشفت الدراسات الأثرية في المنطقة الواقعة جنوب الشلال الرابع عن موقعين كبيرين يعودان لفترة ما بعد مروي. الأول هو موقع تنقاسي الذي يقع على الضفة اليسرى لنهر النيل، مقابل موقع الكرو على الضفة اليمنى. يحتوي الموقع على مجموعة كبيرة من المقابر التلية. قام بيتر شيني بدراسة هذه المقابر عام 1953م، وقدر عددها بحوالي (170) مقبرة في الحقل الرئيس، بالإضافة إلى (30 إلى 40) مقبرة أخرى في منطقة مجاورة. وقسم هذه المقابر إلى ثلاث مجموعات بناءً على ارتفاعها: عالية (6-10 أمتار)، ومتوسطة (2-4 أمتار)، ومنخفضة. وقام بتنقيب تلين منها هما التل الأول والتل الحادي عشر (Shinne, 1954, 68). تمثل البقايا والعادات الجنائزية المكتشفة في تنقاسي نموذجاً نمطياً لفترة ما بعد مروي في منطقة دنقلا، ولذا أطلق على هذه الثقافة اسم "ثقافة تنقاسي" (الشكل رقم 9) (Ibid, 66-85).

تلت أعمال بيتر شيني في موقع تنقاسي، دراسات أولية أجراها "مشروع أبحاث المقرة المبكرة" (Early Makuria Research Project) عام 2006 بالتعاون مع المركز البولندي للآثار البحر الأبيض المتوسط بجامعة وارسو. وقد قام فلودزيميرز جودليوسكي بحفر قبر واحد خلال تلك الدراسة (Godlewski, 2008). وفي يناير وفبراير من عام 2018، انطلق الموسم الأول من أعمال التنقيب المنتظمة في مقبرة تنقاسي ضمن مشروع أبحاث المقرة المبكرة. وهدف هذا الموسم إلى دراسة المقابر الواقعة عند الحواف الشمالية والشرقية للموقع لتحديد تسلسلها الزمني وأنماط تطورها المحتملة. وتم اختيار أربعة مقابر (الأرقام 16، 23، 46، 52) في الجزء الشمالي، وقبر واحد (الرقم 179) في أقصى الجنوب الشرقي للموقع (الخريطة رقم 4).

أظهرت نتائج هذا الاختبار الاستكشافي المحدود للمقابر أنها تنقسم إلى ثلاث مجموعات أساسية، بناءً على اختلاف هياكلها التحتية. يمثل القبران (16) و(23) المجموعة الأولى. تتميز هياكل هذه المجموعة بشكلها المخروطي المنحدر، حيث تتجه من الشرق إلى الغرب، مع وجود حجرة دفن مقطوعة عمودياً على المنحدر من الجهة الغربية. يُذكر أن هذا النوع من البناء كان منتشرًا في وادي النيل الأوسط خلال آثار مروي، كما استمر استخدامه في منطقة شلال النيل الرابع خلال المرحلة الثانية من الفترة المروية المتأخرة (ما بعد مروي، حوالي 450-550 م).

يُعتقد أن ترتيبات الدفن في منطقة النيل الأوسط كانت تتبع أنماطاً راسخة. فقد كان الجسد يُدفن

عادةً في وضع جنيني (مقرص)، محاذياً للاتجاهات الأساسية (شمال-جنوب أو شرق-غرب). ورغم ذلك، لم يكن اتجاه الرأس والوجه يتبع قاعدة ثابتة، فقد كان يتجه أحياناً نحو الشمال وأحياناً نحو الجنوب. ربما يعود هذا الاختلاف إلى خصوصيات كل مجموعة سكانية. كما كان الجسد يُوضع على جانبه الأيسر أو الأيمن، عادةً على فراش من حصير أو رمل نقي أو حتى طين. وفي بعض الحالات، كان يُوضع على سرير حقيقي أو مقعد خشبي. وتندرج المقابر التي تحتوي على هذا النوع من الدفن ضمن فئة معينة، مثل القبرين رقم (46) ورقم (52). تتميز هذه المقابر بشكل عام بوجود عمود رأسي مستطيل يحوي حجرة دفن منحوتة في أحد جدرانها، ومن هنا جاءت تسميتها بالمدافن الجانبية. هذا النوع من المدافن كان شائعاً في منطقة دنقلا، وقد اكتُشف لأول مرة في مقبرة جبل الغدار الجنوبية. الجدير بالذكر أن القبر رقم (46) يتميز بغرفة دفن على شكل حرف (L)، وهي صفة ظهرت في هذه المنطقة في المرحلة المتأخرة من آثار مروي (حوالي 350-450 م)، وقد اكتُشفت لأول مرة في مقبرة الكاسنجر بحري.

أما المجموعة الأخيرة، والمتمثلة بالقبر رقم (179)، فتقع في أقصى الشمال الشرقي للموقع. يتميز هذا القبر بهيكل فوق دائري، وهيكل تحتي أسطواني. وقد عثر على بقايا هيكل عظمي بشري متناثرة في أسفله. ويُعد هذا القبر الأقدم بين القبور التي تم التنقيب عنها، ويعود تاريخه إلى أواخر الفترة المروية (حوالي 250-350 م). ويُطلق عليه عموماً مدفن خلية النحل، وهو نوع شائع في المنطقة الجنوبية من النوبة العليا، ولكنه ليس شائعاً في المناطق الشمالية. ومع ذلك، استمر استخدامه حتى المرحلة المبكرة من الفترة المروية المتأخرة (El-Tayeb, 2012, 49-52) (Wyzgoł, & El-Tayeb, 2019, 273-288).

6. الزومة، ويقع على الضفة الغربية للنيل، على بعد عدة كيلومترات جنوب موقع الكرو. يحتوي الموقع على مقابر تلية ضخمة الحجم، شُيّدت من الحصى والتربة، وترجع لفترة ما بعد مروي. تشابه هذه المقابر تلك الموجودة في موقع تنقاسي، ولكنها أصغر حجماً (Budge, 1907, 126-129; Reisner, 1918, 67-69).

قامت بعثة من متحف قدانسك البولندي بحفر تل واحد من هذه التلال في بداية عام 2005م، ولكن لم ينشر تقرير مفصل عن نتائج هذا العمل حتى الآن. بعد ذلك، تولى المركز البولندي للآثار البحر الأبيض المتوسط بجامعة وارسو، بالتعاون مع الهيئة الوطنية للآثار والمتاحف في السودان، أعمال التنقيب في الموقع.

كشفت البعث في هذه المقابر، التي تمثل طبقات مختلفة من النخبة النوبية، عن آثار طويلة لم تدرس بشكل كافٍ في تاريخ النوبة القديمة، وهي القرون التي سبقت ظهور مملكة المقرة المسيحية. ومن هنا جاء مصطلح "المقرة المبكرة"، الذي يشير إلى برنامج بحثي أوسع، بالإضافة إلى الكيان السياسي والاجتماعي

الذي كان نخبة المدفونين في الزومة جزءاً منه.

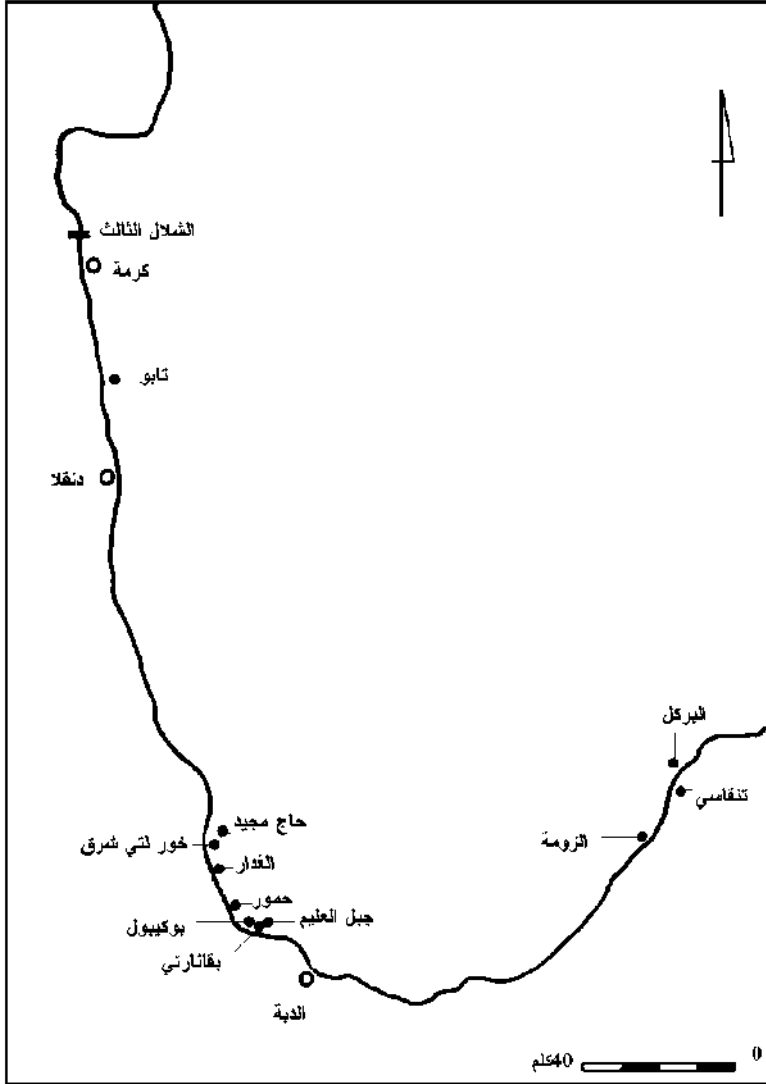
نُشرت نتائج التنقيب في دراسة مكونة من ثلاث مجلدات بعنوان "مشروع أبحاث المقبرة المبكرة: مقبرة الزومة (Early Makuria Research Project El-Zuma Cemetery)". تقدم هذه المجلدات عرضاً شاملاً لنتائج مشروع التنقيب. يناقش المجلد الأول أعمال التنقيب في المقابر، والتحليلات البيولوجية الأثرية لبقايا الهياكل العظمية البشرية والحيوانية، مما يوفر نظرة ثاقبة للثقافة الجنائزية في سياق تاريخي واقتصادي أوسع للموقع والمنطقة. خصص المجلدان الثاني والثالث لدراسة القطع الأثرية التي عُثر عليها في مقابر الدفن. يتناول المجلد الثاني بالتفصيل تصنيف الفخار وتقنيات التصنيع، وأوصاف الأقمشة والأواني، مع قسم خاص بمصاييح الزيت. أما المجلد الثالث فيركز على الاكتشافات الصغيرة، مثل الحلي والزينة الشخصية من الخرز والمجوهرات، والقطع المعدنية من الأسلحة والإكسسوارات الشخصية ومعدات الدفن المتنوعة (El-Tayeb, et al, 2021).

7. أم رويم وخور القرن: قامت الهيئة العامة للآثار والمتاحف في عام 1989م بمسح أثري جنوب منطقة الشلال الرابع. كشف المسح عن موقعي أم رويم وخور القرن الواقعيين على وادي أبو دوم، على بعد (17) كيلومتراً من نهر النيل. تعرضت مقابر كلا الموقعين للتخريب، وكان الأثاث الجنائزي الموجود فيها يتكون بشكل رئيس من جرار وأقداح فخارية. تم تحديد تاريخ هذه المقابر لفترة ما بعد مروي (الشكلان 10، 11) (EL-Nur & Bandi, 1993, 323-333).

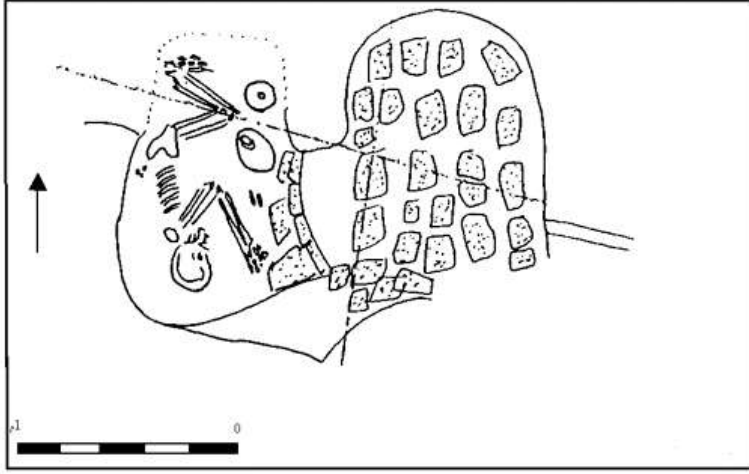
8. الكاسنجر بحري: وهو من المواقع التي اكتشفتها بعثة من متحف قدانسك البولندي خلال مسح أثري على الضفة اليمنى للنيل جنوب الشلال الرابع، ويحتوي على مجموعة من المقابر. تم التنقيب في خمسة من هذه المقابر، وتبين أنها تعود جميعها لفترة ما بعد مروي. كان المدفونون يوضعون في وضع مقرفص، ويحيط بهم أثاث جنائزي يتكون من أوانٍ فخارية وأدوات زينة مثل الأختام والخرز المصنوع من الصدف والخلاخل البرونزية (Paner, 1998, 115-132).

9. الحراز: على الضفة اليسرى للنيل جنوب الشلال الرابع بقليل، قام فريق مشترك من قسم الآثار بجامعة دنقلا والهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية، في الآثار من 2001م إلى 2003م، بمسح وتنقيبات أثرية. كان الكاتب عضواً في هذا الفريق ورئيساً لقسم الآثار آنذاك، ومشرفاً على عمل الجامعة. أسفر المسح عن اكتشاف (58) موقعاً أثرياً. قام الفريق بتقدير الآثار الحضارية لكل موقع بناءً على الآثار السطحية، وشكل المقابر، وطريقة واتجاه الدفن، وغيرها من المؤشرات. أكبر هذه المواقع هو مقبرة الحراز، التي تقع في منطقة سهلية على بعد حوالي (350) متراً من نهر النيل ونهاية قرية الحراز الشمالية. تحتوي المقبرة على مجموعة

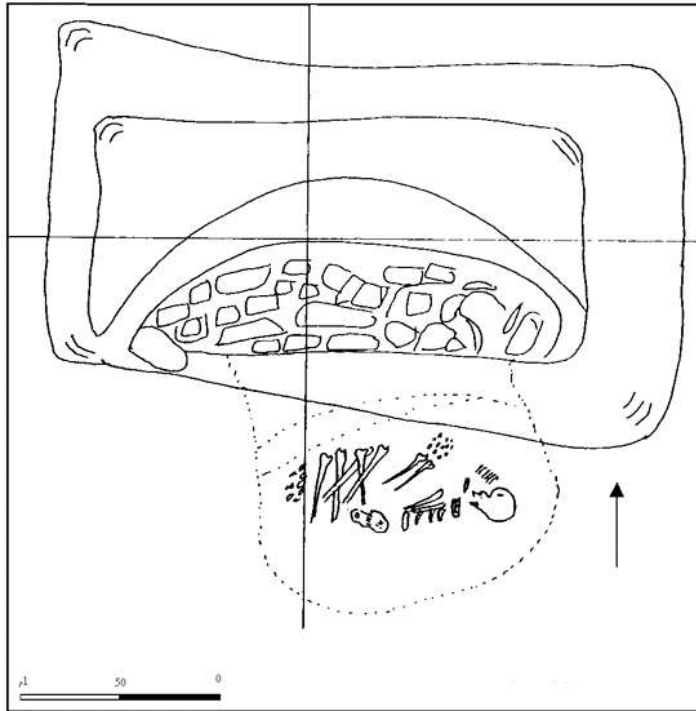
كبيرة من المقابر التلية تمتد لمسافة (1.6) كيلومتر تقريباً. كشفت أعمال التنقيب في بعض هذه المقابر عن جوانب من الطقوس والممارسات الجنائزية، وألقت الضوء على بعض المقتنيات التي دفنت مع الأموات، رغم بساطتها. كما كشفت عن أشكال البنيات التحتية المختلفة وطرق الدفن المتنوعة (الخريطة رقم 5) (Elhassan, 2023, 217-248).



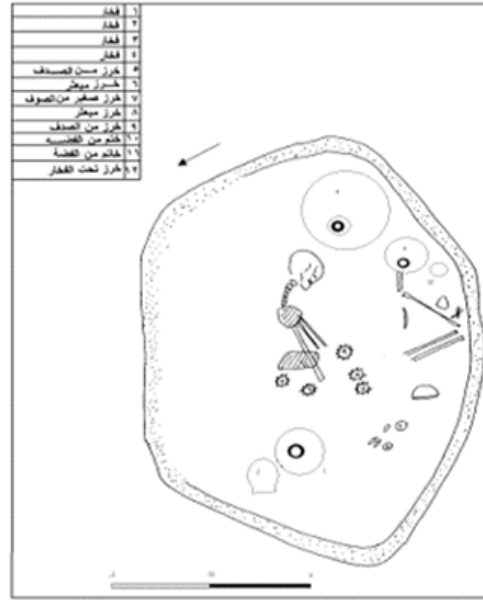
خريطة رقم (3): مواقع مقابر فترة ما بعد مروي في إقليم دنقلا (adopted from Ddwards,1989,124)



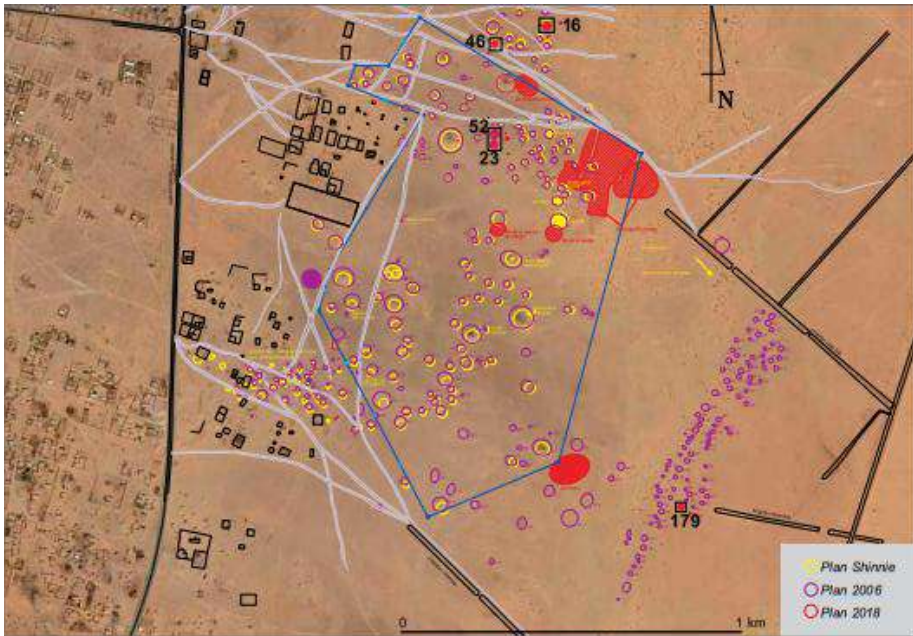
شكل رقم (7): القبر 72 – مقبرة تابو (after Gordon & Bonnet, 1971)



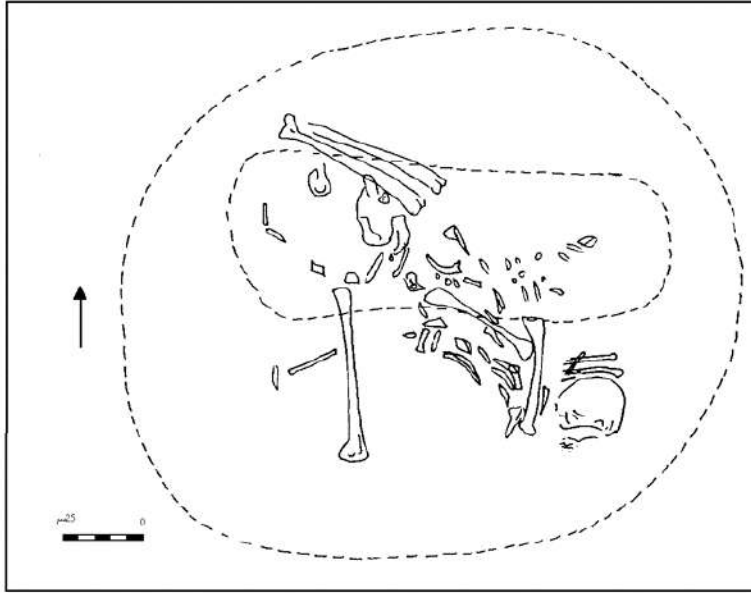
شكل رقم (8): القبر 1- مقبرة الغدار (after EL Tayeb, 1994)



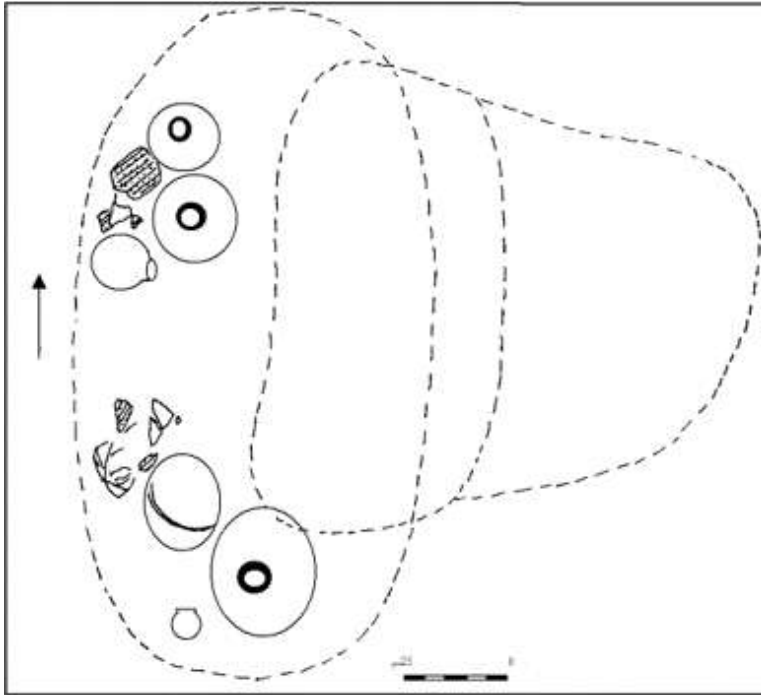
شكل رقم (9): القبر 11 - مقبرة تنقاسي (after Shinnie, 1954)



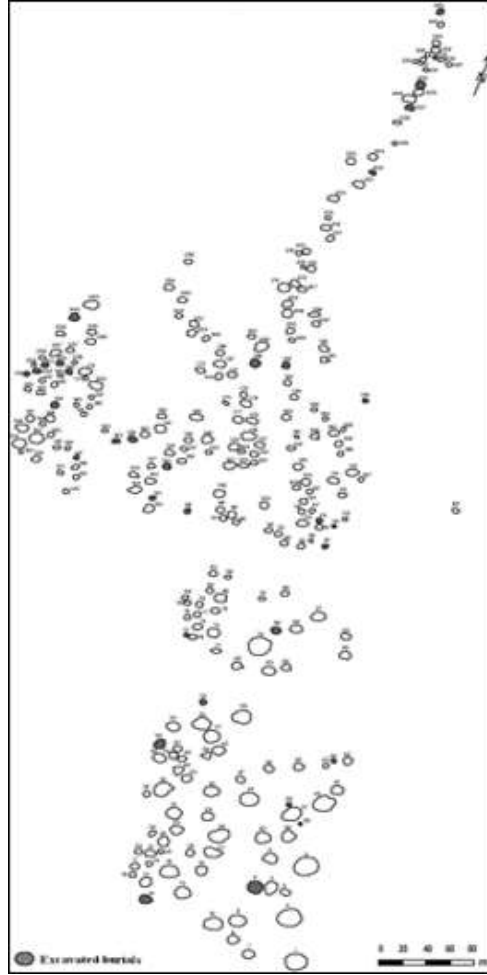
خريطة رقم (4): توزيع المقابر في موقع تنقاسي (Wyżgoł, Maciej, and Mahmoud El-Tayeb, 2019,)
(282)



شكل رقم (10): القبر 1 – جبانة أم رويم (after Elnur & Bandi, 1993)



شكل رقم (11): القبر 1 – جبانة خور القرن (after Elnur & Bandi, 1993)



خريطة رقم (5): مخطط توزيعي لمدافن القطاع الشمالي لجبانة الحراز (الهيئة العامة للآثار والمتاحف، 2003م)

رابعاً: منطقة أبو حمد (ما بين الشلالين الرابع والخامس):

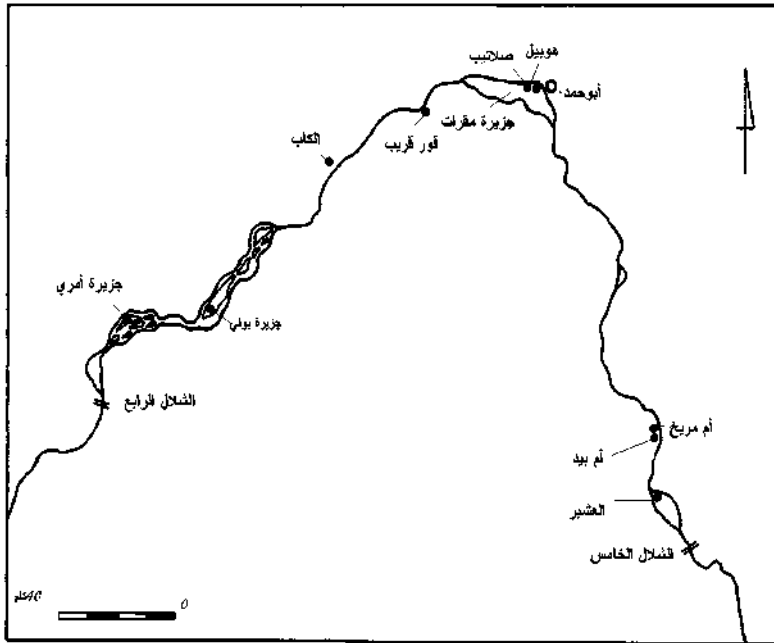
تتميز المنطقة الواقعة بين الشلالين الرابع والخامس بوجود عدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما بعد مروي. تتوزع هذه المواقع، وخاصة المقابر، على ضفتي النيل الشرقية والغربية (الخريطة رقم 6). على الرغم من كثرة هذه المواقع، إلا أن معظم أعمال الاستكشاف اقتصر على تسجيل أماكن وجود المقابر، دون إجراء عمليات تنقيب واسعة النطاق.

1. سجل جاكسون عدداً من المقابر في جزيرة بوني، وقورقريب، وصلاتيب، وأم مريخ، والتي تعود جميعها

لفترة ما بعد مروي (Jackson, 1926, 24-26).

2. في بداية التسعينيات من القرن الماضي، تم تسجيل المزيد من المقابر التي تعود إلى الفترة نفسها في جزيرة بوني، وصلاتيبي، وأمري، وأم بيد، وذلك خلال أعمال المسح الأثري التي قامت بها الهيئة العامة للآثار والمتاحف والوحدة الفرنسية في المنطقة (Hakem, 1993, 17-19). كما سُجِّلَت أعداد من المقابر في موقع الكاب، تعود أيضاً لفترة ما بعد مروي (Crawford and Addison, 1953, 10-14) (Titherigton, 1939,) (27).

3. في الجانب الشرقي من جزيرة مقرات، تم تسجيل مجموعة من المقابر نسبت لفترة ما بعد مروي (Hakem, 1971, 16; Mohammed Ali, 1993, 16)، وكذلك مقابر موقع هوبيل (Mohammed Ali, 1971, 11). بالإضافة إلى ذلك، تم اكتشاف مجموعة كبيرة من مقابر التلال في موقعي الكربة والشريق، شمال وجنوب هذين الموقعين. يشابه شكل هذه المقابر تلك الموجودة في شمال السودان وأواسطه، والتي تعود لفترة ما بعد مروي أو إلى التقاليد المروية المتأخرة (Eisa, 1995, 53-58).



خريطة رقم (6): مواقع مدافن فترة ما بعد مروي في إقليم أبو حمد (adopted from El-Tayeb,)

(2002,120)

خامساً: صحراء بيوضة:

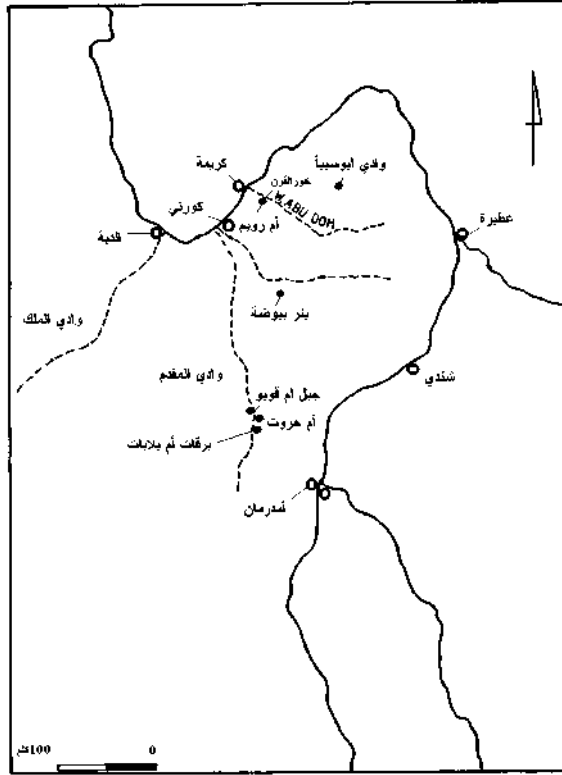
تنتشر في صحراء بيوضة أعداد كبيرة من المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما بعد مروي. ومعظم هذه المواقع هي مقابر تنتشر على طول الوديان التي تشق الصحراء. على الرغم من أن المنطقة تعاني حالياً من جفاف مستمر منذ قرون، إلا أنها كانت تتمتع بظروف مناخية أفضل بكثير في الماضي، كما تشهد على ذلك كثرة المواقع الأثرية المنتشرة فيها (الخريطة رقم 7).

1. تم تسجيل العديد من المقابر في صحراء بيوضة، مثل مواقع برقات أم بلابات، وأم حروت، وأم قوبو، وأبو سيال، والتي تم تصنيفها على أنها تعود لآثار ما بعد مروي وفقاً للخرائط المساحية (Survey map 45-N).
2. سجل جاكسون مجموعة من المقابر في موقعي بئر بيوضة ووادي أبو سياب، ونسبها لفترة ما بعد مروي (Jackson, 1926, 25-30).

3. في موقع خور السدر، تم وصف نحو (80) مقبرة تعود جميعها إلى الفترة نفسها (Chittick, 1955, 5).

4. قامت جمعية أبحاث الآثار السودانية (SARS) بمسح أثري في المنطقة بين أم درمان والقبولاب قبل إنشاء الطريق الأسفلتي الذي يربط أم درمان بكريمة ودنقلا، غطى المسح مسافة (115) كيلو متر من أم درمان حتى القبولاب، كُشف عن عدد كبير من المقابر التي نسبت لفترة ما بعد مروي في منطقة وادي المقدم، ووادي أم الحسن (Mallinson, 1997, 30-32).

5. موقع وادي أبو دوم: قامت كلا من جانا إيجر كاربرج وإلزيبيتا كولوسوفسكا في عام 2015م بحفريات في مقابر وادي أبو دوم، ركزت دراستهما بشكل رئيسي على تنقيب القبر رقم (5364) في وسط وادي أبو دوم، وأرخت بقاياها الجنائزية لفترة مروي المتأخرة، وفترة ما بعد مروي إلى الآثار المسيحية، من خلال ما تم اكتشافه لنوعية المقابر الصندوقية في الموقع. أثناء المسح الذي سبق الحفريات، تمت معالجة قبرين باعتبارهما تلالاً بسبب بنيتهما الفوقية. خلال أعمال التنقيب، تبين أن الهياكل الأساسية والمقابر تشابه عادات الدفن المسيحية، وتضاهي الهياكل الأساسية للمقابر الصندوقية القريبة. وبالتالي، تم تسميتهما على أنهما مسيحية. بالإضافة إلى ذلك، أثناء تنظيف السطح بين هذه القبور، اكتشف سبع مقابر أخرى بالقرب من المقابر المسيحية والتي يمكن رؤيتها على أنها قبور صندوقية تعرضت للتهريب بسبب عوامل البيئة. قدمت هذه الدراسة بعض الأمثلة على المرحلة الانتقالية من فترة ما بعد مروي إلى الفترة المسيحية (Eger & Kołosowska, 2018, 197-230).



خريطة رقم (7): مواقع مقابر فترة ما بعد مروي في منطقة صحراء بيوضة (adopted from Edwards, 1989: 113)

سادساً: منطقة النيل الأوسط:

تتميز منطقة النيل الأوسط بكثرة المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما بعد مروي، وخاصة المقابر المنتشرة على ضفتي النيل (الخريطة رقم 8). ومن أبرز هذه المواقع:

1. الكدرو: اكتُشفت في هذا الموقع مقابر تعرضت للتعرية، مما أثر على بنيتها الظاهرة. تشير الدراسات إلى أن هذه المقابر تعود إلى فترات المروي وفترة ما بعد المروي (Chittick, 1955; Haaland, 1987).
2. الخوجلاب: عُثر فوق سطح مقابر الموقع على فخار يعود لفترة ما بعد مروي، مما يشير إلى أهميته التاريخية (The Antiquities Service files, Officers Report).
3. الباعوضة: يقع على بعد (48) كيلو متر شمال أمدرمان، احتوى على مجموعة مقابر كبيرة، قسمت إلى

ثلاث فترات تاريخية. قامت بعثة قسم الآثار بجامعة الخرطوم بتنقيب عدد (104) مقبرة من مجموع (118) وأرخ بعضها لفترة ما بعد مروي (Babiker, 1984,132).

4. قرية الكباشي: عُثر على حقل من المقابر يمتد على بعد نحو من (2 إلى 3) كيلو متر شرق هذه القرية. معظم المقابر كانت متأثرة بالدمار نتيجة للنشاطات البشرية، والبعض منها تم تنقيبه وعُثر على فخار نسب لفترة ما بعد مروي (Caneva,1988, 342).

5. شرق قرية الأحامدة: كشفت أعمال المسح عن مجموعة من المقابر أرخت إلى فترات مختلفة. أجريت تنقيبات إنقاذية مشتركة ما بين (SAS) والوحدة الفرنسية لعشر من مقابر في هذا الموقع المتأثرة بالدمار، أوضحت نتائج هذه التنقيبات وجود مقابر تنسب لفترة ما بعد مروي (Geus,1984,13; Caneva,1988,) (342).

6. جبل أم مرجي: يقع على الضفة الغربية للنيل، وعلى بعد حوالي (40) كيلومتراً شمال أم درمان، تم اكتشاف مجموعة كبيرة من المقابر إلى الشمال الغربي من الجبل. وقد أشارت بعض الموجودات الجنائزية المكتشفة داخل هذه المقابر إلى أنها تعود لفترة ما بعد مروي (Crawford & Addison, 1953, 25-26).

7. الشاهيناب: كما تم الكشف عن مجموعة أخرى من المقابر في هذا الموقع الذي يعود في الأصل لفترة العصر الحجري الحديث. ومع ذلك، تشير الأدلة الفخارية إلى أن بعض مقابر الموقع قد استخدمت أو أُعيد استخدامها خلال فترة ما بعد مروي (Arkell, 1953, 82).

8. ود بانقا: في الآثار ما بين عامي 1958 و 1960م، قام كل من ثابت حسن ثابت وفريكوتر بإجراء تنقيبات أثرية في موقع ود بانقا، الواقع على بعد حوالي (800) متر من نهر النيل وشمال وادي البنات الذي ينحدر من منطقة البطانة مروراً بموقع النقعة. وقد كشف الموقع عن مقبرتين: إحداهما تعود إلى الفترة المروية والأخرى لفترة ما بعد مروي (Vercoutter, 1962; Ahamed,1984. 25-26).

9. الهوبيجي: يُعد موقع الهوبيجي، المعروف أيضاً باسم (أم مخروقة)، أحد أهم المواقع الأثرية في منطقة النيل الأوسط. يضم الموقع مقبرة ضخمة تمتد لمسافة كيلومترين تقريباً، بدءاً من الهوبيجي مروراً بالديم وحتى أم مخروقة شمالاً. وقد كشف عنها فريق بحثي فرنسي بقيادة باتريس لينوبل (Patris Lenoble). أظهرت نتائج التنقيبات في هذه المقبرة وجود وحدة ثقافية متكاملة بين فترة مروي وفترة ما بعد مروي، حيث يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي. يتزامن هذا التاريخ مع نهاية عادة دفن الملوك في الأهرامات المروية، مثل الجبانين الشمالية والغربية (Lenoble, 1997, 289-308).

استندت دراسة لينوبل في مقابر الهوبيجي بشكل أساسي إلى تحليل البقايا الجنائزية المكتشفة فيها. وبمقارنة هذه البقايا بما عُثر عليه تحت الأهرامات المروية، توصل إلى نتائج غير متوقعة. سعى لينوبل إلى وصف نهاية مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي، ورفض استخدام مصطلح "المجموعة المجهولة" الذي أطلقه راينزر على المقابر التلالية في النوبة السفلى. وبرر لينوبل رفضه هذا بوجود العديد من الثغرات في هذا المصطلح (Lenoble, 1996, 68-103).

10. شندي: كشفت أعمال التنقيب في منطقة شندي عن مقبرة تعود لفترة ما بعد مروي، حيث عُثر في أحد قبورها على مجموعة من الأواني الفخارية وأدوات الزينة (Geus et al, 1986, 82). كما تم اكتشاف مقابر أخرى في موقع الشقالوة، أبرزها مقبرة كبيرة بالقرب من محطة السكة الحديد، والتي نقبتها الوحدة الفرنسية وأرختها إلى الفترة نفسها (Crowfoot, 1927; Geus et al. 1986, 81-82).

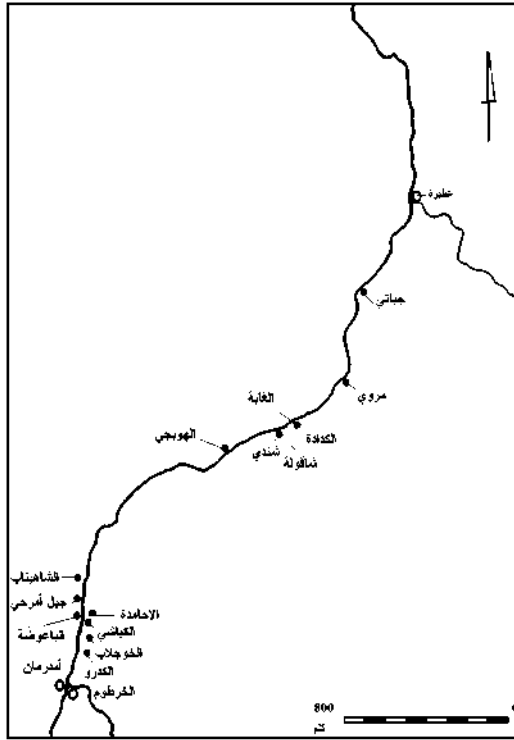
11. الغابة والكدادة: في المنطقة الواقعة بين شمال الغابة والتراجمة، تحديداً في موقع الغابة، تم العثور على آثار تعود إلى فترات زمنية مختلفة. وقد أجرت الوحدة الفرنسية أعمال تنقيب في بعض المقابر هناك، مؤرخة بعضها لفترة ما بعد مروي (Geus, 1982, 178-179). أما موقع الكدادة الواقع بالقرب من التراجمة، فقد تضمن مقبرة كبيرة شملت دفنات تعود إلى فترات متعددة. وتمكنت بعثة التنقيب الفرنسية من تحديد بعض المقابر التي تعود لفترة ما بعد مروي (Geus, 1986).

12. مروي: كشف عالم الآثار جون جارستانج، خلال رحلة استكشافية بين عامي 1909م و 1910م، عن مقبرة كبيرة شرق المدينة الملكية في مروي. قدمت هذه المقبرة التي يعود تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس الميلادي، أمثلة قيمة على طراز الدفن في النيل الأوسط خلال فترة ما بعد مروي (Adams, 1984, 425).

قسم جارستانج المقبرة إلى أربعة أقسام رئيسية: الجنوبية، الوسطى، الشمالية، والغربية. وتركزت معظم الدراسات على المقبرة الوسطى، كانت قبورها تأخذ شكل الكهوف، وتتميز بوجود ممر يؤدي إلى غرفة الدفن التي يُغلق مدخلها بالحجارة. تشير البقايا الخشبية المكتشفة داخل القبور إلى احتمال استخدام أسرة للدفن في وضعية ممددة. كما عُثر على أدلة على ممارسة طقوس التضحية بالحيوانات أو البشر، وهي ممارسة كانت شائعة في العديد من الحضارات القديمة. وقد عُدَّت هذه المقابر أكثر غنى بالمحتويات مقارنة بالمقابر المكتشفة في تنقاسي وتابو. ففي القبر رقم (300) على سبيل المثال، عُثر على مجموعة متنوعة من الأواني الفخارية والزجاجية، بالإضافة إلى أسلحة وأختام مصنوعة من الحديد والخرز المصنوع من الكارنيلين والقاشاني والزجاج (Daffa-alla, 1980, 46-48). تميزت هذه المقابر أيضاً بوجود نوع فريد من الفخار أطلق عليه "فخار علوة" (Kirwan, 1939)، ورغم عدم اكتمال نشر النتائج بشكل كامل، إلا أن مقابر مروي تشترك

مع ما أطلق عليه رايزنر في عام 1907 م "المجموعة المجهولة" في النوبة السفلى في العديد من السمات.

13. قباتي: تم اكتشاف مجموعة أخرى من المقابر تعود لآثار ما بعد مروي في موقع قباتي إلى الجنوب من الدامر. تم تنقيب (29) قبراً، وكانت غرف الدفن دائرية الشكل. على الرغم من العثور على كميات قليلة من الأواني الفخارية، إلا أن الباحثين اكتشفوا مجموعة من المصنوعات الخشبية والعاجية (Geus, 1984, 14-15).



خريطة رقم (8): مواقع مقابر آثار ما بعد مروي في إقليم النيل الأوسط (adopted from El-Tayeb, 2002.118)

سابعاً: منطقة سهل البطانة:

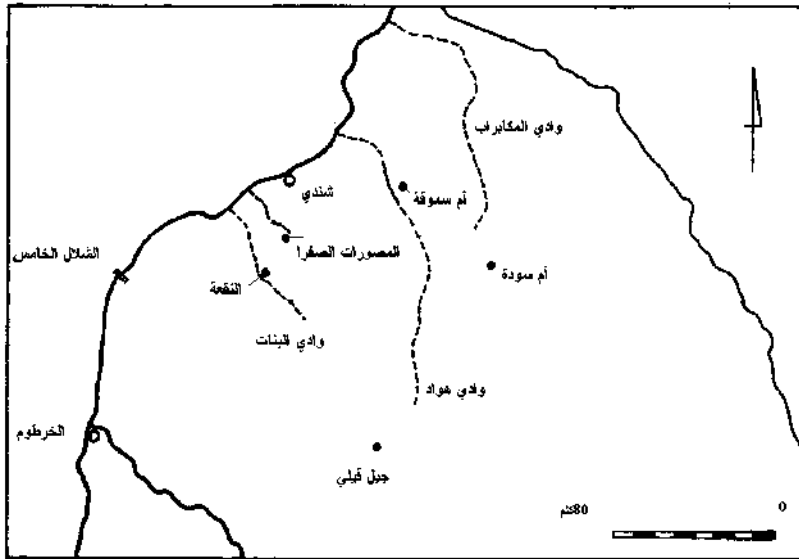
تميزت منطقة سهل البطانة بوجود عدد من المواقع الأثرية التي نسبت لفترة ما بعد مروي. تشير الدراسات إلى انتشار واسع للمقابر في المنطقة، لا سيما حول الأودية (الخريطتان رقم 9-10) منها:

1. شمال جبل الخياري: سجل كروفوت ثلاثة أنواع من المقابر في هذا الموقع، من بينها مقابر دائرية يُرجح أنها تعود لفترة ما بعد مروي (Crowfoot, 1920. 91).

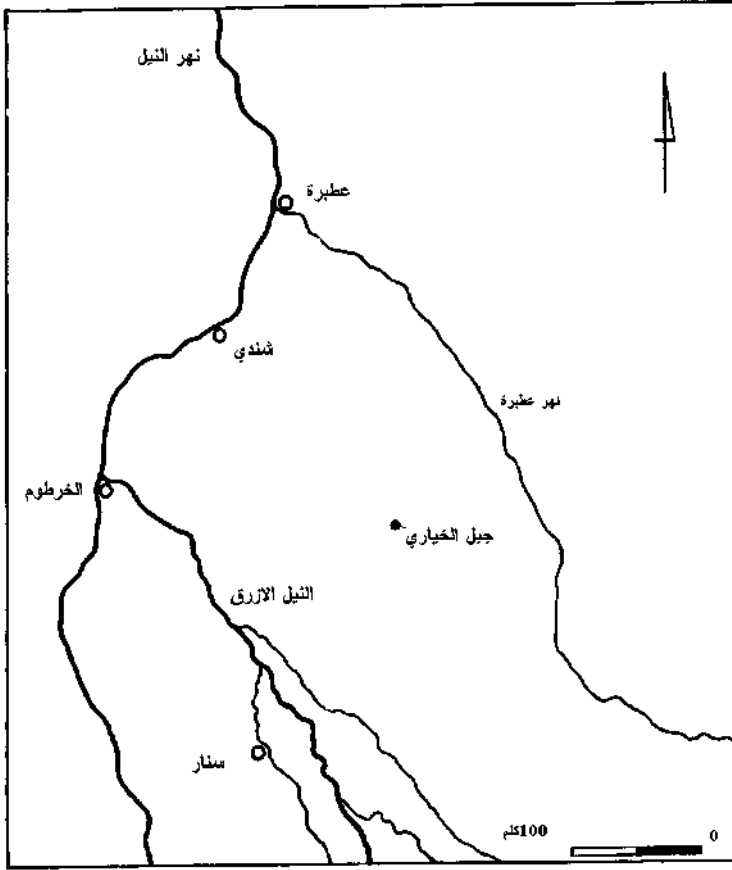
2. أم أسودة: تم اكتشاف مقابر مشابهة في موقع أم أسودة، مما يؤكد انتشار هذا الطراز المعماري في المنطقة (Sayce, 1909, 200; Crowfoot, 1920).

3. أم سموقة: عُثر في هذا الموقع على مقبرة تضم مقابر دائرية بأحجام مختلفة، بالإضافة إلى فخار يدوي الصنع، مما يدعم فرضية أن هذه المقابر تعود لفترة ما بعد مروي (Hintze, 1959, 178; Ahmed, 1984.) (32).

4. النقعة والمصورات الصفراء: تم اكتشاف مقبرتين كبيرتين في موقع النقعة. تقع الأولى شمال جبل النقعة وتضم مجموعة من المقابر الدائرية، بينما تقع الثانية بين معبد آمون والحفير، وتحتوي على مقابر أصغر حجماً. وقد تم تنقيب إحدى المقابر من هاتين المجموعتين، حيث أرخت الدراسات هذه المقابر لفترة ما بعد مروي (Hintze, 1959, 183-187). كما كشف في موقع المصورات الصفراء، الواقع على بعد حوالي (40) ميلاً جنوب شرق مروي، عن مجموعة من سبعة مقابر ضمن موقع استيطاني يعود لفترة ما بعد مروي (Hintze, 1968, 295-297).



خريطة رقم (9): مواقع مقابر فترة ما بعد مروي في منطقة البطانة (adopted from Ddwards, 1989. 51)



خريطة رقم (10): مواقع مقابر فترة ما بعد مروي في منطقة البطانة 2 (adopted from El-Tayeb, 2002. 116)

ثامناً: منطقة الجزيرة:

تتميز منطقة الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق بكثرة المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما بعد مروي، وخاصةً المقابر التي تنتشر على ضفتي النيلين وفي المناطق الواقعة بينهما (الخريطة رقم 11). من الأمثلة على هذه المقابر:

1. ود هاشم: تم العثور في هذا الموقع على مقبرة يُرجح أنها تعود لفترة ما بعد مروي (Arkell, 1934, 105-107).

2. سنار غرب (1) و (2): سجل أركل في موقع سنار غرب (1)، الواقع على الضفة الغربية للنيل الأزرق شمال موقع الخزان، قبراً واحداً تأثر بناؤه بفيضان عام 1931م-1932م. وعند تنقيب القبر، وجد أن المتوفي دفن في وضعية القرفصاء بجانب عدد كبير من الأواني الفخارية، مما يدل على أنه يعود لفترة ما بعد مروي (Ibid.105-107). وفي موقع سنار غرب (2)، الواقع على بعد حوالي (4) كيلومترات شمال موقع خزان سنار، تم اكتشاف مقبرتين (أ و ب) تأثرتا بالأنشطة البشرية. وقد عُثر في مقبرة (أ) على "فخار علوة"، وهو نوع من الفخار يميز فترة ما بعد مروي (Edwards, 1991, 43-47).

3. ود الحداد: سجل كروفوت في موقع ود الحداد مستوطنة أثرية، وعُثر لاحقاً على قبر يحتوي على فخار يعود لفترة ما بعد مروي (Crowfoot, 1927; Balfour, 1952, 210-213).

4. أم سنط: تم اكتشاف وتنقيب (19) قبراً، حيث عُثر على "فخار علوة" المميز لفترة ما بعد مروي (Edwards, 1991, 49-52).

5. قوز نصرة: يقع على الضفة الغربية للنيل الأزرق، على بعد حوالي أربع كيلومترات جنوب شرق ود مدني وشمال مارنجان. يحتوي الموقع على مقابر تلية تأثرت بعوامل التعرية والأنشطة البشرية، وقد أرخت بعض هذه المقابر لفترة ما بعد مروي (Ibid, 47-49).

6. العليلة: عثر في هذا الموقع على مقابر تلية وفخار يعود لفترة ما بعد مروي، حيث تم اكتشافه خلال حفر بئر في أحد المقابر (Balfour, 1952, 211-214; Antiquities files, blue Nile region, 1989).

7. السبيل: على الضفة الغربية للنيل الأزرق، نحو (27) كيلو متر جنوب الخرطوم، اكتشف قبر بموقع السبيل مصادفة نتيجة لأعمال الزراعة، احتوى على "فخار علوة" الذي نسب لفترة ما بعد مروي (SAS. (Report files, Middle Province, May1984).

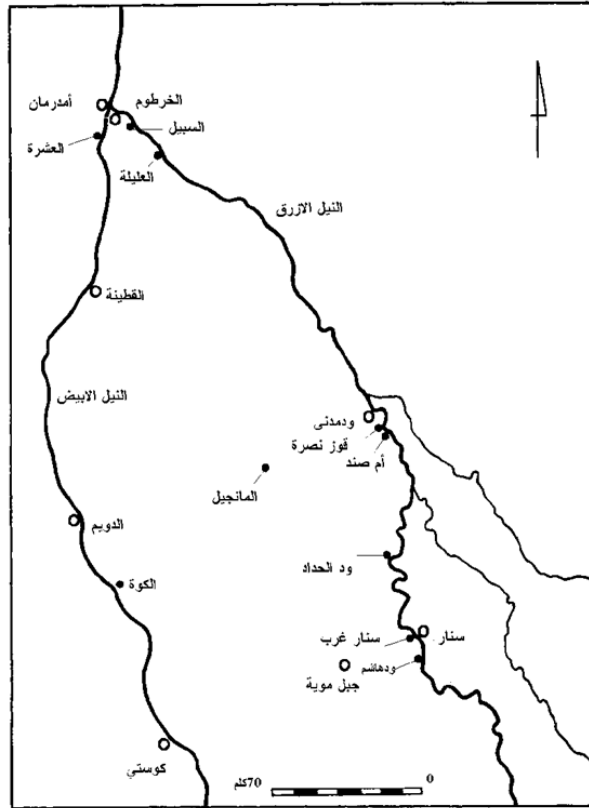
8. الجريف شرق: ويقع على الضفة الشرقية من النيل، بنحو (10) كيلو متر جنوب الخرطوم، كُشف عن مقابر نسب بعضها لفترة ما بعد مروي (Geus, 1984, 12-13).

9. الحاج يوسف: خلال المسح الأثري الذي قامت به البعثة الأسبانية في منطقة الخرطوم بين الأعوام 1989-1996م، عُثر على مقابر يرجح أنها تنسب لفترة مروي المتأخرة أو فترة ما بعد مروي (Fernades 1997, 355-). (378).

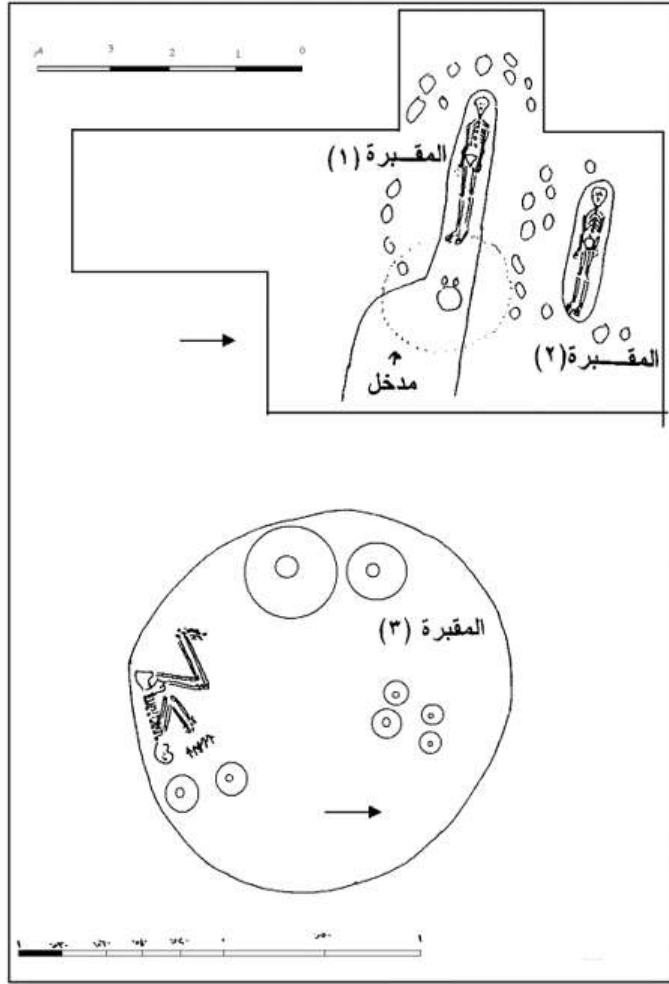
10. منطقة جنوب الخرطوم: تم الكشف في موقع الكوة الواقع على ضفاف النيل الأبيض تحديداً، العديد من البقايا الأثرية تعود إلى فترات مختلفة، بما في ذلك فترة مروي وفترة ما بعد مروي (Eisa, 1972).

11. العشرة: اكتشفت مقابر في موقع العشرة، جنوب أم درمان، حيث عُثر في بعض المقابر المنقبة على "فخار علوة" المميز لفترة ما بعد مروي (الشكل رقم 12). يشابه هذا الفخار إلى حد كبير الفخار المكتشف في مقابر مروي القديمة (Marshall and Adam, 1953, 40-44).

12. المانجيل: يُعد من المواقع التي يُرجح أنها تعود لفترة ما بعد مروي، حيث تضمن مجموعة من المقابر التي ربما كانت جزءاً من مقبرة أكبر. ومع ذلك، لم يبق من هذه المقابر سوى القليل بسبب عوامل التعرية والتدمير، وقد قام فريق من مصلحة الآثار السودانية ببعض عمليات التنقيب في الموقع (Antiquities files, 1990).



خريطة رقم (11): مواقع مقابر فترة ما بعد مروي في منطقة الجزيرة (adopted from Ddwards, 1989).



شكل رقم (12): القبور 1، 2، 3، مقبرة العشرة (Marshall & Adam, 1953)

المناقشة والاستنتاجات:

أظهرت الدراسات الأثرية لمقابر فترة ما بعد مروي في السودان، أهمية هذه المقابر في فهم ثقافة هذه الفترة الزمنية. ومع ذلك، ورغم مرور أكثر من نصف قرن على هذه الدراسات، فإن مسألة أصل سكان هذا الفترة وهويتهم لا تزال محل جدال بين الباحثين.

لقد شهدت المصطلحات التي تطلق على هذه الفترة وهوية سكانها اختلافاً كبيراً بين الباحثين. لم يكن استخدام مصطلح "المجموعة المجهولة" دقيقاً ولا كافياً لوصف هذه الثقافة. لذلك، اقترح تريقر مصطلح "ثقافة بلانة" لوصف هذه الحضارة، مما قدم تسمية أكثر دقة ووضوحاً. كما قام تريقر بالتمييز بين "ثقافة بلانة" و"ثقافة تنقاسي" التي كانت سائدة في منطقة النوبة السفلى (Trigger, 1965, 136-137). كذلك استخدم وليام آدمز المصطلح نفسه "ثقافة بلانة"، ووسع نطاق مصطلح "فترة ما بعد مروي" ليشمل هذه المجموعة (Adams, 1984, 392).

من بين الدراسات التي أثارت الجدل وشككت في وجود "فترة ما بعد مروي" بالمعنى المتعارف عليه، دراسة باتريس لينوبل، استند فيها إلى نتائج أبحاثه في موقع الهوبيجي (أم مخروقة). أرجع لينوبل مقابر هذا الموقع إلى الفترة التي أعقبت سقوط مروي وعدها مقابر ملكية مروية. وقد قدم لينوبل جملة من الانتقادات لنتائج الدراسات التي أجراها أمري وكيروان في موقعي بلانة وغسطل بالنوبة السفلى. ويمكن تلخيص هذه الانتقادات في النقاط التالية:

1/ المقارنة مع الثقافة المصرية: انتقد لينوبل قيام أمري وكيروان بمقارنة الخصائص الثقافية التي وجدها في بلانة وغسطل بشكل مباشر مع الخصائص الثقافية المصرية، دون مراعاة للاختلافات والخصوصيات المحلية.

2/ عدم فهم الرمزية المروية: يرى لينوبل أن أمري فشل في فهم الرمزية المروية الكامنة وراء العادات الجنائزية في مقابر بلانة وغسطل، على الرغم من تكرار بعض الأنماط الرمزية، مثل دفن الكلاب مع الموتى، في عدة قبور.

3/ تكرار الأنماط الرمزية: يشير لينوبل إلى تكرار ظهور نمط دفن الكلاب مع الموتى في عدة قبور، مثل القبرين رقم (2) و(17) في غسطل والقبر رقم (11) في الجبانة الشمالية، ويستغرب عدم ملاحظة أمري لهذه الرمزية المتكررة وفهم معناها (Ibid, 73).

كما تساءل لينوبل عن سبب عدم تفسير أمري بشكل صحيح لتجهيزات الأسلحة التي عُثر عليها في مقابر غسطل وبلانة، لا سيما المدفن رقم (80) في مقبرة بلانة. فبالنظر إلى معرفة أمري بأنواع أسلحة الملوك والملكات المرويين من خلال النقوش والتصاوير، والتي تعكس عادة فخر الانتصار، يتساءل لينوبل عن سبب عدم ربط أمري بين هذه الأسلحة وبين الرمزية الملكية المتعلقة بالأهرامات والمقابر الركامية في بلانة، وخاصة مع العثور على تيجان ملكية في هذه المقابر (Ibid, 74).

وبمقارنة البقايا الجنائزية المكتشفة في مقابر بلانة وغسطل والهوبيجي بتلك الموجودة تحت الأهرامات المروية، خلص لينوبل إلى أن سكان مروي وما بعد مروي كانوا يشكلون مجتمعاً واحداً متماسكاً، ولم يتأثروا بشكل كبير بتغيرات خارجية.

ويرى لينوبل أن استبدال الأهرامات بالكوم في الدفن يعكس تغيراً دينياً وليس سياسياً. كما يجادل لينوبل بأن نهاية الإمبراطورية المروية ربما لم تكن نتيجة لغزو أو تأثير أجنبي، بل كانت نتيجة لتطورات داخلية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين. فبدلاً من حدث سياسي دراماتيكي، شهدت المنطقة انتقالاً سلساً نسبياً من نظام سياسي موحد إلى ثلاثة ممالك مسيحية خلال القرن السادس الميلادي (Lenoble and Sharif, 1992, 226-235).

على كل حال انقسم تاريخ البحث الأثري في آثار ما بعد مروي إلى عدد من التيارات يمكن استعراضها في النقاط التالية:

- تيار اهتم بدراسة هذه الثقافة من خلال دراسة الهوية العرقية باستخدام مناهج علم الأنثروبولوجيا وتطبيقاته (Reisner, 1909, 1910; Smith, 1910).
- تيار آخر يؤمن بأن الطريقة المثلى لدراسة هذا الفترة هو دراسة مخلفاتها الثقافية (Emery and Kirwan, 1935; Emery, 1948; Kirwan, 1963).
- تيار ظل يبحث في العلاقة بين سقوط دولة مروي وظهور "المجموعة المجهولة" (فترة ما بعد مروي) ويتبع في ذلك دراسة التواصل وعدم التواصل بين هذه الفترة والفترة المروية (Trigger, 1965; Griffith, 1925).
- تيار يؤمن بأن دراسة هذه الفترة يجب أن يتم من خلال مدى واسع للمخلفات المادية، باعتبارها تمثل ثقافة أكثر من كونها مجموعة، لذلك فإن أنصار هذا التيار يدرسون هذه الفترة من خلال مصطلح عام يطلق عليه "فترة ما بعد مروي" (Adams, 1965; 1984).
- وتيار حديث يؤمن بأنه لا توجد آثار في التاريخ السوداني يطلق عليها "فترة ما بعد مروي"، إنما هنالك استمرارية ثقافية، ولا وجود لتغير ثقافي رئيس، فساكن مروي وآثار ما بعد مروي يشكلان مجتمعاً واحداً وكل ما في الأمر استبدال الهرم بالكوم لطبيعة دينية أو إمكانات ثقافية (Lenoble, 1996; 1997; Lenoble and Sharif, 1992).

يمكن استخلاص نتائج من كل تيار، مما يتيح لنا دراسة هذا الفترة ككل ثقافي موحد مع الأخذ في الاعتبار تنوعها الإقليمي الناتج عن الاختلافات في الظروف البيئية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. بمعنى آخر، قد تكون الاختلافات في الممارسات الجنائزية وغيرها من الممارسات الثقافية الناجمة عن عوامل محلية وليست دليلاً على عدم التجانس الثقافي في فترة ما بعد مروي.

لقد أسهمت الاكتشافات الأثرية في منطقة النوبة بشكل كبير في توسيع معرفتنا بفترة ما بعد مروي. ومع ذلك، لا يزال هناك الكثير من الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة. فالتنوع الكبير في المقابر

والمخلفات المادية يجعل رسم صورة شاملة لهذه الفترة أمراً صعباً. وعلى الرغم من هذه التحديات، فإن التعاون بين مختلف التخصصات مثل الأنثروبولوجيا، والتاريخ، واللغات القديمة، والإثنوغرافية وغيرها في الأبحاث المستقبلية سيساعدنا بلا شك على فهم أعمق لهذا الفترة المهمة في تاريخ السودان.

المصادر والمراجع

- Adams, W. Y. (1967). "Continuity and change in the Nubian cultural history". *SNR*, Vol. 48, pp. 1-32. Khartoum.
- Adams, W. Y. (1977). "Qasr Abrim 1976". *JEA*, Vol. 63, pp. 31-43. Oxford.
- Adams, W. Y. (1984). *Nubia Corridor to Africa*. Allen Lane, London.
- Adams, W.Y & Nordstrom, H. K. (1962). "The Archaeological Survey on the West Bank of the Nile: Second season on 1960-1961", *Kush* Vol. XI, pp. 10-18.
- Ahamed, KH. A. (1984). *Meroitic Settlement in the Central Sudan. An analysis of sites on the Nile Valley and the western Butana*, BAR International Series 197. Oxford.
- Arkell, A. G. (1934.) "Three burials in Sennar" *SNR* Vol. 17, pp. 103-110. Khartoum.
- Arkell, A. G. (1953). *Shaheinab*. Oxford.
- Babiker, F. AL. (1984). *Research into mortuary practices in Sudanese prehistory and early history (Bauda Meroitic cemetery as a case study)*. Ph.D. thesis, unpublished. University of Reading.
- Balfour, P. G. (1952). "Early Cultures of the Northern Blue Nile". *SNR*, Vol. 33, pp. 202- 214. Khartoum.
- Bates, O. and Dunham, D. (1927). *Excavations at Gemai*. Cambridge.
- Budge, W. (1907). *The Egyptian Sudan, Its History and Monuments*, Vols. I-II. London.
- Caneva, I. (1988). "A Prospect ion of the fourth cataract" *N.L*, Vol. 10, pp. 1- 9.
- Chitick, H. N. (1955). "An Exploratory Journey in the Bayuda Region". *Kush* Vol. III, pp. 86- 92.
- Crawford, O. G. S and Addison, F. (1953). "Field Archaeology of the Middle Nile Region". *Kush* Vol. I. PP. 2- 29. Khartoum.
- Crowfoot, J. W. (1920). "Old sites in the Butana" *SNR* Vol. 3. pp. 85- 93. Khartoum.
- Crowfoot, J. W. (1927). "Christian Nubia". *JEA* Vol. 13. pp. 141- 150.
- Da'ffalla, S. B. (1980). *Political and social development in the Nubia during the Post-Meroitic period, A.D. 350- 580*. Unpublished Ph.D. thesis. Cambridge University.
- Edwards, D. N. (1989). *Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st Millennium A.D.* BAR International Series no. 5
- Edwards, D. N. (1991). "Three cemetery sites on the Blue Nile". *Archeologie du Nil Moyen*, 5. PP. 41- 64. Lille.
- Eissa, K. A. (1972). *Archaeological Reports to SAS*. Unpublished Report. Khartoum.
- Eissa, K. A. (1995). The history and antiquities of Karaba–Sheriek in the middle Nile region". *Archeologie du Nil Moyen*, 7. pp. 53- 58.
- Eger, J., & Kołosowska, F. (2018). From the Late Meroitic to the Makurian Period: First Results of Excavation of Cemetery Sites in the Wadi Abu Dom. *In Bayuda Studies: Proceedings of the First International Conference on the Archaeology of the Bayuda Desert in Sudan*, pp. 197-230.

- El Hassan, G. G. A. (2022). The Funerary Finds from the Post-Meroitic period in the Fourth Cataract – Sudan", *Adab*, Vol. 46, 2022, PP 217-248.
- EL-Nour, O and Bandi, H. (1993). "The Potential of the Fourth Cataract Archaeological Project. *Hommage and Leclant*, 106\2.BdE. pp. 223- 231.
- EL-Tyeb, M. (1990). "Excavations at EL-Gaddar old Dongola". *Etudes Nubiennes Vol. II*. ed. by Bonnet, CH. Conference de Geneva. Actes du vii congres Nubiennes, 3- 8 September 1990. Geneva. pp. 65- 70.
- EL-Tyeb, M. (2012). "Funerary traditions in Nubian early Makuria". *GAMAR Monograph Series 1*. Gdańsk: Muzeum Archeologiczne w Gdańsku
- El-Tayeb, M. et.al. (2021). Early Makuria Research Project. El-Zuma Cemetery (3-vol. set) (Vol. 1-3). Brill.
- Emery, W. B. (1948). *Nubian Treasure: An account of discoveries at Ballana and Qustul*. London.
- Emery, W. B. (1965). *Egypt in Nubia*. Hutchinson Co. Ltd. London.
- Emery, W. B. and Kirwan, L. P. 1935. *The Excavations and Survey Between Wadi es-sebum and Adindan*. 2 Volumes. Cairo.
- Emery, W. B. and Kirwan, L. P. (1938). *The Royal Tombs of Ballana and Qustul*. Cairo.
- Fernandes, V. (1997). "The Spanish Archaeological Work at Blue Nile (Khartoum Province). 1989- 1996. *Kush Vol. XVII*. pp. 355- 378. Khartoum.
- Geus, F. (1982). "La necropole Meritique d' El Kadada". *Meroitica No.6*. pp. 178-187. Berlin.
- Geus, F. (1984). *Rescuing Sudan Ancient Culture*. Khartoum.
- Geus, F , Hinkell, F and Lenoble, P. (1986). "Investigations Post Meroitique dans La region de Shendi". *Nubische Studien Tagungsak ten der 5*, ed. Krause, M. International en konferenz der Inernational Society for Nubian Studies, pp. 81- 88.
- Godlewski, W. (2008). M to M. Early Makuria Research Project, season 2006. *PAM*, 18, pp. 463–476.
- Griffith, F. L. (1925). "Oxford Excavations in Nubia". *LAAA*, No. 12, pp. 57-172.
- Grzymski, K. (1987). "Archaeological Reconnaissance in Upper Nubia". *The SSEA Publications*, XIV. Toronto.
- Hakem, A. M. (1993). "Meroe (Hamadab) High Dam and its Impact". *Kush Vol. XVI*, pp. 1- 25. Khartoum.
- Haaland, R. (1987). "Socio-Economic Differentiation in the Neolithic Sudan". *Cambridge Monographs in Africa Archaeology*, 20, BAR, 5.350.
- Hintze, F. (1959). *Studien zur Meroitischen chronologie und Zudan opfert- afelin aus den pyramiden von Meroe*. Abhandlungen der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin. Klasse fur sprachen, Literatur und kunst. Jahrgang, Nr 2. pp. 23-24.
- Hintze, F. (1968). *Civilization of the Old Sudan: Kerma, Kush, Christian Nubia*. Translated by Prochnik, P. Leipzig
- Jackson, H. C. (1926). "A Trek in Abu Hamad District". *SNR Vol. 9*, part 2. pp. 1-35. Khartoum.
- Jacquet-Gordon, H and Bonnet, Ch. (1971). "Tombs of Tangasi at Tabo". *JARCE Vol. 9*. pp. 77- 84.

- Kirwan, L. P. (1939). *The Oxford University Excavations at Firka*. London.
- Kirwan, L. P. (1963). "The X- group enigma: A little known people of the Nubian Nile". *Vanished Civilization*, ed. Bacon, E. PP. 33- 35. London.
- Lenoble, P. (1996). "The division of the Meroitic Empire and the end of Pyramids Building in the 4th century A.D.: An introduction to further Excavations of imperial tumuli in Sudan". Paper presented in *Eighteen international conference for Meroitic Studies*, pr-print of the main papers and abstract, pp. 68- 103. London.
- Lenoble, P. (1997). "From pyramids at Meroe to tumulus at EL Hobagi: Imperial Graves of late Meroitic culture, Franco-Sudanese Survey and Excavations Between 1990-1993. *Kush Vol. XVII*, pp. 289- 308.
- Lenoble, P. and Sharif, N. M. (1992). "Barbarians at the gates? The Royal Mound of EL Hobagi and the end of Meroe". *Antiquity* 66, pp. 626- 635.
- Mallinson, M. (1997). "SARS survey From Omdurman to Gabolab 1997". Sudan and Nubia, pp 30- 33.
- Marshal, K & Adam, A. (1953). "Excavations of Mound Grave at Ushra". *Kush Vol. I*, pp. 40- 44. Khartoum.
- Mills, A.G. (1965). "The reconnaissance survey from Gemai to Dall: Preliminary report of the season 1964-1965". *Kush XIII*, pp. 3- 12. Khartoum.
- Mills, A.G. (1982). *The cemeteries of Qasr Abrim*. London.
- Mills, A. & Nordstrom, H. A. (1966). "The archaeological survey from Gemai to Dal, preliminary report of the season 1954-1965". *Kush Vol.14*, pp. 1- 15. Khartoum.
- Mohamed Ali, A. S. (1971). "The Antiquities of Mograt island. *SNR Vol. 52*, PP. 1- 22. Khartoum.
- Osman, M & Edwards, D. (1992). *The Mahas survey 1991. Interim report and site inventory. No.1*. Cambridge.
- Osman, M & Edwards, D. (1994). *The Mahas survey 1994. Interim report and site inventory. No.2*. Cambridge.
- Paner, H. (1998). "The Hamadab dam project, preliminary report of the results from work in the fourth cataract region, 1996-1997". *GAMAR Vol. 1*, PP. 115- 132. Gdansk.
- Reisner, G. A. (1909). *The archaeological survey of Nubia*. Bulletin No. 3. Cairo.
- Reisner, G. A. (1910). *The archaeological survey of Nubia. Report for 1907-1908.Vol.1*. Archaeological report, Ministry of Finance, survey, Department of Egyptology.
- Reisner, G. A. (1918). "The known and unknown kings of Ethiopia". *B.M.F.A.B. 16*. No. 97.
- Reisner, G. A. (1923). Kerma, parts 1- 111. Harvard University, Peabody Museum, African Department. *H.A.S. Vol. 5*. Cambridge.
- Sayce, A. H. (1909). "The Name of the Ethiopian Found at Basa". *PSBA*, 31, pp. 268-296.
- Shinnie, P. L. (1954). "Excavations at Tangasi, 1953. *Kush Vol. 1*, PP. 66- 85. Khartoum.
- Smith, E. (1910). "Archaeological Survey of the Nubia". *Bulletin*, No. 5. Cairo.
- Titherington, G. W. (1939). "The Kubiant old forts of the fourth cataract. *SNR Vol. 22*, pp. 258- 264. Khartoum.

- Trigger, B. G. (1965). *History and Settlement in the Lower Nubia*. Yale University Publications. New York.
- Trigger, B. G. (1969). "The Royal Tombs at Qustul and Ballana and their Meroitic antecedents". *JEA Vol. 55*, PP. 117- 128.
- Vercoutter, J. (1962). "Un Palais des 'Candaces' Contemporain d Auguste (Fouilles a Wad- ban Naga 1958-1960). *Syria 39*, pp. 263- 299.
- Wyzgoł, M., & El-Tayeb, M. (2019). Early Makuria research project. Excavations at Tanqasi: first season in 2018. *Polish Archaeology in the Mediterranean*, 27, pp. 273-288

حجارة شراك الصيد بوصفه مؤشرا لتصدير الحيوانات البرية الحية من السودان القديم: قراءة في فلسفة الدليل الآثاري وأيقونوغرافيا المعابد

د. حماد محمد حامدين

أستاذ مشارك -رئيس قسم الآثار – جامعة النيلين (السودان) -باحث زائر – متحف التاريخ الطبيعي - برلين (ألمانيا).

المستخلص

ستركز هذه الورقة على أحجار شراك الصيد والتي يمكن استخدامها باعتبارها مؤشرات للبيئة والاقتصاد القديم. وتعد هذه الحجارة تطوراً تدريجياً لتقنيات الصيد ويمكن استخدامها دليلاً على الصيد وتصدير الحيوانات البرية الحية من السودان إلى الحضارات القديمة الأخرى حيث تشير الأدلة الأثرية في السودان إلى وجود انتشار واسع لهذه الحجارة في مناطق وسياقات أثرية مختلفة. أن تقنية استخدام حجارة شراك بوصفها إحدى طرق الصيد لا تستخدم لقتل الحيوانات، بل لتعطيل حركتها وتقييدها وهي حية. والتعامل معها لاحقاً إما بالقتل أو الأسر أو الترويض. هذه الميزة ومع مرور الوقت منحت القدرة على التعامل مع هذه الحيوانات من خلال صيدها وترويضها وتصديرها وكان ذلك واضحاً في المعثورات الأيقونوغرافية والكتابات والنقوش الجدارية في المقابر والمعابد المصرية مثل معبد بيت الوالي والتي تبرز أيقونوغرافيته القدرة العالية على التعامل مع هذه الحيوانات وترويضها وتصديرها وهو الأمر الذي انعكس على ازدهار تجارة الحيوانات الحية من قبل سكان السودان وأهل الأراضي الجنوبية لمصر.

الكلمات المفتاحية: البيئة القديمة، حجارة شراك الصيد، تصدير، الحيوانات البرية، أيقونوغرافيا المعابد

Abstract

This paper will focus on the tethering stones, which can be used as paleo- environment and paleo- economy indicators. These stones are considered a phased development of the techniques of hunting and can be used as evidence of the hunting and export a live wild animal from Sudan to other ancient civilizations. Archaeological evidence from Sudan indicates there are a wide spread of these stones in different archaeological regions and contexts. The technique of using tethering stones as one of the hunting methods. It is not used for killing animals but for disabling their movement to arrest or trap the animals alive, and deal with it, either by killing, capturing, or taming. This advantage, and over time, gives the ability to deal with these animals by hunting, taming and exporting them. This was clearly in the iconography artifacts, writings, and wall inscriptions in Egyptian tombs and temples such as Beit Al-Wali Temple, which highlights the ability to deal, taming and export these animals, this was reflected in the prosperity of the animal trade by Sudanese and people of the southern lands of Egypt.

Keywords: Paleoenvironment, tethering stones, export, wild animals, temple's iconography

مقدمة:

مما لا شك فيه أن الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض بدأ يتفاعل ويتكيف مع البيئة التي حوله، وعمل جاهداً على توفير متطلبات عيشه الضرورية من جمع للثمار أو صيد للحيوانات فنمت وتراكت عنده العديد من الخبرات حول أنواع قوته وكيفية جمعها أو صيدها وما يشوبها من مخاطر يمكن أن تؤدي إلى فقدانها أو في أسوأ الحالات إلى فقدان حياته نفسها، هنا كان عليه أن يبتكر أساليب تحميه وتقي حياته أثناء عملية جلب هذا الطعام. ونجد أنه في عملية الصيد المعقدة والتي تعد قديمة قدم الإنسان نفسه طوع الإنسان كل ما جادت به البيئة من مواد خام سواء كانت عضوية كأغصان الأشجار وقرون الحيوانات وغيرها أو غير عضوية كالحجارة التي أبدع الإنسان في تشكيلها والتعامل معها صانعا منها أسلحة و أدوات تغيرت وتطورت بتطور بيئته ومنظومته الغذائية. وخلال تجاربه العديدة مع الحيوانات توصل الإنسان إلى ابتكار الشراك لصيد الحيوانات وتشمل أنواعا عديدة تبدأ بالحفرة البسيطة وتنتهي بتلك المعقدة التي تعتمد على الحركة الديناميكية للشرك والحيوان. وكما هو معروف لا تؤدي كل الشراك إلى قتل الحيوانات وإنما تقوم بعضها إلى تعطيل حركتها وإيقافها حتي يأتي الصيادون ؛ ومن ثم يتم التعامل مع الحيوانات فيما بعد إما بالقتل وإما بإمسакها لأغراض أخرى تشمل الترويض وربما وصولاً إلى الاستئناس نفسه.

حجارة شركاء الصيد:

تشكل هذه الحجارة مع الحبل والعقدة التي في آخره جزءاً من مصيدة أو شركاء الصيد أو جزءاً من فخاخ للصيد وتقييد الحيوانات. تعد إحدى تقنيات الصيد التي ظهرت في فترة العصور الحجرية خاصة خلال فترتي الهولوسين المبكر والمتوسط واستمرت حتي الفترة الإسلامية، و تتكون هذه التقنية من الحجر نفسه وحبل (في الغالب من مصدر نباتي) وتختلف أشكال الأحجار والحبال في الوزن والطول. ويتم عمل أخدود حول الحجر في الجزء الأوسط منه، أو أحيانا يتم طرق أطرافه في الوسط، وتختلف هذه الأخاديد وأثار الطرق وتقنياته إلى حد كبير في العرض والعمق والتي يمكن اعتبارها الميزة الأساسية لهذه الحجارة عن غيرها من الحجارة في الطبيعة (الشكل ١).

وتأتي فكرة عمل هذه التقنية بأن يتم ربط أحد طرفي الحبل بالحجر على طول الأخدود أو يتم تثبيته بواسطة الشقوق (الطرقات) التي تهدف إلى تثبيت ربطة الحبل بالحجر ومنعه من الانزلاق. ويتم ربط الطرف الآخر من الحبل في حلقة في شكل عقدة. وعادة ما يتم وضع هذه الحجارة في طريق الحيوانات على أطراف مصادر المياه (خيران، أودية، بحيرات قديمة،...الخ) وعندما تأتي الحيوانات إلى شرب الماء تدخل أحدي أقدامها في العقدة والتي تقوم بالقبض على قدم الحيوان ويعمل ثقل الحجر على تثبيت الحيوان أو تعطيله من الهرب؛ ومن ثم يأتي الصيادون ويقومون بقتل الحيوان أو الإمساك به. ولقد كانت للرسومات الصخرية

دور هام في توضيح إحدى وظائف هذه الحجارة وهي عملية الصيد (الشكل ٢).



الشكل رقم (١) توضيح حجارة شراك الصيد تصوير الباحث



الشكل رقم (٢) مجموعة رسومات صخرية توضح عملية الصيد بواسطة حجارة شراك الصيد

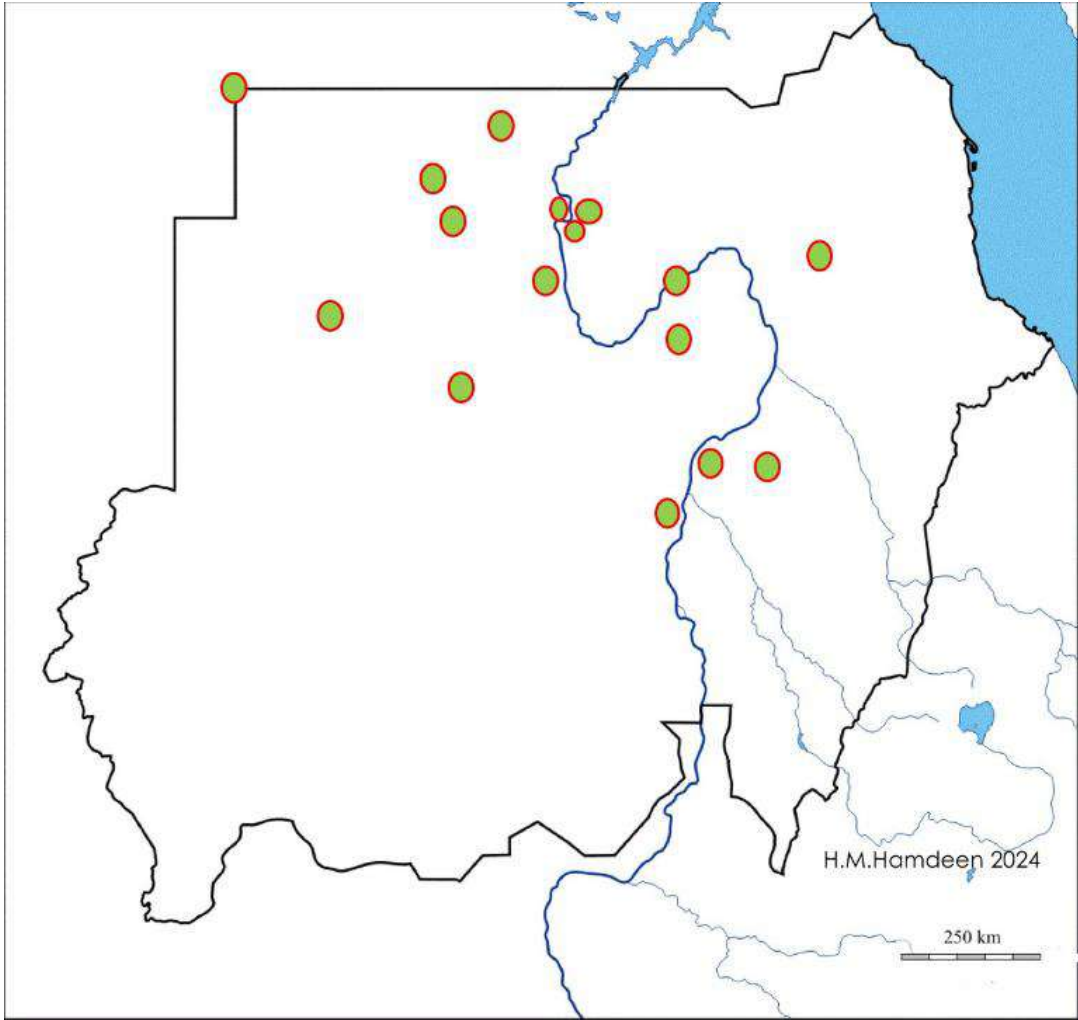
أدلة حجارة شراك الصيد في السودان:

تم اكتشاف أولى الأدلة لهذه الحجارة في منطقة الصحراء الكبرى و تم ذكرها لأول مرة من قبل الرحالة والمستكشفين في هذه المناطق عام ١٨٦٠م كما أن هنالك أدلة أخرى تعود إلى بدايات القرن التاسع عشر، وتشير الأعمال الأثرية إلى انتشار واسع لهذه الحجارة في مناطق متعددة من إفريقيا منها ليبيا الجزائر وتشاد و مصر وموريتانيا والمغرب وتونس وغيرها وبأحجام مختلفة أحيانا تتجاوز ١٠٠ كيلو جرام وفي سياقات أثرية متعددة بالرغم من أن أحيانا تم العثور عليها بالقرب من مناطق الاستيطان إلا أن غالبية هذه الحجارة سُجلت علي حواف الأودية وفي المناطق المسطحة المكشوفة.

أما في السودان فقد كشفت الأعمال الأثرية عن توزيع أعداد هائلة جدا من هذه الحجارة في مناطق متعددة في الشمال والوسط والغرب من السودان (الخريطة ١). ففي الصحراء الغربية السودانية في منطقة برج الطيور إلى الجنوب من واحة سليمة تم تسجيل العديد من هذه الحجارة تراوحت أحجامها بين ١٢-١٨ كليوغرام (Newbold and Shaw 1928) وكذلك في وادي فش Fesh و وادي هور (Pachur 1991) وفي المنطقة إلى الشمال الغربي من لقية الأربعين ومنطقة النخيلة وفي جبل عوينات وبعض المناطق قرب واحة سليمة (Gabreil 1986; Peroshi *et al* 2014) وفي منطقة منخفض القعب (Tahir 2023) وكذلك في المنطقة إلى الغرب من المجري للقديم للقولد (Hamdeen 2017).

وعلي النيل فقد سجل حامدين العديد من هذه الحجارة علي الضفة الغربية لمنطقة الشلال الثالث في وادي قرقود وإلى الجنوب منه (Hamdeen 2018) وكذلك في شرق منطقة المحس على الخيران في كل من خور أسماكول وبرجا ومشيكلة تم تسجيل العديد من هذه الحجارة ((Abdeen *et al* 2019) وكذلك إلى الجنوب الشرقي من موقع كدرمة (Bashir 2023).

أما في منطقة الشلال الرابع فقد سجل قابريال العديد من هذه الحجارة (Gabriel 2012,83-90) وكذلك في منطقة وادي أبو دوم (Lohwasser 2013). أما في منطقة وسط السودان فقد سجلت خلال أعمال المسح الأثري في الطريق ما بين بربر وسواكن (Bashir, 2017, 207) وإلى الجنوب من هذه المنطقة قام حامدين بتسجيل هذه الحجارة وتوثيقها في كل من منطقة شق الدود (Hamdeen and Abdallah 2021) وشرق السبلوقة (Hamdeen and Suvova 2023). وكذلك سُجلت في منطقة الصالحة إلى الجنوب من أمدرمان (Usai and Salvatori 2002). وأبرزت الرسوم الصخرية من الصحراء الغربية ومنطقة وادي قرقود أدلة واضحة تُظهر هذه الحجارة باعتبارها جزءا من شرك لاصطياد الحيوانات البرية (Hamdeen 2017, 20).



خريطة رقم (١) توضح بعض المناطق التي تم العثور فيها علي حجارة شركاء الصيد في السودان

الآراء حول وظيفة حجارة شركاء الصيد:

توجد العديد من الآراء حول وظيفة هي الحجارة منها.

- 1/ اقترح زيغرت في تقريره عن 40 حجر شركاء صيد وجدها في الصحراء الليبية أن هذه الحجارة ربما تم استخدامها في بناء الأكواخ (Ziegert 1978).

2/ أما باشور فاقترح أن هذه الحجارة تؤدي وظيفتها على أنها أداة لتقييد حيوانات الرعي وخاصة الماشية؛ وحيث أن الحيوانات تكون قادرة على التحرك في أو حول مكان الرعي، ولكن يتم منعها من الذهاب بعيداً (Pachur 1982).

3/ ونجد أن جيلينك قد نشر صوراً من تل إيساغان في ميسك سطاقت بفازان، وشملت ثلاثة ثيران من نوع *Bubalus antiquus* ظهروا علي ما يبدو له مقيدتين بحجارة شراك الصيد حيث تمتلك الثيران الثلاثة قرونًا قصيرة ومنحنية للأمام، وأرجلها اليمنى مربوطة بهذا الحجر. وعليه فالنسبة له أن الساق في الفخ يدل على أن هذه الحيوانات البرية محاصرة. وافترض أن هذه حيوانات برية على أساس الوظيفة المنسوبة لهذه الحجارة. ولكن أورد ملاحظة أن الوضع الغريب لرأس أحد الشخصيات وهو يشير إلى فم الثور إلى وجود نوع من الألفة تتجاوز عملية الصيد وبالتالي هذا المشهد ربما يوحي بالتدجين والاستئناس لهذه الحيوانات (Jelinek 1985).

4/ يقترح غابرييل أن حجارة شراك الصيد من عصور ما قبل التاريخ والتاريخية كانت تستخدم بمثابة ثقل لربط الحبال وتثبيتها في الأنشطة الحياتية المتعددة سواء في المراعي أو مواقع الاستيطان القديمة بوصفها أداة لتثبيت الخيام وإصلاحها، أو ثقل لربط الحيوانات الأليفة المربوطة ومنعها من الهروب وتقييد الحيوانات الأليفة والاحتفاظ بها بالقرب من المعسكرات أو الأكواخ. وكذلك ربما للصيد (Gabreil 1986. 2012).

5/ يقترح كل من جالينارو و دي ليرنيا نهجاً لدراسة هذه الحجارة استناداً إلى مجموعة من هذه الحجارة مسجلة في هضبة مساك في جنوب غرب ليبيا. و دراسة جيولوجية أثرية إحصائية أجريت في الفترة ما بين عامي 2007 و 2011م في ليبيا، إلى جانب تحليلات المناظر الطبيعية والسياقات المواقع الأثرية وخصائصها حوالها (مثل الفن الصخري والمستوطنات والسياقات الاحتفالية)، واقترحا أن هذه الحجارة استخدمت لفترات طويلة، على الأرجح. بدءاً من عصر الهولوسين المبكر. وأعقب ذلك استخدامات متعددة الوظائف؛ بما في ذلك أهمية الطقوس والصيد وإدارة القطعان والأنشطة الثقافية الرعوية، خاصة خلال مرحلة العصر الحجري الحديث الرعوي (حوالي 6400 ± 3000 قبل الميلاد)، مع العثور على أعلى التراكيزات بالقرب من السياقات الاحتفالية المتعلقة بـ دفن الماشية (Gallinaro & Di Lernia 2018).

6/ يرى حامدين أن المدى الزمني لاستخدام هذه الحجارة شاسع جداً وعليه سمح هذا الأمر باستخدام هذه الحجارة وتوظيفها لأغراض متعددة تُحدد في بعض الحالات وفق السياق الذي وجدت فيه هذه الحجارة، ولكن اعتماداً على الأعمال الميدانية التي قام بها في شمال و وسط السودان يرى أن أغلب السياقات التي وجدت فيها هذه الحجارة والتي كانت على أطراف الأودية والخيران. هذا السياقات تُرجح وظيفة استخدامها في صيد الحيوانات وتقييدها بالرغم من أنه قد

عثر على القليل جداً منها بالقرب من مناطق استيطانية موسمية تعود لفترات ما قبل التاريخ. ولعل هذا يرجع إلى أنها ربما جلبت من مناطقها الأصلية خصوصاً تلك الصغيرة الحجم التي يمكن حملها والتنقل بها واستخدمت في وظائف متعددة أخرى بالقرب أو في مناطق الاستيطان الموسمية أو الدائمة.

تجارة الحيوانات وتصديرها من السودان القديم إلى مصر:

يمكن القول أن الحيوانات هي واحدة من أقدم السلع التي انتقلت من السودان القديم إلى مصر، وتعطي مقابر المجموعة (أ) بالفعل دليلاً على ازدهار التجارة مع مصر حتى قبل توحيد الدولة الفرعونية نفسها. وقد يكون قدر كبير من التجارة الخاصة في المنتجات الحيوانية والغابية قد تم تصديرها في أزمان متعاقبة من التاريخ السوداني وخاصة عندما كانت الحكومة المركزية المحلية ضعيفة أو تمارس الاحتكار والتسلط. ومع ذلك نلاحظ بصورة واضحة أن البعثات التجارية المصرية الكبرى التي لديها سجلات ومرسلة بصورة واضحة إلى الأراضي الجنوبية، بدءاً من أواخر عصر الدولة القديمة وما بعدها، كانت جميعها تدار وتنظم بواسطة الفرعون أو بالنيابة عنه وهو أمر واضح لأهمية هذه التجارة. ومع تزايد تركيز الثروة في أيدي عدد قليل من الأشخاص، والتي ربما كان الملك وحاشيته يمثلون السوق الحقيقي الوحيد للسلع الفاخرة الأكثر تكلفة القادمة من الجنوب. وهكذا أصبحت السلع التجارية التي تأتي من السودان، مثل معظم التجارة الخارجية المصرية، مشروعة ملكياً إلى حد كبير، إن لم يكن بالكامل (Adams 1977. 166-167). في الألفية الرابعة قبل الميلاد، شارك سكان نقادة في مصر العديد من جوانب ثقافتهم مع حضارة المجموعة أ، الذين يعيشون بالقرب من الشمال أو الجنوب من الشلال الأول لنهر النيل. ومع ذلك، من الناحية الثقافية، انفصل الاثنان ببطء مع مرور الزمن وتحركت المجموعة أ جنوب الشلال الأول، وتوسعت في النهاية وصولاً إلى المنطقة المحيطة بالشلال الثاني، على الرغم من أن البعض استمر في العيش شمال أسوان أيضاً وعاشوا في منطقة منعزلة كمجتمع شبه بدوي وطبقي، و تنقل سكان المجموعة أ بين مواقعها ومخيماتهم الدائمة والموسمية، ودفنوا موتاهم في قبور بيضاوية أو مستطيلة، إلى جانب العناصر التي تعكس ثروتهم والتي تتمثل في الفخار والمجوهرات والتماثيل النسائية و السلع الواردة من سكان نقادة وغيرها في مصر (Shaw 2017. 6).

كان سكان المجموعة أ يتاجرون في خشب الأبنوس والعاج، والحيوانات الحية وجلود الحيوانات، وبيض النعام، وربما الأهم من ذلك، الذهب، وكانوا يحصلون على العديد من سلعهم الفاخرة من المناطق الأقصى إلى الجنوب منهم. ولتسهيل حركة هذه التجارة والسيطرة عليها، أنشأ المصريون والسودانيون من المجموعة أ مواقع تجارية على طول نهر النيل، فنجد مثلاً مواقع استيطانية مهمة جداً منها في منطقة الفنتين

في حوالي 3300 قبل الميلاد؛ وسنلاحظ هنا كيف أن هذه المنطقة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتجارة لبقية التاريخ المصري اللاحق.

ونجد أن الاسم المصري القديم لمدينة أسوان القريبة من الحدود هو سوينت، ويعني "التجارة"، وهي موقع استيطاني آخر نشط منذ حوالي 3500 قبل الميلاد، ولمدة 500 عام بعد ذلك، كانت أيضاً هنالك مواقع أخرى خارج النيل في خور داود، بالقرب من وادي العلاقي (7. Shaw 2017) وفي وقت لاحق، ولأسباب اقتصادية وسياسية، بنى الملوك المصريون العديد من الحصون والقلاع والمدن في الأراضي الجنوبية ونجد أن المجموعة الأكثر إثارة للإعجاب والأكثر تركيزاً من حصون المملكة الوسطى، ما يسمى بحصون الشلال الثاني، حيث يبلغ عددها عشرة منشآت رئيسية "قلاع"، وكانت تمتد على طول نهر النيل على مسافة أربعين ميلاً، من بوهين في الشمال إلى سمنة في الجنوب. كانت جميع هذه الحصون، باستثناء واحدة، تقع على الضفة الغربية للنهر أو على جزر يمكن الوصول إليها من الضفة الغربية. حيث كانت فقط سمنة هي المنشأة التي تقع على الضفة الشرقية مقابلة لحصن أكبر مباشرة في الضفة الغربية (Adams, 1977. 176)..

تصاویر السودانيين وسكان الأراضي الجنوبية علي الأيقونوغرافيا المصرية:

استخدم المصريون القدماء مصطلح سكان الأراضي الجنوبية للإشارة إلى جيرانهم الجنوبيين، وهذا يشمل أعضاء المجموعة (أ) و (ج) والبان قريف وشعب كرمة و المدجاي الذين يعيشون في الصحراء الشرقية. بالإضافة إلى هؤلاء كذلك أيضاً الأشخاص القادمون من أرض بونت جنوباً في منطقة القرن الأفريقي، ويتم عرضهم بطرق مختلفة تختلف عن معيار عرض غيرهم، وأكثر هذه المميزات وضوحاً هو لون البشرة والملابس. وتستحق هذه الاختلافات الأيقونية دراسة مصدرها المحتمل (Pemler 2014) وتحديدده وعموماً تم عرضهم وتصويرهم علي الأيقونوغرافيا المصرية في المعابد والمدافن ورسومات الفخار...الخ على النحو التالي:

1. الصيادون:

يظهر الصيادون من الأراضي الجنوبية في نهاية الدولة القديمة علي لوحة وعاء تم العثور عليه أمام مدخل القبر 207/206 في منطقة أسوان (Edel 1973; Arnold and Schulte 1978). يصور هذا الرسم صياداً بقوس وسهم وريشة على رأسه ويرتدي مئزراً طويلاً مع قطعة قلادة وإلى جانبه ثلاثة كلاب. كذلك يظهر في لوحات الجبلين صاحب القبر وهو يحمل قوساً وسهاماً في يديه. أربعة من هؤلاء الرجال لديهم كلبان إلى جانبهم أو في حالة واحدة يظهران بشكل بارز. ونجدهم كلهم يرتدون زياً يتكون من مئزر وقطعة قلادة (Fischer 1961).

2 . الجنود:

يظهر الجنود من الأراضي الجنوبية في المصادر الكتابية المصرية من عصر الدولة القديمة فصاعدًا، وأشهر تصوير أيقونوغرافي لهؤلاء الجنود الرماة يأتي من مقبرة مشيتي في أسيوط (Borchardt 1911; Meurer 1996) وأسوان (Fischer 1961) وطيبة (Jaroš-Deckert 1984) والدير البحري (Naville 1907).

3 . الرعاة:

شكل الرعي إحدى الزخارف الأيقونوغرافية القليلة التي تم العثور عليها لهم بوصفها زخرفة لفخار المجموعة ج التي تم العثور عليها في المواقع المصرية (Bietak 1979) تظهر هذه الصور الرعاة مع مشاهد الصيد (Davies 1902; Decker and Herb 1994).

4 . السجناء:

تم تصوير السجناء من الأراضي الجنوبية في مقابر الأسترتين الخامسة والسادسة بطريقة موحدة بشعر قصير أو طويل مجعد في كثير من الأحيان مع تسريحة شعر أطلق عليها "بونتية" نسبة لبلاد بونت مع الخصلات المتدلية إلى الأكتاف و ارتداء عصبه في الشعر (Pemler 2014).

5 . الأعداء:

إن تصوير الأعداء المقيدين معروف منذ المراحل الأولى للدولة المصرية (Schlogl 1978; Quibell 1898). وفي نهاية عصر الدولة القديمة أصبح تصوير الأعداء في النقوشات والأيقونوغرافات جزءًا من السمات القياسية للمعبد الجنائزي الملكي. وتم اتباع نفس النمط خلال الفترة الانتقالية الأولى واستمر مرة أخرى خلال عصر الدولة الوسطى ولكن ليس في العديد من الأمثلة. ويتم إظهارهم بألوان بشرة سوداء مع السمات التشريحية الواضحة للوجوه وكذلك تقييد أيديهم من الخلف و عرضهم بوضعيات مختلفة.

6 . الخدم:

نادرًا ما يتم العثور على تصوير للخدم النوبيين بعد عصر الدولة الحديثة. و يظهر نقشان بارزان من عصر الدولة القديمة خدماً من الأراضي الجنوبية تم العثور على كليهما من الجيزة من مقبرة سيشا حتب ومقبرة نسوت نفر (Meurer 1996).

7. المصارعون:

توجد عدة مشاهد للمصارعة في مقابر صعيد مصر من العصر الوسيط الأول والدولة الوسطى (Decker and Herb 1994) ترتبط مشاهد المصارعة هذه مكانيًا بمشاهد الحرب التي تظهر عددًا كبيرًا من الرماة من الأراضي الجنوبية. ونظراً لقرب مشاهد المصارعة والحروب، فقد فسر بعض العلماء المصارعة على أنها جزء من التدريب العسكري (Carroll 1988) حيث يقاتل الرجال عراة، باستثناء لبس الحزام في الوسط، وفي أزواج أو داخل أزواج، وغالبًا ما يتم تصوير شخص واحد بلون بشرية أغمق من الآخر (Pemler 2014).

8. الموسيقيون والراقصون:

خلال عصر الدولة الحديثة، ظهر سكان الأراضي الجنوبية باعتبارهم موسيقيين وراقصين. وهناك أمثلة تظهر رجالاً سود اللون يرقصون و يرتدون القبعات وجلود الحيوانات حول الوركين، ويظهر تصوير آخر مجموعة من الشباب السود من الأراضي الجنوبية ذوي تصفيفة شعر خصلية وهم يرقصون ويقرعون الطبول، ويتم التمييز بين الأولاد والبنات الذين لديهم نفس قصة الشعر الخصلية هذه عن طريق المزهر مقابل التنورة الطويلة (Decker and Herb 1994).

9. المرأة والأطفال:

تظهر النساء من الأراضي الجنوبية في الصور في ثلاثة سياقات. أما تم تصويرهن خدماً أو زوجات أو أمهات، كما يظهر في لوحة الجبلين (Vandier 1950) وتظهر النساء هنا ببشرة بنية أو سوداء، والجزء العلوي من أجسادهن عارٍ ويرتدين تنورة جلدية طويلة. تظهر بعض الرسوم امرأة سوداء من الأراضي الجنوبية ذات ثديين معلقين (انظر على سبيل المثال Vandier 1950; Fischer 1961) ويمكن تفسير ذلك على أنه رمز للمكانة حيث تظهر المرأة وهي ترضع العديد من الأطفال (Pemler 2014) ومثل النساء أيضاً، نادراً ما يتم تصوير أطفال سكان الأراضي الجنوبية. ويظهر تصوير من موقع الجبلين ابن نينو وهو يرتدي مزراً وقطعة قلادة وتسريحة شعر فريدة مع دبوس شعر. وهناك أمثلة أخرى لأطفال بقصة شعر خصلية (Fischer 1961) ويتم حلق الشعر مع ترك خصلات قليلة فقط على الجانب والجمجمة. ويبدو أن قصة الشعر هذه كانت للجنسين، كما يقترح بعض العلماء حيث توضح للأولاد (Vandier 1950) والفتيات (Borchardt 1911).

تصاوير "أيقونوغرافيا" معبد بيت الولي:

يقع هذا المعبد على بعد حوالي 50 كم جنوب أسوان و300 م شمال غرب معبد تلمس كلايشة

الروماني الكبير. تم بناء المعبد على يد رمسيس الثاني، وهو مقطوع في المنحدر الصخري للضفة الجنوبية لودي جاف تكون واجهته إلى الشمال الشرقي. وتمثل التصاوير الجدارية الملونة لهذا المعبد أحد أهم المصادر عن تلقي ملوك الفراعنة المصريين حيوانات حية غنائم جلبت من الأراضي الجنوبية لمصر، حيث تصور اللوحة الأيقونوغرافيا الموجودة على جدار المدخل الجنوبي رمسيس الثاني وهو يتسلم الغنائم من السودانيين وسكان الأراضي الجنوبية مرتبة في سجلين. هناك نقوش بانورامية لأشخاص ذوي بشرة سوداء وهم يقدمون البيض، و يجلبون الحيوانات الحية وأنياب العاج ومنتجات أرضهم (Ricke et al.1967: 12) إلى جانب سكان المناطق الجنوبية ذوي البشرة السوداء، تم تصوير الآسيويين والليبيين أيضًا، ويتم تمييزهم بوضوح عن بعضهم البعض من خلال اللون و الزي واللحية وتصفيفة الشعر (Pemler 2014). وشملت هذه الحيوانات الحية منها ما هو بري مثل الزراف والأسود والغزلان والظباء والنعام والقرود وكذلك حيوانات مستأنسة مثل الأبقار والكلاب. ويظهر بوضوح انصياح هذه الحيوانات لسكان السودان والأراضي الجنوبية وهو الأمر الذي يشير بما لا يدع مجالاً للشك قدرة هؤلاء علي صيد هذه الحيوانات وتربيتها وترويضها واستئناسها بالإضافة إلى وفرة هذه الحيوانات في أراضيهم الجنوبية (انظر الشكل ٣).



الشكل رقم (٣) توضح إحدى أيقونوغرافيا معبد بيت الولي وتوضح سكان الأراضي الجنوبية يقدمون العطاء للملك رمسيس الثاني، تصوير أندريا روديا. مكان العرض المتحف البريطاني

المناقشة والاستنتاجات:

نلاحظ أنه اعتماداً علي السلوك العدواني لهذا الحيوانات التي ظهرت على أيقونوغرافيا معبد بيت

الولي وغيرها من المعابد والقصور والمعثورات الأثرية الأخرى والتي تصور السودانيين وسكان الأراضي الجنوبية ذوي البشرة السوداء وهم يتعاملون مع هذه الحيوانات يبرز سؤال كيف استطاع هؤلاء السكان صيد هذه الحيوانات من دون قتلها و من ثمة تربيته وترويضها وبل وتصديرها؟.

هنا نجد أن الفكرة الأساسية لحجارة شراك الصيد كأحادي تقنيات الصيد التي ظهرت خلال فترة الهولوسين هي تقييد الحيوان ولذلك أخذت اسمها الإنجليزي Tethering/trapping stones حجارة التقييد أو الفخاخ وعليه تعمل على إبطاء حركة الحيوانات ومحاصرتها و تقييدها وليس قتلها. وبناءً على الأعمال الأثرية الميدانية في مناطق متعددة من شمال السودان ووسطه وغربه نلاحظ تسجيل الآلاف من هذه الحجارة على أطراف الأودية والخيران ومصادر المياه.

وكذلك أيضاً نلاحظ التفاوت والتنوع في أحجام هذه الحجارة ما بين الصغيرة والكبيرة التي تصل إلى حوالي ١٠٠ كيلوغرام و في أنواع المادة الخام للحجارة نفسها ومصادرها ولعل هذه الأمور تشير إلى تنوع الحيوانات التي يتم اصطيادها وتقييدها بواسطة هذه الحجارة. وبالرجوع إلى الأدلة الزيوأركيولوجية والرسومات الصخرية نلاحظ أن البيئة في مناطق انتشار هذه الحجارة خلال فترة الهولوسين المبكر كانت الظروف المناخية بها رطبة الأمر الذي أدى زيادة في معدلات الأمطار ومن ثم ارتفاع مستويات المياه و ظهور العديد من البحيرات وامتلاّت معظم الأودية والقنوات القديمة المتصلة بالنيل وفرت هذه البيئة مصادر العيش لحيوانات السافانا بأنواعها المختلفة، أما فترة الهولوسين الأوسط والمتأخر وبالرغم من أنها كان جافة نسبياً في بعض المناطق مقارنة بفترة الهولوسين المبكر ولكن نجد هناك أدلة علي فيضانات موسمية وزيادة في معدلات الإمطار من حين إلى آخر، وسيادة سافانا مفتوحة شكلت ملجأ للكثير من الحيوانات بالعيش فيها، بمعنى أن الدراسات السابقة عن البيئة القديمة في مناطق الصحراء الغربية من المنطقة الممتدة من وادي هور جنوباً وإلى جبل عوينات شمالاً مروراً بالواحات (لقية عمران وسليمة...) وشرقاً منطقة كرمة وإلى الشمال في الشلال الثالث و وسط السودان، تشير كل هذه المعطيات البيئة إلى وجود بيئة سافانا عشبية توافرت فيها مصادر الغذاء لحيوانات السافانا المنتشرة في أجزاء واسعة من هذه المنطقة مثل الأفيال والزراف والنمور والأسود والضباع و وحيد القرن وغيرها العديد من هذه الأنواع (حامدين، ٢٠١٥ م؛ ٢٠١٥ ب، حامدين والزاي ٢٠١٧ م؛ Hamdeen 2017).

هذه البيئة وفرت غطاءً نباتياً واسعاً تبعه تنوع حيواني كبير في هذه المناطق وبالتالي نمت وتطورت بمرور الزمان خبرات تقنيات مجموعات الصيد خلال فترات الهولوسين المبكر والمتوسط والمتأخر فظهرت حجارة شراك الصيد وبالرغم من تواريخ ظهورها في السودان ما زالت بحاجة إلى المزيد من الدراسات إلا أن أغلب الأدلة تشير إلى أنها كانت معاصرة لشبهائها في الصحراء الغربية حيث أرخت بعض السياقات التي تم

العثور فيها على هذه الحجارة إلى ٧.٥٠٠ قبل الحاضر في المنطقة جنوب لقية الأربعين و وادي هور إلى حوالي ٥.١١٥ قبل الحاضر أما في موقع مادي بالقرب من القاهرة حوالي ٥.١٧٠ قبل الحاضر و في الواحات الغربية المصرية في منطقة الفرايرة حوالي ٧.٠٧٥-٦.٨٨٥ قبل الحاضر و ٦.٤١٠ قبل الحاضر في منطقة فازان في جنوب ليبيا (Pachur 1991) ومنذ تلك الفترة استمرت عملية الصيد بوصفها واحدة من أهم دعائم الاقتصاد حيث دل على ذلك تنوع بقايا الحيوانات البرية في المخلفات المادية في المواقع الأثرية لدى كل من مجموعات العصر الحجري الحديث ٣٥٠٠-٢٥٠٠ ق م ومملكة كرمة ٢٥٠٠ ق م - ١٥٠٠ م وحضارة نبتة ٩٥٠ ق م - ٣٥٠ ق م ومروي ٣٥٠ ق م - ٣٥٠ م وما بعد مروي ٣٥٠ - ٥٠٠ م والفترة المسيحية ٥٠٠-١٥٠٠ م والفترة الإسلامية. وهو الأمر الذي يشير إلى تطور وسائل الصيد وتقنياته اعتماداً على نوع الحيوان نفسه وحجمه وشكله، ليس هذا وحسب، بل المعرفة التامة بسلوكه وأماكن تواجده ومواسم تكاثره هذا الكم الهائل من التجارب المتراكمة عبر الآلاف السنين.

ومع نمو الجوانب التقنية الأخرى في حضارات السودان القديم قادت إلى تطور استراتيجيات تقنيات الصيد القديمة أي من صيد بهدف قتل الحيوان نفسه والاستفادة منه في الطعام فقط أو أغراض أخرى لمجموعات محدودة من الناس إلى صيد لأغراض وبدوافع أخرى قد تكون دينية كصيد حيوانات مقدسة ذات دلالات دينية أو للأسباب اقتصادية للاستفادة من بعض منتوجات هذه الحيوانات علي نطاق أوسع وربما هذا لاحقاً أدى أو ساعد في عملية الاستئناس نفسها. ولكن ما زال الحديث مبكراً ومفتوحاً لربط قرائن الأدلة بين حجارة الصيد واستئناس الحيوان في السودان. وعليه يمكن القول أن فائض هذا الصيد للحيوانات بلا شك أدى إلى ظهور تجارة ربما إحدى الأسباب هي وجود السلطات المركزية المتمثلة في زعماء المجموعات أو تلك المراكز الاستعمارية العسكرية التجارية التي بناها حكام الممالك المصرية القديمة أو ربما ظهرت أولاً في صورة نوع من الغنائم والفدية وإظهار الولاء أو المقايضة في أفضل الأحوال. ولأهمية هذه المنتجات أصبحت إدارتها شأنًا للملك أو من ينوب عنه في هذه المنطقة كابن الملك في كوش وهو دليل علي أهمية هذه المنطقة ومواردها. أما بالنسبة للطرق التجارية التي تسلكها هذه التجارة فلا شك أنها ربما كانت تسير برا وبحرا في الأماكن الآمنة وتلك التي لا تتعذر فيها الملاحة باستخدام المراكب مع وجود نقاط مراكز تجارية - دفاعية في المنطقة المحصورة بين الشلال الأول والثاني (Adams 1977) أما برا فنجد مثالا للمراكز التجارية البرية لتبادل السلع بين مصر والمجموعة أ وسكان الصحراء الشرقية في موقع قرية خور داوود التي تقع بالقرب من وادي العلاقي وشملت السلع التي الكشف عنها في هذه الموقع علي الحيوانات بما فيها الماشية التي تعد من السلع المتبادلة (Nordstrom 1972) وكذلك هنالك طريق الواحات الغربية الذي يتصل مع سليمة وبالنيل إلى صاي أو بدرب الأربعين مع دارفور وكردفان.

ونجد كذلك هنالك العديد من الحملات الرسمية من أجل الحصول على الغنائم من الأراضي

السودانية وخاصة الحيوانات الحية ومنها حوليات الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة فيما يعرف بلوح باليرمو والذي ذكر فيه أن الحملة عادت وبحوزتها مائتي ألف رأس من الأبقار الكبيرة والصغيرة بالإضافة إلى الأسرى (Breasted 1906, 146). و عليه إن كان هذا العدد صحيحا دون مبالغة وتفخيم لإنجازات هذا الملك فأنا هنا أتفق فيما ذهب إليه تريقر (Trigger 1976, 47) إلى أن مصدر هذه الحيوانات لا يمكن أن يكون في النوبة السفلى أي المنطقة حول الشلال الأول والثاني ولا بد أن تكون هذه الحملة قد تعمقت مسافة إلى الداخل جنوبا من هذه المنطقة. وكذلك نجد حملات حرخوف التي عادت بالعديد من الحيوانات الحية والمنتجات الحيوانية مثل سن الفيل وجلود النمر وغيرها. ويلاحظ في رواية حرخوف أن نوعية السلع التي جلبها من السودان هي نفسها التي كانت تذهب إلى مصر حتى وقت قريب من تاريخ السودان خلال الفترة المسيحية وربما بالطرق نفسها وهي العاج وجلود حيوانات السافانا البرية والأبنوس هذا بالإضافة إلى الحيوانات الحية ليس هذا وحسب بل يمكن القول أن كل المواقع الفرعونية من الشلال الثالث وحتى الشلال الخامس كانت لها وظائف إدارية وتجارية لتسهيل عملية تبادل وتصدير هذه السلع وبالطبع هذه بالإضافة إلى وظيفتها الدينية والسياسية.

ونجد أن التجارة بلا شك كان لها دور كبير و مهم جدا لحضارة كرمة ونبته ومروي مثلا في مرحلة كرمة الوسطى والكلاسيكية كشفت الأعمال الأثرية فيها عن العديد من السلع التجارية المستوردة. وكذلك تم العثور على أعداد هائلة من الأختام التي تختتم بها البضائع (Bonnet, 1997, 99) وخلال فترة نبته ومروي كشفت الأعمال الأثرية عن العديد من المعثورات المستوردة في هذه المواقع التي ترجع لهاتين الفترتين. ويبدو أن الموقع الإستراتيجي لكل من كرمة ونبته ومروي قد مكن حكامها وإدارتها من السيطرة على طرق التجارة والعمق الداخلي لمصادرها، فاحتكرت بعض هذه البضائع خاصة المتعلقة بالحيوانات الحية ومنتجاتها مثل العاج وريش النعام وجلود الفهود والنمر والأخشاب كالأبنوس وقاموا بتصديرها إلى مصر وربما سوريا وفلسطين وروما وغيرها من المناطق.

إن حوليات الملوك المصريين وكتاباتهم خاصة من فترة تحوتمس وما بعده أي بعد انحسار الحملات العسكرية وكذلك التصاوير الجدارية للقبور الموظفين الذين عملوا في مجال الضرائب وكذلك النبلاء وعلية القوم تقف شاهداً على اهتمام الملوك المصريين بالسلع ومنتجات الأراضي الجنوبية، فنجد مثلا في قبر أحد النبلاء في طيبة تصويرا آخر لوفد من السودانيين وصل إلى مصر لتوصيل الضريبة يتكون هذا الوفد من أمراء وخدم ومجموعة أخرى من الزنوج ذوي البشرة السوداء وقد حملوا في أيديهم أنياب الفيل وسبائك الذهب وغيرها وفي معيتهم حيوانات حية كالأبقار، وهنالك حوليات أخرى لملوك توضح قائمة بالضرائب والسلع التي جاءت من أراضي السودان إلى مصر منها الحيوانات الحية مثل الزراف والفهود والأسود والنمر والأبقار وريش النعام وبيضه وجلود النمر والفهود (Trigger 1976, 111).

وعموما يحوى فن الأيقونوغرافيا في الممالك المصرية القديمة العديد من التصاوير للسودانيين وسكان الأراضي الجنوبية ذوي البشرة السوداء وبملاح تشريحية واضحة في اللون و الوجه والشعر بمواضيع ودلالات مختلفة ومتعددة (Edel 1973; Arnold and Schulte 1978; Fischer 1961; Borchardt 1911; Meurer 1996 Fischer 1961 Jaroš-Deckert 1984; Naville 1907; Bietak 1979 Schlogl 1978; Quibell 1898; Davies 1902; Decker and Herb 1994 Pemler 2014; Vandier 1950) يمكن أن تعطى العديد من المعلومات حول سكان السودان والأراضي الجنوبية ذوي البشرة السوداء والذين أبدعوا وصقلوا مهاراتهم وتكيفوا على مدى الآلاف من السنين مع عناصر بيئتهم فبرعوا في التعامل مع حيواناتها بدءاً بالصيد وتطوير تقنياته مروراً بترويض هذه الحيوانات وربما استئناسها والقدرة على تصديرها ومقايضتها مع منتجات بلدان أخرى. ويمكن القول بأن تصدير هذه الحيوانات البرية الحية ظل مستمرا لفترة طويلة وهنا يبرز سؤال ونقاش مستمر حول أصل بعض الحيوانات التي وثقت في كتابات الأساطير والرسومات على الفخار وجدران المعابد والقصور وغيرها لأولئك الملوك وحاشيتهم ورعاياهم في مصر وبعض البلدان في آسيا و أوروبا خلال الفترة اليونانية والرومانية "مثلا حلبات صراعات الحيوانات في الكولوسيوم" والمسيحية والإسلامية وهنا بلا شك تبرز إسهامات البيئة الأفريقية بمد أوروبا وبعض دول آسيا بهذه الحيوانات أو منتجاتها على مدى العصور.

ولعل من الملاحظ أن أغلب، الرسومات التي تظهر فيها حيوانات السافانا في الفن المصري تقرر دائما بالسودانيين أو سكان الأراضي الجنوبية ذوي البشرة السوداء بالإضافة إلى ظهورهم بوصفهم مصارعين ومحاربين وغيره ولعله هذا دليل واضح على مهارة هذه المجموعات وتفوقها في هذه الميادين وغيرها دون غيرهم وهنا تلح ضرورة ماسة لدراسي الآثار لكشف المزيد والمزيد من المعلومات واستنباطها من هذه الأيقونوغرافيا والرسومات والنقوش الجدارية والكتابات في المدافن والمعابد والفخار و ورق البردى... وغيرها لتبرز أهمية سكان الأراضي الجنوبية ذوو البشرة السوداء ودورهم ومهاراتهم خلال العصور.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- حامدين، حماد محمد والزكي، تسابيح إبراهيم. دراسة البقايا الحيوانية من مواقع العصر الحجري الحديث بمنطقة السبلوقة: حالة دراسة موقع الرتيج. آداب مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم العدد ٣٨، ص ١٠٥-١٢٢. (٢٠١٧م).
- حامدين، حماد محمد، إعادة تركيب البيئة القديمة بمنخفض القعب من خلال البقايا الحيوانية نماذج من الهولوسين المبكروالأوسط، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم. (٢٠١٥م أ)
- حامدين، حماد محمد، دراسات البيئة القديمة لمواقع عصور ما قبل التاريخ في السودان من خلال البقايا الحيوانية. ورقة مقدمة في المنتدى الدولي السادس عن تاريخ الكتابة والخطوط والنقوش في العالم عبر العصور. عصور ما قبل التاريخ في الوطن العربي وأفريقيا الدورة الثانية، مكتبة الإسكندرية 2-5 مارس 2015م، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية. (٢٠١٥م ب).

المراجع الأجنبية

- Abdeen, M., Hamdeen, H. M. and O. A. Salih. (2019). Tethering stones from the Eastern Bank of the Third Cataract Region. *Sudan and Nubia* 23: 52-57. London.
- Adams, W. Y. (1977). *Nubia: Corridor to Africa*. London.
- Arnold, D. and R. Schulte (eds). (1978). *Meisterwerke altägyptischer Keramik*. 5000 Jahre Kunst und Kunsthandwerk aus Ton und Fayence. Montabaur.
- Bashir, M. S. (2017). Archaeological Survey along the Berber-Suakin caravan route: Preliminary report. *Sudan and Nubia* 21:204-210.
- Bashir, M. (2023). Tethering stones in Kedurma, Nile Third Cataract In the Sudan. *Nyama Akuma* 90: 37-43.
- Bietak, M. (1979). 'Ceramics of the C-Group Culture', *Meroitica* 5, 107-127.
- Bonnet, C. (1997). Les foilles archeologique de kerma (Soudan). *Geneva*. p 96-112,
- Borchardt, L. (1911). *Catalogue Général des antiquités égyptiennes du musée du Caire*. Statuen und Statuetten von Königen und Privatleuten im Museum von Kairo. Nr. 1-1294. Berlin.
- Breasted, G. H. (1906). *Ancient Records of Egypt*. Vol Chicago and New York.
- Carroll, S. T. (1988). 'Wrestling in Ancient Nubia', *Journal of Sport History* 15, 121-137.
- Davies, N. De G. (1902). *The Rock Tombs of Deir el- Gebrawi I;II*. Archeological Survey of Egypt 11;12. London.
- Decker, W. And M. Herb. (1994). *Bildatlas zum Sport im Alten Ägypten*. *Corpus der bildlichen Quellen zu Leibesübungen, Spiel, Jagd, Tanz und verwandten*

Themen. Handbuch der Orientalistik Abteilung 1. Der Nahe und der Mittlere Osten 14. Leiden.

- Edel, E. (1973). 'Vorbericht über die Arbeiten in den Gräbern der Qubbet el Hawa bei Assuan 3. Folge', *Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde* 100, 1-6
- Fischer, H. G. (1961). 'The Nubian Mercenaries of Gebelein during the First Intermediate Period', *Kush* 9, 44-80.
- Gabriel, B. (1986). Die ostliche Libysche Wüste im Jungquartar. *Berlin Geor. Studien*, Bd. 19, p 129.
- Gabriel, B. (2012). Tethering Stones and Stone Sites (Steinplatze) at the Fourth Nile Cataract. In Wotzka, H (edit) *Proceeding of the Third international conference on the Archaeology of the Fourth Cataract, University of Cologne* 13-14 July, 2016. Heinrich Barth Institut. pp:83-90.
- Gallinaro, M. & Di Lernia, S. (2018). Trapping or tethering stones (TS): A multifunctional device in the Pastoral Neolithic of the Sahara. *PLOS ONE* 13 (1): e0191765. <https://doi.org/10.1371/journal.pone.0191765>.
- Hamdeen, H. M. Šůvová, Z. (2023). Subsistence strategies of prehistoric societies in the central Sudan: Animal remains from the site SP 07 and SBW.K-60 located on the opposite banks of Nile at Jebel Sabaloka. In (ed.) Kabaciński, J. Winiarska-Kabacińska, M. and Chłodnicki, M. *Society and Subsistence in the Prehistory of Northeastern Africa: Papers in honor of Romuald Schild Studies in African Archaeology* Vol. 17. Pp 147-162.
- Hamdeen, H. M. and Abdallah, E. (2021). Tethering/ Trapping Stones from the area around Shaqadud Cave in the Butana Sahel (Sudan). Archaeological heritage platform *Journal Majalat Minbar Al- Turath Al Athari*. No 29. Algeria No 29. Pp 347- 365.
- Hamdeen, H. M. (2018). Archaeological Survey for tethering stones in the western third cataract desert (Sudan). *Nyame Akuma* 90: 36-45.
- Hamdeen, H. M and P. L. Polkowski. (2018). Rock art in Wadi Gorgod in the Western Third Cataract Region. *Der Antike Sudan, MittSAG* 29: 17-38.
- Hamdeen, H.M. (2017). *Palaeoenvironment and Cultural Adaptations During Late Prehistoric Periods in Sudanese Desert West Nile: Between El Mahas Region and El Golied Plain*. PhD thesis. Department of Archaeology, University of Khartoum.
- Jaroš-Deckert, B. (1984). Grabung im Asasif 1963-1970 V: Das Grab des Jnj-jti-f. Die Wandmalereien der XI. Dynastie. *Archäologische Veröffentlichungen* 12. Mainz.
- Ricke, H., Hughes, G. R. and F. E. Wente. (1967). *The University of Chicago Oriental Institute Nubian Expedition. Vol. 1. The Beit el- Wali temple of Rameses II*. Chicago.
- Jelinek, J. (1985). *Tilizahren, the Key site of Fezzanese Rock Art*. Anthropologie. Anthropos Institute (Brno), Moravian Museum, XXIII/2: 25-192 and XXXIII/3:223-288.
- Lohwasser, A. (2013). Tracks in the Bayuda desert. The Project' Wadi Abu Dom Itinerary' (W.A.D.I) Originalveröffentlichung in: Frank Förster und Heiko Riemer

- (Hg.), *Desert Road Archaeology in Ancient Egypt and Beyond (Africa Parehistorica 27)*, Köln 2013, S. 425-435.
- Naville, E. (1907). *The XIth Dynasty Temple at Deir el-Bahari. Egypt Excavation Fund Excavation 28; 30; 32*. London.
 - Meurer, G. (1996). *ubier in Ägypten bis zum Beginn des _euen Reiches. Zur Bedeutung der Stele Berlin 14 753*. Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Instituts Kairo, Ägyptologische Reihe 13. Berlin.
 - Newbold, D. & Shaw, W.B. K. (1928). *An Expedition in the South Libyan Desert. Sudan Notes Records (Khartoum)*, 11: 103-194.
 - Nordstrom, H.A. (1972). *Neolithic and A group sites*. SJE. 3.1. Upsala.
 - Pachur, H. (1982). Das Abflubsystem des Djebel Dalmar eine Singularitat? *Wurzburger Geogr.Arb.*, 56: 93-110.
 - Pachur, H. (1991). Tethering stones as palaeoenvironmental indicators. *Sahara* No 4, pp 13- 33.
 - Pemler, D. (2014). Looking for Nubians in Egypt taking a look at the Iconographic evidence from the 1st intermediate period and Middle Kingdom. In J. R. Anderson and D. A. Welsby (Ed.) *The Fourth Cataract and Beyond: Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies*. British Museum Publication on the Egypt and Sudan 1, p 442-449.
 - Peroschi, M.E. Cambieri, F. De Santis, M.L. (2014). *Jebel Uweinat: more than Rock Art*. Paper present in paper presented in 13th international conference for Nubian studies'-6. Sep 2014, Neuchâtel. Switzerland.
 - Quibell, J. E. (1898). *Hierakonpolis I*. London.
 - Schlögl, H. A. (ed.) 1978. Geschenk des _ils. Aegyptische Kunstwerke aus Schweizer Besitz. Basel.
 - Shaw, G.J. (2017). *War and Trade with the Pharaohs: An Archaeological Study of Ancient Egypt's Foreign Relations*. Pen & Sword Books Archaeology. England.
 - Tahir, Y.F. (2014). *Palaeolithic and Mesolithic site in El Ga'ab Depression*. Paper presented in 13th international conference for Nubian studies.1-6. Sep 2014, Neuchâtel. Switzerland.
 - Trigger, B. (1976). *Nubian under Pharaohs*. London.
 - Usai, D & Salvatori, S. (2002). The Is.I.A.O. el- Salha Archaeological Project. *Sudan and Nubia* No 6: 67-72.
 - Ziegert, H. (1978). Die altsteinzeitlichen Kulturen in der Sahara. In: Sahara, 10.000 Jahre zwischen Weide und Wüste. Handbuch zu einer Ausstellung des Rautenstrauch. Koln: *Joest Museums für Volkerkunde*, p.35-47.
 - Vandier, J. (1950). *Mo'alla: la tombe d'Ankhtifi et la tombe de Sébekhotep*. BdÉ 18. Cairo.

العمارة الطينية: أساليب الحفاظ وإعادة التوظيف

إقليم المحس شمال السودان نموذجاً

د. ياسر علي محمد تاي الله

أستاذ مساعد، قسم الدراسات السودانية، جامعة ابن سينا

د. رباب عبد الرحمن الوسيلة

أستاذ مساعد، قسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة والفنادق، جامعة الزعيم الأزهري

المستخلص

تعد العمارة الطينية في إقليم المحس إرثاً تاريخياً له عمق حضاري وأهمية كبيرة على النواحي الإقتصادية والاجتماعية والبيئية، فهو الشاهد المستدام بشكل عام، حيث تعد العمارة الطينية إحدى البيئات الصحراوية التي بدأت في التلاشي تدريجياً، نتيجة للظروف المناخية من جهة والإهمال وعدم الاهتمام بها من جهة أخرى، وتمثل العمارة الطينية أبرز الموروثات الثقافية والتاريخية في إقليم المحس وخوفاً على هذا الإرث من الاندثار، صار الحفاظ عليه أمراً ضرورياً وملحاً وإعداد مقترحات للحد من عمليات الأخطار المهددة وكيفية تأهيلها وتوظيفها وترويجها سياحياً والمحافظة عليها.

الكلمات المفتاحية: إقليم المحس، العمارة الطينية، التراث المعماري، إعادة التوظيف، السياحة المستدامة

Abstract

The mud Architecture in the Mahas region is considered as ahistorical legacy that has a cultural depth and great importance on the economic, social and environmental aspects, as its sustainable material witness in general. as the mud architecture is one of the desert environments gradually began to fade away. As result of conditions and climatic factor on the one hand. Neglect and lack of interest in it on the other hand. The clay architecture represents the most prominent cultural and historical legacies in the Mahas region. Fearing this legacy of extinction, preserving it has become a necessary and urgent matter, preparing proposals to threatening hazards how to qualify and employ them, promote tourism and preserve them for their sustainability. .

Keywords: Mahas region, Adobe Architecture, architectural legacies, re-functioning, sustainable tourist

مقدمة:

تتناول هذه الورقة واحداً من عناصر السياحة الثقافية وهي العمارة الطينية وهي كذلك جزء من التراث المعماري الذي خلفه الإنسان نتاج تراكم حضاري وأصبح ذلك التراث سمة مميزة لتلك المنطقة، إذ تتناول بالتفصيل علاقة العمارة بالسياحة، والأخطار والمهددات التي تشكل خطراً على ذلك التراث المعماري مما يجعله عرضة للتلاشي، كما تتناول البيت الطيني وتفصيله في منطقة المحس، وتتعرض الورقة إلى مكونات العمارة الطينية في المنطقة مثل المسيد والديفي وعناصر معمارية أخرى مرتبطة بتخزين الحبوب والتمور أو ما يعرف بالقسيبة. كما تتناول الورقة موضوع سياسات وأساليب الحفاظ والحماية لتلك المكونات المعمارية، وكيفية إعادة توطينها، وأهمية إعادة التوظيف وأهدافه وفوائده الاجتماعية والاقتصادية والبيئية على المنطقة وإنسانها.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يقوم على المشاهدة الواقعية لأشكال العمارة الطينية وأنواعها ووصفها وجردتها وحصرها في بعض القرى والجزر في المنطقة، كما اعتمدت على جمع الروايات الشفاهية بوصفها مصدراً ثانوياً للمعرفة من بعض الشخصيات الملمة بتراث المنطقة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تفعيل دور الحفاظ والحماية وتأهيل بعض الأبنية المتضررة معمارياً وإنشاء وظائف جديدة ملائمة للتكوين المعماري حسب الظروف البيئية المحيطة. وذلك بعد جرد كل أنواع العمارة الطينية في المنطقة.

أهمية الدراسة:

إن عملية الحفاظ على المبنى الطيني وتأهيله لإعادة توظيفه تعد عملية ليست بالأمر السهل، ومقترح إعادة إحيائها لتبقى تمثل معالم حضارية مميزة وتوسيع أفق البحث فيها وبيان قيمتها المعنوية والمادية بكل عناصرها للاستفادة من فضائها بأسلوب معاصر.

فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة أن إقليم المحس يمتلك موارد سياحية مميزة يمثل المعمار الطيني أحد هذه الموارد، والتي بقليل من الاهتمام يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في تعزيز الجانب السياحي والنشاط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وتحقيق فائدة قصوى للمجتمع المحلي.

مفهوم التراث العمراني:

يمثل التراث العمراني هوية الشعوب والأمم، وهو التاريخ المادي والمعنوي والمرآة الحقيقية لأي حضارة، وتمثل معالم هذا العمران شاهداً حياً على أصالة العمران وعراقته وارتباطه بالبيئة المحلية والعادات والتقاليد المتوارثة، فهو يشكل عنصراً مهماً من عناصر الهوية الثقافية والمعمارية (الزهراني، 2012م، 25).

ويمكن تعريف التراث العمراني بأنه كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى ومبانٍ ومزارات وكنائس وأحياء وأسواق وغيرها، ويشمل كذلك العمارة التقليدية والطينية بكل أشكالها وعناصرها، كما يشمل الآثار، وهو يشمل جميع الممتلكات المنقولة والثابتة ذات الأهمية الكبرى في تراث الشعوب الثقافي، كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية بمختلف أنواعها، وكذلك التحف الفنية ومخازن المخطوطات وحتى المخابئ (بوجباري، 2007م، 19).

والمباني التراثية هي التي تشكل في مجموعها التراث المعماري لمنطقة ما وتحمل قيماً تاريخية اكتسبها إما من خلال تميزها الجمالي والمعماري، أو عمرها الطويل، أو قيمة تاريخية لارتباطها بأحداث معينة حدثت في المنطقة تلك الأحداث قد تكون اجتماعية، دينية، سياسية، اقتصادية (عبادي، 2022م، 371).

مهددات التراث العمراني:

يتعرض التراث العمراني إلى مهددات كبيرة مما يؤدي إلى خسائر كثيرة من القيم وأهمها الهوية، فالتخلي عن التراث يعني التخلي عن الماضي والجذور وقطع الأصالة (ديفيد، 1989م، 77) ومن تلك المهددات:

- 1/ المهددات الطبيعية: وتتمثل في الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والسيول والزلازل والبراكين، كذلك عناصر المناخ المختلفة من حرارة ورطوبة ورياح لها تأثير كبير على التراث العمراني، وهنالك تأثير سلبي لتلك العناصر على مكونات التراث العمراني وتركيبته، مما يؤدي إلى انهيار التراث وزواله.
- 2/ المهددات البشرية: تتمثل في غياب الوعي بقيمة التراث وأهميته، كذلك التطور التكنولوجي والصناعي الذي يهدد البيئة ويكون سبباً في تدمير التراث العمراني.

تعريف العمارة:

هي فن البناء حسب تعريف القاموس وتعد فناً، أما العلوم الهندسية والتقنية فهي وسائل تنفيذ

العمارة، وهي التي تأوي الإنسان ونشاطاته في المجالات الروحية والمادية على كافة المستويات الفردية والجماعية من وقت أن يولد إلى أن يموت وهي تشمل جميع المباني الدينية والدينيوية، الحضرية والريفية، السكنية والثقافية.. إلخ. وهي من أرقى أنواع الفنون وأهم أركان الثقافة المادية (محمود. 2002م. 59).

ويصنف ابن خلدون العمارة بقوله: "طبائع العمران البشري هو حسن الوجوه وأوثقها التي يقرأ على صفحاتها تاريخ الشعوب" (ابن خلدون. ب. ت. ط 2).

وتعني عند العرب نقيض الخراب، والكلمة مشتقة من العُمر والعَمُر، وهي اسم لمدة عمار الأبدان في الحياة، وقد تدل على فعل خطط البناء، وقد عُرِفَتْ بأنها تشكيل فراغي يجيب على متطلبات المنفعة، المتانة، الجمال والاقتصاد، وتُعرَف دائماً على أنها فن علمي لتصميم البناء مع الأخذ في الاعتبار الجوانب الجمالية والوظيفية بالإضافة لمعايير أخرى، ويعد المفهوم للعمارة أكثر شمولاً وأعم وصفاً لكونه مرتبط بنوعية من المباني المختلفة والمتنوعة والمحكومة بمحددات هندسية، فنية، اقتصادية، اجتماعية، نفسية وروحية بهدف الوصول إلى الامتلاك الأمثل للعمل المعماري (الدرديري. 2021م. 139).

وهي صورة محسوسة عن ثقافة الأمة وعن طريق فن العمارة يمكننا تحليل القيم الحضارية للمدن عبر التاريخ، إذ نجد أن التسلسل الفكري للعمارة يتفق مع التطور الفكري للإنسان حيث أن تاريخ الحضارة الإنسانية يعد سلسلة من المعارف البشرية المتراكمة (بيومي. 2001م. 9).

الطابع المعماري المتوافق مع البيئة:

من أهم الصفات التي يجب توفرها في المبنى الصديق للبيئة هي أن يتوافق الطابع المعماري له مع البيئة من الناحية التاريخية والاجتماعية، بل ومع العادات والتقاليد الاجتماعية مهما كانت الوظيفة التي يؤديها المبنى (إبراهيم، د. ت. 43). ذلك أن الطابع المعماري يعكس صورة الحضارة الإنسانية في كل زمان ومكان ويعكس شخصية المجتمع واتزان الفرد منه من الناحية الصحية والنفسية. وكلمة طابع تعني السجية التي فطر عليها الإنسان أي التلقائية بلا افتعال أو إملاء ولذلك فإن الطابع المعماري لا ينشأ فجأة ولا يأتي من فراغ، بل يأتي نتيجة مراحل تطور عادة مرّ بها فن العمارة ليرد على متطلبات البيئة والمجتمع الذي نشأ فيه الطابع (رملي. 2016م. 401).

العوامل التي تؤثر على الطابع المعماري:

يمكن إيجاز العوامل التي تؤثر على الطابع المعماري في مجموعتين رئيسيتين وهما:

1/ العوامل الطبيعية، والتي تحدد خواص المكان ويكون تأثيرها بطريقة مباشرة على مدى العصور المتعاقبة.

2/ العوامل الحضارية، التي هي نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية وتشمل العامل الديني، والاجتماعي والسياسي، والاقتصادي إلى جانب الأفكار الفلسفية والفنية

من سمات التوافق مع تقاليد المجتمع وعاداته فنجد أمثلة جيدة في منطقة الدراسة، حيث ظهرت المباني الطينية تحمل في طياتها رموزا ودلالات وقصصا ومأثورات وارتبط الطابع المعماري الطيني بحكايات وأساطير ومأثورات شعبية عبرت عن المكان والبيئة من خلال تصميم نابع من طبيعة هذا المكان والرموز المميزة له (محمود. مرجع سابق. 179)، وهي القوانين التشكيلية التي خلفتها البيئة، وظهرت آثارها في الفنون التي أنتجت خلال فترات متعاقبة، مما يعطيها طابعاً مميزاً وشخصية واضحة المعالم، تستطيع العين المجردة أن تكتشفها وهو الأسلوب الذي يعبر به المصمم عن واقعه وحياة مجتمعه اليومية، وتعرض القوانين التصميمية صيغاً خاصة لهذا الأسلوب هي بمثابة البصمات الشخصية لروح المكان، ويجب أن يتلاءم مع البيئة الحضرية ويجسد في نفس الوقت الطابع المميز للمكان.

تعريف العمارة الطينية:

تعد العمارة الطينية تراثاً معمارياً ثميناً تركه لنا الأسلاف على أنه نموذج إبداعي رائع وعريق، أدى وظيفة حضارية مستمرة عن طريق أفكاره المعمارية المتكاملة على امتداد الزمن، وعالجت العمارة الطينية جميع مشاكل البيئة وعمدت على استخدام الموارد المتاحة لتلبية الاحتياجات المحلية وتطويرها لخدمة المباني وهي نتاج آلاف السنين من الخبرات (متولي، ب. ت، ص، 32)، ويرى باحثون أن ثمة بعداً روحياً يربط الإنسان بمادة الطين والتي تعد المكون الرئيسي في خلق الإنسان، مما ساهم في المزيد من اعتماد هذه المادة مكوناً رئيسياً لعمارته، ولأن مادة الطين تحقق قدراً من التلاؤم والانسجام بين الإنسان ومحيطه الحيوي، فقد ساعد هذا الانسجام والتوافق على استمرار العمارة الطينية عبر مختلف العصور (نفس المرجع. 33).

المصطلح العلمي للطين:

الطين خليط من المواد الأرضية التي تتحد مع بعضها طبيعياً لتكون مادة الطين، إذ يتكون الطين من مادة الألومينا والسيلكا والماء، وقد قام كثير من الباحثين بتحليل هذه المادة ووجدوا أنها تتكون من 34% أليومنيا، و50% سيلكا، و6% جير، ومغنيزيوم و8% أكسيد الحديد و2% مواد عضوية، أما الطين النقي المسمى بالصلصال فتبلغ نسبة السيلكا فيه 46.5%، الألومينا 39.5% والماء 14%، ويبلغ قطر حبة الطين الناعم 0.002 ملم أما حبة الطين الخشن فيتراوح قطرها ما بين (0.02 ملم - 0.002 ملم)

(المرجع نفسه. 35).

مزايا البناء بالطين:

إن مادة الطين من أفضل المواد البيئية ولا تشكل أي تلوث أثناء التصنيع أو التنفيذ أو التعديل أو في حالة هدم المبنى وإعادة بنائه أو حتى في حالة هجره إضافة إلى أن الطين يخزن الحرارة والبرودة والرطوبة ويؤثر ذلك في تحسين المناخ، ويمكن بإضافة بعض المواد الرابطة وينسب مدروسة الوصول إلى خواص المتانة والعزل اللازمتين في البناء، وقد لوحظ أن البناء السميكة من الطين يحقق أكبر قدر من التأخير الزمني في الناقلية الحرارية، وأن جدران بسمك 40 سم يؤخر الحرارة لمدة 15 ساعة، وبالمقابل فإن جدران البلوك الأسمنتي بسمك 20 سم لا يؤخر الحرارة سوى 5 ساعات (المرجع نفسه. 39).

ألوان الطين:

يتغير لون الطين وصفاته باختلاف نسب كميات المواد المكونة له، فمثلاً وجود أكسيد الحديد يجعل من الطين أحمر اللون، أما زيادة المغنيزيوم يصبح لون الطين أصفرأ بينما تزيد السيليكا من مرونته، ونجد الكربون العضوي بكثرة في الطين الخشن وتزيد نسبة النيتروجين في الطين الناعم.

مهددات الأبنية الطينية:

المهددات الطبيعية

1/ الرطوبة: للرطوبة دور كبير في إتلاف المباني الطينية، وتعدد مصادر الرطوبة سواء من الأمطار أو المياه تحت الجدران، أو الرطوبة الجوية. ويمكن علاج الرطوبة باتباع العديد من الأساليب مثل التهوية الطبيعية أو الصناعية عن طريق الأبواب والنوافذ أو تركيب مراوح في اتجاهين من المبنى في جهة الجنوب مثلاً وفي جهة الشمال، واحدة لإدخال الهواء والأخرى لشفط الهواء إلى الخارج لتقليل درجة الرطوبة. (فزاري. 1984 م. 22)

2/ الأمطار: تعد الأمطار أشد عدوانية على المباني الطينية إذ تعمل على تحلل مكونات الطوب وانتفاخه وتمددده بسبب امتصاصه للماء ثم انكماشه مما يؤدي إلى تفتته وتحلل مكوناته، لذلك يؤدي تراكم مياه الأمطار أسفل أساسات المباني إلى تغيير حالة الطين من الصلابة إلى اللزوجة وبذلك تصدع المبنى وانهياره.

ويمكن تفادي تجمع مياه الأمطار والسيول حول المباني الطينية بعمل مصارف تنقل المياه بعيداً عن

المباني. (الخفاجي. 2011م. 13)

3/ الحرارة: تؤثر درجات الحرارة المرتفعة على جدران المباني الطينية نتيجة لتعرضها لأشعة الشمس المباشرة مما يؤدي لزيادة حجم البلورات المعدنية التي تكون منها الطوب اللبن ونتيجة لارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها يحدث انكماش في أبعاد هذه البلورات بدرجات مختلفة مما ينتج عنه شروخ وتشققات في أجزاء المبنى.

ويمكن معالجة الحرارة التي تؤثر على المباني الطينية بالتسقيف ووسائل الحماية مؤقتة مصنوعة من نفس المواد الأصلية. (الجوادي وآخرون. 2016م. 27)

4/ الرياح والعواصف: تعد الرياح من أكثر عوامل التعرية التي تتعرض لها المباني الطينية وهي سبب رئيسي لعوامل الهدم ونحر المباني خاصة في المناخ الصحراوي الذي تتميز به منطقة الدراسة، إلا أنه يمكن معالجتها بإنشاء مصدات الرياح والرمال المتحركة وتشجير الأرض المحيطة بالمبنى الطيني تفادياً لزحف الرمال. (الدراجي. 2015م. 53)

ثانياً المهددات البيولوجية: (الخفاجي. مرجع سابق. 67)

ويقصد بها عوامل التلف المرتبطة بالنبات والحيوان والكائنات الحية الدقيقة، إذ إن عوامل التلف البيولوجية على البناء الطيني والمتمثلة في نمو بذور النباتات في الشقوق والفواصل وتسبب في تصدعها، وتعد الوطاويط أيضاً من الكائنات الحية التي تسبب في تشوه المباني لكونها تتخذ من هذه المباني مهاجع لها مما يؤدي إلى تشويه الجدران ببقع بنية داكنة يصعب إزالتها مما يؤثر على الشكل الجمالي للمبنى، سواء أن كانت زخارف أو رسومات أو طلاء، وكذلك الجرذان وهي تتخذ من المباني مستوطناً لها، وتصيبه بأضرار يصعب التغلب عليها، إذ تحفر مخابئ لها في أساسات المباني مما يؤدي إلى اختلال في توازن المبنى وتصدعه. كذلك هجوم حشرات النمل الأبيض (الأرضة)، لأنها تتغذى على المادة السيلولوزية الموجودة في المواد العضوية بالطوب اللبن والمونة، مما يؤدي إلى تجويتها وفقدانها القدرة على تحمل الضغوط والأحمال الواقعة عليها مما يؤدي إلى سقوط العديد من الجدران.

ويمكن معالجة أضرار الحشرات والكائنات الحية الأخرى بمتابعة المبنى بصورة راتبة وسد التصدعات التي تصيب الجدران والأساسات بطبقة من المونة، والرش بالمبيدات بالنسبة للنمل الأبيض، وإجراءات الوقاية الكيميائية بعمل حواجز كيميائية لمنع دخول النمل والآفات الأخرى.

ثالثاً: المهددات البشرية:

تتمثل في الإتلاف المتعمد وغير المتعمد للمباني، ومن أخطر المهددات والمخاطر البشرية:

1/ الحروب والحرائق

2/ هجرة السكان

3/ سوء الاستخدام

ويمكن مجابهة هذه المهددات بوضع القوانين الصارمة والجدية في تطبيقها على كل من يقوم بالاعتداء على المباني الطينية ذات القيمة التاريخية والفنية والجمالية، وسن التشريعات المحلية والإقليمية والدولية (يس وآخرون. 2004م. 15).

أساليب الحفاظ على المباني الطينية والتاريخية:

إن البناء المعماري القديم والعمارة الطينية جزء لا يتجزأ منه يمثل الطابع الأساسي للحضارة الإنسانية التي استمرت عبر التاريخ لتعبر عن الذات والهوية لذلك كان لابد من الحفاظ على هذا النمط حفاظاً على هوية البلدان، وأهم تلك الأساسيات:

1/ الحفاظ: ويعني الإبقاء على القيم القديمة في البيئة التراثية العمرانية والتي يساهم بقاؤها في

الحفاظ على قيم اجتماعية وتاريخية ذات أهمية للمنطقة والمجتمع كما أنه علم الحفاظ على مواد البناء، والتصميم المعماري، والجو التراثي الموجود في المباني، من خلال وضع مقادير دقيقة ومدروسة وحذرة لمقدار التعديلات التي ستمارس على تلك المباني (الحنيش. 2017م. 3)، كما أن الحفاظ على التراث المعماري هو العمل الذي يتخذ لصيانة المباني ومنع تلف أو تلاشي جزء أو كل عناصر المبنى ذات القيمة (الزهراني. مرجع سابق. 38)، ويشمل كافة الأساليب التي تتيح للمبنى إطالة أمد الحياة. على أن هنالك موثيق ومعاهدات دولية صادرة عن مركز التراث الدولي للحفاظ على الممتلكات الثقافية والتي تنص على منهجيات الحفاظ وسياساته عملياته. من بينها ميثاق أثينا 1931م الذي يختص بالتراث والحفاظ على المباني ذات القيمة التاريخية والثقافية والحضارية، وقد صدر بعد الدمار الذي لحق بالمباني ذات القيمة التاريخية والحضارية والفنية نتيجة للحرب العالمية الأولى، ثم ميثاق فينا 1964م وميثاق واشنطن 1987م (المرجع نفسه. 42)

2/ الترميم: يعني إعادة المبنى إلى حالته الأصلية عن طريق إعادة بناء أو إصلاحه

3/ الصيانة: هي العامل الرئيسي في إطالة عمر المبنى وإكسابه المظهر الحسن حيث نحد من خلالها أي تلف يحتمل وقوعه في المبنى باستخدام الوسائل والأساليب المناسبة في ذلك (المالكي. 2004م. 4)

4/ **التجديد:** هو إضافة أشياء حديثة للمبنى مثل، الكهرباء، المياه، التدفئة، . . . إلخ وقد تؤدي هذه العمليات إلى وقوع أضرار بالمبنى لذلك يجب على المهندسين المتخصصين في الترميم أن يكونوا على حذر عند معالجة مثل هذه الحالات (الموسوي. 2009م. 11).

أما الوسائل الحديثة للحفاظ على المباني ذات القيمة التاريخية والحضارية فتتمثل في الآتي:

1/ **الارتقاء:** ويهدف إلى الحفاظ على الكتلة العمرانية واختيار بعض الأنشطة الاقتصادية لها والتي تناسب مع النطاق بقيمته الحضارية والجمالية والفنية (المحاري. 2017م. 5).

2/ **التأهيل:** إعادة التأهيل لمعالجة البناء المتضرر أو إضافة تفسيرات جوهريّة في المكونات الأصلية للمباني بهدف الحفاظ على المورد التراثي والاستفادة الأمثل منه، كما يمثل التأهيل في إعادة البناء المعماري بصورته الحالية لتوظيفه بوظيفته الأصلية أو أي وظيفة جديدة مناسبة (المالكي. 2004م. 44) وذلك من خلال الإصلاح والتطوير مع الحفاظ على العناصر التي تحمل القيمة التاريخية والمعمارية والثقافية مما يضمن له الاستمرارية (آدم. ب. ت. 24). ومن الفوائد الإضافية لإعادة البناء والتأهيل، فوائد اجتماعية حيث يحافظ الناس على هويتهم وعلى أواصرهم الاجتماعية والثقافية وأهمها الفن والعمارة.

3/ **الاستدامة:** يعد الهدف الرئيسي للاستدامة المباني الطينية ذات القيمة الفنية والتاريخية هو حفاظ عليه لتحقيق أقصى فائدة مادية ومعنوية وثقافية واجتماعية مع الحفاظ عليها للأجيال القادمة (نافع. 2021م. 33)

العمارة والسياحة المستدامة:

تعد العمارة بشكل عام من أهم متطلبات التنمية السياحية المستدامة باعتبار أن الجانب المعماري له صلة وطيدة بالمجال السياحي والحضري والمقاصد السياحية إذ يمكن للعمارة أن تقدم منتجات سياحية متميزة تخدم السائح والبيئة على الحد السواء أمام ما يعرفه المحيط البيئي من تدهور وفوضى عمرانية بسبب عدم احترام التشريعات والقوانين المنظمة لأعمال البناء والتنظيم العمراني، وكذلك غياب الثقافة البيئية (الدرديري. مرجع سابق. 33).

وقد أدرك خبراء كثيرون أن العمارة يمكن أن تؤدي دوراً كبيراً في عملية الحفاظ على البيئة، وإذا سلمنا بأن فن العمارة وتوازن البيئة والمحيط هو السجل المرئي والحي لصورة الحضارة والتقدم بأبعادها المختلفة، وأن العمارة البيئية هي المتماشية مع احتياجات الإنسان متطلباته التي تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل بالإضافة إلي تماشها مع البيئة المحيطة (المرجع نفسه. 35).

كما أن العمارة المستديمة هي التي تلي الحاجة الوظيفية والجمالية والرمزية للإنسان على أن السياحة المستديمة في علاقتها مع العمارة تقتضي ضرورة التفاعل مع هذه الحاجات الثلاث ولابد من إدراك الهندسة المعمارية بمختلف أبعادها في الفعل السياحي خاصة وأن العمارة لها تأثير كبير في نفوس الناس، أذواقهم وطباعهم. وترتبط العمارة بالسياحة من خلال اشتراكهما بالمكان بوصفهما حاويا للمحفزات السياحية، فالسائح هو متلقي ومستخدم للمكان والمعمار منتج، وبحث السائح عن الخصائص الجمالية والوظيفية للمكان ليتمتع بها ويتذوقها وبحث دائماً عن الكيفيات التي يحقق بها المتطلبات (محمود. 2019م. 178)، وترتبط السياحة ارتباطاً مباشراً بتاريخ المجتمع وحضارته وقيمه المكانية ولذلك فإنها تحتاج إلى فكر العمارة للحفاظ على تلك الحضارة وإحياء القيم المكانية والتاريخية والجمالية وإظهارها لجعلها محسوسة وملموسة من قبل المتلقي (هدى. 2001م. 3).

وتعد العمارة الطينية التقليدية من أهم عناصر الجذب للسياحة العالمية والمحلية في عصر تعد فيه صناعة السياحة من أهم الصناعات العالمية التي تهتم بها كافة الدول لما تحققه من انتعاش اقتصادي مباشر أو غير مباشر على الأمة، فالسياحة تهتم بالتراث العمراني بشكل كبير من حيث المحافظة على ديمومته وإبرازه في الوقت الذي يقوم فيه التراث العمراني بإمداد السياحة بعناصر جذب مميزة وموارد اقتصادية مهمة للتنمية السياحية بشكل خاص وللإقتصاد الوطني بشكل عام. وتستوجب الأهمية التاريخية للتراث العمراني وضع خطة عمل تهدف إلى تحقيق تنمية سياحية مستدامة ومتكاملة بيئياً، وتحافظ على المناطق التراثية وتراعي الظروف الاجتماعية للسكان ومتطلبات المجتمعات وذلك بهدف المحافظة والاستفادة من هذا المورد المهم (نفس المرجع. 1).

العمارة الطينية في منطقة المحس:

شهدت المادة المستخدمة في العمارة التقليدية تغيرات أساسية يعود أولها إلى العهد المسيحي الذي يعرف بالتاريخ الوسيط (500-1500م) حينها كانت المساكن صغيرة الحجم ومبنية من أحجار الجرانيت وتتكون من عدة غرف، والملاحظ أن مداخلها صغيرة الحجم وقصيرة الطول، فلا بد أنها قد بنيت كذلك باعتبارها أحد الأساليب الدفاعية لمواجهة خطر الإنسان والحيوان معاً. وجدت قرب هذه المساكن بعض الأماكن من الواضح أنها كانت تستعمل للطبخ لوجود آثار بقايا النار بها. ما يميز هذه المساكن أنها بنيت بأسلوب خاص استخدم فيه الطين لتثبيت أحجار الجرانيت ببعضها البعض، الأمر الذي لم تتم ملاحظته في أبنية أخرى متزامنة معها إلى الجنوب من أرض النوبيين.

حتمت عوامل المناخ الصحراوي على الإنسان أن ينتهج في العمارة التقليدية في العصر الحالي نمطا معيناً ونظاماً هندسياً ونوعياً مواد بناء تتلاءم مع المناخ الحار جداً في المنطقة خاصة فصل الصيف. فقد

عرفت مواد البناء المتمثلة في الطين بعد أن يتم عجنه وتخميره لعدة أيام، ويتم البناء في شكل (سريقة) وقد بنيت جدران المنازل والغرف بارتفاع عالي نسبياً حتى يسمح بمرور أكبر سعة من تيار الهواء. ويكون السقف من سيقان أشجار الدوم والنخيل وجريد النخيل وبعض الأعشاب، ولا يوضع السقف على جدران الغرف بصورة مباشرة، إذ توضع قطع من الحجارة (حجر رملي أو جرانيت) ومن ثم يوضع عليها أجزاء السقف بحيث تكون هنالك مسافة بين الجدار والسقف تقدر بـ 30 سم تسمح بدخول الهواء والضوء، وحتى يكون السقف بمأمن من حشرة الأرضة التي تكثر في المنطقة.



لوحة رقم (1) بوابة بزخارف ورموز جمالية متميز



لوحة رقم (2) بوابة عليها زخارف متنوعة

شهد الانتقال إلى البناء بالطين العديد من التغيرات التي طرأت نتيجة لتأثر أهل المنطقة الواضح بالأحداث الداخلية والخارجية حولهم. فقد تزامنت البعض من هذه المساكن ذات الأشكال الهندسية غير المنتظمة مع المساكن التي عرفت (ببيوت القش أو الرواكيب). ثم نلاحظ أنه وفي منتصف القرن السابق، أصبحت خارطة المساكن في منطقة المحس تتخذ شكلا هندسيا أكثر انتظاما، يعتمد بشكل رئيسي على البناء في الاتجاهين الشمالي والغربي من المسكن. الاتجاه أو الحائط الشمالي من البيت يشتمل على ثلاث وحدات أو ثلاث غرف، يلتصق بها مباشرة الاتجاه أو الحائط الغربي، الذي يحتوي على وحدتين أو غرفتين، مع الاحتفاظ بصغر حجم ومساحة المساكن وعمقها. إضافة إلى أن الشكل العام للمباني ما زال يتسم بالخشونة والقسوة في أسلوب البناء. في تطور لاحق أضيفت وحدة صغيرة جديدة في أقصى الجزء الجنوبي الشرقي من المسكن هي (الأوضة كدود: *Uda kuddud*) التي كانت نتاجا لإحساس المجتمع بضرورة وجود الخصوصية في حياة الأسرة. ثم تحولت هذه الوحدة إلى الحائط الشمالي الشرقي من المسكن، أي في قبالة موقعها القديم مباشرة، لتحل محلها وحدة جديدة أدخلت حديثا على المجتمع نتيجة للاحتكاك المباشر بالمجتمعات الأخرى خارج السودان، وحتى ذلك الحين لم يخصص مكان بعينه للرجال سوى (البراميد)، أما الضيوف فقد كان مكانهم المسيد. عرفت تلك الوحدة في المجتمع بـ (الديوان *Daiwan* أو القصر *Kasur*) ولأهمية تلك الوحدة التي سبقت (الديوان) في الموقع بالنسبة للرجال فقد تم تحويل موقعها بعد ذلك إلى الجزء الشمالي الشرقي من البيت. وبذا أضيفت وحدة جديدة رابعة إلى الحائط الشمالي، بينما استحدثت وحدة جديدة على الحائط الجنوبي، إلى الركن الجنوبي الشرقي منه.

غالبا هذه البيوت لها بابان خارجيان يتجه إحدهما شرقا ويستعمله الرجال ويعرف (بباب السر)، كما يفتح الآخر جنوبا ويخص النساء. (انظر لوحة رقم 6) مقاسات هذه الأبواب الخارجية تقريبا ثابتة لا تتغير، 200×125 سم. حتى الستينيات كانت الأبواب الخارجية أعرض قليلا وكانت تعرف (بالكوبد: *kubid*) أو باب السنط وهو باب ضخم يصنع من خشب أشجار السنط (انظر لوحة رقم 1 و2) ويثبت الباب من جانب واحد على الحائط المخصص لفتحة الباب بينما يثبت على الحائط الآخر الجزء المخصص ليدخل فيه قفل الباب -الكالون- الذي يعرف (بالدقل: *Dugul*). أما مفتاح الباب نفسه فيسمى (بالكُشر: *Kusher*) (انظر لوحة رقم 3) منذ ثمانينيات القرن الماضي أصبح هذا الباب الخارجي يصنع من الحديد، لأبعاد خطر حشرة الأرضة، ولمواكبة الحداثة إذا كانت المنطقة خالية من تلك الحشرة. أما ذلك الباب الوسط الذي يفصل بين القسمين الشرقي والغربي فقد كان في سبعينيات القرن السابق عبارة عن مدخل أو فتحة بيضاوية الشكل، تعرف (بالقبوة: *Gabwa*) وقد تحول ذلك المدخل إلى باب من خشب الزان ثم أصبح يصنع من الحديد حديثا (انظر لوحة رقم 11).



لوحة رقم (3) شكل يوضح الكالون والمفتاح الخشبي للبوابة في منطقة المحس

وفي فترة لاحقة ظهرت في المنطقة العمارة الطينية من طابقين خاصة في الفترة التي ظهر فيها الوجود العثماني في المنطقة. (انظر لوحة رقم 4)، وعرفت في المنطقة العمارة الدينية من مساجد وكنائس واستخدم في بنائها الطوب اللبن أو الطوب اللبن والحجر (انظر لوحة رقم 5).



لوحة رقم (4) عمارة طينية من طابقين، جزيرة آرتميري



لوحة رقم (5) مسجد قرية نوري

تفاصيل البيت التقليدي في منطقة المحس:

القسم الشرقي من المسكن يحتوي على وحدتين الأولى يلاحظها الداخل إلى هذا القسم من خلال الباب المخصص للرجال على اتجاه اليمين من الباب الشرقي.

وحدة الأوضة كدود:

الوحدة الأولى هي الغرفة التي تعرف (بالأوضة كدود) وهي من الوحدات القديمة في البيت النوبي، تم نقلها في مطلع خمسينيات القرن الماضي لتحل محلها وحدة (الديوان). الوظيفة الأساسية لهذه الغرفة هي كونها المكان الوحيد الذي يختلي فيه الرجل بزوجه داخل البيت، وقد ألحق بالجانب الشرقي منها في معظم البيوت حجرة صغيرة تستخدم للاستحمام والاعتسال. نسبة لأن السمة المميزة لحياة النوبيين في الشلال الثالث هي سفر الرجال، فإن هذه الحجرة تتحول بمجرد سفر الزوج إلى مخزن خاص بالرجل، يحفظ داخلها كل متعلقاته الشخصية داخل صندوق خشبي كبير يغلق من الخارج بإحكام ويعرف لديهم (بالسحارة). (السحارة) هي أيضا من تأثيرات الثقافة المصرية التركية على المجتمع النوبي:

أصبحت وحدة (الأوضة كدود) بعد ذلك مخزنا لكل البروش والأغطية والمراتب وخلافه من الأدوات التي كانت تستعمل لفرش وحدة (الديوان) في فترة وجود الزوج. وحدة (الأوضة كدود) إذن هي تعميق لفكرة

التخزين في المجتمع ككل، وعند الرجل على وجه الخصوص، فهذه الوحدة تغلق تماما بعد سفر الزوج ولا تفتح ثانية إلا حين عودته إلى الوطن. يبدو أن فكرة التخزين هنا تحمل مضامين مادية ومعنوية في نفس الحين، المضمون المادي يظهر جليا في تخزين المتعلقات الشخصية بينما يتركز المعنوي في كون هذه الوحدة مستودعا لتخزين أسرار الحياة الزوجية داخل جدرانها.

ارتباط وحدة (الأوضة كدود) بالرجل جعل ذلك ينسحب على ممارسة بعض الطقوس و المعتقدات الاجتماعية.

لابد أن هنالك بعض الخصوصية التي ربطت ما بين الرجل النوبي وبين هذه الوحدة، فعلى الرغم من أنها ترمز إلى استمرارية الحياة حيث يمارس الرجل فيها خصوصية حياته، إلا أنها أيضا تشير إلى نهاية الحياة، فتمارس فيها كل طقوس ما قبل الدفن للرجل تحديدا. بعد ظهور وحدة (الديوان) انتقلت كافة المراسم الخاصة بما بعد الموت للرجل إلى هذه الوحدة، وهي عبارة عن غرفة صغيرة المساحة $3-2 \times 4-3$ متر، بها نافذة أو اثنتين تفتح في جهة الشمال، إضافة إلى باب يفتح على جهة الجنوب مساحته 80×180 سم. حتى سبعينيات القرن الماضي، ألحق حديثا بهذه الغرفة على الجانب الشرقي منها مكان صغير للاستحمام بمساحة أقل من الغرفة حوالي $2 \times 2 \frac{1}{2}$ متر، يفصله عن تلك الغرفة مدخل أو معبر لا يوجد به باب، تعرف هذه الوحدة أو الغرفة محليا (الأوضة كدود: *Udah Kuddud*). كلمة (كدود) في اللغة النوبية هي صفة بمعنى الصغير وهي تعني الغرفة الصغيرة.

الديوان:

هو الوحدة الثانية من القسم الشرقي تقع قبالة الوحدة الأولى من هذا القسم (الأوضة كدود) أي على الحائط الجنوبي الشرقي من المسكن، وهي حجرة واسعة المساحة $4 \times 7-8$ متر وهي تلك الحجرة التي كانت تعرف (بالقصر) عند دخولها إلى المنطقة أولا، فقد كانت مرتفعة عن بقية وحدات المسكن، حتى أن الداخل إليها يرتقي عددا من الدرجات للوصول. كانت حينها تشبه بالقصور الملكية المصرية، مما جعلنا نعتقد انها كانت تعرف بذلك الاسم تشبها لها بالقصور الملكية، التي عمل بها معظم النوبيين مما طبع آثارها في دواخلهم، ثم أصبحت تعرف بعد ذلك (بالديوان). خصصت هذه الوحدة ليقضي بها الرجل الوقت المخصص لوجوده بالبيت، كما أنه يستقبل بها ضيوفه. تستعمل وحدة (الأوضة كدود) على الجانب الآخر، على أنها مكان خاص يختلي فيه الرجل بزوجه إذا كان حاضرا، مع استعمالهما الخاص للحمام المجاور مكانا للاغتسال. كانت عملية الاغتسال في السابق تتم في الغرفة نفسها باستعمال (طشت: *Tasht*) من النحاس إلى جانب الصفائح التي يجلب بها الماء. تتحول هذه الغرفة عندما يسافر الزوج، وهذه سمة الحياة وسط أفراد المنطقة، إلى مخزن لمقتنيات الرجل الخاصة، إلى جانب المنقولات الموجودة بوحدة (الديوان)، فتغلق بعد ذلك كل من وحدتين،

ولا تفتحان إلا للضرورة (انظر لوحة رقم 12 و13).

وحدة القوسكونوق (القسم الخاص بالنساء)

الوحدة الثالثة تقع في القسم الغربي للبيت النوبي -قسم النساء- وتعرف (بالقوسكونوق) التي تعني الغرفة الوسطى أو الغرفة التي خصصت للنوم هذه الوحدة تشهد على الكثير من نشاطات الأسرة النوبية اليومية في منطقة المحس، فهي المكان الذي يستعمله كل أفراد الأسرة للنوم ليلاً خاصة في فصل الشتاء، كما أنه المكان الذي ينزل فيه ضيوف الأسرة المقيمين لفترة من الزمن.

وتكتسب هذه الوحدة أهمية كبرى تأتي لكونها مركزاً لممارسة معظم تفاصيل الحياة النوبية اليومية، فالكثير من العادات والتقاليد التي تميز الثقافة النوبية تمارس داخل وحدة (القوسكونوق). العادات الاجتماعية منها مثلاً أن تجهيز العروس بالحناء قبل الزواج يكون في هذه الوحدة، وهي نفس المكان الذي يجب أن تتم فيه ليلة الدخلة، فعند وصول الفتاة مرحلة البلوغ تبدأ والدتها بتجهيزها للزواج. لهذه الوحدة أيضاً العديد من الوظائف الطقوسية المهمة التي تربطها رباطاً وثيقاً بحياة وثقافة الفرد النوبي في المنطقة. من طقوس دورة الحياة التي كانت تمارس داخل (القوسكونوق) عملية الوضوء للمرأة. وقد تحولت لاحقاً هذه الممارسة ليكون موقعها (الأوضة كدود).

وحدة الشا أو الحوش

في تصميم خارطة البيت النوبي هي الفناء الذي يعرف في المنطقة (بالحوش) أو (الشا Sha):

هذه الوحدة بقسميها الشرقي والغربي تعدان امتداداً طبيعياً لتركيبية الحياة النوبية الثقافية. من أهم العناصر الثقافية الموجودة في هذه الوحدة نلاحظ وجود (القساسيب جمع قوسيبة) وسنتحدث عنها بتفصيل في موضع آخر.

وحدة الإيقشة:

وتعني المطبخ أو مكان النار. هذه الوحدة كمثيلاتها في العالم أوجدت لتمارس داخلها المرأة إرثها التقليدي في الطبخ. المرأة النوبية في منطقة المحس تحتفظ بذخيرة كبيرة من الأدوات المصنوعة محلياً على وجه الخصوص لتستعمل داخل (الإيقشة)، فمنها نسمع عن (الديو Diu) وهو بمثابة الصباح المصنوع من الحديد لعمل الخبز التقليدي السوداني المعروف (بالكسرة Kisra أو القراصنة Gurassa) التي تعد الخبز الشعبي النوبي. يتفق (الديو) شكلاً مع الصباح المعروف، ولكن تختلف المادة المكونة لكل منهما، فبينما يصنع الصباح

من الحديد، نجد أن (الديو) يتم تشكيله من الطين، ولكن بسمك مناسب بحيث يحمي الطعام من لهيب النار المباشر ولكنه يساعد على إنضاجه في نفس الوقت. توقد النار نفسها وسط ثلاث أشكال من الطين تعرف (بالأُبرتي) الذي يشابه في شكله المبخر الفخاري المعروف الذي يستعمل لإيقاد البخور. توضع هذه (الأُبرتي) في شكل مثلث بحيث توقد النار في الفراغ الموجود وسط تثليث هذه (الأُبرتي)، ويستعمل بعد ذلك (الديو) أو خلافه من أنية الطبخ. (انظر اللوحات رقم 19 و20)



لوحة رقم (6) مبنى طيني قرية كدرمة

القسم الشرقي للمبنى من الخارج ويظهر المدخل الشرق للرجال والجنوبي للنساء

بعض السمات المعمارية في البيت التقليدي الطيني:

الفتحات والنوافذ:

كانت تستعمل فتحات صغيرة حوالي 40×30 سم بدلا عن النوافذ وتعرف (بالطاقات Taqat مفردتها طاقة Taga) وهي عالية جدا وقريبة من السقف ويوجد نوع آخر من الطاقات تختلف عن سابقتها في موقعها فهي تشغل موقعا قريبا من الأرض على بعد حوالي 60 سم من سطح أرضية الغرفة وهي تستعمل للتهوية والإضاءة. وقد صممت هذه الفتحات والنوافذ في البناء الطيني في المنطقة استجابة لمؤثرات المناخ الصحراوي، فهي لا تعدو كونها فتحات صغيرة منتشرة على الجدران الخارجي للأبنية، وذلك لمواجهة الرياح وتخفيف ضغط الهواء على المباني، وتأخذ هذه الفتحات أشكالاً مربعة ومثلثة، وأخرى ذات شكل غير منتظم (انظر لوحة رقم 7 و8).



لوحة رقم (7): شكل تصميم المثلثات أعلى الجدران

الأقواس:

تميزت العديد من المباني بهذا الشكل من التصميم، وهو تصميم نصف دائري في كثير من المباني ووظيفتها الأساسية تتمثل في شد الأسقف وضغطها (انظر لوحة رقم 9 و10).

المثلثات:

تكون أعلى الجدران على شكل خط مستقيم أو دائرية وهي عبارة عن أشكال تكون فوق نهاية المبنى المستقيم رؤوسها إلى أعلى وقاعدتها على نهاية الجدران أو العكس يبعد الواحد عن الآخر مسافة بسيطة مشكلاً نظماً فنياً بديعاً.



لوحة رقم (8) نموذج للفتحات على شكل المثلثات



لوحة رقم (9)، تصميم الأقواس في العمارة الطينية، قصر العمدة عبدالله يعقوب، قرية جدي



لوحة رقم (10): منزل تقليدي، تصميم الأقواس قرية أبو صارة



لوحة رقم (11): الفاصل بين الجزء الغربي والشرقي، قرية كدرمة



لوحة رقم (12): درج يؤدي إلى غرفة الديوان



لوحة رقم (13) الغرفة كدود من الخارج

الدقي: استمر البناء بالحجر فقط أو باستعمال الحجر والطين معا حتى فترة العثمانيين، تلك الفترة التي شهدت فيها المنطقة بناء الحصون العثمانية التي تعرف محليا بالدفوف *Deffies* هذه الدفوف عبارة عن ممتلكات عسكرية عثمانية تحولت فيما بعد إلى مناطق دفاعية أهلية يسكنها زعيم المنطقة أو كبيرها ، فتتحول بدورها إلى حصن يحتمي داخله كل أهل المنطقة إذا ما تعرضوا لأي هجوم (انظر صور رقم 14 و15 و16). نعتقد أن هذه الدفيات بنيت قبل المهديّة وأنها قد أعيد بناؤها أو ترميمها أو السكن بداخلها

في بعض الأحيان، ولكن تم هجر الكثير منها بعد المهديّة لما عانتها المنطقة عموماً من أزمات، نتيجة لسياسة الخليفة عبد الله الخارجية، إضافة الأسباب البيئية من مجاعة وجفاف فيما يعرف بمجاعة سنة 1306هـ. المراقب لهذه الدفوف الآن يلاحظ أنها ظلت مهجورة لأكثر من قرن من الزمان، باستثناء القليل منها الذي يعد على أصابع اليد الواحدة.



لوحة رقم (14) دقي من الحجر والطين، قرية قرقود



لوحة رقم (15) دقي من الطين، قرية الترة



لوحة رقم (16) دفي من الطين قرية مشكيلة

القوسية:

والقوسية عبارة عن بناء أسطواناني الشكل يصنع من الطين اللبن المخلوط بروت الحيوانات بعد تخميره وتركه لمدة تتراوح ما بين 7-21 يوم، وهو عبارة عن مخزن لحفظ الغلال والتمور له قاعدة مع سطح الأرض، وفتحة جانبية لها قفل من الطين وتسمى هذه الفتحة بوسبوس وله غطاء دائري في أعلى وتتفاوت أحجام القوسية حسب الغرض الذي صنعت من أجله، فهناك قوسية تحفظ الحبوب لأغراض التجارة وتكون كبيرة الحجم ارتفاعها حوالي 3.75 م وقطرها حوالي 50 سم، وهناك قوسية ذات حجم متوسط يكون ارتفاعها في الغالب 1.5-2 م وقطرها حوالي 30-35 سم، وأخرى صغيرة الحجم ترتفع من الأرض حوالي 1.5 م وقطرها حوالي 20-25 سم، (Tahir. 2015. 85) (انظر لوحة رقم 17 و18).

"وتزين القساسيب ببعض الزخارف على سطحها مثل الصليب ونقوش في شكل حزام في الوسط، ويتم وبعض الثقوب الغائرة أو الخطوط السطحية. هذا يعود بنا كثيرا إلى الفترات التاريخية القديمة التي كان الإنسان السوداني يقوم فيها بتزيين جواره الطينية الأسلوب نفسه، مما يشير إلى استمرارية ملامح الثقافة النوبية السودانية. وكذلك رسم التمساح، وهذه عادات وتقاليد مستمدة من الفترة المسيحية، كما أن لكثير من العائلات رموزا وعلامات تميز قساسيبهم، حتى إن جرفها الفيضان يتم معرفة أصحابها بالرمز الذي على سطحها" (سمير بوكاب. 65 عام)

نلاحظ في هذا الخصوص وجود الأثر المسيحي المتمثل في استعمال رسم الصليب في الزينة، فرغم انعدام وجود الدين المسيحي على أنه المعتقد الرسمي أو الشعبي في المنطقة، إلا أننا نلاحظ أن آثاره مازالت لصيقة بحياة بعض المجتمعات ومتمثلة في تراثهم التقليدي. الداخل إلى البيت النوبي في منطقة المحس من

بابه الجنوبي، الذي يفتح على القسم الغربي من الحوش أو الشا كما ذكرنا في موضع سابق ووحدة الشاهي المكان المخصص لوضع القساسيب إذ يلاحظ اصطفا (القساسيب) على اختلاف أحجامها على الحائط الغربي من (برندة المزيرة) ويلاحظ أيضا إلى جانب (القساسيب).

وهنا تبرز أيضا القيم التراثية العملية المحلية، فمن الواضح أن المجتمع النوبي يستخدم مادة الطين كثيرا مادة للحفظ. لذلك نجده كثيرا في بناء البيت الذي يعد عنصره الأساسي، والبيت أساسا لحفظ الإنسان ماديا بالحفاظ عليه من الأخطار الطبيعية حوله، ومعنويا بالحفاظ على أسراره الحياتية وطقوسه التراثية. (القساسيب) أيضا تصنع من الطين، وهي أداة للحفظ. (الكامار) يصنع من الطين وهو أداة للحفظ. إلى جانب بعض الآنية التي تستعمل في وحدة (الإيقشة) أمثال بعض الأطباق وغيرها، وكلها تستعمل للحفظ.



لوحة رقم (17) توضح الزخارف في شكل حزام وسط القسيبة



لوحة رقم (18) توضح نماذج لقساسيب وتظهر الفتحة أسفل القسيبة



لوحة رقم (19) قاعدة من الطين يوضع عليها الموقد



لوحة رقم (20) أدوات من الطين يوضع عليها إناء الطبخ

المسيد:

الواضح أن للمسيد أهمية كبرى في حياة كل أفراد المجتمع النوبي في منطقة المحس فهو المقر الرئيسي لكل لرجال القرية وشبابها وصبيانها، فلا يوجد رجل في القرية يتناول طعامه داخل البيت إلا إذا كان مريضا أو معه ضيوف، فالمسيد هو مكان تجمع الرجال والصبيان لتناول كل الوجبات وخصوصا وجبة العشاء، فهي الوجبة الوحيدة التي يتناولها الرجال دون وجود ما يثقل كاهلهم من التزامات أو أعمال. علاوة على أن الرجال يحرصون كثيرا على أداء صلواتهم بالمسيد، باستثناء صلاة الجمعة التي يجب تأديتها بالجوامع الكبرى القريبة.

إلى جانب المكانة الدينية يقوم المسجد بتأدية وظيفة اجتماعية مهمة، فهو مكان إقامة كل مناسبات الأتراح والأفراح التي تشهدها القرية كالزواج والختان ودعوات الولائم في الموضوع والسماية وكرامة الحج وما شابه ذلك.

من ملاحظات كاتبة البحث، أن المسجد أيضا مكان لفك الخصومة والنزاعات كما أنه مكان لعقد معاهدات الصلح ومكاتبات البيع والشراء. طرأت حديثا على المسجد العديد من التغيرات من حيث الخارطة والمساحة والحجم، فتبدلت المساحة الصغيرة بأخرى كبيرة كثر فيها عدد الغرف الشمالية والجنوبية التي بدأت بغرفتين ثم أصبحت كثيرة العدد دون تحديد على حسب المساحة المتاحة وقد زادت أيضا مساحة الفناء الذي يوجد في منتصف المبنى بحيث تبنى تلك الغرف حوله، فصار أكثر سعة ليقابل الزيادة الواضحة في عددية أهالي المنطقة، وبالتالي تعدد المناسبات التي تقام داخله. لذلك يمكننا القول بكل وضوح أن المسجد في حياة أهالي المحس يعد مركزا دينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، وهو بمثابة البرلمان الشعبي الذي تناقش داخله كل القضايا التي تهم المجتمع على اختلافها وتنوعها، كما أنه يعد تراثا عقائديا قديما التصق بالمجتمع النوبي في المنطقة.

إعادة التوظيف للمباني الطينية:

تعد إعادة التوظيف والاستخدام للمباني التراثية والطينية جزءا منها من أهم الأساليب للحفاظ عليها، حيث يساعد إعادة استخدام المبنى التراثي على استدامة المبنى، ومنع دخوله دائرة التدهور ويجب أن تكون الوظيفة الجديدة للمبنى تلائم الاحتياجات الحالية وتضمن حماية المبنى ودمجه مع النسيج الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للمنطقة.

لتحقيق تلاؤم وظيفي للمباني التراثية مثل المعمار الطيني في منطقة المحس بكل مكوناته فإن ذلك ليس بالأمر السهل، إلا أن تحليل العناصر الوظيفية الأصلية والجديدة والقيام بالربط المنطقي بينهما منذ بداية الدراسة وقبل عملية التنفيذ، إضافة إلى دراسة الظروف البيئية، يتوجب التفكير في الوظيفة التي نستطيع تعريف أهالي المنطقة من التراث الاجتماعي المؤثر بدرجة كافية لتجنب العديد من المشاكل الوظيفية التي تظهر أغلبها بعد استخدام المباني لوظائفها الجديدة.

فوائد إعادة توظيف المباني الطينية:

1/ فوائد اجتماعية: إذ تحافظ الناس على هويتهم وعلى صلاتهم الاجتماعية

- 2/ فوائد ثقافية: يحافظ المجتمع على الفنون والعمارة والآثار وكل عناصر التراث المعماري بما في ذلك الفولكلور المرتبط به من عادات وتقاليده وطقوس.
- 3/ فوائد اقتصادية: إعادة استخدام المبنى القائم يوفر كلفة اقتصادية من الهدم وإعادة البناء وما يرافقها من تكاليف.
- 4/ فوائد بيئية: المباني القديمة أكثر ملاءمة للبيئة، فالمواد التقليدية التي كانت تستخدم في البناء مثل الطين، فهي مواد طبيعية لا تسبب الأذى للبيئة.

الأهداف الاجتماعية لتوظيف المباني:

- 1/ تنمية الوعي القومي للحفاظ على المباني التراثية والطينية باعتبارها تراثاً حضارياً يجب المحافظة عليه (زكريا. 2008. 73)
- 2/ تعزيز الانتماء القومي والاجتماعي من خلال التركيز على القيمة الرمزية وهي القيمة التي تعكس حضارة عصر. (عبد القادر. 2006. 81)
- 3/ الارتقاء بالذوق العام لأفراد المجتمع حيث إعداد مواطن ولا سيما الأطفال وسط بيئة تتمتع بمقومات الجمال.
- 4/ الحفاظ على شخصية المدينة التاريخية وتدعيم الشعور بالفخر الوطني ويكون ذلك من خلال إقامة الورش التدريبية لأفراد المجتمع بكل أطيافه وإنشاء المكتبات العامة والمكتبات المتخصصة بكتب ومدونات تراث المنطقة. كذلك تنظيم الورش الفنية والثقافية، وإنشاء متاحف التراث في المباني الطينية في المنطقة، إنتاج مواد سمعية وبصرية متعلقة بتراث وحضارة المنطقة وتاريخها الثقافي والسياسي والاجتماعي. على أن المتاحف يمكن أن تلعب دوراً عظيماً في ترقية الشعوب والتزود بالمعرفة والعلوم والثقافة حيث يعد المتحف المرجع الأساسي لاحتضان اللقاءات الثقافية والفنية.

وتتجلى الوظيفة الجديدة للمبنى الطيني في إقليم الدراسة بأن يتم توظيف المباني مثل الدفي بوصفها متاحف موسمية قائمة على المهرجانات السياحية، والاستفادة من بعض منازل الأسر من ذوي الطبقة ذات الثراء في المجتمع إذ ينعكس ذلك الثراء في تصميم المبنى وتصميم البوابات لتكون نزلاً للإيواء وأن تكون بيوتا للتراث وتعرض فيها كل أشكال التراث المادي وغير المادي مستصحباً ذلك الحرف اليدوية التقليدية مثل المصنوعات السعفية والجلدية وصناعات الفخار والجلود، بذلك نكون استفدنا من تلك المباني في تنمية السياحة في المنطقة وفقاً للأسس والتشريعات التي تحكم وتقيد أساليب الحفاظ على المباني التقليدية والتراثية.

خاتمة:

خلصت الورقة إلى أن الخصائص المميزة للعمارة الطينية في منطقة المحس تمثل مورداً يمكن استثماره ليعود بالفائدة على المجتمع المحلي، وأن المنطقة تتميز برصيد هائل من العمارة الطينية والتراث المعماري المتميز بجودته وأصالته، ويحمل قيماً جمالية وتاريخية وثقافية واجتماعية وله رمزية لدى مجتمع المنطقة، كما يتميز بخصائص معمارية متميزة.

وقد اكتسبت منطقة الدراسة أهميتها من دورها التاريخي والحضاري وموقعها الجغرافي، حيث يعد الموقع ذا أهمية في الجذب السياحي وله القدرة على جذب السياح.

كما خلصت الورقة إلى الحالة السيئة التي توجد عليها العمارة الطينية في المنطقة، والحاجة الملحة لترميمها وصيانتها بغرض الحفاظ والحماية.

وخلصت الورقة كذلك إلى أن إعادة التوظيف للمعمار الطيني من أهم الأساليب المنسجمة مع الأبعاد اقتصادية والاجتماعية بحيث يتوافق مع القيم التاريخية والتراثية والفنية للبناء المعماري الطيني.

وتوصي الورقة بضرورة الاهتمام بالعمارة الطينية في المنطقة وتطبيق سياسات الحفاظ وإعادة التوظيف للمباني التقليدية مثل المنازل القديمة ذات الخصائص الجمالية والدفيات التي تمثل بيوتا للتراث ومتاحف للتراث الشعبي، وإقامة المهرجانات السياحية الموسمية وعكس ثقافة المنطقة وتراثها المادي وغير المادي لتعود بالفائدة على إنسان المنطقة ومجتمعها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أسعد، خضير، صبا جبار نعمة، أثر المكان على السياحة، *Journal of Engineering*، المجلد 19، 175-194. (2013م).
- إبراهيم، محمد عبد العالي، س.غ.م، البيئة والعمارة، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط2. (د.ت).
- آدم، محمود عبد الحافظ محمد، الحفاظ على الإرث المعماري الطيني في الواحات المصرية. (د.ت).
- أيتس، ديفيد جون، فجر الحضارة، ترجمة مصطفى لطفي الخوري، بغداد، (1989م).
- بوجباري، عز الدين، المحافظة على التراث الوطني من وجهة نظر علم الآثار، الجزائر. (2009م).
- بيومي، علي محمود، القيمة المعمارية والفن التشكيلي، دار الراتب الجامعية، بيروت، (2002م).
- الجواد، مقداد وآخرون، أثر معالجة الترطيب للاقفاء الهواء في تحسين البيئة الحرارية الداخلية للمباني، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، عدد 1، (2016م).
- جيوفاني، فزاري، الرطوبة في المباني التاريخية، ترجمة ناصر عبد الواحد، المكتبة الوطنية، بغداد (1984م).
- الخفاجي، رشا مالك موسى، أساليب الحفاظ، أسباب ومصادر الضرر والفقدان في التراث المعماري، كلية الهندسة، جامعة نابل (2011م).
- الدراجي، سعد إبراهيم، جوانب من المعالجات البيئية والمناخية للعمائر الطينية في الواحات الليبية، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الأول. (2015م)
- الدرديري، مليكة، العمارة البيئية كمحرك للتنمية السياحية المستدامة، مفاهيم وأبعاد، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية بحوث ودراسات، مجلد 8 عدد 2، الجزائر. (2021م).
- رملي، حمزة، نسرين عروس، العمارة كأحد أهم الابتكارات التسويقية في مجال السياحة المستدامة، مجلة رؤى اقتصادية جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، (2016م).
- زكريا، أسامة، المعايير الفنية لإعادة توظيف المباني كمتاحف تبعاً لمفهوم القيمة، تطبيقاً باستخدام الحاسب الآلي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة. (ب.ت).
- الزهراني، عبد الناصر بن عبد الرحمن، إدارة التراث العمراني إصدار الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، (2011م).

- الطلي، جمعة، أهمية التراث العمراني في دعم السياحة الثقافية، مجلة الآداب العراق، (2019م).
- عبادي، محمد سعيد، دور إعادة توظيف المباني التراثية في تنمية المجتمع المحلي، مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية، مجلد 2، عدد 3، (يوليو 2022م).
- عبد الحميد، هدى عادل، وأسامة عبد المنعم التميمي. التنمية السياحية المستدامة في الأماكن التراثية، (د.ت).
- عبد القادر، منير، التعامل مع عناصر العمارة الداخلية في مشاريع إعادة توظيف المباني ذات القيمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، (د.ت).
- فرح، منتهى خالد، تأثير العوامل الطبيعية على المباني التراثية، مدينة سامراء القديمة نموذجاً، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية. (د.ت).
- المالكي، مقبولة فارس، التراث العمراني والمعماري في الوطن العربي (الحفظ، الصيانة، إعادة التأهيل) الوراق للنشر والتوزيع، عمان، (2004م).
- المحاري، سليمان أحمد. حفظ المباني التاريخية، مباني مدينة المحرق، المركز الدولي لصون التراث والممتلكات الثقافية، الإمارات (2017م).
- محمد، عصام متولي، البناء بالطين تراث معماري يحافظ على البيئة الطبيعية والحضارية (The Mud Construction is an Architectural Heritage that preserves the Natural and Civilized Environment). مؤتمر تنمية الابتكار والإبداع والصناعات التقليدية والتراثية والسياحية الاستراتيجية الوطنية والتنمية المستدامة تحت المحور (الصناعات التراثية في مجال العمارة والحفاظ على التراث المعماري). (مركز المؤتمرات- جامعة القاهرة - مركز الإبداع الفني من 18 الى 19 أبريل 2017). (2019م).
- محمود، بيومي علي محمود، القيمة المعمارية، والفن التشكيلي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (2002م).
- الموسوي، هاشم عبود، استخدام الوسائل الرقمية في التوثيق المعماري للمباني التاريخية، نحو إستراتيجية شاملة لتطوير وصيانة المدن التاريخية، ب.ت.
- نافع، م.د. حنان محمد، أساليب الحفاظ على الطابع المعماري الطيني لمدينة غات الليبية القديمة واستدامته سياحياً، دراسة معمارية أثرية، مجلة العمارة والفنون والعلوم، عدد خاص 3، (أكتوبر 2021م).

المراجع الأجنبية:

- Tahir, G. (2015). The Ancient Nubian Mud Built Grain Silo. *Nyama Akuma*, N83

الروايات الشفاهية:

- سمير بوكاب، 65 سنة، قرية سركميتو، موظف في وزارة الثقافة والإعلام الاتحادية

التركين - السمك المتخمّر: طعام، حدود ثقافية، وانتماء عند النوبيين: حالة دراسة أرض المحس بشمال السودان

فاطمة إدريس علي محمود

قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة شندي

ماسيح كورش

كرسي شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء، معهد الشرق الأوسط والشرق الأقصى، جامعة

جاجيلونيان في كراكوف

المستخلص

تتناول الدراسة العلاقة بين الطعام والهوية من خلال التركين، وهو طبق تقليدي يتألف من السمك المخمر الذي يعد عنصراً محورياً في الثقافة النوبية بمنطقة المحس في شمال السودان. تتناول الورقة أهمية التركين باعتباره رمزاً للانتماء والهوية بين النوبيين، وتدرس تاريخه في السياقات التقليدية وعبر العمليات الحديثة لتوثيقه على أنه جزء من التراث الثقافي. يركز الباحثان على مفهوم الحدود (liminality) في فهم تأثير هذا الطبق على تشكيل الهوية المحلية، بالإضافة إلى تحليل النظرة المتباينة تجاهه من قبل النوبيين أنفسهم، سواء داخل الوطن أو في الشتات، وكذلك من قبل السودانيين غير النوبيين. تعتمد الورقة على دراسات إثنوغرافية أجريت في منطقة المحس عام 2022م، وتثير أسئلة حول كيفية تحول الأطعمة التقليدية إلى رموز ثقافية وما تمثله من معاني اجتماعية وتاريخية. تطرح الورقة الأسئلة التالية: كيف يمكن لطعام معين أن يتحول إلى هوية؟ ما هي التصورات والأفكار المرتبطة بذلك وما هي معانيها الحقيقية؟ وأخيراً، ما التأثير الذي يمكن أن يحدثه هذا النوع من الطعام على عمل الإثنوغرافي في الميدان؟.

الكلمات المفتاحية: التركين (الملوحة) - النوبيون (المحس) - السمك المتخمّر - الطعام السوداني - الحدود الثقافية

Abstract

This study explores the connection between food and identity through the lens of Turkin, a traditional dish made from fermented fish that serves as a cornerstone of Nubian culture in the Al-Mahs region of northern Sudan. The paper highlights the significance of Turkin as a symbol of belonging and identity among the Nubians, examining its historical context in both traditional and modern frameworks to document it as a vital aspect of cultural heritage. The researchers focus on the concept of liminality to understand the influence of this dish on the formation of local identity. Additionally, they analyze the varying perspectives on Turkin held by the Nubians, both within their homeland and in the diaspora, as well as by non-Nubian Sudanese individuals. Based on ethnographic studies conducted in the Al-Mahs region in 2022, the paper raises important questions about how traditional foods develop into cultural symbols and the social and historical meanings they embody. Specifically, it asks: How does a particular food contribute to the construction of identity? What perceptions and ideas are associated with it, and what do they truly signify? Lastly, what impact does this type of food have on the ethnographer's work in the field?.

Keywords: Turkin cuisine (salty) - Nubian dishes (Mahas) - fermented fish - Sudanese cuisine - cultural boundaries

1. المقدمة:

يُعد التركين من الأطعمة الفريدة والاستثنائية، وقد يُنظر إليه من قبل البعض على أنه طعام "متطرف". يتكون التركين من عجينة من السمك المُخَمَّر ويُعرف بهذا الاسم في اللغة النوبية، بينما يُطلق عليه اسم "الملوحة" باللغة العربية. يُدرج هذا الطبق ضمن فئة الأطعمة ذات الروائح النفاذة، والتي تتضمن أمثلة عالمية مثل السورسترومينغ، طبق السمك المُخَمَّر في السويد، (Kallner, et al., 2023)، الراكفيسك الحار والمالح من النرويج (Bjerke, et al., 2019) أو لحم القرش المُخَمَّر الشهير بأيسلندا (Ólason, 2023). تتشارك هذه الأطباق في خاصية واحدة على الأقل: فهي تُثير مشاعر متباينة تتراوح بين الحب والحماس وبين الشعور بالإحراج أو الاشمئزاز. وقد سلط ماتيوفسكي (Matejovsky, 2013) الضوء على وجود مثل هذه الفئة من الأطعمة، التي تجمع بين الصفات المثيرة للجدل والحديّة الثقافية (*liminal state*). تتميز هذه الأطعمة بأنها تُثير استجابات متباينة تتراوح بين القبول والاحتفاء أو الاشمئزاز و النفور منها. ورغم إمكانية ربط معظم الأطعمة بحالات حدية، إلا أن هذا المفهوم يكتسب أهمية خاصة عند دراسة فئة الأطعمة المتطرفة. تعد هذه الأطعمة انعكاساً لتقنيات طهي بدائية تتناقض مع النظام الغذائي الحديث المنظم؛ مما يجعلها تمثل نقطة تلاقي بين العالمين الطبيعي والثقافي (Lévi-Strauss, 1969).

في هذا السياق، يُعد التركين (انظر اللوحة 1) تعبيراً عن الثقافة الغذائية عند النوبيين، ويعكس ارتباطاً عميقاً ببيئة العصر الحجري الحديث المحيطة بنهر النيل، الذي يمثل شريان الحياة الأساسي لسكانه. يتجلى هذا الارتباط في المعتقدات والعادات والتقاليد، التي يستمر بعضها حتى اليوم بوصفها جزءاً من التراث الثقافي. هذا الارتباط يبرز علاقتنا بوصفنا كائنات بشرية بالطبيعة، يُدركنا هذا بأننا البشر متصلون بالعالم الطبيعي (Kass, 1999). ويمثل ذلك بالنسبة للكثيرين، وسيلة للاتحاد مع الطبيعة – نوعاً من "المطبخ البري". وفي الوقت نفسه، يُعد هذا النوع من الطعام جوهر تجربة الأكل، ودليلاً على انتصار الإنسان على العمليات الطبيعية؛ وهو نوع من أقدم الأطعمة التي، كما اعتقد كلود ليفي-ستروس في حالة المشروبات الكحولية المخمرة، التي ساهمت في ولادة الحضارة (Levi-Strauss, 1969). "حتى وقت قريب كان يعتقد أن فكرة تحضير الأطعمة المخمرة ممارسة يكتنفها كثير من الغموض حتى تم اكتشاف دور الميكروبات. وربما من هنا أتت نسبة الخصائص الفريدة لهذه الأطعمة. فهي غالباً ما ترتبط عند مستهلكها بالصحة وطول العمر. وعلى الرغم من جميع المحظورات والآراء المثيرة للجدل، فقد كانت دائماً موضوعاً للتقدير والقدسية ومنحت معاني رمزية خاصة بل سامية. يلعب السياق الاجتماعي مع هذا النوع من الطعام، دوراً بالغ الأهمية، لأنه ليس طعاماً للجميع فهو يتيح للإنسان التفكير من خلاله في مفاهيم أوسع حول الخير والشر، والقبول والرفض (Fischler, 1988). فالتركين على غرار الأطعمة المتطرفة الأخرى، يتميز بالتعبير عن الألفة والغربة في آن واحد. عادةً ما تبرز بعض الأسئلة: لماذا انتهى المطاف بهذه الأطعمة على المائدة أساساً؟. كما يؤثر

هذا النوع من الطعام تساؤلات جوهريّة حول أسباب اختياره جزءاً من المائدة الإنسانية: هل يُعد رمزاً للقبول والاحترام، أم على العكس يمثل رمزاً للتفرقة والتمييز الاجتماعي؟

لذلك، يُعد استهلاك هذا النوع من الطعام إحدى الممارسات التعبيرية الخاصة للغاية والتي تؤدي دور "التواصل الصامت" بشكل مثالي (Matejovsky, 2013). لهذا السبب يستحق تسليط الضوء على الأطعمة المتطرفة. فالحدّية تُحوّل هذه الأطعمة إلى حدود اجتماعية. وبوضوح أكثر من غيرها، تُعبّر هذه الأطعمة عن قضايا حيوية مثل الانتماء أو الهوية، وتُنتج مجالاً من المعاني التي يبني فيها الأفراد والجماعات حدودهم ويبرزون أوجه التشابه والاختلاف (Julier, 2004, Long, 2021, Jones and Long, 2017). لماذا قمنا بهذه الرحلة الإثنوغرافية؟ خلفية أحد كاتبي هذا المقال تعود إلى أوروبا (انظر اللوحة 2) مما يعني اختلافه الثقافي الكلي عن منطقة الدراسة كما أن اشتراكنا في حب مثل هذا النوع من الأطعمة المثيرة للجدل وانتماء أحد الباحثين لمجتمع النوبة جعل المجتمعات المحلية - عينة الدراسة لهذا البحث أكثر موثوقية وتفهماً في أعين أهل المنطقة، فإعجاب أوروبي بمثل هذا النوع من الطعام أكبرنا في أعينهم ودلل على فهم أسلوب حياتهم وتقديره. فغالباً ما يُصبح طبق من الفئة الخاصة بالأطعمة المحلية مصدر فخر وتقدير، خاصة عندما يقدّره الغريب. لقد أثّر التركين - مادة البحث بشكل إيجابي للغاية، وبفضله تمت دعوتنا وتقديرنا عدة مرات من قبل السكان المحليين. مما يؤكد أن تناول الأطعمة المتطرفة مع أصحابها يساعد في سهولة الوصول إلى مجتمع الدراسة. " فعندما يُعدّون لك التركين، فهذا يعني أنك مرحب بك". نعم، هم يقدّرون من يحترم ثقافتهم فبالنسبة للنوبة، ليس التركين مجرد وجبة، بل هو جزء من إرثهم الأصيل، وتعبير فخور عن هويتهم. كما أن المشاركة تعني أنك قد وجدت القبول في ذلك المجتمع. لأنهم فخورون بذلك، وسرعان ما تنتشر الكلمة في القرى بأن الغريب شخص جيد، ليس متعالياً ويُشاركهم. لذلك متى ما زرتهم كن بسيطاً واحترم ثقافتهم.



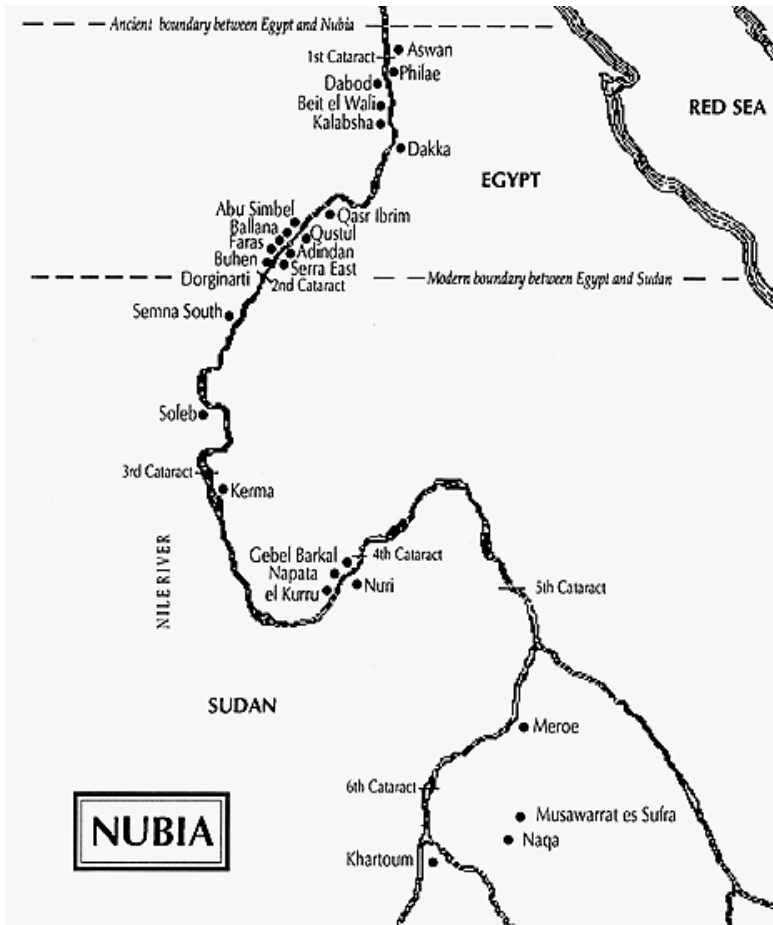
لوحة رقم (2). صورة الباحث الثاني ذي الأصول الأوروبية



لوحة رقم (1). وجبة التركين

2. أبناء النيل:

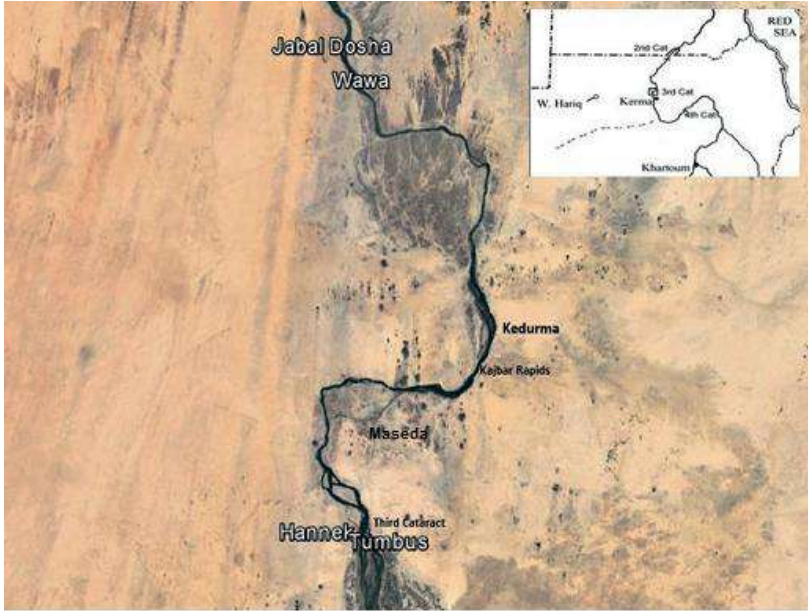
تمتد منطقة النوبة من الشلال الأول لنهر النيل بالقرب من أسوان في جنوب مصر إلى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض بالقرب من الخرطوم في وسط السودان، وتشمل الصحارى الواقعة إلى الشرق والغرب (انظر الخارطة 1) (Hallinan, and Marks, 2023). أما النوبيون، فهم – مجموعة إثنية – تعيش داخل حدود مصر والسودان بين أسوان ودنقلا. (Dafalla, 1975; James, 2008) يتمتع النوبيون بهوية ولغة وعادات خاصة بهم، ويشكلون مجتمعات نوبية عديدة في دول الشتات المختلفة، منتشرة في جميع المدن الكبرى. لديهم تاريخ طويل مع الهجرة يعود إلى أواخر القرون الوسطى.



خارطة رقم (1). يوضح الحدود التاريخية للنوبة، المصدر Akinboye, 2006

3. النيل وأهميته لدى للمجتمعات الزراعية:

يشكل النيل المحور الأساسي لوجود السكان من المزارعين في الأرياف، حيث يصف المحس النوبيون (انظر الخارطة. 2)، أنفسهم بأنهم "أولاد البحر". تتجلى هذه العلاقة الوثيقة مع النيل في العديد من العادات والممارسات التي غالباً ما تخفي أصولاً تعود إلى فترات ما قبل الإسلام. وينطبق هذا أيضاً على العادات والتقاليد الغذائية، بما في ذلك أطباق مثل "السّمك المخمر" أو "التركين". وقد أكدت العديد من البحوث أن هذا الطبق يعود إلى فترة ما قبل الإسلام، وربما إلى مصر الفرعونية (Goldsmith, 2019). تشير الاكتشافات الأثرية القديمة إلى أن أصول "التركين" تعود إلى الفترة الكوشية (750 قبل الميلاد)، حيث وُجدت بقايا أسماك محفوظة في إناء في منزل "يرجع إلى فترة نباتا" بمنطقة كرمة بإقليم المحس (Ahmed, 1997).



خارطة رقم (2). الحدود الجغرافية لإقليم المحس المصدر Bashir, et al., 2021

4. العادات والتقاليد عند النوبيين:

يُعد "التركين" واحداً من التقاليد المحلية التي تُصنف على أنها عادات قبل الإسلام ضمن الثقافة الشعبية السودانية. غالباً ما يُستخدم مصطلح "فرعوني" للإشارة إلى مثل هذه الممارسات، والتي تشمل مجموعة متنوعة من الطقوس والتقاليد القديمة. على سبيل المثال، زيارة النيل لنيل البركة أو الشفاء (انظر لوحة 3)، أو وضع صلبان على جدران المنازل للحماية (Burckhardt, 1822). زرع فسائل النخيل يعد تقليداً

مهماً، حيث يحرص الأجداد على تعليم أهميته للأجيال الصغيرة من خلال الاحتفالات التي تجمع العائلات. كما أن السباحة تحمل دلالات ثقافية عميقة بسبب العلاقة الوثيقة بين المجتمع والنيل (Altman, 2002). ومن أبرز التقاليد تعليم الأطفال السباحة عند بلوغهم سن السادسة (اللوحة 4)، حيث يُقام احتفال كبير يحضره الأهالي على ضفاف النهر. علاوة على ذلك، يبقى النوبيون الذين يعيشون خارج المنطقة ملتزمين بالحفاظ على تراثهم من خلال الزيارات المتكررة لتعليم أبنائهم اللغة النوبية، السباحة، ومختلف العادات والتقاليد الأخرى (Mahmoud, 2022).



لوحة رقم (3). عادة زيارة النهر بعد النفاس



لوحة رقم (4). تعلم السباحة عند الأطفال

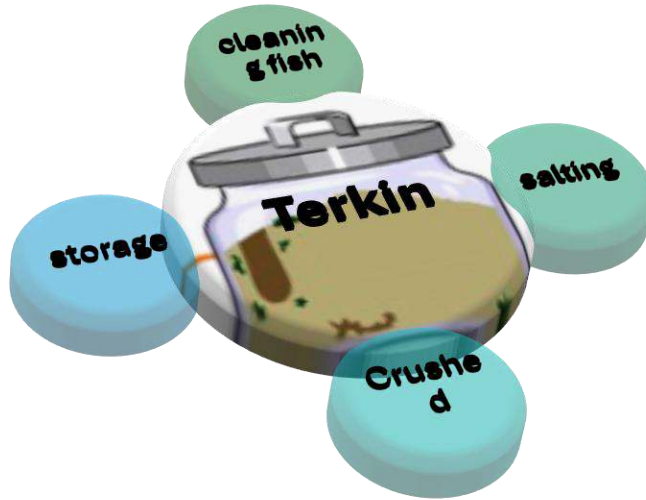
5. التركين:

تُعد عملية تمليح السمك وتجفيفه مع فترة تخمير قصيرة نسبياً ممارسة شائعة نوعاً ما في منطقة الساحل الأفريقي. يُعرف هذا الطعام في كل مكان برائحته النفاذة، ولذلك غالباً ما يُطلق عليه وصف "الكريه" من قبل البعض. هناك أيضاً ارتباط قوي بحاسة الشم، إذ نقوم بمراقبة الطعام وشمه قبل دخوله الفم؛ فالأنف والفم هما بمثابة "غرف الأمان"، وفقاً روزين وفالون (Rozin and Fallon, 1981).

في غانا، يُطلق على السمك المخمر اسم "موموني"، وهي كلمة في لغة الأكوان تعني الشيء كريه الرائحة، والأمر ذاته ينطبق على سيراليون. إنه سمك "يحمل نفس الرائحة" حيث يتم تخميره وتجفيفه (Essuman, 1992). أما في السودان، فإن كلمة "تركين" هي الكلمة النوبية التي تشير إلى صلصة أو معجون السمك المخمر ذي الرائحة النفاذة. يتميز التركين برائحة فريدة وقوية قد تكون صعبة التحمل لغير النوبيين، بينما يعدها النوبيون أمراً عادياً يرتبط بالحنين إلى الماضي. كما وصفت إحدى النوبيات، يمكننا تسميته "معجون السمك المخمر ذو الرائحة العتيقة. في النوبة، خاصة في مناطق المحس لا نقوم بغسل أيدينا إلا بالماء فقط بعد تناول التركين. هذه عادة متكررة لجعل الرائحة تبقى معنا لبعض الوقت، ونشمها من حين لآخر لاستمرار الاستمتاع بها. ولكن هناك رائحة قوية ومختلفة تميز فوراً فساد التركين، مما يدل على أنه لم يعد صالحاً للاستهلاك.

تشمل المنتجات السمكية السودانية الكجيك (سمك كبير الحجم يجفف تحت الشمس بعد نظافته)، الفسيخ (وهو السمك المملح والمخمّر بالكامل)، والمندشي (وهو معجون السمك صغير الحجم والذي يفرم بعد تخميره ويمكن تجفيفه لاحقاً) (Mariod, 2023). ومع ذلك، فإن الطبقة الأكثر شعبية هو التركين. ويوجد منه طريقتان: الني والمطهو. بالرغم من ازدياد الإقبال على التركين المطهو تدريجياً. يتم إنتاج التركين بواسطة عدة مصانع ويُباع في المتاجر، لكنه يُعامل بحذر من قبل النوبيين الذين يعدونه نوعاً من الوجبات المقدسة. في العاصمة والمدن الكبرى، يفضل الناس تناول التركين المطهو، بينما في النوبة، يُفضل السكان التركين غير المطهو ويميلون إلى إعدادة في المنزل أو شرائه من الأسر المنتجة التي تتمتع بسمعة طيبة ويثقون بها في صنع التركين، ولا يثقون بغيرهم. لهذا السبب، يصّر النوبيون على شراء التركين من مصادر موثوقة. أو من إحدى هذه الأسر المشهورة بصناعاته. وفي جميع الأحوال، يتكون التركين من أسماك صغيرة (لا يتعدى طولها 6-8 سم) من عائلة *Labeo spp.* (أسماك الدبس) أو عائلة *Schilbe spp.* (سمك الشلباية). في طريقة تحضير تركين، تُزال أحشاء السمك ويوضع في برميل من الملح لعدة أسابيع (انظر الشكل 1)، ويتم تحريكه أحياناً باستخدام أغصان النخيل. بعد ذلك، يُجفف السمك ويتم تناوله بعد بضعة أيام. هناك خيار آخر وهو تجفيف السمك أولاً لبضعة أيام ثم نقهه في وعاء من الملح. أما الخيار الثالث فهو طهو

السّمك مع قليل من الملح حتى يصبح قوامه مثل العجينة، ثم يُترك ليبرد ويوضع في وعاء بلاستيكي مُحكم الإغلاق. يمكن تناوله فوراً أو بعد بضعة أسابيع، وتصل مدة صلاحيته ما بين عام إلى نصف عام (Mariod, 2023). يُقدم الطبق مع صلصة تعتمد على البصل، التوابل، وعصير الليمون. يمكن تمرير هذا المعجون عبر مفرمة لإزالة العظام. وعادة ما يُقدم مع فطيرة سميكة مصنوعة من القمح تُعرف باسم "القُراصة". خيار آخر هو طهو المكونات معاً وإضافة القليل من معجون الطماطم. لا يزال "التركين" يُحضّر بطرق تقليدية قديمة في معظم القرى النوبية، بما في ذلك قرية مسيدة. حيث تقوم النساء بتحضير "التركين" في المنازل بطريقة بسيطة، حيث يُصطاد السمك من البرك والخيران بواسطة النساء والأطفال لتوفير الكمية والجودة اللازمة لسد احتياجات العام. يتم تنظيف السمك بفتح شقوق طولية من الرأس إلى الذيل وإزالة الأحشاء، ثم يُنقع في ماء مالح لمدة خمس دقائق. بعد ذلك يُعرض لأشعة الشمس المباشرة لمدة ثمانية أيام، يُقطع ثم يُخزن في أنية بلاستيكية. في الماضي، كان النوبيون يخزنون "التركين" في أوانٍ من الفخار (Mahmoud, 2022; Mariod, 2023).



شكل رقم (1). يوضح خطوات الطريقة صناعة التركين

6. الحدود الثقافية: (Liminality/cultural boundaries)

في السودان، تُستهلك حوالي 70% من إنتاج الأسماك طازجة، بينما يتم معالجة الباقي وحفظه عن

طريق التمليح أو التجفيف أو التخدير (Essuman, 1992). يمتلك التركين مكانة عالية. في النوبة، وربما بسبب ذلك، يُقال إنه "طعام الملوك". من المحتمل أن يكون هذا بسبب القيمة الغذائية للطبق - كونه يعد بديلاً للحوم وتمتعه بخاصية التخزين لفترات طويلة. إنه رمز للثروة والضيافة. يتخذ شكل هدية احتفالية في المقابل - كما يتعلق بمناسبات تعاون الناس والجيران فيما بينهم أو ما يعرف (بالنفير)، أثناء حصاد التمر أو بناء منزل أحدهم على سبيل المثال (انظر لوحة 5 ولوحة 6).



لوحة رقم (5) قرية مسيدة بأرض المحس



لوحة رقم (6) يوضح تناول التركين أثناء النفير

تقديم التركين يعد مشابهاً لتقديم ذبيحة - الكرامة - في الثقافة العربية. يؤكد النوبيون على هذه الحقيقة. وأمر آخر فهو أول شيء تقدمه الأسر عندما تستقبل ضيفاً خاصاً. يجتمع النوبيون في عطلات نهاية الأسبوع، في القرى للاستمتاع بالتركين على وجبة الإفطار. فيتجمع الرجال في "المسيد" - مكان مخصص لاستقبال الضيوف بينما تتجمع النساء في منزل أكبر امرأة في العائلة، التي غالباً ما يطلق عليه "بيت الجدة". تحتل النساء مكانة مهمة في الحضارة السودانية، وتعد الجدة ذات مكانة خاصة جداً داخل الأسرة. ففي قرية مسيدة، التقيت بالنساء في بيت الجدة يتناولن التركين ويتشاركن همومهن أو الاستماع إلى قصص النساء الأكبر سناً عن تجاربهن الحياتية والتقاليد النوبية في الماضي. خلال موسم الزراعة والحصاد (انظر لوحة 7)، تتجمع الأسر أيضاً حول "مائدة التركين"، حيث يتم إقامة أبرز تجمع خلال مهرجان قطع التمر، حيث يُعد التركين الوجبة الرئيسية في نهاية الموسم. وفي الشتاء، يتم تقاسم التركين بين الجيران كإشارة لدعمهم خلال الأشهر الباردة. تمتد أهمية التركين أيضاً إلى دوره المركزي في احتفالية صناعته، وهو حدث تقليدي تقوده النساء ويؤكد أهميته الثقافية. ويكتسب أهمية خاصة في بلدان الشتات. بغض النظر عن نوع الهجرة (انظر لوحة 8).



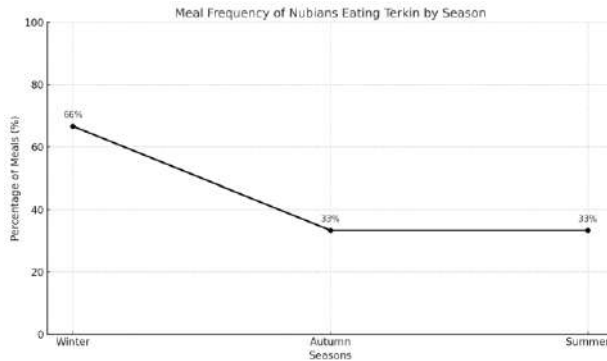
لوحة رقم (7). تناول التركين في الشتاء



لوحة رقم (8). موسم حصاد البلح أشهر مواسم تناول التركين بعد الشتاء

يمكن لبعض الأطعمة أن تصبح "أطعمة تقليدية" أو "تقاليد عائلية ذات قيمة عاطفية". بعبارة أخرى، شيئاً ذا مغزى. ففي بعض الأحيان، قد تصبح الأطعمة أكثر أهمية في هذا السياق من "اللغة الأم" (Julier, 2004). وأشار أحد الكبار السياق، تصبح الأطعمة مورداً للتواصل مع الآخرين، وتستخدم للتعبير عن الهوية؛ والتي قد تستخدم - عمداً أو دون قصد - لربط الفرد بالمجموعة (Long, 2020). علاوة على ذلك، يثير التركين الحنين ويصبح "إلى أن التركين عادةً ما يكون وليمة يوم الجمعة لجميع أفراد العائلة. هناك قول مأثور معروف: "من لا يأكل التركين ليس نوبياً". فهو يعرف بك أكثر مما تعرفه اللغة، فهو يرمز إلى وحدة المجتمع النوبي. في هذا موضوعاً شيقاً لسرد الذكريات (Long, 2017). اللغة النوبية ولهجاتها المختلفة مهمة أيضاً، ويسعى النوبيون للحفاظ عليها من خلال الأغاني الشعبية والرقاء. كما يستخدمها الأجداد لهددة أطفالهم وشحذ خيالهم بالقصص والألغاز (الأحاجي) خلال الزيارات.

إذن، نرى أنه لا يوجد طعم يفصل بين النوبيين. إذ يعد طبق التركين، طعاماً شعبياً بديلاً للحوم ويصنف على أنه طبق "ساخن"، مناسب بشكل خاص للاستهلاك في فصل الشتاء (انظر الشكل 2). فهو يجسد أكثر الأطعمة جودة. لا يقتصر التركيز فقط على الطعم، بل على الرائحة أيضاً. فلكل ثقافة "مبادئ طعم" خاصة بها، وتفضيلات طعم ورائحة مميزة تعكس مطبخها. على سبيل المثال، للثوم مكانة خاصة في المطبخ السلوفاكي في مدينة ترنافا. لذلك، يجب أن يكون الطعام ليس فقط "جيداً للأكل"، بل أيضاً يثير ارتباطات إيجابية ويحفز من خلال روائحه. يكمن جوهر كل مطبخ ليس فقط في مكوناته أو طرق الطهو، بل في تصنيفه والمعاني التي ينقلها (Fischler, 1988).



شكل رقم (2). منحني توضيحي لاستهلاك التركين حسب الفصول

طعم التركين أصبح مُستساغاً حتى خارج حدود المجتمع النوبي، مما خلق نوعاً من التناقض لكونه كان محددًا ثقافياً حكراً على المجتمع النوبي دون غيره. فنظرة المجتمع السوداني، لأكل التركين نظرة متنوعة، فالبعض يعد ذلك جزءاً من ثقافة النوبيين وتاريخهم العريق، بينما يراه آخرون أنه يمثل خاصية ثقافية

مميزة لهم. كما أشار مارسيل إلى أن الأفراد غالباً ما يعرفون أنفسهم من خلال رفضهم لثقافات أو ممارسات معينة، مما يعكس أبعاداً أعمق تتعلق بالقيم والهوية الفردية والجماعية (Mauss, 2006). وعلى الرغم من أن بعض الناس قد لا يستسيغون طعم التركين، إلا أن هناك فئة كبيرة من الناس تُقدّر هذا الطعام، حيث إن قابلية تقبله تعتمد بشكل رئيسي على طريقة تحضيره، والتي تتطلب مهارة وخبرة في إعدادها. من ناحية القيم الثقافية، نجد أن الإسلام قد جعل من الطعام منصة مهمة للتعبير عن الهوية الثقافية وكتابة الحدود الاجتماعية، خصوصاً بين الهوية الإسلامية والعرف العام. ففي هذا السياق، يعد التركين جزءاً من فئة العادات والتقاليد (Customs and traditions) التي تتجاوز القيم الدينية الصارمة، وهو ما يتيح للمجتمعات الحفاظ على هويتها الثقافية. تُظهر هذه الممارسات تناقضاً حاسماً في فهم الثقافة السودانية، حيث يظل التركين جزءاً من التقاليد التي تعبر عن الاستمرارية الثقافية. يُلاحظ أن التركين، رغم انتشاره الواسع في جميع أنحاء السودان، لا يزال يواجه مقاومة من بعض الأفراد الذين لا يقبلونه. على الرغم من ذلك، يبقى التركين علامة على الانتماء الاجتماعي والتواصل بين أفراد المجتمع النوبي، حيث يشكل أحد الطقوس التي تعزز التماسك الاجتماعي وتمتد الهوية النوبية.

الخاتمة:

النوبيون هم أصحاب حضارة عريقة امتدت لآلاف السنين، ضاربة جذورها العميقة في وادي النيل. تراثهم الثقافي ومطبخهم، وتقاليدهم الغذائية، تعد شهادة على ارتباطهم العميق بالطبيعة وبيئتهم المحيطة بهم:

- يعد التركين أكثر من مجرد طبق غذائي؛ لأنه رمز ثقافي يجسد العلاقة المتناغمة بين الجغرافيا والتاريخ. يُظهر التركين قدرة النوبيين على التكيف وإبداعهم في تحويل الموارد المحلية إلى طبق يعكس قصة مجتمع بأسره.
- لم يعد التركين مجرد وجبة عادية، بل أصبح حجر الزاوية لهوية ثقافية وتراث غني. مشاركة هذا الطبق مع العائلة والأصدقاء لا تعكس فقط الكرم وحسن الضيافة التي يشتهر بهما النوبيون، بل تساهم أيضاً في الحفاظ على التقاليد ونقلها للأجيال القادمة.
- تعزز هذه الممارسة الروابط الاجتماعية وتعمق الوعي التاريخي، مما يعزز قيم الأصالة في المجتمع. كما أن مشاركة التركين مع الثقافات الأخرى يجعله وسيلة فعالة للتبادل الثقافي وتعزيز الصلات. إنه لغة عالمية من الاحترام والانفتاح، جسر يربط بين الثقافات، وفي الوقت نفسه، يحمل هذا الطبق رسالة من الماضي تربط بين الأجيال وتقوي شعور الفخر والانتماء. وبالتالي، أصبح التركين ليس مجرد وجبة لذيذة، بل رمزاً للأصالة وأداة لبناء الجسور بين الناس ووسيلة لنشر الثقافة.

المصادر والمراجع

- Ahmed, S. M. (1997). "Is Terkin a Kushite Meal?" Kush, Issue (17), Khartoum.
- Akinboye, G. (2006). *Beautiful Nubia: The Rise of an Ancient African Kingdom*.
- Altman, N. (2002). *Sacred water: the spiritual source of life*. Paulist Press.
- Bashir, M., Mamoon, S., & Khaleel, O. (2021). Kedurma Eastern Hinterlands in North Sudan: An archaeological Survey. *Der Antike Sudan. Mitteilungen der Sudanarchäologischen Gesellschaft zu Berlin e. V.*, 32, 29-43.
- Bjerke, G. A., Rudi, K., Avershina, E., Moen, B., Blom, H., & Axelsson, L. (2019). Exploring the brine microbiota of a traditional Norwegian fermented fish product (Rakfisk) from six different producers during two consecutive seasonal productions. *Foods*, 8(2), 72.
- Burckhardt, J. L. (1822). *Travels in Nubia*. J. Murray.
- Dafalla, H. (1975). *The Nubian Exodus*. Nordiska Afrikainstitutet; C. Hurst & Co.
- Dirar, H.A. (1993). *The Indigenous Fermented Foods of the Sudan. A study in African Food and Nutrition*. CAB International, Wallingford.
- El-amin, K, M. (2012). Assessment of microbiological counts and pH level of wet-salted fermented fish products (Terkin) in Sudan. *International Journal of Livestock Research*, Vol 2. 126-134.
- Essuman, K. M. (1992). *Fermented Fish in Africa: A Study on Processing, Marketing, and Consumption*. Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO). FAO Fisheries Technical Paper No. 329.
- Fischler, C. (1988). *Food, self and identity, Social Science Information (SAGF)*, London, Newbury Park, Beverly Hills and New Delhi), 27, 2 (1988), pp. 275-92.
- Goldsmith, D. (2019). Fish, fowl, and stench in ancient Egypt. *Sounding sensory profiles in the Ancient Near East*, 335-360.
- Graeber, D. (2011). *Debt: The First 5,000 Years*. Melville House.
- Hallinan, E., & Marks, A. E. (2023). The complex taxonomy of 'Nubian' in context. *Journal of Paleolithic Archaeology*, 6(1), 23.
- James, W. (2008). Sudan: Majorities, minorities, and language interactions. *Language and national identity in Africa*, 61-78.
- Jones, S., & Long, L. M. (2017). *Comfort Food: Meanings and Memories*. University Press of Mississippi.
- Julier, A. (2004). *Eating Together: Food, Friendship, and Inequality*. University of Illinois Press.
- Kallner, A., Debelius, J., Schuppe-Koistinen, I., Pereira, M., & Engstrand, L. (2023). Effects of Consuming Fermented Fish (Surströmming) on the Fecal Microflora in Healthy Individuals. *Journal of Medicinal Food*, 26(3), 185-192.
- Kass, L. (1999). *The hungry soul: Eating and the perfecting of our nature*. University of Chicago press.
- Lévi-Strauss, C. (1969). *The Raw and the Cooked*. Jonathan Cape.
- Long, L. & Vaughan, T. (2023). 3 Kneading Comfort, Community, Craftsmanship: Home Baking in the Coroniverse. In *Behind the Mask: Vernacular Culture in the Time of COVID* (pp. 97-131). Utah State University Press.

- Long, L. M. (2020). *Food and fandom: A folkloristic food studies perspective*. In *Eating Fandom* (pp. 24-30). Routledge.
- Long, L. M. (2021) *Comfort Food: A Global Journey*. University of Illinois Press.
- Mahmoud, F. I. A. (2022). *Customs and Traditions in the Mahas Region: A Study of Cultural and Social Heritage*, Unpublished report.
- Mariod, A. A. (2023). *Adansonia digitata (Baobab) as a Sudanese traditional food*. In *Traditional Sudanese Foods: Sources, Preparation, and Nutritional and Therapeutic Aspects* (p. 310).
- Matejowsky, T. (2013). The incredible, edible balut: Ethnographic perspectives on the Philippines' favorite liminal food. *Food, Culture & Society*, 16(3), 387–404.
- Mauss, M. (2006). *Techniques, technology and civilization*. Berghahn Books.
- Ólason, S. P. (2023). *Bacterial community succession during traditional fermentation processes of Greenland shark (Somniosus microcephalus)* (Doctoral dissertation).
- Rozin, P., & Fallon, A. (1981). The acquisition of likes and dislikes for foods. *Merrill-Palmer Quarterly of Behavior and Development*, 27 (2), 135–163.
- Selman, H. M., Elrofaei, N. A., & Mutwali, E. M. (2021). Biochemical study on Terkin: A fermented fish product. *Faculty of Education, Al Zaiem Al Azhari University, Sudan*.

شكروعرفان:

بكل عرفان وتقدير، نتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى أهلنا الكرام في منطقة المحس عامة، وإلى سكان قرية مسيدة على وجه الخصوص، الذين أسبغوا علينا كرمهم الفياض وفتحوا لنا أبواب معرفتهم في عام 2022م. لقد كانت تجربتنا معكم فرصة فريدة للتعرف على مراحل صناعة التركين، واستخداماته، وأنواعه، مما أتاح لنا توثيق هذا الإرث الثقافي الثمين. إن المعلومات الغنية التي شاركنا بها المجتمع المحلي لعبت دوراً جوهرياً في تكملة هذا المقال، حيث أضفت عليه عمقاً وشمولية، وعززت من فهمنا لاستخدامات التركين وأنواعه ودوره في الحياة اليومية. هذا التعاون لم يكن مجرد مشاركة للمعرفة، بل جسّد روح الترابط بين البحث العلمي والمجتمعات المحلية، مما يعكس أهمية توثيق الموروث الثقافي والحفاظ عليه للأجيال القادمة. لكم منا كل الشكر والتقدير على عطائكم السخي وحسن ضيافتكم، ونتمنى لكم دوام الخير.

الترجمة العربية

لنقش الملك أنلماني (أمني- ينل) كوة 8

عبدالله النور عبدالله أبكر

محاضر- جامعة الجزيرة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الآثار

المستخلص

تعد هذه الدراسة واحدة من الدراسات التي يمكن أن تضيف ولو القليل إلى الدراسات السابقة في تاريخ السودان من خلال ترجمة النقوش السودانية المكتوبة باللغة المصرية القديمة وتفسيرها، وأهمية هذه الدراسة في أنها تلقي الضوء على النواحي التاريخية والسياسية والدينية لنقش الملك أنلماني الذي ينتمي إلى الفترة التي أطلق عليها بعض العلماء مثل عبد القادر محمود عبدالله في كتابه (السودان القديم – التاريخ السياسي- تحت الطبع) الفترة النبتية الثانية (661- 591 ق.م). وهي التي تبدأ بالتقريب بنهاية حكم الملك تنيوت- أمني (تانونت أمني) ونهاية حكم الملك أسبيلتو، وهي الفترة التي انتهى فيها حكم الأسرة الخامسة والعشرين السودانية لمصر، ونقلت بعدها العاصمة إلى نبتا لظروف لا نعلمها، وأتبعته الدراسة المنهج التحليلي الوصفي في سرد النقش المراد ووصف السمات السياسية والدينية والاجتماعية لفترة الملك السابق ذكره وتحليل الأحداث المهمة في النقش ومقارنتها بما جاء في الدراسات السابقة بخصوص هذا الموضوع، وخلصت الدراسة إلى توضيح دور هذا النقش في معرفة الأحوال السياسية المتمثلة في ظهور اسم البلميين (البجا) بصورة واضحة، بجانب الدور الديني الذي يتضح من جعل الملك لأربعة من أخواته خادמות على معابد آمون في كوة وأرقو والبركل وصنم أبو دوم.

الكلمات المفتاحية: أنلماني، الفترة النبتية الثانية، البلميين (البجا)، أسبيلتو

Abstract

This study is one of the studies that can add little to the previous studies in the history of the Sudan through the translation and interpretation of Sudanese inscriptions written in the ancient Egyptian language, and the importance of this study in that it sheds light on the historical, political and religious aspects of the engraving of the king Anlamani and belongs to the period called some Scientists such as Abd al-Gadir Mahmoud Abdullah in his book (Ancient Sudan - Political History - under press) the second Napatan period (661- 591 BC). Which begins at the end of the reign of King Taniot- Amani (Tanut- Amani) and the end of the rule of King Aspelta, the period that ended the rule of the twenty - fifth Dynasty to Egypt, and then moved the capital to Napata under circumstances we do not know, and followed the descriptive analytical method in the narrative of the inscription and description The political, religious and social characteristics of the period of the king mentioned above and the analysis of the important events in the inscription and compare them with the previous studies on this subject. The study concluded by clarifying the role of this inscription in the knowledge of the political conditions, The role of the religious, which is evident from the king made four of his sisters maids on the temples of Amun in Kawa and Argo and Al-Barkal and Sanam Abu Dom.

Keywords: Anlamani, the second Napatan period, Bellamis (Beja), Aspilta

مقدمة:

تعد النقوش التذكارية من الوثائق المهمة التي تساعد الأثريين والمؤرخين في تفسير الأحداث وتحليلها تلك الأحداث التي حدثت في مختلف مدنات العالم القديم، وربما الشيء الذي يجعلها مهمة في أنها تحكي قصصاً كثيرة إما نصراً وإما احتفالاً أو أي شيء آخر.

والنقش الذي بين أيديكم واحد من هذه الوثائق المهمة التي تفسر بعض الوقائع التي تستشف من تاريخ السودان القديم في فترة الملك السوداني أنلماني (أمانى- ينل) وما يمكن أن تضيفه في حقل المعرفة العلمية بآثار السودان القديم وتاريخه.

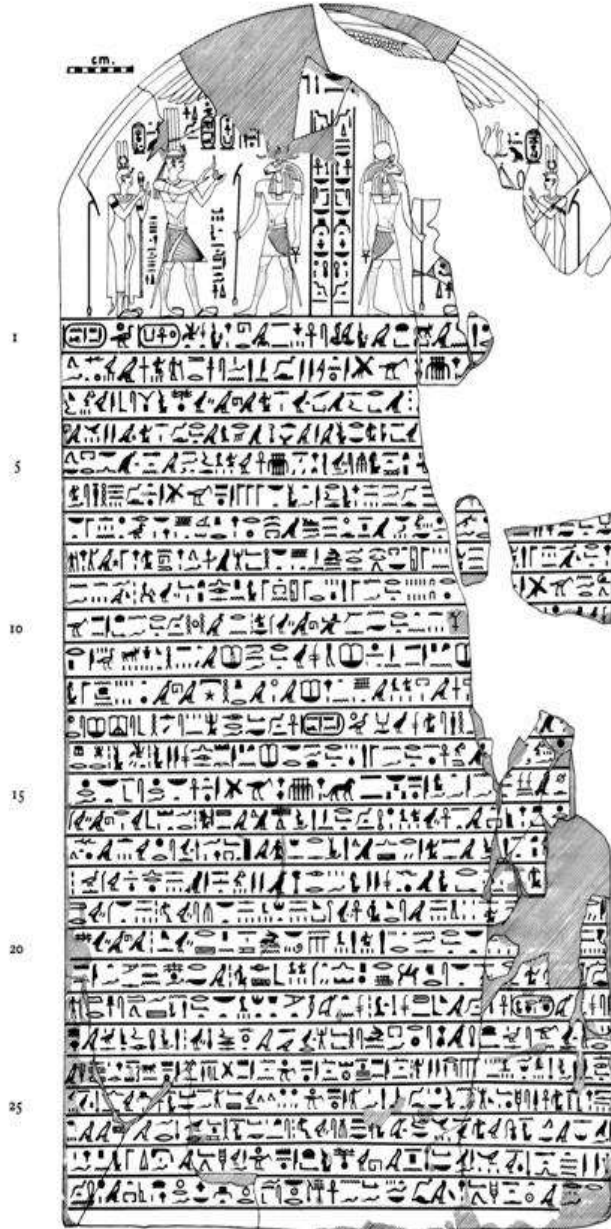
تهدف الدراسة إلى التعريف بالملك أمانى ينل (أنلماني) وتولييه الحكم، وترجمة النقش المعروف بـ كوة 8 إلى العربية من خلال تسليط الضوء على أهم الجوانب السياسية والدينية التي يتناولها.

أمانى- ينل (أنلماني) هو الأخ الشقيق الأكبر للملك اسبيلتو والملكة مديقون وهم الذرية المعروفة بأسمائها للملك سنك- أمانيسكن وأخته زوجته الملكة نلسو وذلك بالإضافة لثلاث أخوات أخريات لتكون له أربع أخوات إناث وهن اللاتي أوردهن في نقشه (الآتي بعد) اللاتي جعلهن كاهنات لأمون.

عُرفت لأمانى- ينل زوجة واحدة، هي شقيقته مديقون. ولم تُعرف له ذرية لعدم توفر المادة العلمية عنه وأسرته، أما عن توليه الحكم فقد ورث أمانى- ينل (أنلماني) الملك عمودياً من أبيه سنك- أمانيسكن، عن جده أتلنرسو (اتلانيرسا).

المعروف عن تاريخه السياسي قليل. فلا يُعرف أين ارتقى العرش وما إذا كان ذلك سهلاً أم بعد. فالمتوقع أن تكون قد أحاطت به المشكلة نفسها التي أحاطت بارتقاء أخيه اسبيلتو العرش من بعده. اعتلاء أمانى- ينل للعرش كان بعد وفاة أبيه سنك- أمانيسكن، والمعروف عن تاريخه السياسي قليل. فلا يعرف المرء أين ارتقى العرش.

ويمكن أن نستنتج أن سبب عدم معرفة مكان ارتقائه للعرش هو نفسه سبب أخيه اسبيلتو الذي تولى الحكم من بعده. وهي مشكلة فرع خليوت الذي لم يزل متمسكاً بحقهم في العرش، عن جدهم خليوت، لتخطيه وارتقاء تارقو العرش دونه (عبدالقادر محمود. 2017م)



الشكل رقم (1). اللوحة كوة رقم 8، للملك أئلماني- ينل، عن، مكادم. 1949 اللوحات: اللوحة 16.

ترجمة النقش:

المتن:

1* [حات سب.....] خر حم.ن.كا.نخت خع م ماعت نبتي سعنخ ابو حر نبو حر ماعت نسو- بيتي عنخ-كا-رع
سا-رع امن- ينل

[السنة.....] في حكم جلاله الثور القوي الذي ظهر بالحق محمي حور الذهبي مفرح وجه ماعة ملك الوجهين
القبلي والبحري عنخ-كا-رع ابن رع أماني- ينل

2* [عنخ جت ما ي حر خنتي] حري- اب غم- پا- أتن جد.ان حم.ف ن سمرو إميو خت.ف

(عاش للأبد) محبوب (الأسد المسيطر على الجنوب المقيم في الكوة قال جلالته للندماء الذين كانوا في معيته

3* [.....] ام ردي سما.تو س م ها.وي وب سبيو

[.....] لم يسمح لإنسان بأن يقتل في زمي إلا الخارجون الذين يخلقون(المشاكل)

4* [.....] وعان ب م باد خاري م رديت جد.س با بو م ها

[.....] أو يصدر لعنة ضد السيد(الملك) ولا تحزن الأرملة. ولا يسمح لامريء أن يقول الكذب (له)

5* (وي جد.ن.سن حم.ف تپي-ن- تم مو.ف تپي حر تاو ما ن.ف شو م خت موت.ك ن بر.ك

في زمي فقالوا لجلالته أنت الابن الأكبر لاتوم مولوده السيد الأول على الأراضي متصدر الأحياء كان قد رآك
في بطن أمك ولما تخرج

6* (.....) تاو جد.ن ف ن.سن اب.ي ما ا ت.ي نبت نثرو امن غم- پا- أتن جد.ن سن حسي.ف

البلدان فقال لهم أنا أرى أبي رب الآلهة أمون الكوة فقالوا: إنه (يعطف)

7* كا.ك رديت.ن.كنسويت (س) خرف خفتيوك نب م تا بت خد.ن.ف م أبد م بر حر غرغ سبات نب ار
اخوت ن نثرت نبت

إلى روحك ويمنحك الملك ويقهر كل أعدائك في هذه الأرض. ثم أبحر شمالاً في ثاني فصل شهر الشتاء يجهز كل محافظة يقرب لكل معبود

*8 رديت فقاو ن حمو- نثثر (وعب) و ن حوت نثثر نبت سبر.ف.ر.س ونن ان سبات نبت م خسف.ف حر نهم حر دوا- نثثر حر قسي

ويعطي الأرزاق للكهنة في كل معبد والكهنة المطهرين لكل معبد وصل إليه وكل محافظة فرحت في مقابلته وتهتف وتدعو الإله وتتذلل

*9 پخي.ن.ف ر غم- پا- اتن ر سرو 9 ح رديت.ن.ف حم نثثر 3 ر حوت نثثر ن نثثر بن ن ار سي تپيو پح فقا.ن.ف

ووصل إلى الكوة في اليوم 29 وعين كاهن بالمرتبة الثالثة في معبد هذا المعبود ما لم يفعله السابقون وذوده

*10 سو م خ(ت) نفرت نبت م جد ار ياوت تن رديت ن،ك.ن.ي ستي هاوي.ك نحج جت رديت.ن ن خع امن غم

بكل شيء جميل قائلًا هذه المهنة التي أعطيت لك ستكون لذريتك لأبد الأبد وجعل أمن الكوة يظهر

*11 پا اتن [.....] حب تپ،ي ن امن إن هرون حب ان نسو رديت.ن.ف حب م ت حنقت كاو أبدو ارب

في احتفال الأول لأمون[.....] فقد كان يوم احتفال الملك الذي أعطى له احتفال، خبز وجعة وثيران وطيور ونبذ

*12 [.....] پر إمبو- بر م سبات تن مر حب م رع م غر حات 7 هرون خع ن نثثر

..... بيت وخدم في هذه المحافظة كانوا في احتفال بالنهار والليل لمدة سبعة يوم لظهور المعبود

*13 [.....] م[.....] ن حسي سو كا.ك سا- رع امن- ينل عنخ جت دي.ك ار.ر.ف ححون حبو سد سخر

[.....] ت أثنت عليه روحك ابن رع ينل امن عاش للأبد اجعله يقيم ملايين من الأعياد الثلاثينية

14* (... ك خفتيو.) ف نب (م) مو(ت) م عنخ رديت.ن.ف حم نثثر 3. رديت.ن.ف خع.ك ر حب تپي ن امن
ن ار سي نسيو بتيو خپر جر

اقهر[كل] أعدائه الأموات والأحياء إذ عين كاهنا بالمرتبة الثالثة وأظهره في العيد الأول لآمون ما لم يفعله
ملوك الوجهين القبلي والبحري الذين كانوا من قبل

15* اسو م نن ردت ن.ف ات.ف امن رع نب نسوت تاوي ماي حر خنتي حري-اب غم پا أتن عنخ نبت خرف
سنب نبت [...]

وجزاء ذلك أعطاه آمون رع رب- عروش الأرضين الأسد المهيمن على الصعيد المقيم في الكوة كل حياة من لدنه
وكل عافية

16* خرف خع حر ست حر عنخو ردت ان حم.ف شم مشع.ف ر خاست

من لدنه والظهور على عرش حور الأحياء مثل رع للأبد وجعل جلالته جنوده يمشون إلى أرض البلوين

17* (سمر) تپي نت حم.ف م تشسو اري ن شم حم.ف ر.س حمس م عحت.ف حر وجات سخرو م خت

والنديم الأول لجلالته قائد لهم لم يسر جلالته إليهم بل جلس في قصره يصدر توجيهاته وبعد أن

18* [...] [.....] ن رع م خت نسيوت.ف ا رخايو عات ام سن ن رخ تنو

[.....] رع بعد ملكه فعملت مقتلة عظيمة فيهم بما لا يحصى عدده

19* اري (.....) س ن س 4 ان.سن م سقر.عنخ حاق سن حموت، سن نبت مسو.سن نبت مر

منهم ثم اسروا 4 رجال الذين أحضروهم كأسرى ثم غنموا كل نسائهم وكل أطفالهم

20* يو سن نبت خت.سن نبت رديت.ف سن ر حمو حموت ن نثثرو نبو ونن تا پن رشو م هاو.ف

وكل أنعامهم وكل أشياءهم وجعلهم عبيدا وإماء لكل المعبودات فكانت هذه الأرض فرحة في زمنه

21* ن جد ما.ك ن.ي رس س نبت سجر ر شسپ نن خاستيو بر شو م ر.ك.ف ن عا ن مر.ن ات.ف امن

لا يقال يا ليت عنه وكل رجل نائم حتى النهار ولا سكان بادية متمرّدون في زمنه وذلك لقدر ما أحبه أبوه أمون

22* إس موت- نسو نا- سا- ر. سا عنخ جت م قب سنوت سنو موت نسو بنر مروت حنوت حموت نبت رديت. ن. حم. ف. تم سمر

وآنذاك كانت ام الملك ناسلسا عاشت للأبد كانت بين أخوات الملك. أم الملك، حلوة الحب سيدة كل النساء لذلك جعل جلالته ندمائه

23* و ر ان تو. س غم، ن. س. سا. س خع مي حر حر. تپ سر خ. ف. ون. س. جع ورت عا م- خت ما. اس نفرو حم. ف. مي ما إست سا. س حر خع حر

لتحضر فوجدت ابنها ظاهرا مثل حور على صرحه ففرحت جدا بعدما رأت جمال جلالته تماما مثل ايزة عندما رأت ابنها حور ظاهرا على

24* تارديت إن حم. ف. سنو. ف. حموت 4 ون نترور سشيوعت ان امن نبتا وعت ن امن رع غم با اتن وعت ان امن با نبس وعت ان امن- رع كا- ن- تا- ستي حر سششت م

الأرض ووهب جلالته 4 من أخواته الإناث للآلهة ليكن عازفات شخصيات. واحدة لأمون نبتا وواحدة لأمون رع الكوة وواحدة لأمون ارقو وواحدة لأمون تور- تا ستي (صنم أبو دوم) ليعزفن

25* باح سن حر ديج عنخ وجا سنب عجعو قا ن نسو رع- نب جد ان حم. ف. اي امن رع غم- پا- اتن خي م يون عش. ن. ف. دي. ك. ني عنخ او نن شنو

أمامهم ويأتي ليطلب الحياة والسلامة والعافية وعمراً مديداً لجلالته كل يوم وقال جلالته يا أمون الكوة سريع الحضور لمن يدعو (ينادي إليه) يدعو هب لي حياة طويلة من غير أي مرض/ مصيبة

26* إم. ف. سخم. ك. ن. ي. واو جو ما. ك. موت. ي. سمن. ك. مسو، س. تپ. تا. دي. ك. ني حبي ور نفر م سسمو

فمها واصرف لي (عني) الشر وانظر/ اراع أمي وثبت ذريتها على الأرض وامنح (ني) لي غمر فيضانا عظيما طيبا في الحصاد

27* حايت عات ن نسو نو ام. ف. دي. ك. نفر تا بن م هاوي خع امن- رع- غم با اتن او. ف. عجع م باح. ف. دين

نتر بن حر.ف

وفيضان عاليًا لا ضرر منه واجعل هذه الأرض تسعد في (عهدي) زمني ثم ظهر أمون الكوة بينما هو واقف أمامه فأدار (فأعطى) هذا المعبود وجهه

28* ر.ف. ار.ف. ات. عات. عجع. حر. سجم. جد. ت. ف. نب. دي. ن. ف. عنخ. جد. واس. نب. خر. ف. سن. نب. خر. ف. اوت. اب. نب. خر. ف. خع. حر. ست. حر. مي. رع. جت

نحوه وأمضى مدة طويلة واقفا ينصت لكل ما يقوله كلامه فأعطى له (فوهبه) كل حياة ورسوخ وسلطان من لدنه (وكل) صحة من لدنه وكل انشراح صدر من لدنه والظهور على عرش حور مثل رع للأب

الأهمية السياسية والدينية:

تمثل أهمية هذا النقش من الناحية التاريخية في أنه ينتمي إلى الفترة التي أطلق عليها بعض العلماء مثل عبد القادر محمود عبدالله في كتابه (السودان القديم – التاريخ السياسي- تحت الطبع) الفترة النبتية الثانية (661- 591 ق.م). وهي التي تبدأ بالتقريب بنهاية حكم الملك تنيوت- أمانى (تأنوت أمانى) ونهاية حكم الملك أسبيلتو، وهي الفترة التي انتهى فيها حكم الأسرة الخامسة والعشرين السودانية لمصر، ونقلت بعدها العاصمة إلى نبتا لظروف لا نعلمها.

وظهور اسم البلبيين بصورة واضحة وبتحديد اسم هذه المجموعة السكانية (البجا) يوضح من القرائن أن هذه المجموعة كانت تمثل عنصرا مهما بالنسبة لتاريخ السودان السياسي إذ يقول أمانى- ينل أن هذه المجموعات كانت تصنع الفوضى وتسبب الإزعاج للملك، ولذلك أمر الملك أحد أصدقائه بقيادة الجيش وتأديب هؤلاء البلبيين (كما عند محمد مصطفى مسعد)، وأقام جيش الملك مجزرة كبيرة فيهم ولم يوضح لنا النقش المنطقة التي حدثت فيها هذه الحادثة لكن بالطبع لن تكون ببعيدة من مقر إقامة الملك.

وفيما يلي النصوص التي وردت في نقش أمانى- ينل عن هذه الحملة التأديبية والتي وضحت في النصوص الآتية بعد، في الأسطر من 16- 21:

16* ردت ان حم.ف. شم. مشع.ف. ر. خاست

وجعل جلالته جنوده يمشون إلى أرض البلبيين

17* (سمر) تپي نت حم.ف م تشسو اري ن شم حم.ف ر.س حمس م عحت.ف حروجات سخر م خت

و جعل النديم الأول لجلالته قائدا لهم، لم يسر جلالته إليهم بل جلس في قصره يصدر توجيهاته وبعد أن

18* [.....] [.....] ن رع م خت نسيوت.ف ا رخايو عات ام سن ن رخ تنو

[.....] رع بعد ملكه فعملت مقتلة عظيمة فيهم بما لا يحصى عدده

19* اري (.....) س ن س4 ان.سن م سقر.عنخ حاق سن حموت، سن نبت مسو.سن نبت مر

منهم ثم أسروا 4 رجال الذين أحضروهم أسرى ثم غنموا كل نساءهم وكل أطفالهم

20* يو سن نبت خت.سن نبت رديت.ف سن ر حمو حموت ن نثرو نبو ونن تا پن رشو م هاو.ف

وكل أنعامهم وكل أشياءهم وجعلهم عبيدا وإماء لكل المعبودات فكانت هذه الأرض فرحة في زمنه

21* ن جد ما.ك.ن.ي رس س نبت سجر ر شسپ نن خاستيو بر شو م ر.ك.ف ن عا ن مر.ن ات.ف امن

لا يقال يا ليت عنه وكل رجل نائم حتى النهار ولا سكان بادية متمردون في زمنه وذلك لقد مر ما أحبه أبوه أمون.

إضافة إلى ذلك تعد فترة الملك أنلماني من الفترات التي شهدت صراعا على العرش وذلك عند النظر إلى وفاته والظروف التي صاحبها والصراع القائم بين فرع خليوت وفرع تهارقا، حيث يروي أخوه الملك اسبيلتو الذي خلفه على العرش أنه كان يقود الجيش شمالاً ولما بلغ الجيش منطقة الجبل الطاهر جاء اسبيلتو نبأ الموت المفاجئ لأخيه أمانى- ينل فقطع مهمته، أية كانت هي وعاد إلى مقر الملك السابق ليستولى على الملك.

والراجح أن أمانى- ينل كان في مكان ما بعيد من مدينة الجبل الطاهر حين أرسل اسبيلتو بمهمته في الشمال. وبذلك تكون المسافة بعيدة جداً بين مكان الملك ومكان أخيه وهذه المسافة كافية جداً لنجاح خطة اغتيال الملك (إذا أخذنا بأسباب الاغتيال) في غياب أسبيلتو.

ويرى عبدالقادر محمود أن مروي، العاصمة الثانية لكوش آنذاك، كانت هي المكان الذي كان فيه الملك ومن معه، وأن أسبيلتو مع كل الجيش قد بدأ الزحف منها. ولاشك أن مدبري الاغتيال (فرع خليوت ربما) كانوا يعلمون بنية قيادة اسبيلتو للجيش كله خارج العاصمة، متجهاً شمالاً في المهمة المحددة له، ولم تحدد في نقش اسبيلتو. لذا وقتوا لتنفيذ عملية الاغتيال واسبيلتو وكل الجيش في المهمة العسكرية المزمع القيام

بها، وأن يكون بعيداً بما يكفي لنجاح الاغتيال وما قد ينتج عنه بسلام. لذا لما وصل اسبيلتو بجيشه مدينة الجبل الطاهر (جبل البركل)، وأدرك المتآمرون أنه قد ابتعد عن العاصمة بما يكفي لإنجاح مخططهم في أمان، دبروا اغتيال أمانى- ينل تخلصاً منه أو تمهيداً لاسترداد الملك.

الخاتمة:

خلاصة ما تقدم في هذه الدراسة يعد هذا النقش من النقوش ذات الأبعاد السياسية حيث ذكر فيه الملك أنلماني أنه حارب الثوار الخارجين عليه والذين يسببون له المشاكل وهذا ربما يدل على التمرد الداخلي الذي بدأ يظهر في السودان القديم واعتراف الملك بأنه توجد مجموعة تعارضة وتثور عليه سواء أكانت من بلاطه أو من الأجزاء الأخرى من الأرض التي تخضع لنفوذه.

إضافة إلى ذلك تعد دراسة النقوش السودانية المكتوبة باللغة المصرية القديمة من أهم الأدلة التي يمكن أن يعتمد عليها الباحثون من الأثريين والمؤرخين في تفسير وتحليل بعض الأمور المتعلقة بتاريخ السودان القديم في الجوانب السياسية منها والدينية والاجتماعية.

ومثل هذه الدراسات تزيل الغموض في فهم النصوص المكتوبة، وترجمتها للعربية يساعد في فهم محتواها لأنها أقرب ما تكون للعربية من حيث التراكيب النحوية واللغوية، ونسأل الله أن يعيننا في إجراء المزيد من مثل هذه الدراسات لأهميتها الحتمية في إعادة قراءة التاريخ القديم للسودان. احتوى النقش على وصف الملك وألقابه.

وتحدث النقش عن أن هناك مشاكل كان يحدثها سكان الصحراء- البدو (البلوين/ البلبي) في عهد الملك أنلماني. كما عين الملك أربع من أخواته لمعابد آمون ليكن عازفات صلصال (شخشيخة) وبذلك يكون قد وضع أهمية المعبود آمون حتى عهده. ووصف زيارة أمه نسلسا إليه لتراه على عرش أوزير كما فعلت ايزة عند أتت من أحراش الدلتا لترى ابنها حور على عرش أبيه أوزير، وذلك تأثراً بجده الملك تهارقو أو محاكاة له.

نامل أن يفعل البحث المكثف في دراسة اللغتين السودانية والمصرية القديمتين، لكونهما لغات السودان القديم لما يقارب الألف عام، فهي بذلك من ناحية الفترة الزمنية كانت الأكثر استخداماً بعكس اللغتين السودانية القديمة (750 عام) واللغة العربية (800 عام).

كذلك تشجيع الدارسين لهذه اللغات وذلك بتوفير ورش العمل مع المختصين بها داخل البلاد وخارجها حتى تتيح لهم فرصة مواكبة الترجمات القديمة مع الترجمات الحديثة، وإعادة قراءة النقوش المترجمة مسبقاً إلى اللغة العربية لسد الثغرات الموجودة في تاريخ السودان القديم ومواصلة هذا البحث

ببحوث أخرى تحمل فكرة ترجمة النقوش المصرية إلى اللغة العربية وبخاصة فترة الأسرة الخامسة والعشرين
والفترة النبتية الثانية.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أسامة عبد الرحمن النور، تاريخ السودان القديم، أمدرمان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2006م.
- سامية بشير دفع الله، تاريخ مملكة كوش (نبته ومروي)، الخرطوم، دار الأصدقاء للطباعة والنشر، 2011م.
- عبد القادر محمود عبد الله. تحت الطبع، السودان القديم- التاريخ السياسي.
- عبد الله النور عبد الله، نقوش سودانية مكتوبة باللغة المصرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة النيلين) 2017م.
- محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1998م.

المراجع الأجنبية:

- Arkell, A. (1955). *History of the Sudan From the earliest time to 1821*. London press.
- Budge, A. (1986). *"The Egyptian Sudan Vol. II, Its History and Monuments"* London: Darf Publishers Limited. 1986.
- Eide, Tormod, et al (1994). *Fontes Historiae Nubiorum*, University of Bergen Department of Classics.
- Gardiner, A. (1957). *Egyptian Grammar. 3rd Edition*. London: Oxford University Press.
- Grimal, C. (1980). *Bibliothèques et propagande royale à l'époque éthiopienne*. Livre du Centenaire, BIFAO 104. Le Caire.
- Grimal, C. (1981). *La stèle triomphale de Pi('ankhy)* au Musée du Caire Institut français d'archéologie orientale IFAO, 48862 et 47086-47089. Le Caire.
- Macadam, M. (1949a). *The Temples of Kawa vol.1, The Inscriptions. Text and Plates*. Oxford: Oxford University Press.
- Macadam, M. (1949b) *The Temples of Kawa vol.2, History and Archaeology of the Site*. Oxford: Oxford University Press.

The Archaeology of Nauri in the Third Cataract of the Nile: during the ancient, the Medieval, and Post Medieval periods

Prof. Ali Osman

Department of Archaeology, Faculty of Arts, University of Khartoum

Abstract

This article presents the results of the University of Khartoum archaeological project in Nuri, located in the Mahas region of Northern Sudan, for the seasons 2015-2018. The research findings shed light on the history of the region, specifically the Christian and Ottoman remains, which are clearly represented in terms of settlement and cemetery. The Christian remains at the site suggest an early Christianity that emerged with the arrival of the Aksumite kingdom under the leadership of King Aizan, who invaded the region of Meroe around 250 AD. Additionally, the article discusses the ancient place names resulting from historical entanglements in the region.

Keywords: Nauri, Christian period, Ottoman period, King Aizan

المستخلص

يعرض هذا المقال نتائج مشروع جامعة الخرطوم الأثري بمنطقة نوري الواقعة في منطقة المحس شمالي السودان، لموسمي 2015-2018م. وقد سلطت نتائج البحث الضوء على تاريخ المنطقة، وتحديد الأثار المسيحية والعثمانية، والتي تمثلت بشكل واضح من حيث الاستيطان والمقابر. وتشير البقايا المسيحية في الموقع إلى مسيحية مبكرة ظهرت مع وصول مملكة أكسوم بقيادة الملك عيزانا الذي غزا منطقة مروي حوالي عام ٣٥٠ ميلادي. بالإضافة إلى ذلك، يناقش المقال أسماء الأماكن القديمة الناتجة عن التشابكات التاريخية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: نوري، الفترة المسيحية، الفترة العثمانية، الملك عيزانا

1. General introduction:

Nauri is a village in the Mahas region. It is one of the 27 villages of the Third Cataract of the Nile in the district of Faraig “of Delgo” in the northern state of ‘Sudan. These villages are at risk of being flooded by a government plan to build a dam near the village of Kajbar ‘downstream of the cataract (see Figure 1).



Figure (1), the general map of the Mahas shows important sites and places of interests

The Third Cataract of the Nile stretches between the village of Tombos in the south and the village of Sabu in the north. The Nile flows in its normal course to the village of Amla and then turns its course eastwards to the village of Nauri, a distance of about 15 kilometres on the right bank of the Nile and about 12 kilometres on the left bank. A large island called Ardwan covers a large part of this distance as the river splits into two branches at Amla.

The right bank runs straight east to Sabu, the left bank runs north for about 3 kilometres and then turns east at the village of Fageerafentti. This island is considered the second largest island in the Nile as it measures about 7/5 km at its widest point. The island is rough in most of its parts and has huge boulders extending outwards and a sandy patch on its eastern side that stretches for about 2 km, making travelling quite difficult.

The hilly rocks of Ardwan Island are made of ferruginous sandstone, locally called Jaw. The abundance of this type of stone gave the island and its region its name, Jarror. Most of these extensive granite and diorite boulders have a considerable number of rock gongs (Tahir. 2012. 24).

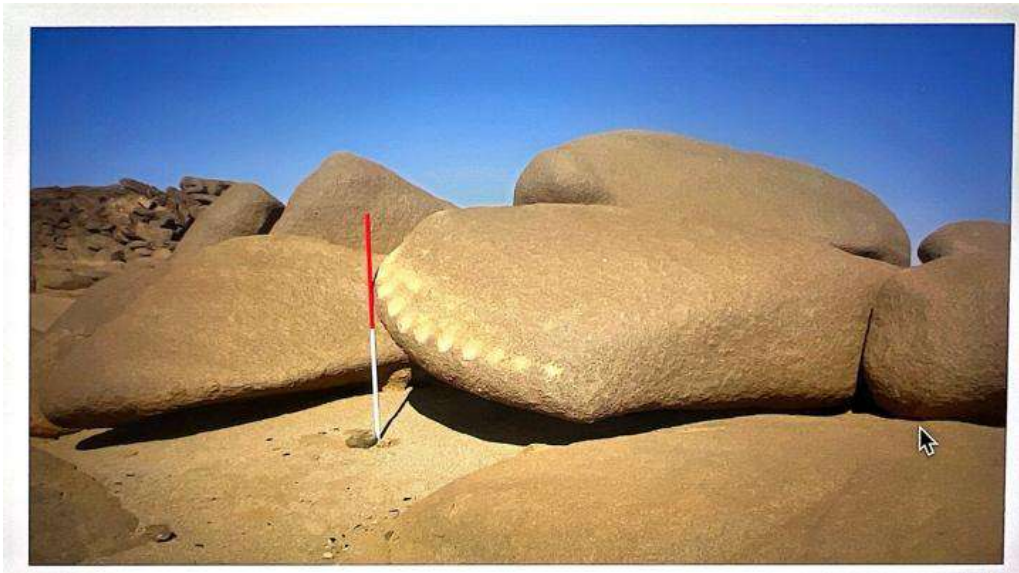


Figure (2), Rock Gongs

Nauri lies at the junction of the right branch of the Nile with the left branch, which forms the island. A third dry Khour of the Nile also flows back into the main Nile at Nauri and is called Khor “Sharq Fad”. The village of Nauri has no large agricultural areas, it only has land for (9) small sagias (water wheels), while the neighbouring village of Mashakaila has (27) large and medium sagias (water wheels). This fertile farmland is accessible from the Nile in Mashakaila and continues to the village of Sabu, with only two breaks through hilly terrain leading down to the Nile; it almost closes and separates the village of Mashakaila from the village of Farieg and Jedi and separates Jedi from Sabu.

The dry Khor (Khor Sharq Fad) is difficult to live in. There is reasonable running water here during high floods. In this case, the inhabitants store the fresh water in wells dug in the centre of the khor. They then use this water in the summer. There are still some notable villages on both banks of the dry Khor. The Khor was probably not as dry in the past as it is today, as there is an important mediaeval site in the village of Alliki. This village and other villages on the east bank of the dry Khor gain their importance from the fact that they overlook and accommodate the travelling routes from the south through the hinterland. One of these important travelling routes from the south passes through Khor Masaida, where one of the last small churches from the Christian period. It was built between two large blocks of granite rock.

The southern one of them bears a very interesting Meroitic graffiti showing a man leading a lamb, which we believe to be a religious graffiti. In fact, this graffiti and the mediaeval church make this place a sacred site that the villagers still visit secretly today.

The Mahas villages are made up of smaller units called irki, which form an extended family, with their own sagia (waterwheel) and agricultural land as well as their own farre (riverbank). Some of these Irkis have grown over time into larger units consisting of Maris. However, while the Irkis are usually named after the names of their members, the Maris are described by the directions, such as: Doro – n – mar, tawo – n – mar, oro – n – mar, kalo – n – mar. I.e. upper mar, lower mar, western mar, eastern mar, respectively.

The inhabitants of the mar-s, irki-s and villages intermingle and form a siirawi, which means a lineage. The members of such lineages may live in nearby or distant villages within the Mahas region and/or neighbouring regions. They may also live in the cities of Sudan or anywhere in the world. In all cases, however, they retain their ownership of land in their original irkis, even if it is only a decimal piece. Land ownership proves their historical rights and identity (Osman. 2004). The larger lineage of Nauri is Mashakaila, located in the east. The village of Mashakaila is larger than the village of Nauri. While Mashakaila consists of 27 irkis, Nauri has only 9 irkis. The two villages are usually called Mashakaila–Nouri or Nauri–Mashakaila, as if they were a single name.

However, while Mashakaila has an irki of the same name, as is common in many Mahas villages, there is no irki of the same name in Nauri. Research into the history of the two names has shown that Nauri is an old name, while Mashakaila is a relatively new name: probably from the Funj period (1504 – 1821).

Between 1530 and 1550, the Funj extended their rule northwards into the northern region of the Third Cataract. They occupied the area until around 1580, when the army of the Ottoman Empire expelled them south of the Third Cataract. It was the Funj's administrative system to divide the regions under their control into hafiers, and as Evliya Celebi's description of the Mahas region (1670 – 1672) shows, the region was divided into two hafiers. Al-Hafier Al-Kabier and Al-Hafier Al-Sagier, with the dividing line at Jebel Wahaba, opposite Kajbar.

Mashakaila is therefore a name made up of two words: Masha (Mishi), meaning great, and Kaila (Kul- la), meaning Hafier. (La) is the authoritative character. The oldest village in Mashakaila is related to Kush-an-irki, which is our village. It is registered in the land register of 1907 as Mashakaila No. 16. But since our great-grandfather's name is Haj; people now call our village Hajen-irki. Thus, our village retains the ancient name of the Middle Egyptian kingdom for the region, which is mentioned in the inscription of Senusret III at Semna on the second cataract of the Nile (1879 – 1841 BC) (Smith. 2003).

The name of the village and the insistence of the late Abdullahi Ameen, an elder from Nauri, in 1969 when I wrote my fifth year bachelor thesis entitled "The Third Cataract Region Through History" "that the names Nauri and Kush-an-Irki are twins, and the discovery by Professor V. Rondot (2008) of the cartouch of King Senusret III on the eastern mountain of Nauri makes me reconsider my earlier writings on the meaning of the name Nauri (Osman. 1984. 2004).

According to my current understanding, the name is made up of two Nubian words: Nau meaning Southern and iir meaning marker and/or boundary. So Nauri means southern marker or boundary (the last letter is a final sign). The projection of this meaning tells us that Nauri was the southern boundary of the land that was under the influence of the Middle Egyptian kingdom, though not under its direct rule. Nevertheless, I lack direct evidence to confirm that the stone-built fortresses of Marakool, Shofien, Nauri and Kush – an – Irki date from this period. The fortresses of Markool and Shofien are still intact. The remains of the fortress at the foot of the western mountain of Nauri still exist, with a bastion on the eastern wall. However, the fortress of Kush-an-Irki was dismantled and its stones were used to build the huge platforms and canals of the sagias of Kushanirki, udolirki, fark and Shageeg, with a very similar architectural style to the surviving sagias. There is also a gypsum quarry on the eastern side of the western mountain, which is believed to be as old as the fortress nearby at the foot of the mountain.

The eastern mountain of Nauri is therefore undoubtedly evidence of the presence of a new imperial administration at this location. There was also a new state cemetery on the edge of the agricultural land in and around the site of the new mosque, which was visible until the late 1960s (Osman and Edwards. 2012).

2. Previous archaeological works:

Earlier archaeological discoveries from Nauri are known. The one important document and the inscription in the eastern Gebel have been known for some time and have been published. The Nauri Decree of Setti the 1st was translated by: W.F. Edgerton 1947. The decree was published in the Journal of Egyptian Archaeology Vol. 38. December 1952, pp. – 24 – 33 by Griffith and Sir Alan Gardiner wrote some reflections on the decree. The main subject of the decree is the cession of land from Lower Nubia to Nauri to the temple of Abydos in Egypt. The other discovery was the famous Christian document that Syce had bought from a villager in Nauri. It is written in Old Nubian, and the subject of the document is an agreement between the owner of the sagia and a farmer "Turba" in Nubian.

Other important writings about Nauri are the descriptions of travellers who passed by Nauri or its surroundings. The most important of these was Ibn Saleem El-aswani, who does not clearly mention that he visited Nauri, but he wrote about the seven provinces of Nobatia and about the borders between the Nubian speakers and Dongolawi speakers. The border runs only about 20 kilometres to the south. Further important information comes from Sçelebi, the Ottoman traveller, who left a detailed description of Nauri (Osman. 2006). Sçelebi's description of Nauri is particularly important because he identified the Ottoman palace at the foot of the western Gebel and mentioned the official who built it.

3.1. The Archaeology of the Western Jebel:

The centre of the village of Nauri are two mountains, which were nicknamed "twins" by earlier visitors. They stand about 1 kilometre apart on the edge of a dense cluster of palm trees. Both mountains bear historical traces of man, and both are natural landmarks. The eastern mountain bears the important Egyptian inscription from the New Kingdom, which has been copied, studied and published (F. LI. Griffith. 1925).

The western mountain, which is the focus of this project, has been visited by many scholars, but no serious fieldwork has been done to record, plan and study the numerous, diverse and complex archaeological sites. We have divided the archaeological sites of the western mountain into five areas:

- Area (1) - the Western Mountain.
- Area (2) - the Ottoman palace.
- Area (3) - the village of Jeer.
- Area (4) - the gypsum quarry.
- Area (5) - Siw-in-doki(the sand dokki).



Figure (3), A general view of the buildings in front of the western mountain.

Area, one comprises a large stone-built fortress at the foot of the mountain with two partially preserved stone bastions and piles of scattered stones in what would have been the interior of the fortress. Among the piles of scattered stones is a stone wall about one metre high and two clay structures.



Figure (4), door and tower

The eastern wall of this fortress climbs further up the mountain to its uppermost level, where the entire circumference of the mountain is cut and flattened to house a series of buildings made of stone, mudbrick and clay, and cavernous geographical south.

These buildings form a complete mediaeval residential neighbourhood with churches and attached single rooms that appear to have been used and inhabited for a long time.

The churches and living quarters are spacious enough to have been the residence of some notables, e.g. Saheb Al-Gabel, the deputy king of the Christian kingdom of Dongola 700 – 1323 A.D. His Nubian title was Ogjnoon, meaning the great Nubia, translated into Arabic as Kabier al-Nuba.

In the uppermost part of the Gebel there is a man-made platform that surrounds the entire Gebel. The following sites are located on this artificial platform. Two substantial large buildings on the eastern side, one residential and the other religious, probably a royal residence and associated church.

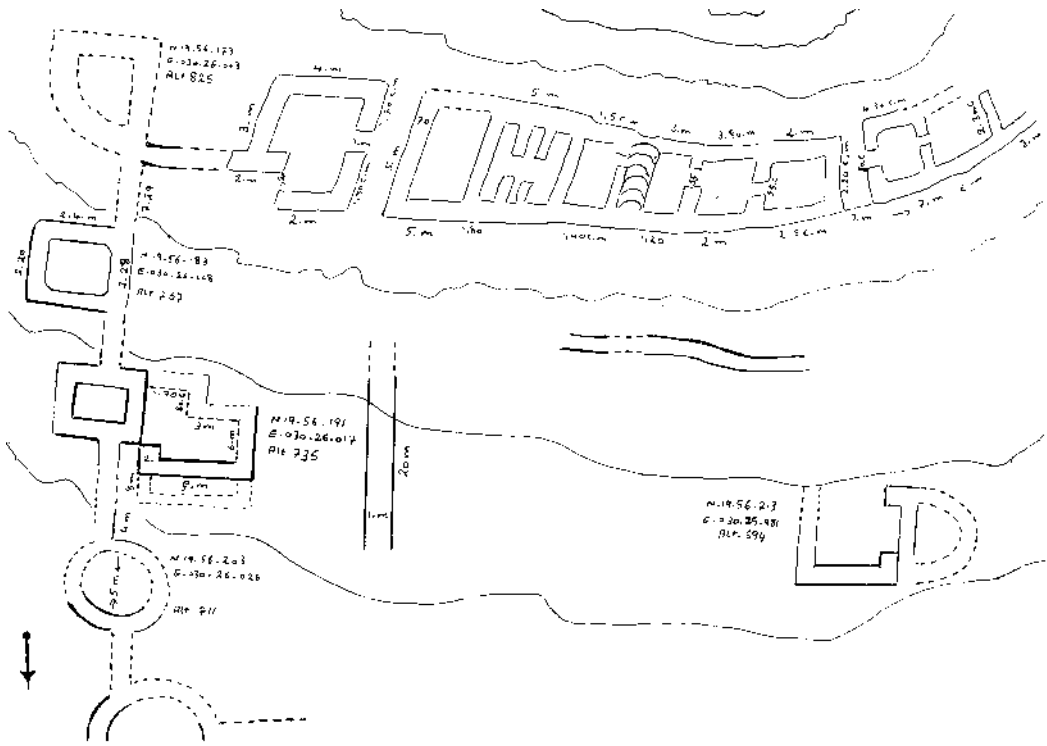


Figure (5), A general sketch of the buildings on the flattened area 880 feet up the western mountain.

To the left of these buildings is a curious replica of the cut mountain. To the right of these buildings, facing south, is a large cave with a flattened floor and more than 200 ancient crosses from the very early Christian period, usually known as Axumite crosses. “These crosses are known to be of South Asian origin and are attributed to a sect called “the sect of Julian of Halicarnassus” Halicarnassus, which originated in Egypt in 518 – 520 AD. It then spread throughout Arabia, thanks to the activities of a certain Eurtropius. He consecrated ten bishops in Arabia and sent them out in all directions. From 525 AD, the southern part of the Arabian Peninsula was under the rule of the Kingdom of Axum. Julian’s belief system spread from southern Arabia to Axum. And from there to Soba in the kingdom of Alwa”. No exact date can be given, but it can be assumed that the Afthartodoketic teachings were already being disseminated in Axum before 550 AD and that they reached Alwa before the arrival of Longinus in Alwa” (Vantini. 1987. 49). And that would take us to a quarter of a century before the arrival of Longinus in Alwa” (Vantini. 1978).

We were somewhat astonished to discover this cave and its ancient crosses, which are more than 200 in number, since supposedly only two examples have been discovered before, one in Soba and the other in Ikhmind in Lower Nubia ‘and since we also know from Longinus that the king of Alwa asked him to languish this hieratic Christian group whose Christian symbol was this cross.



Figure (6-7), the main cave with red crosses

Later, however, we discovered the foundations of a circular building in the northernmost part of the modern Nauri cemetery, which is separated from the main cemetery by lorry tracks and almost belongs to the old village of Eastern Nauri. The round building is most likely the remains of a "Christian church of the Axumites", as we discovered at the Axumite headquarters in El-daiga north of Gebel Um Ali (Osman. 2013). Only heavily eroded parts of the foundation walls are still visible. We were unable to photograph these remains because many villagers gathered when they heard about some of our workers and

prevented us from completing the excavation, which we had reburied in the hope of excavating at a more favourable time later.

The church in Wadi Messida, which we assumed to be from the late Christian period, could also be attributed to the followers of this sect. In fact, there is still a binayia in the modern cemetery of Nauri, built in the same style as the church of Messida, but containing four Islamic tombs.

We do not know how the followers of the Julian sect arrived in Nauri and when this happened, but interestingly this western Gebel is called Gebel Isa by the locals, and we are told that it has been called this for generations. However, today's population seems to know nothing of these crosses, because the Gebel is still called Gebel Isa. Now the discovery of these crosses gives a clue to the name of the Gebel as such Gebel Isa. The presence of these crosses, which were left by a considerable number of believers from the early history of Christianity, is proof of the name of the Gebel.

It will be interesting to examine what happened to these groups when the official missionaries established their churches in Maquria and the Kingdom of Alwa. Another striking feature of the western Gebel is the remains of gypsum quarries. The attached picture shows that the gypsum deposits in the mountain were quite considerable. It is likely that these walls and activities began during the Egyptian Old Kingdom at Nauri, when a considerable amount of gypsum was needed for the stone buildings of Egypt.



Figure (8), the Quarry

We have no direct evidence for the presence of the Old Kingdom in Nubia, but the gate of a fortress at this Gebel and the fortress of Shofien on the opposite bank of the river

show great similarity to the fortresses of the Middle Kingdom in Lower Nubia. Professor Vincent Rondont` from the French Unit in NCAM discovered a previously unknown rock statue with the name Senusret III from the Middle Kingdom. The long inscription of King Setti I on the west side of the eastern Gebel indicates the presence of other Egyptians in the Nauri area.

The village was only moved to the hinterland of the old site in the 70s – 80s of the last century. This is the only known post-mediaeval village in Nubia so far, the other twin village Kushanirki in its eastern neighbourhood was completely destroyed for agriculture and gardens in 2002 – 2005.



Figure (9), an aerial photograph of old Nauri

In front of the eastern gate of the stone fortress there is an area of about 10 by 10 metres that looks like an intact stratified deposit, well suited for a test pit and a complete excavation to check the dating and pottery classification. The building on the uppermost, flattened area also has well-filled soils that should be excavated. However, it is very difficult to say anything about the floor of the fort itself until the cairns have been removed, which will be a major undertaking for the coming seasons of work.

The northern shoulder of the eastern stone fortress gate is associated with a

mudbrick building of at least two storeys, which we had defined in the general survey of the site as the residence of the civil Ottoman governor of the region from c. 1585 to c. 1750, and which we hereafter call the Ottoman Palace.

This Ottoman neighbourhood (area 2) merges into the village of Jeer (area 3), where the houses of the region's inhabitants from the 17th, 18th, 19th and 20th centuries are located. These houses occupy the north-eastern side of the hill, with the exception of two or three houses that occupy the northern part of the stone fortress, outside its northern wall, to the west of the Ottoman palace. The last picture (3 and 10) shows the village of Nauri from the 60s – 20s of the last centuries, including the Ottoman palace. Clear evidence that Nauri was populated and an important place in the post-mediaeval period.

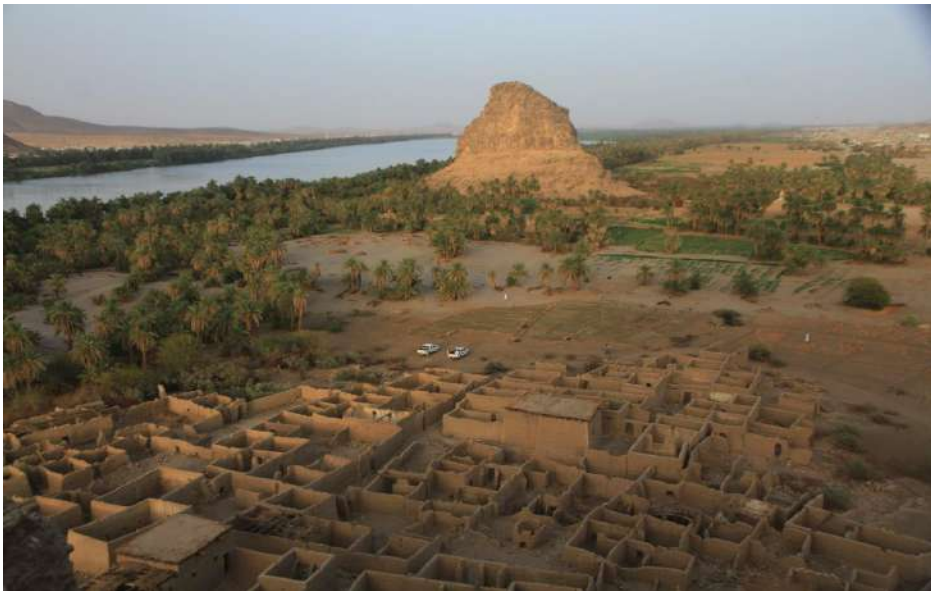


Figure (10), The village of Jeer from up the western mountain (the eastern mountain in the view)

South of the village of Jeer and on the sloping eastern side of the mountain is a stone wall running east-west and south of it is a gypsum quarry (area 4) that is still in use.

North of Jeer village, there is a raised platform of white sand (shore sand) between the palm trees that stretches from east to west. It is called siw-in-dokki (area 5).

Although there was a Misead (communal place) near this doki that was the social meeting place for all Jeer residents and their guests before the village was moved from here to the south beyond the agricultural lands, the sand doki was also a social meeting place until recently. I have noted elsewhere that this doki must have been a model for the doki of Old Dongola, on which the crowning palaces of the kings of Dongola (700 – 1323) were built. This doki was therefore possibly the seat of the Sahib al-Gebel (Ogjnoon), who I strongly

suspect lived in the palace of Gebel, as described above (Osman. 2013).

Doki (Tugul) in Donglawi is normally a low hill. It seems that it had some political and administrative importance in the Middle Ages. The settlement and the doki were and are a royal or semi-royal seat. Its political importance dates back to the Koka of the Fung period. The significance in the Nobeen and Tudi and or Togo, although, Tudi in an elevation within what could be understood as the main space of the pair. While Tudi is either in the hosh or outside the house.

Climbing the western mountain is a very dangerous endeavour. For the members of the project team, it was a serious and adventurous endeavour to achieve the goals of the first working season. But thank God we managed to finalise the documentation and planning of the various parts of the complex buildings on the mountain and on the flattened site at 880 feet. Nevertheless, we still have to manage to get a lifting platform for the coming seasons.

It has also become apparent that we need to carry out archaeological studies in other parts of the Nauri-Mashakaila region and outside the region, especially at the mediaeval royal burial site in Defoi where all the important personalities of the time were buried and where some interesting tombstones in Greek were collected (excavated!!) by some locals and are now in the National Museum in Khartoum.

3.2. Mashakaila:

A second important site within the village of Nauri is the large mediaeval, post-mediaeval and modern cemetery of Nauri. This is a continuously used cemetery from the Christian period and there is a church associated with it (see above). There are also some early Islamic tombs, as we described from Simit Island in the report on Maha's general investigation.

The cemetery of Mashakaila is also an important site. Although it has no Christian tombs, there is a possibility that it is a burial site from the Christian period. It also contains many early Islamic tombs.

Mashakaila also has many large sagia buildings and tall and long stone canals connected to them. The high platforms of many of these sagias are still preserved. These are also built of stone. These sagias must have been active in the Middle Ages.

The famous Nauri Decree, published by F. LI. Griffith in 1928, deals with an agreement (Nubian-Todan) between a sagia owner and a torbal (farmer).

So, to complete our picture and understanding of the mediaeval and post-mediaeval city of Nauri, we need to carry out archaeological work at the sites mentioned in 3.2. As well as restoration, conservation, protection and preservation work at all the sites of the Nauri-Mashakaila villages.

4. The Archeology of greater Nauri:

The archaeology of the village of Nauri, as described here, forms the largest part of the archaeology of the greater Nauri area. Following Ibn Saleem Elaswani, I have created a map showing the seven provinces of Christian Nubia. Of the seven provinces of Maris, five were in the Mahas region (see Map 1), the other two comprised the two northern provinces, Sikaut and Lower Nubia.

The province of the Mahas region, which comprised the region of the 3rd Cataract, marked as number (1) on the map, is our subject in this part of the article. In reality, it is the larger Nauri as the sites in these areas associated with the Nuari sites in this region include on the west bank Kajabar to Shofain including Diffoi where the important men who lived in Nauri were buried. It is called Tinniti (see “Osman and Edwards 2012. 248 – 249 especially Figure 8.5.4.). Tinniti is a compound Nubian word that actually means 'dia ain Utti', dia meaning death, ain meaning great and Utti meaning harbour. The image here was most likely a religious academy and a series of cemeteries.

To the west of the hill on which the academy is built, we discovered two large tombstones written in classical Greek. The two inscriptions are accessible to anyone interested. The religious complex at the top of the hill contained a two-storey church. To the east of this building in Halaiba are two castle houses, which are quite elaborate and well built. Most likely these were the residence of the priests. We have not excavated the cemetery and the two Greek inscriptions we have found are partially visible on the surface due to severe soil erosion. In the same area, east of Shofain and an open area called Kobodi. Ko means governor and Bood is synonymous with quarter or field. So, this was the governor's field or quarter. Shofain is also a compound name made up of Sho (book) and ain (big), so the word Shofien means the big book “The Bible”.

There is a church in Shofain, which stands at the back of the village towards the hill. About 5 kilometres west of Shofain is a place called Fageenfenti (see Osman and Edwards. 2012. 234 – 235). This was a caravan station and still is. It was connected to a church and a sagia. Several ostraca were collected from this church. We believe that this was a customs station for trade caravans between the north and the south. A deep khor called Kofarki, which leads to the river south of Fageenfenti and connects the official's place with the island of Ardwan. The governor's farki is most likely the occupant of the Fageerinfinti building.

On the east bank west of Nauri, west of the elongated curve of the Slarg foot, is a very large fortification called Malljab (see pages 406 – 408 in Osman and Edwards 2012, especially Figure 8.39.3). It opens directly onto the Nile. This was probably the most important harbour of Nauri. Another related site is at Massida (see page 322 to page 330, especially Figure 8.21.6), a large complex of buildings at Allikki. Other related sites were a church at Deffi noug, the castle houses of very fine architecture. In the hinterland of Massida and Allikki are the famous church of Messada and engraved details of rock drawings. The complex at Alikki appears to have been a barracks. The site of the church of Messada was a religious neighbourhood. Allikki may also have been a residential complex for the governor of Nauri (see Figures 8.21.18, 8.21.9 and other petroglyphs such as Figures 8.21.20 and

8.21.21 in Osman and Edwards. 2012). The name Massida is a compound name from Masi (Mahas in Dmgolere) and doki- Masi-N-Doki. Interestingly, the area west of Mesaida is called Ogjinoon, which means the great man, most probably Sahib Elgebel, who was called Azeem by some Arab travellers Arab travellers as Azeem Al-Nuba, Kabeer al-Nuba' and who I believe lived in Nauri.

5. Final remarks:

There has been much discussion about the character of the Nubian It was claimed that the two great sects of Christianity, the Monophysites and the Dyophysites, predominated in Nubia, since the missionaries who converted Nopatia and Maquria, as well as Alawa, belonged to these two different sects. However, there was never any talk of the presence of what Father Vantinni called Axumite Christianity in Nubia. The only moment that proves the existence of believers of these sects was when the king of Alawa ordered the official missionary who arrived in Alawa to kill the believers of this sect.

All in all, our findings in Nauri are very interesting and new. The worship cave in the western mountain of Nauri clearly proves the history of the presence of believers of this sect in Nopatia. They seem to have come to Nopatia in the early days of Christianity and stayed there. Besides these crosses, we discovered the round building in a very crumbling condition in the present cemetery of Nauri north of the old lorry track, as mentioned above just behind the houses of Awlad Mustafa Khairi, who are related to my family in Mashakaila. As we already had some difficulties and disagreements with some youngsters from Nauri who believe that the Ottoman palace at the western Gebel is the residence of their grandfather who they believe was the king of Nauri, we know from the detailed description of the Ottoman traveller Sçlebe who built this palace and when, and I could not have easily agreed with their claims. We have not said anything about this round building, which to me resembles the Axumite round church we discovered in El-daiga, the main town of Eizana (Osman. 2013). However, this happened during the last Islamic regime, so we will be able to reopen the building and define it. Yes, it is wise to let it rest now. In the same cemetery there is a building "Binaya" built exactly in the style and shape of the Messaida church, but those buried in it are 4 Muslims.

The Binaya and its shape gave me a clue. Even when I was writing my thesis on the history of Nauri over time, I had the feeling that the character of Christianity in this region was not comparable to that of Christianity in northern Nopatia or in Maquria. This feeling haunted me as I copied the rock drawings of Kidintakkar in the Jedi Sabu villages. I will include them here to show how different they are from the known churches. Later, Professor Tahir and his team reported that they had found church petroglyphs in El-Ga`ab that matched the Jedi and Nuri ones.

Could the Christians who drew these churches on the rocks of Kidintkkar and possibly in still unknown places in Nubia have drawn these churches only in their imagination' or were their churches built in the same style as they experienced and possibly prayed in?

References

- Al Osman and David Edwards. (2012). *The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract. Sudan*. Bristol.
- Ali Osman. (1984). “Historical Archaeology: An African Viewpoint in Bashir, M, (ed) The Nile Valley Countries Continuity and Change. *The Institute of African and Asian Studies*, University of Khartoum. Sudan. Vol.2, 1984. 59-59.
- Ali Osman. (2006). “The role of Arab and Islamic travelers in the archaeological exploration in Sudan”. The travel of Ullia Scelebi in the Mahas Region 1670-1671 in the volume of *Sudan & Africa in Eastern & Western Traveling Accounts*. 377-391. Khartoum.
- Ali Osman. (2013). *The archaeology of Meroe northern environs, an interim field report*. Department of archaeology, university of Khartoum.
- Ali. Osman. (2004). “Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region during the Medieval and Post-medieval Periods”. *Azania: Archaeological Research in Africa*, No 39, 2004. 34-49. Rotledge, London.
- Francis Griffith. (1925). “Oxford excavations in Nubia”, *LAAA* 12, 57–172.
- Geovani Vantini. (1978). *The History of Christianity in the Nubian Kingdom and ancient Sudan*. Khartoum.
- Stuart Smith. (2003). *Wretched Kush: Ethnic Identity in Egypt’s Nubian Empire*. London.
- Yahia Tahir. (2012). “Rock Gongs from the Nile Third Cataract Region: In Archaeological and Traditional Contexts”, *Nyame Akuma*, No. 77, 24-36.

The Archaeology of North Kordofan State; Comprehensive Archaeological Survey of the Kordofan Mountains

Dr. Hwida Mohammed Adam Ahmed

Department of Archaeology, Faculty of Arts, University of Khartoum

Abstract

Work on the Integrated Archaeological Project in North Kordofan, which is managed by the Department of Archeology - faculty of Arts -University of Khartoum, began in 2008 and included a number of seasons. The work was particularly focused on the 2014 and 2016 seasons in the Kordofan Mountains area, which is located east of the city of El Obeid and at its main entrance. The highway linking the city of El Obeid to the country's capital (Khartoum) divided the mountains into two northern and southern parts, each of which includes a number of mountains, all of which were surveyed over two consecutive seasons, where the southern part was surveyed first in the 2014-2015 season, and the northern part secondly in the 2014-2015 season. 2015 -2016. The results of the survey revealed many sites representing various periods and several types of sites. It is certain that this mountainous region, despite its rugged terrain and environmental conditions, contains important archaeological sites that should be included in the map of Sudanese antiquities. Archaeological work must also continue until the region gains its archaeological importance and identity, especially since this national wealth is vulnerable to disappearance due to human and natural factors.

Keywords: North Kordofan, Kordofan Mountains, El Obeid, Archaeology

المستخلص

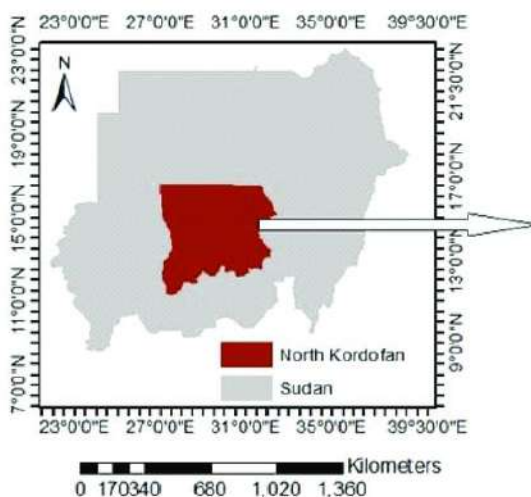
بدأ العمل في مشروع الأعمال الأثرية المتكاملة بشمال كردفان الذي يديره قسم الآثار – جامعة الخرطوم عام ٢٠٠٨ م. وقد شمل عددا من المواسم حيث تركز العمل بشكل خاص في موسمي 2014 و2016م في منطقة جبال كردفان التي تقع شرق مدينة الأبيض. وعند مدخلها الرئيسي قسم الطريق السريع الذي يربط مدينة الأبيض بعاصمة البلاد (الخرطوم) الجبال إلى قسمين شمالي وجنوبي، ويضم كل منهما عدداً من الجبال، تم مسحها جميعاً على مدار موسمين متتاليين، حيث تم مسح الجزء الجنوبي أولاً في موسم 2014-2015م. والجزء الشمالي ثانياً في موسم 2015 – 2016م. وقد أسفرت نتائج المسح على العديد من المواقع التي تمثل فترات وأنواعاً مختلفة ، ومن المؤكد أن هذه المنطقة الجبلية، على الرغم من تضاريسها الوعرة وظروفها البيئية، تحتوي على مواقع أثرية مهمة يجب أن تدرج ضمن خريطة الآثار السودانية. كما يجب أن يستمر العمل الأثري حتى تكتسب المنطقة أهميتها وهويتها الأثرية، لاسيما وأن هذه الثروة القومية معرضة للزوال بسبب العوامل البشرية والطبيعية.

الكلمات المفتاحية: شمال كردفان، جبال كردفان، الأبيض، الآثار

The basic survey rules for working on the North Kordofan project initially focused on selecting areas from different directions of the state so that we could obtain a comprehensive preliminary knowledge of the types and periods of sites throughout the state, especially since the state's area is vast (Adam. H. A). This plan may also help us focus on conducting other studies, such as social, environmental, folkloric, and other studies. In addition to knowing the areas where work needs to be focused or saved if necessary. Another critical issue included in the plan is linking areas with similar archaeological phenomena to the Nile regions in order to open the door to comparative and other studies. This comprehensive concept in survey work will help us greatly to study the antiquities of Sudan as a single crucible, even if their locations or periods differ.

The mountainous survey area is located about 20 kilometers east of the city of El Obeid. These mountains enjoy a strategic location, environmental protection, tourism resources, and finally archaeological importance after the discovery of many sites there. The geological structure of the Kordofan Mountains is considered one of the oldest geological formations in the region, as its formation dates back to the Precambrian era (Whiteman, 1971: 772). It is a complex rock formation consisting of many types of igneous, rainwater, and metamorphic rocks. As for igneous rocks, they are formations of granite, feldspar, and transparent quartz, while metamorphic rocks include gneiss, schist of all kinds, mica, granite, quartzite, and crystalline limestone.

From an archaeological standpoint, this mountainous region has not been subject to any type of archaeological work, and what the mission did over two consecutive seasons represents the first work there. The work included a complete survey of all fifteen mountains located south of the city highway, and seventeen mountains located north of the road. In addition to conducting some test probes for some of them, such as Jabal Al Ain.



Map (1) Location of North Kordofan State, Reference:
https://www.google.com/search?sca_esv=b5b0e98525aa10be&sxsrf

Survey techniques used:

The method of scanning by foot using positioning and direction devices is considered one of the most accurate types of surveying, as it depends entirely on accuracy in determining the location and determining its boundaries, except in certain cases such as the area of the site being wide, or its location in rugged areas such as swamps.

The work team relied on this method to spread throughout the site, collect information, define its boundaries, and monitor its various phenomena. The survey included climbing the mountains themselves, except in some cases where the topographic nature of the mountain does not allow climbing it, such as Mount Elixir. The surveyor then uploads the location using a GPS device and takes some samples for study.

The Survey – field Work:

The number of mountains in the region, both southern and northern, is fourteen, all of which were surveyed in two seasons. The southern side which we surveyed first contained five mountains which are:

1. Kordofan Mountain:

The significance of the mountain stems first from its name (Hwida. M. A 2017: 43), which was given to the whole group. The mountain contains (6) sites, most of which are settlement and burials. Most burials sites contained two shapes of tombs, the first being oval and the second being circular, both surrounded by quartz and quartzite stones and devoid of middle. The settlement sites included a number of pottery sherds and grinding stones (upper and lower). The distinctive site is Site No. (6), which is located at the foot of the mountain and contains a water tank (they used an exceptionally an exceptionally large, hollow rock in the middle to store water, or perhaps it was hollowed out). Directly below is the foundation of buildings, and scattered around them are sherds of pottery decorated with geometric shapes, but they are poorly made.



Fig (1) Kordofan Mountains



Fig (2). Tanks of water in Kordofan Mountain

2. Al Ein Mountain:

This mountain is an extended chain separated by a number of depressions. This name was given to it because there is a hole in which water collects at the bottom of the mountain, and when viewed from the top of the mountain it looks like an eye. This mountain contains (16) sites. The sites surround the mountain on all sides (but most of them are similar in general description).

Settlement sites contain remains of the foundations of square buildings (possibly dating back to the Islamic period), pottery sherds (especially Neolithic), and grinding stones. It is noted that a large number of hammers are spread.

The burial sites contain oval-shaped tombs, empty in the middle and surrounded by medium and small-sized rocks.



Fig. 3. Al Ein Mountain

3. Al Ein Al Sefia:

The mountain contains (7) sites, most of which extend over a wide area and are located in the western direction of the mountain.

The burials look like low mounds covered with quartz pebbles. To the south of it appears a building belonging to the cemeteries. It is the remains of a stone building containing a number of graves. It appears to belong to sheikhs or Sufis, called locally by the name *Banya*. Outside the buildings there are a number of graves, but their external appearance has disappeared due to the use of the area by shepherds.

The settlement sites contained a number of landmarks. At Site No. 3, there is a huge wall built of stones connecting two separate sections of the mountain. The width of the wall is 4.5 meters. It appears that its purpose is to reserve water for use during periods of drought (it may be a dam). Site No. (6), it contains the remains of rectangular buildings with a base made of the stones of the mountain itself. Site No. (7), it contains the remains of an ancient wall and a built-in room. Made of stone, there are also some parts of buildings in the corners of the wall, and they may have been the remains of watchtowers.

Site No. (4) contains the remains of square stone buildings (4.5 m long and 4 m wide), which were probably *Banya*, and contained two graves inside them. Oral narratives in the area suggest that they belonged to a man named Taqlawi, whose origins go back to the Sinnar state (1504 AD).

As for the rest of the sites, most of them contain many tools such as grinding stones and pottery pieces, but site no. (5) contains larger quantities than others.

4. Alixeer Mountain:

The mountain contains (6) sites, most of which are located on its southwestern side, and it is a single smooth rock that is difficult to climb.

Site No. (1) is located to the north of the mountain and contains pottery sherds dating back to the Neolithic period, in addition to millstones made of quartzite and granite. There are also remains of stone tools, but they are poorly made.

Two types of burials have been identified:

The oval one is surrounded by white stones and white pebbles cover the surface of the tomb, while the second circular one is covered in the same shape as the oval tomb.

Sites No. 3 and 4 contain large quantities of remains of stone tool manufacturing and poorly made pottery fragments, in addition to stone hammers.

Sites No. 5 and 6 contain poorly made pottery remains, in addition to stone tools

and grinding tools.

It contains 6 sites and is located to the southwest of Mount Al Ain and Daghim, which is a single smooth rock that is difficult to climb.



Fig. (4). Alixeer Mountain

5. Deghaim Mountain:

The mountain contains (7) sites, most of which are in the east, southeast, and west directions. The settlement sites contained large quantities of pottery fragments, grinding stones, ash, and some bones, in addition to holes drilled in a large number of mountain rocks. There are also many low mounds of small quartz boulders, which appear to be tombs, but have been damaged by erosion.

As for the two sites located east of the mountain, they are the remains of circular and oval burials surrounded by stones, some of which were filled with white gravel. The surface of the site is scattered with pottery fragments. Most of the sites date back to the Neolithic and Islamic periods, while a few are unknown.



Fig. (5). Deghaim Mountain

The north side of the high way contained nine mountains, which are:

6. Al Grawed Mountain:

It is one of the largest sites in the region, as it is located near the highway road and consists of (8) sites, including settlements and cemeteries.

The surfaces of the sites contain a large number of pottery fragments, and also contain a number of grinding stones carved on some of the rocks scattered around the mountain, in addition to hammers or so-called gang rocks.

The cemeteries contained a large number of circular shaped graves of variedvaried sizes, some of which were empty in the middle and surrounded by pebbles around them, while others were small hills covered with small pebbles. The circular type is also found surrounded by large, rough sandstones. This type was found on the western slope of the mountain. It is clear that many of these graves were washed away by rainwater, especially towards the north.



Fig. (6). General view Al Grawed Mountain

7. Al Gerawed East Mountain:

This mountain contains (7) sites, most of which are oval and circular burials surrounded by small quartz rocks, some of which are empty in the middle or filled with stones.

The site is full of hammers and pieces of decorative pottery dating back to the Neolithic period, in addition to grinding stones, especially the upper ones.



Fig. (7). General view of Al Grawed East

8. Tong Goldong Mountain:

The mountain contains (8) sites in which there are many burials, especially on the northeastern side, where the graves are either empty in the middle or surrounded by quartz stones, while the oval shape contains a lot of pebbles.

As for settlement sites, pottery fragments and pestles abound on their surfaces. What is different here is that the area north of the mountain contains a number of building foundations that were built of quartz stones and coarse sandstone. This part also contains large quantities of pottery shards, which are believed to be a kiln area for pottery making. Pottery pipes and a large amount of iron slag are also available in abundance.

The northern direction of the mountain contained a number of large hills, and after examining them, the foundations of buildings of different sizes and sizes were revealed.



Fig. (8). General View of Tong Goldong Mountain

9. Arnika Mountain:

The mountain contains (9) sites, which contain burial sites, which are circular and oval graves, some of which are topped with white pebbles and quartzite, while others are empty in the middle and surrounded by quartzite stones.

As for the settlement sites, they were buildings with circular shapes whose perimeter ranged from 4 m to 5.4 m, and square buildings whose sides ranged from 6 m to 6.10 m. The presence of remains of building walls helped in taking these measurements.

These buildings were built of quartzite stones and coarse sandstone. The tools included pestles, millstones, and pottery shards, from which the black color was found for the first time.



Fig. (9). General view of Arnika Mountain

10. Small Arnika Mountain:

The mountain is a small mountainous hill and contains one site full of circular and oval burials, and also contains pottery shards and grinding stones.

11. Um Mareh Al Kabeer Mountain:

The mountain was clearly full of grave sites, but it has been destroyed by concrete and earth-bearers and farmers. There are some scattered tools, such as pottery shards and grinding stones on the surface of the site.

12. Um Mareh Al Sageer Mountain:

The mountain includes two settlement and burial sites; it concentrated in the

northeastern parts of it. The burial site contains circular tombs surrounded by rocks, while settlement site appears to be large in size, as it extends over wide distances, and its surface is filled with hammers, grinding stones, and pottery sherds.

13. Ali Wad Gomah Mountain:

The mountain contains four sites. In the eastern part of it, a large rock was found, the edges of which contained a number of graves. The southeastern side also contained a number of circular and oval graves surrounded by rocks. What caught the attention of the work team was the presence of a number of modern graves that were buried over the old one. There were also no tools on site.



Fig. (10). General view of Ali Wad Gomah Mountain

14. Abu Khezan Mountain:

The mountain contains (8) sites and tombs were found in the southwestern, northeastern, and eastern sides. They are oval-shaped tombs surrounded by quartzite rocks, and the surface of the tombs is spread with pestles, millstones, and pottery fragments, which date back to the Neolithic era and were found in large quantities.

As for the eastern side, a large building was found with a foundation made of mountain rocks, and its internal parts were exposed due to the presence of parts of its walls. The survey team believes that the building is a foundation, as its dimensions are (14.10 m * 10.6 m), and its wall is one meter thick, and it is close to the building. A rock was found with a number of holes that may have been used as hammers.



Fig. (11). Abu Khezan Mountain

15. Al Ggedyat (Gerawees As Sara) Mountain:

The mountain contains two sites, one of which is a cemetery consisting of a number of large circular graves, and its surface contains a number of hammers and grinding stones. In the northwestern direction, there is a foundation for two buildings made of stone, and there may be other buildings, but the density of weeds prevented them from appearing, in addition to the presence of a number of rocks in which a number of holes were found.



Fig. (12). Al Ggedyat (Gerawees As Sara) Mountain

As for the Kordofan Mountains, they have been completely surveyed, and all their sites are either under environmental, demographic, or urban .threat.

- More than half of them are burial sites (about 52%), while the settlement sites in them amount to 32%, and those shared by more than one type amount to about 7.5%

(most of them are settlements and burials), and the next percentage is for quarry, tank, and workshop sites, and the lowest percentages of sites Which we don't know.

The sites periods were concentrated between the Late Neolithic period (7 sites), the Islamic period (23 sites), and the Christian period (two sites), while the region was completely devoid of what remained of the civilizational sequence of Sudanese archaeology.

About half of the sites (40) did not know their exact periods for a number of reasons, including the exposure of these sites to a lot of destruction by humans, and climatic factors.

There are a number of (9) composite sites (whales of more than one period), most of which are collected between the late Neolithic and Islamic periods.

- Most of the types of sites that were surveyed were concentrated in the Kordofanian mountains between are Stone Age and the Islamic periods, and Few of them are Christian, and there were no intermediate periods in between.
- Most of these sites are either residence or burial sites, which are not far from each other
- Most of these sites are located below the mountains or between their joints, and the mountain tops are devoid of them except in two sites where they are linked to the presence of water sources at the top of the two mountains.
- The artifacts varied between stones, grinding tools, pottery shreds, bone tools, shells and some other few tools.
- Through historical writings, this region was entered by scattered Arab tribes who exploited it by various means that led to the disappearance of many of its features.
- The heavy rain along with the slope of the area led to the washing away of many tools
- The residents practice the professions of grazing and agriculture in abundance
- In addition to other reasons related to the specialization of archaeology, it can be determined later after excavations.

Analysis:

The Kordofan Mountains region is considered one of the richest archaeological regions, although work on it began late.

The number of mountains in it reached about (80) sites, varying between settlement and burials. As for their periods, most of them were limited to two periods: the Neolithic, and the Islamic period.

Settlement Sites:

The settlement includes two types of sites:

The first, its surface contained archaeological artefacts and extended over large

areas, the smallest of which reached 1 km, and the widest to 4 km.

The second contained the foundations of the buildings with the presence of archaeological artifacts around it. The buildings included two forms of construction: the first was circular, whose perimeter ranged from 5 to 8 m, and the second had an organized shape (rectangular or square), whose dimensions ranged between (6 m - 4 m for the rectangle). And (4 square meters - 4 square meters per square).

What remains of these buildings are their foundations or part of their walls, and they were all built from stones from the mountains that are located near them.

In addition to historical monuments, it seems that prehistory constituted a significant proportion of the sites that were surveyed. Through the excavation conducted by M. A. Hayati, it became clear that this region is full of sites of the prehistoric Period, especially the Neolithic one, and this is evident from the multiplicity of its tools. Hayati, through the excavation he conducted in the Jabal al-Ain, linked the people of that period to the Middle and Late Holocene era (Hayati, 2017: 44).



Fig. (13). Remains of a wall and rooms of stone – Jebal Al Ain Al Sifia



Fig. (14). Foundation of a circular stone building – Jebal Arnika



Fig. (15). One of the old hafeer in the Tong Qaldang area that was reused

Burial Sites:

The area was dominated by two types of burials: -

The first is the circular shape.

The second is oval shape.

Both of them varied, including the upper cover, whose types varied between: -

- Covered with gravel and slightly above the ground
- Surrounded by quartzite stones and devoid of a middle
- Surrounded by quartz or quartzite stones and stuffed with pebbles
- Topped with pebbles.

The sizes of these graves also varied, whether round or oval, ranging from medium to small.



Fig. (16). Circular tombs Empty from the middle and surrounding with quartzite stones – Al Ain Mountain



Fig. (17). Circular tombs surrounded by quartzite stones and filling with white gravels



Fig. (18). Small circular tombs surrounding and filled with quartzite stones



Fig. (19). Tomb covered with white pebbles



Fig. (20). Ancient and Modern toms – Jebal Ali Wad G

The Artifacts:

The artifacts varied and included:

- 1/ Pottery pieces, which varied in their periods between Neolithic pottery and Islamic pottery. In one of the sites, they were found in large quantities, so it is likely that it was a site for its manufacture.
- 2/ Grinding stones (upper and lower): - Found in most sites, they are found in three forms:
 - Made of rough sandstone
 - Made of fine sandstone
 - Carved on mountain rocks
- 3/ The hammers stones also vary in size, ranging from medium to small, and their shapes range from round to oval.
- 4/ Stone artifacts, although they were found in small quantities, were clear evidence of their period
- 5/ Iron scraps were found in one of the sites along with the presence of pottery pipes.



Fig. (21). Iron Slag -Tong Goldong Mountain



Fig. (22). Scattering Pottery sherds – Deghaim Mountain



Fig. (23). Scattering of archaeological artifacts in the surface of Al Ggedyat (Geraweas As Sara) Mountain



Fig. (24). Pottery Sherds- from Jebal Alixeer



Fig. (25). Pipe pottery sherd - Goldong Mountain



Fig. (26). Grinding drilling on rocks – Jebal Deghim



Fig. (27). Rocks used for grinding – Al Greweed Sherg



Fig. (27). Different holes in one rock of Al Grawed (1)

Conclusions and Results:

Although mountains are landforms that rise above the surface of the earth at varying heights, they are considered symbolic and of utmost importance in archaeology. Archaeologically, mountains are the ground for many kinds of sites, such as inscriptions, murals, quarries, caves, and sometimes sculpting temples.

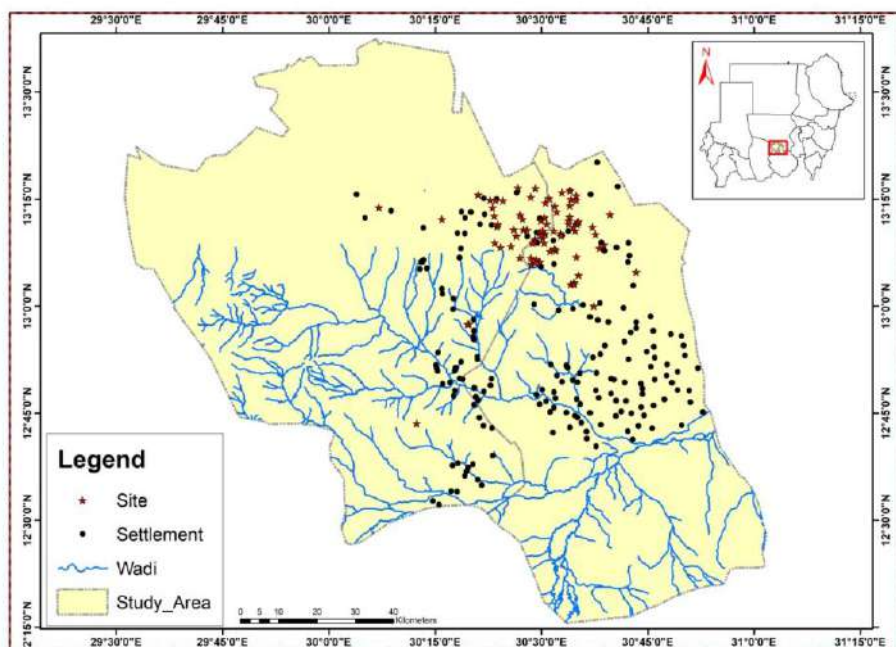
In the intellectual concept of ancient mankind, mountains are symbolic of the rise, loftiness, and advancement. The evidence for this is that most archaeological sites, whether settlement or burials, have been built near or around them. The idea of settlement depends on taking advantage of the resources around it. The mountain is physically dependent on it for the provision of building materials, etc., and morally, it is natural protection for everything that is harmful.

The importance of the Kordofan Mountains geographically lies in its distribution of various rainwater resources from khiran, small valleys for large parts of the region, as well as an essential source of wind movements, as well as its security protection for the city of El Obeid, especially in the eastern part of the region (Ahmed I. Alfaig, 2011;12).

After the survey conducted in the seasons 2014-2015 and 2015-2016, the

archaeological importance of these mountains became apparent, which may change many concepts related to Sudanese culture and civilization and expand the scope of their sites.

The survey results revealed 80 sites of varying types, including settlements, burials, or a combination of both, in addition to the site of the water tank, quarries, pottery workshops, and others. There are also a few sites whose types could not be identified due to their destruction and devastation by a number of factors.



Map No. (2) Surveyed Area of By The researcher 2022

Site	Settlement	Burial	Workshop	More than one types	Un known	Others	Total
Jebal Kordofan	4	2	-	1 (settlement + burial)	-	-	7
Jebel Al Eain Al	5	1	-	-	-	-	6
Jebel Al Eain Al Sefia	2	1	-	1 (settlement + burial)		1 (Tank)	5
Jebal Elixir	4	1	1	-	-	-	6
Jebal Deghaim	4	2	-	1 (Settlement+ Workshop)	-	-	7
Jebal Al Gerawed	1	5	-	-	1	1 (Quarry)	8
Jebal Al Gerawed	2	5	-	-	-	-	7

East							
Jebal Tong Goldong	-	6	-	1 (Settlement+ Workshop)	-	1 (Quarry)	8
Jebal Arnika	2	7	-	-	-	-	9
Jebal Arnika	-	1	-	-	-	-	1
Jabal Um Mareh Al Kabeer	-	-	-	1 (Burial + Settlement)	-	-	1
Jabal Um Marah Al Sageer	-	1	-	-	-	-	1
Ali Wad Gomah	-	3	-	-	-	-	4
Abu Khezan	1	6	-	1(Burial + Settlement	-	-	8
Jebal Al Ggedyat (Geraweess As Sara)	1	1	-		-	-	2
Total	26	42	2	6	1	3	80

Table No. (1) Types of Sites of Gebal Kordofan

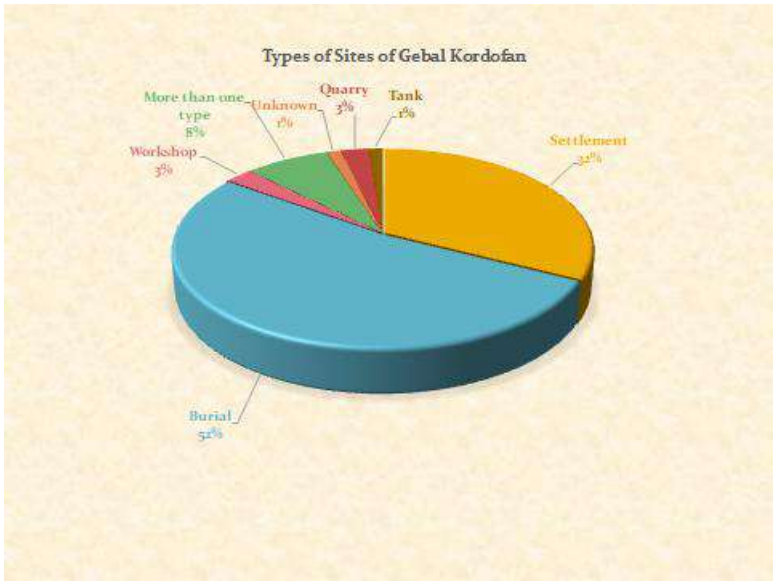


Fig (28) Types of Sites of Gebal Kordofan

The periods of the mountain sites also varied, but most of them were centered around the Neolithic and Islamic periods. There may have been a number of reasons for this long gap, but future excavations may reveal this explanation gap. There are some sites whose periods have not been revealed due to their destruction or the lack of features of their tools.

Sites	Prehistory (Neolithic)	Christian	Islamic	Unknown	Joined	Total
Jebal Kordofan	-	-	7	-	-	7
Jebel Al Eain Al Sefia	-	1	3	1	-	5
Jebel Al Eain	-	-	2	1	3 (Neolithic+ Islamic)	6
Jebal Elixir	4	-	-	1	1 (Neolithic+ Islamic)	6
Jebal Deghaim	-	-	5	1	1 (Neolithic+ Islamic)	7
Jebal Al Gerawed	1	-	1	5	1 (Unknown + Islamic)	8
Jebal Al Gerawed East	1	1	-	4	1 (Neolithic+ Islamic)	7
Jebal Tong Goldong	-	-	3	5	-	8
Jebal Arnika	1	-	1	7	-	9
Jebal Arnika	-	-	-	1	-	1
Jabal Um Mareh Al Kabeer	-	-	-	2	-	2
Jabal Um Mareh Al Sageer	-	-	-	1	-	1
Ali Wad Gomah	-	-	-	4	-	4
Jabal Abu Khezan	-	-	1	5	2 (Neolithic+ Islamic)	8
Jebal Al Ggedyat (Geraweas As Sara)	-	-	-	2	-	2
Total	7	2	23	40	9	80

Table No. (2) Period of Sites of Gebal Kordofan

There are many reasons that may lead to the disappearance of many of these sites in the near future, and this may be due to a large number of negative factors:

- Urban sprawl, and agricultural encroachment towards the mountainous area
- The use of the area by the army for training
- Confusion in policies and failure to activate the antiquities law in the state's public departments
- Other problems related to environmental and climatic factors such as erosion, desert encroachment, and winds.

References

- Adam, H. M. (2011a). *The Archaeology of North Korfofan State. The Primarily Report of the First and Second Seasons*. Unpublished Report.
- Adam, H. M. (2011b). *The Archaeology of North Korfofan State. The Primarily Report of the 4th and 5th Seasons*. Unpublished Report.
- Ahmed Hamed Ibrahim Al Faig, (2001). *Land Management, Environmental Change and Society Coping Mechanisms at Area Western Sudan*, PH D thesis, Bangi, Malaysia.
- Hayati, M, Adam, H. M and Al – Awad, O. Kh, (2017). Preliminary Report on the Excavations of Jebal Al-Ain and Qasr Al – Maraga- North Kordofan State, *Sudanarchaologische, Berlin, e. V. Institut fur Archaeologie*, 2017.
- Whiteman A. J. (1971). *The Geology of the Sudan Republic*, London (Clarendon press: Oxford University Press, Britain.

Arabic References:

- هويدا محمد آدم أحمد، تاريخ وآثار مشايخ الغديات: دراسة أولية من وجهة نظر أثرية، آداب. مجلة كلية الآداب – جامعة الخرطوم، العدد 38، (2017م).

Websites:

- https://www.google.com/search?sca_esv=b5b0e98525aa10be&sxsrf

Meroitic Urbanism and Settlement Patterns in the 'Island of Meroe': Discoveries from (Hamadab), Kabushiya

Dr. Abdelmonim Ahmed Abdalla Babiker

Department of Archaeology, Faculty of Arts, International University of Africa

Abstract

Hamadab is an archaeological site located 3 km south of Meroe City on the eastern bank of the Nile. It thrived during the Meroitic period, spanning from the 3rd century BC to the 4th century AD. Excavations began in 2000/2001 through a collaboration of Sudanese and German team, yielding significant discoveries such as monumental stelae and a bronze statuette depicting the Meroitic god Sebiuameker. Current research efforts include mapping the settlement, conducting stratigraphic excavations, and investigating Meroitic iron metallurgy. The site is named after the Jaaliyin family and the indigenous Dom palms, and it plays a vital role in enhancing our understanding of the daily lives of ordinary people within the Kingdom of Kush. While much research has focused on royal burials and temple constructions, information regarding the lives of common citizens has remained limited. This research presents the findings from recent investigations at Hamadab, providing a comprehensive understanding of the non-elite population. It reveals important details about domestic quarters, family organization, diet, and material culture. The town primarily consisted of sun-dried mud brick—a common building material in the region since ancient times—and featured architectural elements reminiscent of fortified settlements in Egypt and the Near East. However, the lack of evidence for military activity suggests that Hamadab served as a typical urban settlement rather than a military outpost.

Keywords: Hamadab, daily life, ordinary people, domestic quarters, Kingdom of Kush

المستخلص

إن دومة الحماداب هو موقع أثري يقع على بعد 3 كم جنوب مدينة مروى على الضفة الشرقية لنهر النيل. وازدهرت خلال الفترة المروية، الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي. بدأت التنقيبات في عام 2001/2000 م من خلال التعاون بين فرق سودانية وألمانية، مما أسفر عن اكتشافات مهمة مثل اللوحات الأثرية والتمثال البرونزي الذي يصور الإله المروي سيبيومكر. تشمل الجهود البحثية الحالية رسم خرائط للمستوطنة، وإجراء الحفريات الطبقيّة، والتحقيق في تعدين الحديد المروي. تم تسمية الموقع على اسم عائلة الجعليين وأشجار الدوم الأصلية، ويلعب الموقع دورًا حيويًا في تعزيز فهمنا للحياة اليومية للناس العاديين داخل مملكة كوش. في حين ركزت الكثير من الأبحاث على المدافن الملكية وبناء المعابد، إلا أن المعلومات المتعلقة بحياة المواطنين العاديين ظلت محدودة. يعرض هذا البحث نتائج التحقيقات الأخيرة في الحماداب، مما يوفر فهمًا شاملاً للسكان من غير النخبة. يكشف عن تفاصيل مهمة حول المنازل العادية وتنظيم الأسرة والنظام الغذائي والثقافة المادية. تتكون المدينة في المقام الأول من الطوب اللبن المجفف بالشمس، وهو مادة بناء شائعة في المنطقة منذ العصور القديمة، وتتميز بعناصر معمارية تذكرنا بالمستوطنات المحصنة في مصر والشرق الأدنى. ومع ذلك، فإن عدم وجود أدلة على النشاط العسكري يشير إلى أن الحماداب كانت بمثابة مستوطنة حضرية نموذجية وليس موقعًا عسكريًا.

الكلمات المفتاحية: الحماداب، الحياة اليومية، الناس العاديون، الأحياء المنزلية، مملكة كوش

Introduction

The Domat-el Hamadab project is dated back to 2000/2001 by initiative to launch joint excavations expedition promoting archaeological training of Sudanese and German students by, Professor Ali Barri, Vice-Chancellor of Shendi University, and Steffen Wenig, Professor at Humboldt University of Berlin (head of project of German team: Pawel Wolf, co-director of Sudanese team: Abdelmonim Ahmed Abdalla). National Corporation for Antiquities and Museums joint the project in 2001.

Starting from 2001 to 2006 the project operations started by mapping the Meroitic settlement by large scale surface clearings, geophysical prospection, excavations at town's temple, first stratigraphic soundings, rescue excavations of endangered Meroitic graves on the South Mound, protection measures against illegal land seizure.

Until 2006 the project was funded by private donations, the cooperation partners and the voluntary initiative and gratuitous help of students and scholars.

Since 2007: stratigraphic excavations of the town's main features complement the surface cleanings, cooperation with the German Archaeological Institute (DAI) and the project Meroe Royal Baths, join project Hamadab und Meroë funded since 2008 by the DAI and the German Research Fund (DFG).

In 2012 a team of University College London/Qatar started research on Meroitic iron metallurgy at the North Mound, large scale ground penetrating radar conducted in the Town.

Since 2013: funding by the Nubian Archaeological Development Organization (Qatar-Sudan Archaeological Project QSAP), project housed at the Orient Department of the DAI and at the Faculty of Arts of Shendi University, cooperation with the Beuth University of Applied Sciences.

In 2014 detailed map of the Town and schematic plan finalized, site management and protection measures, start of landscape-archaeological research on the history of natural environment and human occupation in the Meroe-Kabushiya region.

Domat el-Hamadab

Domat el-Hamadab is the first urban town revealed with its full plan on the east bank of the Nile in the region of present Butana just 3 km south of Meroe City. Fig(1&2). It flourished in the Meroitic period (3rd century BC to 4th century AD).

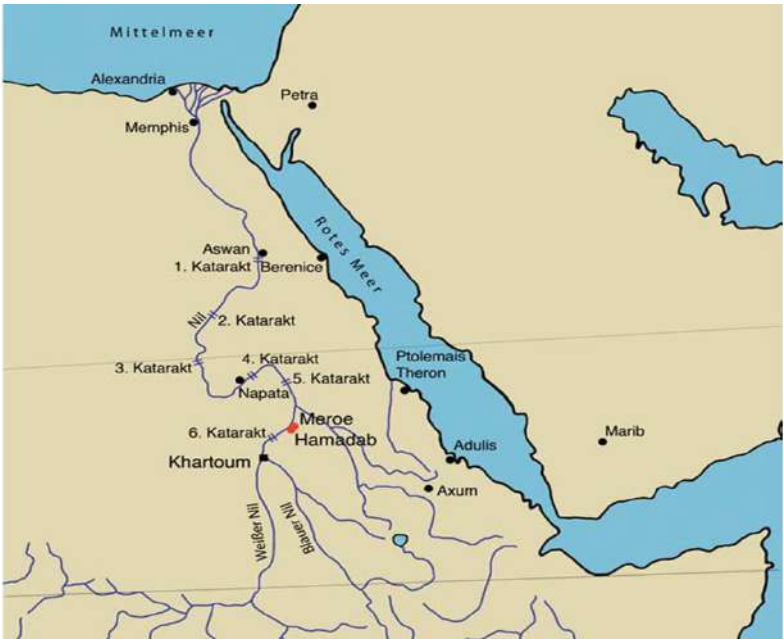


Fig (1). Hamadab - Meroe



Fig (2): Hamadab and Meroe.

The site HAMADAB takes its name from Hamad of the Jaaliyin, whose family – according to oral accounts – settled at this place about 300 years ago. While DOMA refers to the Dom palms growing on the site.

Compared to our ample knowledge of Kushite temple building and royal burials, virtually nothing is known about what life was like for the ordinary people in the kingdom. Hamadab is one of the few archaeological sites in Northern Sudan, where good preservation adds to a comprehensive picture of living conditions of a non-elite population in the “Island of Meroe” in Middle Nile Valley (Anderson and Salah. 2008).Fig (3).

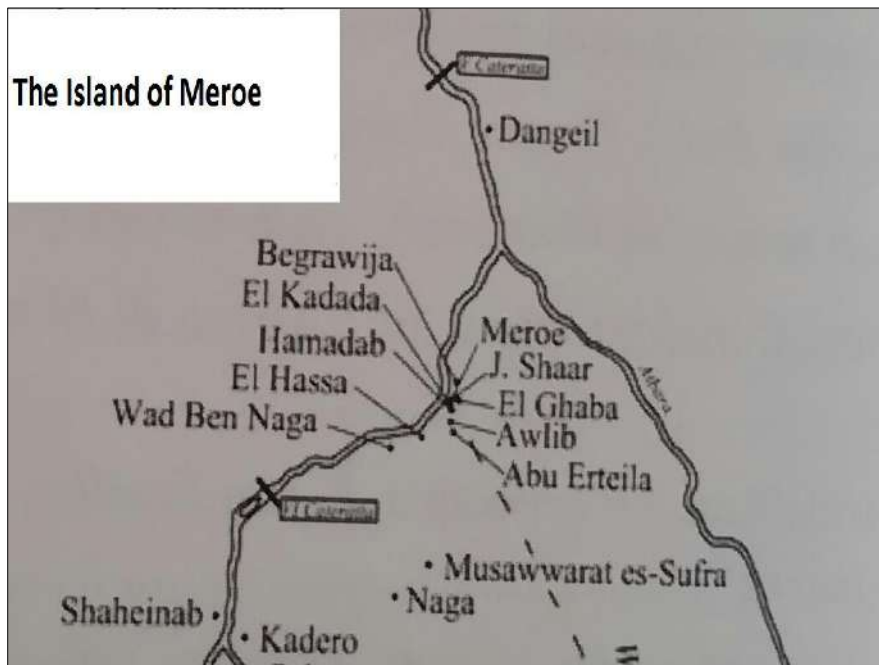


Fig (3): The Island of Meroe. After(Anderson, J. & Salah eldin Mohamed Ahmed, 2008).

Archaeological research at Hamadab focuses on town's domestic quarters to gain information on the daily life of its residents, their family organization, household activities, diet and material culture.

Latest research has contributed to the first complete map of a Meroitic urban settlement (Goldman et al. 2007).

Throughout all its occupation periods (ca. 300 BC to 400 AD) the town was almost entirely built of sun-dried mud brick – the effective and easily available building material that offers comfortable indoor conditions in hot climates. This traditional African adobe architecture was common in the Middle Nile Valley since the 3rd millennium BC and is still used in Sudan.

Remarkably, the Town shows certain similarities with fortified settlements of the 1st to 4th centuries AD in Egypt and the Near East reminiscent of Roman military forts. Like the principia in Roman forts, the temple at Hamadab was situated opposite the town gate at the end of a main street (Wolf. 2002, 2004).Fig (4).



Fig (3): Complete plan of the Temple (Reconstruction)

However, no clear evidence for military use of the Town has been found so far. The archaeological evidence suggests that Meroitic Hamadab was an ordinary urban town and that most of its houses were primarily residential buildings for common people following an urban lifestyle. Fig (5&6).



Fig (5). Finds from Hamadab (Domestic)

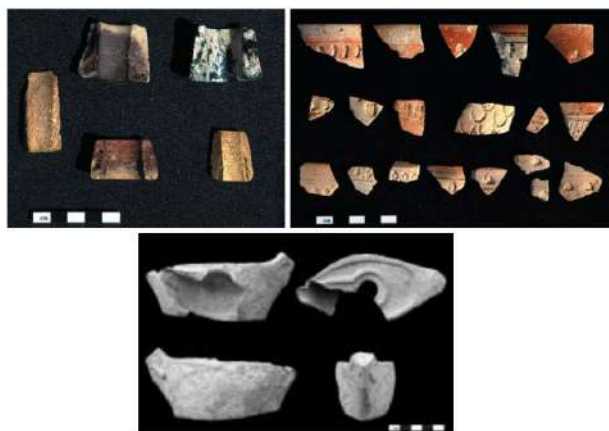


Fig (6). Finds from Hamadab

Visiting Hamadab in 1914, John Garstang director of the University of Liverpool excavations at Meroe unearthed two monumental stelae covered with Meroitic cursive script that were attached to a small temple, typical for Meroitic official architecture (Garstang et al. 1911).Fig (7).



Fig (7). Hamadab Stelae of Amanirenas and Akinidad. After (Garstang, etal. 1911)

Amongst the preserved cult furniture and votive objects, there was a wonderful bronze statuette. This figure revealed features of the Indigenous Meroitic god Sebiuwerker which apparently was a member of the ‘divine crew’ of a procession bark. It can stylistically be attributed to the late 3rd or early 2nd century BC. Fig (8).



Fig (7). Small bronze statuette of the Meroitic god Sebiuwerker

The Hamadab building reproduces the architectural features of a higher authority or an administrative institution to control the town’s communal or commercial matters.

Conclusion:

As the first urban town revealed with its full plan, Hamadab is a good example to study living conditions in the Nile valley during Meroitic times, featuring a temple, administrative buildings, fortifications, storage facilities, common housing and industrial areas.

The greater Meroe region might therefore be characterized as the kingdom’s grain

basket, which provided surpluses of staple food for the surrounding regions and settlements.



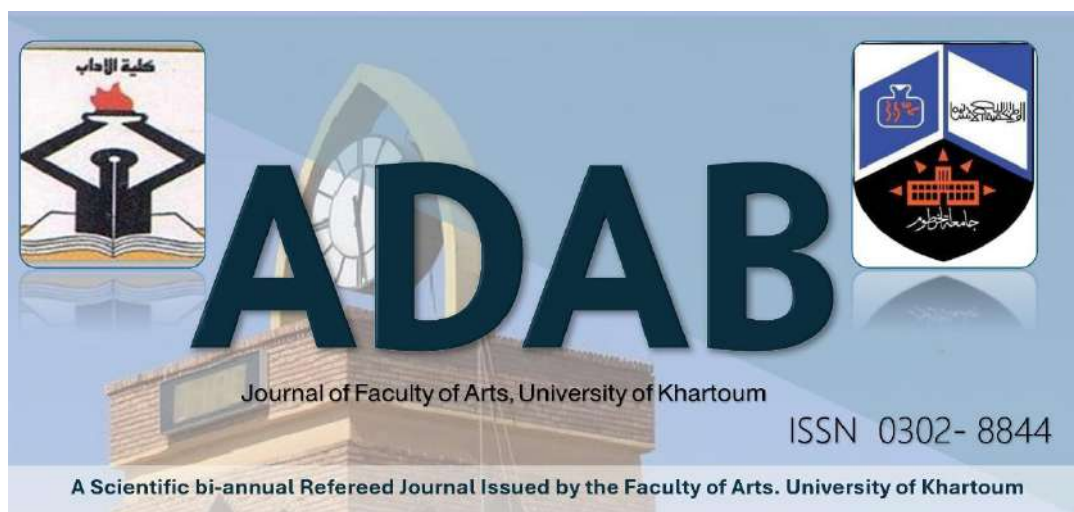
Fig (8). The Fieldwork team 2014



Fig (9). Institutional Cooperation

References

- Anderson, Jule and Salah eldin Mohamed Ahmed. (2008). *Excavations in the Temple Precint of Dangeil, Sudan*. 2008. Sudan.
- Garstang, J, A.H. Sayce & P.L. Griffith, (1911), *Meroë, the City of the Ethiopians: Being an Account of a First Season's Excavations on the Site 1909-1910*. Oxford.
- Goldman, T.R. Wutzler, B. Mekiffere, P. Wolf and Mohamed Abdelwahab Mohamed Ali, (2007)., Geomagnetic Survey at the Meroitic Settlement at Hamadab Sudan, in studiine Zresti Archaeologickebo ustaru slovenske, anademie vied L11, *Archaeological Prospection*, Nitra, 170-171.
- Wolf, P. (2002). Ausgrabungen in Hamadab bei *Meroe der Antike Sudan* 13, 92-111.
- Wolf, P. (2004). Hamadab-das Hauptquartier des Akinidad? , *der Antike Sudan*, 15, 2004. 83-97.



Issue No. 52 Vol. (2). January 2025

Special Issue for the Golden Jubilee of the Dept. of Archaeology

Editorial Board	Advisory Board
Editor-in-Chief Prof. Siddig Mustafa Elrayah Managing Editor Prof. Azhari Mustafa Sadig Ali Editorial Members Prof. El-Sadig Yahya A. Ezza Dr. Mohammed Alfatih Hayati Dr. Afaf Mohammed Elhassan Ibrahim Dr. Rasha Albaroudi Dr. Nadra Abdalla Ali Dr. Waleed Omer NourAldaim Dr. Ahmed AbdelMouniem Secretary Waleed Modather Sara Mamoun	Prof. Fadwa Abdel Rahman Ali Taha Prof. Ali Osman M. Salih Prof. Galal El-Din El-Tayeb Prof. Rugaia Elsayed Etayeb Alabass Prof. Hamadalneel M. Alhassan Prof. Hussein Al Noor Youssef Prof. Yahia Fadl Tahir Prof. Mubarak Husayn Najmalddin Dr. Younis Al-Amin Dr. Mahasin Hag Al-Safi Dr. Hassan Ali Eissa
Contributions: Addressed to the Editor: Faculty of Arts, University of Khartoum. P.O. Box 321 or by e-mail: prof.siddig.alrayyah@gmail.com or journal.art@uofk.edu	

Contents

Arabic Section

1	1. قسم الآثار – جامعة الخرطوم، رائد علم الآثار في السودان. د. محمد الفاتح حياتي.....
19	2. (في ذكرى اليوبيل الذهبي) تجربة قسم الآثار – جامعة الخرطوم في إدارة المصادر الأثرية (1964-2014م). د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد علي.....
51	3. مقترح لتطوير برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار. د. نبى عبد الحافظ عبد العزيز.....
59	4. الأعمال الأثرية في إقليم الشرق الثقافي: من خلال دراسات وأبحاث جامعة الخرطوم. د. أحمد حسين عبد الرحمن آدم.....
81	5. موقع الخندق الأثري والكوارث البشرية والطبيعية. أ.د. انتصار صغيرون الزين، أ. فاطمة محمد عثمان.....
97	6. تعزيز دور التعليم والتدريب الميداني في مواقع ما قبل التاريخ بالسودان. تجربة قسم الآثار جامعة الخرطوم في موقع الصُور. أ.د. أزهرى مصطفى صادق.....
153	7. حكام مصر السودانيون: كافوري الإخشيدى نموذجاً. أ.د. يحيى فضل طاهر، د. أحمد حسين عبد الرحمن.....
167	8. آثار الهولوسين المبكر (1000-7000 ق م) في منخفض القعب، غرب دنقلا. د. هدى عبدالله خالد محمد.....
183	9. آثار ما قبل التاريخ في موقع أبوشنيب وسط الجزيرة. أ. فتح الرحمن محمد عثمان علي.....
203	10. تاريخ وتطور البحث الأثري لمقابر ما بعد مروي-السودان: دراسة تحليلية نقدية. أ.د. جمال جعفر عباس الحسن.....
239	11. حجارة شراك الصيد بوصفه مؤشراً لتصدير الحيوانات البرية الحية من السودان القديم: قراءة في فلسفة الدليل الأثري وأيقونوغرافيا المعابد. د. حماد محمد حامدين.....
257	12. العمارة الطينية: أساليب الحفاظ وإعادة التوظيف. إقليم المحس شمال السودان نموذجاً. د. ياسر علي محمد تاي الله، د. رباب عبد الرحمن الوسيلة.....
287	13. التركيب – السمك المتخمّر: طعام، حدود ثقافية، وانتماء عند النوبيين: حالة دراسة أرض المحس بشمال السودان. أ. فاطمة إدريس علي محمود ، ماسيج كوريش.....
301	14. الترجمة العربية لنقش الملك أنلماني (أمانى - ينل) كوة 8. عبدالله النور عبدالله أبكر.....

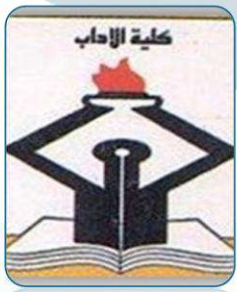
Foreign Section

15. The Archaeology of Nauri in the Third Cataract of the Nile: during the ancient, the Medieval, and Post Medieval periods	Prof. Ali Osman	313
16. The Archaeology of North Kordofan State; Comprehensive Archaeological Survey of the Kordofan Mountains	Dr. Hwida Mohammed Adam Ahmed.....	329
17. Meroitic Urbanism and Settlement Patterns in the 'Island of Meroe': Discoveries from (Hammadab), Kabushiya	Dr. Abdelmonim Ahmed Abdalla Babiker.....	349

Publication Rules and Conditions

ADAB is a peer-reviewed scientific journal issued bi-annually in June and December by the Faculty of arts, University of Khartoum. It accepts research in Arts, Fine arts and humanities as per rules and conditions given below:

1. Manuscript submitted for possible publication has not been published or submitted for publication elsewhere.
2. Manuscript submitted for possible publication in the journal is subject to peer-review conducted by specialised researchers based on objective criteria.
3. Two printed copies of the manuscript along with a CD containing the research should be handed over or emailed to;
journal.art@uofk.edu or prof.siddig.alrattyah@gmail.com.
4. Manuscript should be 5000-10000 words long, with a single page abstract of 200 words in Arabic and English, followed by 5 key words highlighting the most important themes addressed by the manuscript. It should be also taken into account that the first page must contain the title of the manuscript, researcher's name, name of university or academic institution and the e-mail address.
5. The journal publishes book reviews of a maximum of 2000 words published within two years. The book's title, author's name, place and date of publication and the number of pages should appear at the top of page. The review process includes presentation, analysis and criticism and detailed summary of the book's content, paying attention to the credibility of the author's sources and his/her conclusions.
6. Manuscript should be documented scientifically by including the sources and references used by the researcher organised alphabetically at the end of the manuscript. Sources of a manuscript written in a foreign language should be organised in one of the standard formats (e.g. APA, MLA, MCF, etc.).
7. Research published by the journal expresses only the opinions of its author; they do not necessarily reflect the opinion of the journal, or any other institution associated to the researcher.
8. Editorial board has the right to make necessary editing and modifications; and decision to accept or reject the manuscript is made upon the recommendation of the referee.
9. Paying the publication fees imposed on non-Sudanese researchers, Sudanese researchers abroad, or researchers from outside the university, each according to his category.



ADAB

Journal of Faculty of Arts, University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

A Scientific bi-annual Refereed Journal Issued by the Faculty of Arts. University of Khartoum

Special Issue for the Golden Jubilee of the Dept. of Archaeology



Issue
52
Vol (2)

January 2025